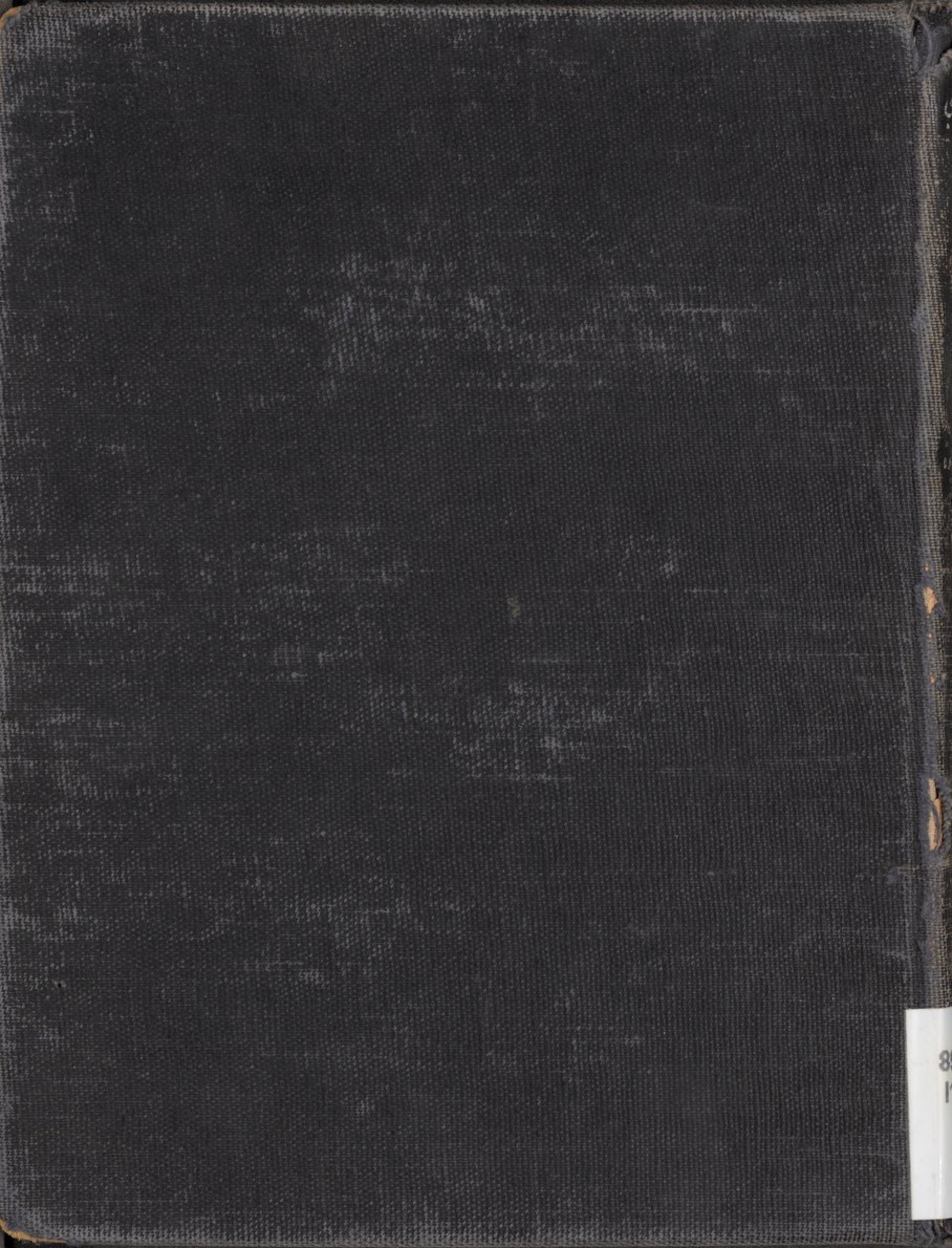




8  
1



928.927  
I132 dA  
pt. 4 v. 1



Jafet Library

07 MAR 1995

DATE DUE







892.709

I 132 A

ph. 4

v. 1

c. 1

جامعة فؤاد الأول

كلية الآداب

مطبوع رقم ٢٦

# الذخيرة في سائر الملوك البرية

تأليف

أبي الحسن علي بن بسام الشنبري

المتوفى سنة ٥٤٢ هـ

القسم الرابع — المجلد الأول

69107

القاهرة

مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر

١٣٦٤ هـ — ١٩٤٥ م

Cat. Dup. 1950





## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أخرجنا في ذى الحجة ١٣٦١ (ديسمبر ١٩٤٢) المجلد الثانى من القسم الأول من كتاب «الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة»، ووعدنا القارئ أن نكافئ طول انتظاره هذا المجلد الثانى بالمسارعة إلى إخراج المجلد الثالث. ولكن العوائق التى عوّقت نشر المجلد السابق عوّقت نشر هذا المجلد على كره منا، وضيق بإخلاف الوعد، واستحياء من الأدباء الذين انتظروا نشر هذا الكتاب واستعجلوه وسألونا مرّات عنه. وسيعجب القارئ حين يسارع إلى المجلد الذى طال تنظره فلا يجد المجلد الأول من القسم الثانى على الترتيب المألوف والنسق المعروف، ولكن يجد المجلد الأول من القسم الرابع. والذى أخرجنا عن النسق أنا ننتظر من القسمين الثانى والثالث نُسخاً فى دور الكتب الأوربية نرجو أن نظفر بها بعد أن تضع الحرب أوزارها، وتعود الصلات بين الأمم سيرتها. فما استحسننا أن نُقدم على نشر هذين القسمين دون أن نستعين بتلك النسخ ونقرنها إلى النسخ التى بين أيدينا. وأما القسم الرابع من الكتاب فلا نعرف منه على وجه الأرض إلا النسخة التى بأيدينا<sup>(\*)</sup>. فرأينا أن نفرغ منها إلى أن يتيسر استقصاء نسخ القسمين الآخرين.

(\*) وهى نسخة الرباط التى أسلفنا وصفها فى مقدمة الكتاب.

وقد اضطررنا اليأس من الظفر بنسخة أخرى إلى أن نعتمد على النسخة الوحيدة التي عندنا ، على صعوبة خطها ، وكثرة تحريفها . ولم يكن لنا معدى عن أن نخرج من هذه النسخة كتابا صحيحا جهد الطاقة . وزاد الأمر مشقة أن مشاركة الكتب الأخرى في نصوص هذا القسم من كتاب الذخيرة قليلة ، فما أمدتنا الكتب الأخرى حين فزعنا إليها لتصحيح نص أو إكماله إلا في النادرة .

وقد صححنا الكتاب ، وقومنا عوجه إلا في جمل لم نجزم بالصواب فيها فدللنا عليها في الحاشية ، وانتظرنا بها معونة القراء . ونعرض هنا أمثلة من التحريف الذي أدركناه وعرفنا الصواب فيه ليكون القارئ على علم بما لقينا في تصحيح النسخة . ورد في ص ٨٦ بيت أبي الفضل في النسخة على هذه الصورة :

إذا البدر جلا وجهه البر نوره      تحده طلى فوق وجنته خال  
فصححناه :

إذا البدر جلى وجنة البر نوره      فجون الطلى من فوق وجنته خال  
وكتب في ص ١٠٧ في الحديث عن ضعف الشعراء وتكلفهم « يهينمون بما لا ورق له من أسمائهم » وصوابها « يهينمون بما لا ودق له من سمائهم » .

وكذلك في ٢١٦ كتب بيت الحصري هكذا :



سرّيت وخليت السرى لصاحبتى فهذا الهوى يصبى وهذا الهوى يبضى  
والصواب فيما رأينا ، أن يكتب البيت :

سرّيت وخليت الهوى لك صاحبي فهذا الهوى يُصبى وهذا السرى يُبضى  
هذا إلى إهمال الناسخ في رسم الكلمات وفي مسائل النقط إهمالا  
لا تكاد تخلو منه صفحة من الكتاب . فكلمة (جاد) يكتبها (داد)  
(أمس) يكتبها (أنس) و(بزنى ثرونى) يثبتها (ترنى ترونى) و(خُداريًا)  
يجعلها (حواريا) إلى غير ذلك من أنواع التصحيف والتحريف اللذين  
نبهنا إلى قليل منها في حاشية الكتاب وأضربنا عن ذكر الكثير .

\*\*\*

وهذا هو المجلد الأول من القسم الرابع . وهو القسم الذى جعله  
المؤلف لمن طرأ على الجزيرة الأندلسية : « من هاجر إليها من تلك الآفاق ،  
وطرأ عليها من شعراء الشام والعراق ، ممن تبجّج في ذراها ، وتسربل  
نماها ، ونجم في أفلاكها ، وخيم في ظلال أملاكها » . وأثبت في آخره  
« طرفا من كلام أهل المشرق وإن كانوا لم يطرأوا على هذا الأفق ؛ حدو  
أبى منصور الثعالبي . فإنه ذكر في يتيمة نقرأ من أهل الأندلس » .

وقد صححه وقام على طبعه مع إشرافى الأساتذة عبد العزيز محمد  
الأهوانى وعبد القادر القط ، ومحمد عبده عزام .

ونحن ندعو أدباء العربية أن يمدونا بما عندهم من نسخ الكتاب

أو نصوص في كتب أخرى تعين على تصحيحه لنخرج الكتاب على الوجه الأكمل . ونشكر للعلامة السيد عبد الحى الكتّانى بما تفضل فأهدى إلينا نسخة قيمة من القسم الثانى من هذا الكتاب .

وإننا لندرجو أن ييسر لنا نشر المجلدات الأخرى قريباً ، على الوجه الذى نبتغيه لهذا الكتاب القيم . والله المستعان .

عبد الوهاب عزام  
عميد كلية الآداب

{ ١٩ رمضان سنة ١٣٦٤ هـ  
القاهرة فى ٢٧ أغسطس سنة ١٩٤٥ م }



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

صَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا .

\*\*\*

- ذِكْرُ الْكِتَابِ الْوَزَرَاءِ ، وَالْأَعْيَانِ الْأَدْبَاءِ الشُّعْرَاءِ ، الْوَافِدِينَ  
• عَلَى جَزِيرَةِ الْأَنْدَلُسِ ، وَالطَّارِثِينَ عَلَيْهَا ، مِنْ أَوَّلِ الْمِائَةِ الْخَامِسَةِ  
مِنَ الْهَجْرَةِ إِلَى وَقْتِنَا هَذَا الَّذِي هُوَ سَنَةُ اثْنَيْنِ وَخَمْسِمِائَةٍ ، وَاجْتِلَابُ  
مَا بَلَغْنِي مِنْ نَوَادِرِ أَخْبَارِهِمْ ، وَشَوَارِدِ أَشْعَارِهِمْ ، مَعَ مَا يَتَعَلَّقُ بِهَا ،  
وَيُذَكَّرُ بِسَبَبِهَا .

\*\*\*

- قال علي بن بسام : قد استوفيت في ثلاثة الأقسام ، مُجَلَّةً مِمَّا انْتَهَى إِلَى  
• مِنْ مَحَاسِنِ النَّثْرِ وَالنِّظَامِ ، لِمَنْ نَشَأَ بِالْجَزِيرَةِ مِنَ الْأَعْيَانِ الْأَعْلَامِ ، مِنْ أَوَّلِ  
تَارِيخِ هَذَا الْمَجْمُوعِ إِلَى وَقْتِنَا . وَلِنُعْقِبَ ذَلِكَ بِحَوْلِ اللَّهِ وَتَأْيِيدِهِ بِذِكْرِ مَنْ  
هَاجَرَ إِلَيْهَا مِنْ تِلْكَ الْآفَاقِ ، وَطَرَأَ عَلَيْهَا مِنْ شُعْرَاءِ الشَّامِ وَالْعِرَاقِ ، مِمَّنْ  
تَبَحَّحَ ذَرَاهَا ، وَتَسَرَّ بِلِ نَعْمَاهَا ، وَنَجَّمَ فِي أَفْلَاقِهَا ، وَخَيَّمَ فِي ظِلَالِ أَمْلَاقِهَا .  
• وَلَمْ آتِ بِهَذِهِ الْفِرْقَةِ مِنْ أَرْبَابِ هَذَا الْفَنِّ الَّذِي أَنَا فِي إِقَامَةِ أَوْدِهِ ، مُتَعَزِّزًا  
مِنْ ذِلَّةٍ ، وَلَا مُسْتَكْبِرًا مِنْ قِلَّةٍ ، وَلَا لَأَنِّي لَمْ أَجِدْ مِنْ أَعْيَانِ وَزَرَائِنَا وَكِتَابِنَا  
مَنْ هُوَ أَبْعَدُ غَايَةٍ ، وَلَا أَبْهَرُ آيَةٍ ، وَلَكِنَّهُمْ أَسْنَدُوا إِلَى أَعْلَامِهَا ، وَتَرَدَّدُوا  
بَيْنَ حَمِيمِهَا وَجَمَامِهَا ، فَصَارُوا مِنْ أَهْلِهَا بِالْوِفَادَةِ عَلَيْهَا ، وَخَلَعَ أَوْطَانِهِمْ إِلَيْهَا ؛  
مَعَ أَنَّ هَذِهِ الطَّائِفَةَ لَمْ يَسْمُ إِلَّا بِالْأَنْدَلُسِ ذِكْرُهُمْ ، وَلَا طَارَ إِلَّا بِمَدْحِ مُلُوكِنَا  
• شِعْرُهُمْ ؛ وَكَمْ فِي شُعْرَانِنَا مِمَّنْ عَاصَرَنِي وَلَمْ أَسْمَعْ بِذِكْرِهِ ، وَلَا وَقَعَ إِلَيَّ شَيْءٌ ،



من شِعره ، ولعله كان أخلقَ بأن يُذكر ، وأحقَّ بأن تُتلى آياته وتُسَطَّر ،  
لسكنَ يبلُغُ المرءَ جهده ، والإحاطةُ لله وحده .

وقد أثبت أيضاً آخرَ هذا القسم طرَفًا من كلامِ أهلِ المشرق ، وإن  
كانوا لم يَطْرَأوا على هذا الأفق ، حَدِّثُوا أبى منصورَ الثعالبي ؛ فإنه ذكرَ في يقيمته  
نفرًا من أهلِ الأندلسِ فعارضته أو ناقضته ، والأدبُ مِيدَانٌ يليقُ به المتاح ،  
ويستحسنُ فيه الجراح .

٢ فصلٌ في ذكرِ الأديبِ اللُّغَوِيِّ أبى العلاءِ صاعدِ بنِ الحسنِ  
البغدادى ، وإثباتِ جُملةٍ من نظمِهِ ونثرِهِ ، معَ ما يتعلَّقُ مِنَ الأخبارِ  
السلطانيةِ بذكرِهِ .

١٠ هوَ صاعدُ بنُ الحسنِ بنِ عيسى ، البغدادى تربيةً ، والطبرى أصلًا ،  
والرَّبْعَى نَسَبًا ؛ ينتمى فى ربيعةِ الفرسِ ، وكان طالعَ عَلَى آفاقِ الجزيرةِ  
فى أيامِ المنصورِ محمدِ بنِ أبى عامرٍ نجمًا مِنَ المشرقِ غَرَبَ ، ولسانًا عن العربِ  
أُغْرِبَ . أبدهُ مَنْ رأى وسمِعَ ، وأذكى مَنْ طارَ ووقعَ . فأرادَ المنصورُ أن  
يُعَقِّى بِهِ آثارَ أبى علىِ البغدادى الوافِدِ عَلَى بنى أُمَيَّةَ قبلَهُ ، وهزَّهُ لذلكِ فآلَنَى  
سيفَهُ كَهَامًا ، وسحابهَ جَهَامًا ؛ مِنْ رَجُلٍ يتكَلَّمُ بِمِلٍّ فِيهِ ، ولا يُوثِقُ عَلَى  
ما يَذَرُهُ وما يَأْتِيهِ .

وقد أجزى<sup>(١)</sup> ابنُ حَيَّانٍ ذِكْرَهُ فقال : ولَمَّا دَخَلَ قَرْطَبَةَ دَفَعُوهُ بِالْجُلَّةِ

(١) فى الأصل : « أخبرنى » وهو خطأ .



عَنِ الْعِلْمِ بِاللُّغَةِ ، وَأَبْعَدُوهُ عَنِ الثِّقَةِ فِي عِلْمِهِ وَعَقْلِهِ وَدِينِهِ ، وَلِذَلِكَ مَا رَضِيَهُ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِهَا أَيَّامَ دُخُولِهِ إِلَيْهَا ، وَلَا رَأَوْهُ أَهْلًا لِلْأَخْذِ عَنْهُ وَلَا لِلِاقْتِدَاءِ بِهِ ، وَغَرَّقُوا كِتَابَهُ الْمُرْجَمَ بِالْفُصُوصِ ، فَهَا هُوَ إِلَى الْيَوْمِ فِي نَهْرِهِمْ يَغُوصُ .  
وَقَدْ أَتَيْتُ أَنَا بِلَمْعٍ مِنْ أَعَاجِيبِهِ ، وَأُورِدْتُ غُرَائِبَ مِنْ أَكَاذِيبِهِ ، وَتَخَلَّلْتُ أَثْنَاءَ ذَلِكَ بُحْلَةً مِنْ نَظْمِهِ وَنَثْرَهُ ، مِمَّا يَشْهَدُ عَلَى ثُبُوتِ قَدَمِهِ وَشُهْرَةِ تَقَدُّمِهِ .

## ٢ فُصُولٌ مِنْ نَثْرِهِ فِي أَوْصَافٍ شَتَّى

اتَّصَلَ أَوَّلَ دُخُولِهِ الْأَنْدَلُسَ بِالْوَزِيرِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْلَمَةَ . فَلَمَّا نُسِكَبَ اسْتَعْطَفَ لَهُ الْوَزِيرَ أَبَا جَعْفَرٍ بْنُ الدُّبِّ لِيَشْفَعَ لَهُ عِنْدَ الْخَلِيفَةِ سُلَيْمَانَ ، وَخَاطَبَهُ فِي ذَلِكَ بَعْدَةَ رَسَائِلَ ، فَكَانَتْ رُقَى لَمْ تَنْفَعْ ، وَوَسَائِلَ لَمْ تَنْجِعْ .

مِنْهَا فَصْلٌ يَقُولُ فِيهِ : لَمَّا جَمَعَ اللَّهُ طَوَائِفَ الْفَضْلِ عَلَيْكَ ، وَأَذْلَقَ بِكَ الْأَلْسُنَ ، وَأَرْهَفَ فِيكَ الْخَوَاطِرَ ، وَرَفَّرَفَ عَلَيْكَ طَيْرُ الْأَمَالِ ، وَنُفِضَتْ إِلَيْكَ عِلَاقُ الرِّحَالِ ، لَمْ أَجِدْ لَابِنَ مَسْلَمَةَ حِينَ عَصُهُ الثَّقَافُ ، وَضَاقَ بِهِ الْخِنَاقُ ، وَانْقَطَعَ بِهِ الرَّجَاءُ ، وَكَبَا بِهِ الدَّهْرُ ، مَلَجًا غَيْرَكَ . فَمَطَّقَكَ عَلَى وَالِهِ نَبْهَهُ النَّحْسُ مِنْ سِنَةِ السَّعْدِ ، وَأَبْقَظَتْهُ الْآفَاتُ مِنْ رَقْدَةِ الْغَفْلَةِ ، وَرَشَّقَتْهُ سِهَامُ الزَّمَانِ بِصُنُوفِ الْأَمْتِهَانِ ، حَتَّى لَقِبَ الْمُنِيَّةَ أُمْنِيَّةً ، وَصَمَّى الْمَوْتَ فَوْتًا . وَمَنْ لَمْ يَكْتُبْ لَهُ الدَّهْرُ سِجِلًا ، وَلَا عَقَدَ لَهُ أَمَانًا ، وَلَا أَشْهَدَ عَلَى نَفْسِهِ ثِقَةً ، فَلْيَكُنْ مِنْهُ عَلَى حَذَرٍ ، وَمِنْ ثُبُوتِهِ عَلَى يَقِينِ الْخَبَرِ . وَلْيَعْلَمْ أَنَّ أَصْطِنَاعَ الْمَعْرُوفِ يَكْفِي الْمَرْءَ فِي سَمْعِهِ وَبَصَرِهِ ، وَيُلْقَاهُ فِي طَرِيقِهِ ، وَيَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مُحَارَبِهِ ، وَيُجَارِيهِ فِي أَهْلِهِ وَوَلَدِهِ ، وَيَصْحَبُهُ فِي أَغْتِرَابِهِ عَنْ بِلَادِهِ .

وَفِي فَصْلِ مِنْهَا : خِفَانَتِكَ عَلَيْهِ وَعَلَى فِيهِ ، وَإِذْ كَرَّرْتَ تَعْلُقَ الْأَمَالِ بِهِ وَتَعْلُقَ



أَمَلِهِ بِكَ ، وَحَاجَةً الرُّؤُوسَاءِ إِلَيْهِ وَحَاجَتَهُ إِلَيْكَ . وَحَشَدْتُ لَكَ الْقَوْلَ ، وَاللَّهُ  
تَعَالَى خَلَقَ الدُّنْيَا بِمَحْرَفَيْنِ ، وَإِنَّ السَّكَمَةَ لَتَرْقَأُ الدَّمَ ، وَالرُّقِيَّةَ لَتُخْرِجُ الْحَيَّةَ  
مِنْ مَكْمَنِهَا ، فَإِنْ خَبْتُ مِنْ طِلَابِكَ نَثَرْتُ نِظَامًا — قَالَ :

يَا أَحْمَدَ بْنَ سَعِيدٍ الْعَلَمَ الَّذِي أُوفِيَ<sup>(١)</sup> فَلِحَدَثَانٍ عَنْهُ زَلِيلُ  
أَخَذَ الْعِقَابُ مِنْ ابْنِ مَسَامَةٍ الَّذِي حَكَمَ الْقَضَاءُ بِهِ وَغَالَتْ غَوْلُ  
لَمْ تَبْقَ غَيْرُ حُشَاشَةٍ إِنْ أُذِرَتْ خَلَصَتْ وَإِنْ أَسْلَمَتْ فَهَوَّ قَتِيلُ  
بِيَدَيْكَ بَعْدَ اللَّهِ فَكُتُّ إِسَارِهِ وَعَلَيْكَ فِي اسْتِنْقَازِهِ التَّعْوِيلُ  
فَارْحَمَ أَنْبَنَ أَبِي بَنَاتٍ لَمْ يُصَبْ لِدُمُوعِهِ عَلَى الْخُدُودِ مَسِيرُ  
أَسْفَ الْفَرَاحِ عَلَى كَفِيلٍ كَاسِبٍ أَوْدَى فَلَيْسَ لَهُنَّ بَعْدُ كَفِيلُ  
فَاجْعَلُهُ فِي يَمْنَى يَدَيْكَ فَإِنَّهَا سُورٌ تَحُوطُ الْمُسْتَجِيرَ وَغِيلُ  
مَا ذَنْبُهُ إِلَّا الزَّمَانُ فَإِنَّهُ رِخْوُ الْيَدَيْنِ بِمَنْ يُحِبُّ مَلُولُ  
كَلِمَاتُ الْوَرَهَاءِ تَنْقُضُ غَزْلَهَا وَالشَّاقِ تَمْلَأُ قَعْبَهَا وَتُمِيلُ

٤ وَلَهُ مِنْ أُخْرَى إِلَى مُجَاهِدٍ يَصِفُ ظَهْرَهُ عَلَى خَيْرَانَ وَأُسْرَهُ لِمَجَاعَةٍ  
مِنَ الصَّقَلَبِ :

١٥ كِتَابِي وَأَنَا مُسْتَطَارٌ فَرَحًا ، وَمُسْتَوْفٍ<sup>(٢)</sup> مَرَحًا ، بِالْغَادِي وَالرَّائِحِ عَلَى  
مِنَ الْبَشَائِرِ الَّتِي تُسْمِعُ الضَّمَمَ ، وَتُنْطِقُ الْبُكْمَ ، بَعْدَوْ نَجَا بَعْدَ مَا ظَنَّ أَنَّ  
لَيْسَ نَاجِيًا ، وَخُنْزَوَانِي أَقْبَلَ فِي صِفَادِهِ عَانِيًا ، صُنْعًا مِنْ اللَّهِ أَسْأَلُهُ ضَارِعًا أَنْ  
يَجْعَلَهُ عِنْدَكَ رَاسِيًا ، وَعَلَيْكَ مُحْيَا . فَإِنَّ الَّذِي آوَى إِلَيْهِ مِنْ تَطَوُّلِكَ يُبْدِي وَلُوعًا  
وَيُغْرِى بِالنِّزَاعِ إِلَيْكَ ، وَالتَّزْوَعِ نَحْوِكَ . [وَمَ] مَا أَنْشَدَنِيهِ بِالْيَمَنِ أَبُو الْغَزْوَرِ

(٢) فِي الْأَصْلِ : « مُسْتَوْفٍ » .

(١) فِي الْأَصْلِ : « أُوفَى » .



الأعرابي لنفسه وقد حجَّ ابنه فقال يذكرُ شوقه إليه :

أَلَا لَيْتَ لِي عَيْنَانِ<sup>(١)</sup> تَطْلَعَانِ عَلَى النَّأْيِ أَحْيَانًا وَتَنْصَرِفَانِ  
فَإِنْ كَانَ خَيْرًا سَرَّتَنِي وَعَرَفْتُهُ وَإِنْ كَانَ شَرًّا ظَلَمْتَا تَكْفِيَانِ  
وَلَمَّا أَتَيْتَنِي إِحْدَى خَرَائِطِكَ الْجَزِيلَةِ ، وَتَبَادَرَتِ التَّبَاشِيرُ بِاحْتِلَالِ الْمَرْكَبِ ،  
كَأَدِ الْفَرَحُ يَقْضِي عَلَى ، وَيَنْزِعُ التَّمَسُّكَ مِنْ يَدَيَّ . وَلَوْلَا أَنِّي ثَبَتُ النَّجِيرَةَ ،  
وَمُحَمَّدُ الْمَرِيرَةَ ، لَكُنْتُ كَأُمِّ أَبِي مُزَبَّدٍ إِذْ بَعَثَ إِلَيْهِ<sup>(٢)</sup> يَحْيَى بْنَ خَالِدٍ غُلَامًا ،  
فَقَالَ لَهَا : يَا أُمِّهِ ! وَهَبْ لِي يَحْيَى « غُ » قَالَتْ : وَمَا « غُ » ؟ قَالَ « لَا » قَالَتْ :  
وَمَا « لَا » ؟ قَالَ : « م »<sup>(٣)</sup> وَطَبَّقَ الْمِيمَ عَلَى شَفَتَيْهِ ، فَضَرَطَتْ ، فَقَالَ : الْحَمْدُ  
لِلَّهِ ، لَوْلَا تَقْطِيعُ الْحُرُوفِ خَرَيْتُ . فَخَضَرَنِي إِذَا عِنْدَ وَرُودِ الْمَالِ مَا كَتَبْتُ بِهِ :

أَتَتِكَ الْخَرِيطَةُ سَوَالِ الْمَرْكَبِ      كَمَا اقْتَرَنَ السَّعْدُ وَالْكَوْكَبُ  
فَقَالُوا مَنْ الْوَاهِبُ الْمُسْتَقِيلُ      عَقَائِلَ يَغْيَا بِهَا الْحُسْبُ  
فَقُلْتُ<sup>(٤)</sup> فَتَى أَصْفَرِي النَّجَارِ      يَرْوَعُ بِهِ الْمَشْرِقَ الْمَغْرِبُ  
يُحَكِّكُ أَسْيَافَهُ بِالرَّذَى      كَمَا حُكَّ بِالْهَانِيءِ الْأَجْرَبُ  
فَلَوْلَا شَجَاعَتُهُ مَا نَجَا      وَلَكِنَّهُ حَوْلَ قَلْبُ  
بَصِيرٌ بِتَوْسِيعِ سُبُلِ الْفِرَارِ      إِذَا ضَاقَ بِالْمُرْهَقِ الْمُهْرَبُ

١٥

ومنها :

هَنَّاكَ أَبَا الْجَيْشِ مَنْ جَيْشُهُ      أَسَارَى كَانَهُمُ الرَّبْرَبُ  
يَرِقُ<sup>(٥)</sup> عَلَيْهَا السَّنَانُ الْحَقُودُ      وَيَرْحُمُهَا الصَّارِمُ الْمَغْضَبُ

(١) كذا في الأصل وهي لفة .

(٢) في الأصل : « إليها » .

(٣) لا توجد بالأصل والسياق يقتضيها .

(٤) في الأصل : فقالت .

(٥) في الأصل : « يروق » .

وَهُمْ يَخْضِبُونَ صُدُورَ الْقَنَا وَأَنْفُلَهُمْ بَضْءَةً تُخْضِبُ  
وَلَمْ أَرِ مِنْ قَبْلِهِمْ فَارِسًا يَلِيقُ بِهِ الْحَلِيُّ وَالْمُذْهَبُ  
فَإِنْ شِئْتَ أَنْ يَرْكَبُوا يَرْكَبُوا وَإِنْ شِئْتَ أَنْ يَرْكَبُوا يَرْكَبُوا  
يَنْظُرُ هَذَا بِنَظَرٍ مُرِيبٍ ، إِلَى قَوْلِ حَبِيب<sup>(١)</sup> :

• قَدْ جَاءَنَا الرَّشَاءُ الَّذِي أَهْدَيْتَهُ خِرْقًا وَلَوْ شِئْنَا لَقُلْنَا الْمَرْكَبُ  
وَمَنْ أَنَا شَيْدُ الثَّعَالِي فِي مَعْنَاهُ :

وَنَسَاءُ لِمَطْمُـــــــئِنِّ مُقِيمٍ وَرِجَالُ إِنْ كَانَتْ الْأَسْفَارُ  
وَقَوْلُهُ « يَرَقُّ »<sup>(٢)</sup> عَلَيْهَا السَّنَانُ « الْبَيْت ... كَقَوْلِ بَعْضِ أَهْلِ الْعَصْرِ .

لَعَلَّكَ يَوْمًا ذَا كَرَى فِي مُلَمَّةٍ يَلِينُ بِهَا قَلْبُ الْأَسِيرِ عَلَى الْقِدِّ  
وَأَرَاهُ قَلْبَ قَوْلِ أَبِي الطَّيِّبِ :

وَعَظِيزٌ عَلَى الْإِيَّامِ كَالنَّارِ فِي الْحَشَى وَلَكِنَّهُ غَيْظُ الْأَسِيرِ عَلَى الْقِدِّ  
وَأَرَى أَبَا الطَّيِّبِ أَلَمَ بَعْضَ الْإِلَامِ ، بِقَوْلِ أَبِي تَمَامٍ :

يَلْحَظُهُ فِي جِـــــــدِّهِ وَهَزَلَهُ لِحَظَ<sup>(٣)</sup> الْأَسِيرِ حَلَقَاتِ كُفْلِهِ

٦ جُمْلَةُ أَخْبَارِ نَوَادِرَ ، جَرَتْ لَهُ مَعَ الْمَنْصُورِ بْنِ أَبِي عَامِرٍ :

اجْتَمَعَ<sup>(٤)</sup> عِنْدَ الْمَنْصُورِ بْنِ أَبِي عَامِرٍ أَعْيَانُ الْأَوَانِ كَالزَّبِيدِ وَالْعَاصِمِ  
وَإِبْنِ الْعَرِيفِ وَمَنْ سِوَاهُمْ ؛ فَقَالَ لَهُمُ الْمَنْصُورُ : هَذَا الرَّجُلُ الْوَاقِدُ عَلَيْنَا صَاهِدُ

(١) راجع ديوانه ص ٤١ .

(٢) في الأصل : « يروق » .

(٣) في الأصل : « لحظة » .

(٤) راجع الخبر في موج ٢ ص ٥٣ .

(٥) راجع ديوانه ص ٥٣ .



- يزعمُ أنه متقدّم في هذه الآداب التي أنتم سُرُجها الضاحية ، وأهلَتها السارية .  
وأحبُّ أن يُمتَحَنَ ما عنده . فوجّه إليه ، ودخلَ والمجلسُ قد احتفلَ فحجِلَ ،  
فرفعَ المنصورُ مجلسه وآنسه ، وسأله عن أبي سعيد السيرافي ، فزعمَ أنه لقيه  
وقرأ عليه كتابَ سيبويه . فبادره العاصميُّ بالسؤالِ عن مسألة من الكتاب ،  
فلم يحضره فيها من جواب ، واعتذر أن النحْوَ ليسَ جُلَّ بضاعته ، ولا رأسَ  
صناعته . فقال له الزبيدي : فما تحسِنُ أيُّها الشيخ ؟ قال : حفظَ الغريب .  
قال : فما وزن أولق ؟ فضحك صاعداً وقال : أمثلي يُسألُ عن هذا ؟ إنما  
يُسألُ عنه صبيانُ المكتب . قال الزبيدي : فقد سألناك ، ولا نشكُّ أنك  
تجهله . فتغيّر لونه وقال : « أفعل » . قال الزبيدي : صاحبُكم مُمخِرِق ! قال  
له صاعد : إخالُ الشيخَ صناعته الأبنية ؟ قال له : أجل . قال صاعد : وبضاعتي  
أنا حفظُ الأشعار ، وروايةُ الأخبار ، وفكُّ المعمى ، وعلمُ الموسيقى . قال  
فناظره ابنُ العَرِيفِ فظهرَ عليه صاعد ، وجعلَ لا يجري في المجلسِ كلمةٌ إلا  
أنشدَ عليها شعراً شاعداً ، أو أتى بحكايةٍ تجانِسها ، فازدادَ المنصورُ عجباً .  
ثم أراه كتابَ النوادرِ لأبي عليٍّ فقال : إن أرادَ المنصورُ أمليتُ عليَّ (١)  
مُقَيِّدِي خِدْمَتِهِ وَكُتَّابِ دَوْلَتِهِ كِتَاباً أَرْفَعُ مِنْهُ قَدْرًا ، وَأَجَلَّ خَطَرًا ، أُدْخِلُ  
فِيهِ خَيْرًا مِمَّا أَدْخَلَهُ أَبُو عَلِيٍّ . فَأَذِنَ لَهُ الْمَنْصُورُ فِي ذَلِكَ ، وَجَلَسَ بِجَامِعِ مَدِينَةِ  
الزَّاهِرَةِ يُمْلِي كِتَابَهُ الْمُرْجَمَ بِالْفُصُوصِ . فَلَمَّا أَكَلَهُ وَتَبَّعَهُ أَدْبَاهُ الْوَقْتُ ،  
لَمْ تَمُرْ فِيهِ كَلِمَةٌ زَعَمُوا صِحَّتَهَا عَنْدهُمْ ، (٢) وَلَا خَبَرٌ ثَبَتَ لَدَيْهِمْ ، فَقَالُوا لِلْمَنْصُورِ :  
رَجُلٌ [ مَقْتَدِرٌ ] عَلَى تَأْلِيفِ الْكَذِبِ [ من عيون الأدب ، يُسَنِّدُهَا

(١) في الأصل : « مقيداً في ... » وعلى الهامش بنفس الخط « علي » قبل « مقيداً »  
وفي مختصر الذخيرة لابن ممتي : « أمليت علي مقيدى خدمته » .

(٢ — ٢) بهامش النسخة بنفس الخط . والكلمة الأولى بين القوسين رسمها أشبه بما  
أثبتناه . والثانية بياض بالأصل .



إلى شيوخ لم يرهم ولا أخذ عنهم<sup>(٢)</sup>، حتى إنهم كلفوا المنصور أن يأمر بتفسير<sup>(١)</sup> كاغدي أبيض وتغيير بهجته ليدل على القدم، ففعل: وترجم على ظهر ذلك السفر بكتاب «النكت»<sup>(٣)</sup> تأليف أبي الغوث الصنعاني. فترامى إليه صاعد حين رآه، وجعل يقلبه، وقال: إني والله قرأته بالبلد الفلاني على الشيخ أبي فلان، وهذا خطه. فأخذه المنصور من يده خوفاً أن يفتحه، وقال له: إن كنت رأيته كما تزعم فعلام يحتوي؟ قال: ورأسك لقد بعد عهدي به ولا أنص منه شيئاً، ولكنه يحتوي على لغة منشورة لا يشوبها شعر ولا خبر. فقال له المنصور: أبعد الله مثلك! فما رأيت الذي هو كذب منك. وأمر بإخراجه وأن يقذف بكتاب الفصوص في النهر، وفي ذلك يقول بعض شعراء العصر:

قد غاص في البحر كتاب الفصوص وهكذا<sup>(٣)</sup> كل ثقل يغوص  
فجاوبه صاعد بقوله:

عاد إلى مغدنه إننا — — — — —  
توجد في قعر البحار الفصوص  
قال ابن بسام: وما أحسب أن أحداً يجترئ على إخراج تصنيف، وإبداء تأليف، يضيق عنه التعديل، ويدفع في صدره النقد والتحصيل، لا سيما وصاعد علم أن قرطبة — حسب ما ذكرنا — ميدان جياذ، وبلد جدال وجلاد؛ ولكنه اشتراط غير المشهور، فلم يظفروا منه بكبير، وأعانهم هو على نفسه بما كان يتفق به من تنحله وكذبه. ولم يكن عند ابن أبي عامر تحرير ولا بصرة بالنقد مشهور؛ وإلا فليس يخلو كتاب الفصوص المذكور من غريبة مسموعة، ولا من فائدة راقية بديعة، ولكنه خبر وجدناه فنقلناه.

(١) في الأصل «بتفسير». (٢) كذا بالأصل ولعلها «النكت».

(٣) في الأصل: «كذا» والتصحيح من مختصر الذخيرة لابن ماتي لوحة ٩٤.



وَأَدْخَلَ عَلَى الْمَنْصُورِ يَوْمًا وَرْدَةً فِي غَيْرِ أَيَّامِهَا ، لَمْ تَسْتَتِمَّ فَتَحَ كَامِهَا ،  
فَقَالَ فِيهَا صَاعِدٌ عَلَى الْارْتِجَالِ :

أَتَتَكَ أَبَا عَامِرٍ وَرْدَةٌ يُذَكِّرُكَ الْمِسْكَ أَنْفَامَهَا  
كَعَذْرَاءٍ أَبْصَرَهَا مُبْصِرٌ فَعَطَّتْ بِأَكَامِهَا رَأْسَهَا

- ٥ فسُرَّ بذلك المنصور . وكان ابنُ العَرِيفِ حَاضِرًا ، فحَسَدَهُ ، وَجَرَى إِلَى مُنَاقَضَتِهِ ، وَقَالَ لابْنِ أَبِي عَامِرٍ : إِنَّ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ لَغَيْرِهِ ، وَقَدْ أَنْشَدْنَاهُمَا بَعْضُ الْبَغْدَادِيِّينَ بِمِصْرَ لِنَفْسِهِ ، وَهِيَ عِنْدِي عَلَى ظَهْرِ كِتَابٍ بِخَطِّهِ . فَقَالَ لَهُ الْمَنْصُورُ : أَرِنِيهِ . فَنَخَّرَجَ ابْنَ الْعَرِيفِ وَرَكِبَ وَجَعَلَ يَحُثُّ ، حَتَّى أَتَى مَجْلِسَ ابْنِ بَذْرٍ ، وَكَانَ أَحْسَنَ أَهْلِ وَقْتِهِ بَدِيعَةً ، فَوَصَفَ لَهُ مَا جَرَى فَقَالَ :

- ١٠ عَشَوْتُ إِلَى قَصْرِ عَبَّاسِيَّةٍ وَقَدْ جَدَّلَ النَّوْمُ حُرَّاسَهَا  
فَأَلْفَيْتُهَا وَهِيَ فِي خِذْرِهَا وَقَدْ صَرَّعَ الشُّكْرُ أَنْفَاسَهَا  
فَقَالَتْ : أَسَارٍ عَلَى هَجْعَةٍ ؟ فَقُلْتُ : بَلَى ، فَرَمَتْ كَاسَهَا  
وَمَدَّتْ يَدَيْهَا إِلَى وَرْدَةٍ يُحَاكِي لَكَ الطَّيْبُ أَنْفَاسَهَا  
كَعَذْرَاءٍ أَبْصَرَهَا مُبْصِرٌ فَعَطَّتْ بِأَكَامِهَا رَأْسَهَا

- ١٥ وَقَالَتْ : خَفِ اللَّهُ لَا تَقْضُحَنَّ مَ فِي ابْنَةِ عَمِّكَ عَبَّاسِيَّةً  
فَوَلَّيْتُ عَنْهَا عَلَى عَفْوِيَّةٍ وَمَا خُنْتُ نَاسِي وَلَا نَاسَهَا

- ٩ فطَارَ<sup>(١)</sup> ابْنُ الْعَرِيفِ بِهَا ، وَعَلَّقَهَا عَلَى ظَهْرِ كِتَابٍ بِخَطِّ مِصْرِيٍّ ، وَوَرَى وَتَحْيَلَ بِمَدَادِ أَشْقَرٍ . وَدَخَلَ بِهَا عَلَى الْمَنْصُورِ ، فَلَمَّا رَأَاهَا اشْتَدَّ غَيْظًا عَلَى صَاعِدٍ وَقَالَ : غَدًا أُمْتَحِنُهُ ، فَإِنْ فَضَحَهُ الْامْتِحَانُ ، لَمْ يَبْقَ فِي مَوْضِعٍ لِي فِيهِ سُلْطَانٌ .  
٢٠ فَلَمَّا أَصْبَحَ وَجَّهَهُ عَنْهُ بِمَجْلِسِ حَفْلِ ، وَقَدْ أَعَدَّ طَبَقًا فِيهِ سَقَائِفُ مِنْ ضُرُوبِ

(١) فِي الْأَصْلِ : « فَصَارَ » وَالتَّصْحِيحُ عَنْ مَوْ ( ج ٢ ص ٥٥ )



النَّوَاوِيرُ [ و ] وَضَعَ عَلَى السَّقَائِفِ جَوَارِيَّ يَاسْمِينَ ، وَتَحْتَ السَّقَائِفِ بَرَكَةُ مَاءٍ حَصَاهَا اللَّؤْلُؤُ ، وَكَانَ فِي الْبَرَكَةِ حَيَّةٌ تَسْبِجُ . فَلَمَّا دَخَلَ صَاعِدٌ مُثَلَّ الطَّبَقُ بَيْنَ يَدَيْهِ ؛ فَقَالَ لَهُ الْمَنْصُورُ : إِنَّ هَذَا يَوْمٌ إِمَّا أَنْ تَسْعَدَ فِيهِ مَعْنَا ، وَإِمَّا بِالضُّدِّ عِنْدَنَا ، لِأَنَّهُ قَدْ زَعَمَ قَوْمٌ أَنَّ كُلَّ مَا تَأْتِي بِهِ دَعْوَى ، وَقَدْ وَقَعْتُ مِنْ ذَلِكَ عَلَى حَقِيقَةٍ . وَهَذَا طَبَقٌ مَا تَوَهَّمْتُ أَنَّهُ مُثَلَّ بَيْنَ يَدَيَّ مَلِكٍ قَبْلِي فِي شَكْلِهِ ، فَصِفْهُ بِجَمِيعِ مَا فِيهِ . فَقَالَ صَاعِدٌ بَدِيهَةً :

أَبَا عَامِرٍ هَلْ غَيْرُ جَذْوَاكَ وَكِفُ  
يَسُوقُ إِلَيْكَ الدَّهْرُ كُلَّ عَجِيبَةٍ  
وَشَائِعُ نَوْرِ صَاغَهَا هَامِرُ الْحَيَا  
وَلَمَّا تَنَاهَى الْحُسْنُ فِيهَا تَقَابَلَتْ  
كَمَثَلِ الظُّبَاءِ الْمُسْتَكِثَةِ كُنُوسًا  
وَأَعْجَبُ مِنْهَا أَنَّهُنَّ نَوَاطِرُ  
حَصَاهَا اللَّالَى ، سَابِحٌ فِي عُجَابِهَا  
تَرَى مَا تَشَاءُ الْعَيْنُ فِي جَنَابَاتِهَا  
وَهَلْ غَيْرُ مَنْ عَادَاكَ فِي الْأَرْضِ خَائِفُ ؟  
وَأَعْجَبُ مَا يَلْقَاهُ عِنْدَكَ وَاصِفُ  
عَلَيْهَا فَمِنْهَا عُبُقَرُ وَرَفَارِفُ  
عَلَيْهَا بِأَنْوَاعِ الْمَلَاهِي الْوَصَائِفُ  
تُظَلِّلُهَا بِالْيَاسْمِينِ السَّقَائِفُ  
إِلَى بَرَكَةٍ ضُمَّتْ إِلَيْهَا الظَّرَائِفُ  
مِنْ الرُّقْشِ مَسْمُومُ اللَّعَابِينَ رَاجِفُ  
مِنَ الْوَحْشِ حَتَّى يَبْنَهُنَّ السَّلَاحِفُ

فَاسْتَعْرَبَتْ لَهُ يَوْمَئِذٍ تِلْكَ الْبَدِيهَةَ ، وَكَتَبَهَا الْمَنْصُورُ بِخَطِّهِ . وَكَانَ إِلَى نَاحِيَةِ سَقِيفَةٍ فِيهَا جَارِيَةٌ تَجْذِفُ بِمِجَازِفٍ ذَهَبٍ لَمْ يَرَهَا صَاعِدٌ ، فَقَالَ لَهُ الْمَنْصُورُ : أَجَدْتَ إِلَّا أَنَّكَ لَمْ تَصِفْ هَذِهِ الْجَارِيَةَ ، فَقَالَ :

وَأَعْجَبُ مِنْهَا غَادَةٌ فِي سَفِينَةٍ  
إِذَا رَأَاهَا مَوْجٌ مِنَ الْمَاءِ تَتَّقِي  
مَتَى كَانَتْ الْحُسْنَاءُ رُبَّانَ مَرْكَبِ  
تُصَرِّفُ فِي يُؤْنِي يَدَيْهَا الْمِجَازِفُ !  
مُكَلَّلَةٌ تَصْبُو إِلَيْهَا الْمَهَائِفُ <sup>(١)</sup>  
بِسُكَّانِهَا مَا أَنْذَرْتُهُ الْعَوَاصِفُ

(١) كَذَا بِالْأَصْلِ وَفِي مَوْجٍ (ج ٢ ص ٥٦) « الْمَهَائِفُ » وَصَحَّحَهَا النَّاشِرُ إِلَى الْمَهَائِفِ .



فلم ترَ عَيْنِي فِي الْبِلَادِ حَديقَةً تُنْقَلُهُمَا فِي الرَّاحَتَيْنِ الْمَنَاصِفِ<sup>(١)</sup>  
وَلَا غَرَوَ أَنْ شَاقَتْ مَعَالِيكَ رَوْضَةً زَهَّتْهَا أَزَاهِيرُ الرُّبَا وَالزُّخَارِفُ  
فَأَنْتَ امْرُؤٌ لَوْ رُمْتَ نَقْلَ مُتَالِيعٍ وَرَضَوِي ذَرَّتْهَا مِنْ سَطَاكَ الْعَوَاصِفُ  
إِذَا قُلْتَ قَوْلًا أَوْ بَدَهْتَ بَدِيهَةً فَيَكُنِّي لَهَا إِنِّي لِمَجْدِكَ وَاصِفُ

- فأمر له المنصورُ بألف دينارٍ ومائة ثوبٍ ، ما بين غلائل وطيقان وعمائم ،  
وأجرى عليه المراتب من ذلك اليوم ثلاثين دينارًا ، وألحق في ديوان القدماء  
مع زيادة الله بن مضر الطنبلي وابن العريف وابن التيماني وغيرهم . والحسدُ  
موروث ، وقديمٌ لأحدٍ ، وليس في الحيوان ، أخبثُ في ذاته من الإنسان .  
وأذكر بفعله ابن العريف في صاعده بعض ما منيتُ أنا به في خبر هذا  
التصنيف مع غير واحدٍ من أهل وقتي ، إذ سردتُ في بعض قصصه كلام ابن  
حياتيم ، وكان على ما تقدّم وصفه متكلمًا أو أنهم ، فلما أغورني لفظه في بعض  
ما سئمت ، ولم أجده في كل حديث نسقت ، رجعتُ إلى تجهيزتي ، واستمطرتُ  
غريزتي ، وماؤها جامد ، ورماؤها هامد كما قال سابق :

أَخْلَقْتُ جِدَّتِي وَبَانَ شَبَابِي وَاسْتَرَأَحْتُ عَوَازِلِي مِنْ عِتَابِي

- وأنا يومئذ بأشبيلية ، أتصرّف مضطرًا في بعض الأعمال السلطانية .  
والكلام إذا لم يحككه قلب فارغ ، ولم يسبكه لبٌّ من ظلماء الشغل بازغ<sup>(٢)</sup> ،  
لم يرق تطريزه ، ولم ينفق إبريزه . وعلى ذلك لما اندرجت لي فيه كلمات  
رائقات ، في أوصافٍ مُخْتَلِفَات ، وبلغت فيه أمد المراد ، بألفاظٍ أَعْيَانٍ وَمَعَانٍ  
أفراد ، انثال على فيها الكلام ، انثيال الغمام ؛ قالوا : نعم ما صنف ابن بسّام  
وأتقن ، لو لم يستعن ؛ وما أحسن ما قصص ، لو لم يتلصص . والله درهم ا

(١) في موه : الوصائف .

(٢) في الأصل : «فارغ» .



فالدَّأْمَاءُ لَا يَزِيدُ مِنَ الْقَرِيِّ ، وَذُكَاةٌ لَا تُضِيءُ مِنَ الدُّرِيِّ ، بَلْ دَرٌّ دَرٌّ  
أَبَى الطَّيِّبِ مِنْ شَاعِرٍ نَطَقَ بِالْبِدْيِ ، وَجَرَى عَلَى عِثْقِ جَدِّهِ السِّكِنْدِيِّ فَسَبَقَ ،  
وَاسْتَوَلَى عَلَى الْأَمَدِ بِقَوْلِهِ إِذْ صَدَقَ :

أَتَيْتُ بِمَنْطِقِ الْعَرَبِ الْأَصِيلِ      وَكَانَ بِقَدْرِ مَا أَحْسَسْتُ قِيلِي<sup>(١)</sup>  
فَعَارَضَهُ كَلَامٌ كَانَ مِنْهُ      بِمَنْزِلَةِ النَّسَاءِ مِنَ الْبُعُولِ  
وَلَيْسَ يَصِحُّ فِي الْأَوْهَامِ<sup>(٢)</sup> شَيْءٌ      إِذَا احتَاجَ النَّهَارُ إِلَى دَلِيلِ

رَجَعَ . وَخَرَجَ الْمَنْصُورُ مَعَ صَاعِدٍ يَوْمًا إِلَى رِيَاضِ الزَّاهِرَةِ ، فَمَدَّ يَدَهُ إِلَى شَيْءٍ  
مِنَ التُّرُنْجَانِ فَعَبِثَ بِهِ<sup>(٣)</sup> وَرَمَاهُ إِلَيْهِ مُعَرِّضًا أَنْ يَصِفَهُ فَقَالَ :

لَمْ أَدْرِ قَبْلَ تُرُنْجَانِ عِبِثَ بِهِ      أَنَّ الزُّمَرَدَ قُضْبَانٌ وَأَوْرَاقُ  
مِنْ طَيِّبِهِ سَرَقَ الْأَتْرَجُ نَكْهَتَهُ      يَقُومُ حَتَّى مِنَ الْأَشْجَارِ سُرَّاقُ !  
كَأَنَّمَا الْحَاجِبُ الْمَنْصُورُ عَلَّمَهُ      فِعْلَ الْجَمِيلِ فَطَابَتْ مِنْهُ أَخْلَاقُ  
مَنْ لَيْسَ يُقْعِدُهُ مِنْ سُودٍ قَدَمٌ      وَلَا تَقُومُ لَهُ فِي سَوَاةٍ سَاقُ  
وَلَهُ فِي الْخَيْرِ :

بَعَثْتُ إِلَيْكَ مِنْ خَيْرِي دَارِي<sup>(٤)</sup>      مُحَرَّمَةً<sup>(٥)</sup> كَأَوْرَاقِ الْعَقِيقِ  
تَوَكَّلْ بِالْعَزُوفِ عَنِ التَّصَابِي      وَتَصْطَادُ الْخَلِيعِ مِنَ الطَّرِيقِ  
وَصَاعِدُ الْقَائِلِ :

لِيَ مِنْ سِرِّ بَنِي الْعَبَّاسِ خِلٌّ وَجَلِيسُ

(١) الديوان ج ٢ ص ٧٥ ، والرواية فيه : « عاينت » .

(٢) رواية الديوان : « الأفهام » . (٣) في الأصل : « بها » .

(٤) موه ج ٢ ص ٦٧ : « روض » .

(٥) في الأصل : « محرمة » والتصحيح عن موه



شهدَ المجدُ عليه      أنه العلقُ النفيسُ  
فإذا جالسُهُ لم      تذرِ من مِمَّا الجليسُ

وهذا كقول ابن زُرارة :

لي صديقٌ ، غلِطْتُ ، بل لي مولى      من لِمثلي بأن يكونَ صديقي !  
نلتقي التقاءَ رُوحٍ بِروحٍ      بضُروبِ التَّقبيلِ والتَّعنيقِ  
ليس في الأرضِ من يَميزُ مِنَّا      عاشقاً في اللقاءِ من مَعْشوقِ

وقال :

قلتُ له والرقيبُ يُعجِلُه      مُودِّعاً للفراقِ : أين أنا ؟  
فدَّ كفاً إلى ترائبِه      وقال سِرّاً وادِّعاً فأنتَ هنا

- ١٠ وأنشد المنصورُ يوماً قصيدةَ أبي نُواس « أجارةَ بيتينا أبوكَ غيورُ »  
فعرَضَ عليه أن يُعارضه . فأبى صاعداً من ذلك إجلالاً لأبي نُواس ، فعزمَ عليه  
المنصورُ فأنشده مُتمثلاً<sup>(١)</sup> :

إني لمســـــــــــــــــيحي عُلَا      لك من ارتجالِ القولِ فيه  
من لَيْسَ يَدْرُكُ بالرَّوْيِ      سِـــــــــــــــــةَ كَيْفَ يَدْرُكُ بالبديةِ<sup>(٢)</sup>

- ١٥ فلم ينفعه ذلك عنده ، ومكث فيه بقيَّةَ يومه وليلته ، وجاءه من الغدِ فأنشده  
قصيدته التي أوَّلها :

جِدَالَ الشَّرَى إني بكنِّ بَصِيرُ      طوتُكنَّ عني خُلسَةٌ وقتِيرُ  
وباتتْ كما باتتْ مَهَاةُ خَيْلِةٍ      لها جُودَرٌ عند الصَّرَاةِ عَقِيرُ  
وقد أُكَلَّتْ أَشْلاوُه فكَأَنَّهَا<sup>(٣)</sup>      مُقسِّمةٌ عند القِدَاحِ جَزُورُ

(٢) موه ج ٢ ص ٦٧ .

(١) في الأصل : « متمثلاً » .

(٣) في الأصل : « فكأنه » .

كما بَغِمَتْ<sup>(١)</sup> من شَجْوِها أم واحدٍ أتيح لها مثلُ الزجاج طَرِيرُ  
لَدُنْ غُدُوِّه حتى صغتُ شمسُ يومها وفي أهرينها رَنَّةٌ وزفيرُ  
تَسوفُ ثَرَاهُ عن مَشَقِّ إهابه كأنَّ أسبَابِي الدماء عَتِيرُ

قال ابن بسام : وصاعدٌ على تقابعه في الكذب ، ولجاجة بين الامتهان  
وسوء الأدب ، قد أخذَ بطرفٍ من الترفيق ، وخلا بجانبٍ من لَقَمِ الطريق ؛  
ألا تراه كيف صرَّحَ باليأسِ عن شَقِّ غُبَارِ أبي نُوَّاس ؟ ولكنَّ ابنَ أبي عامرٍ  
حملَه على الغرَر ، وعَرَّضَه لسوءِ الخبر ، ولعله ذهبَ إلى قولِ أبي الطَّيِّبِ<sup>(٢)</sup> :

بلغتُ بسيفِ الدولةِ النورِ رتبةً أنزْتُ بها ما بينَ غربٍ ومشرقٍ  
إذا شاءَ أنْ يلهو بلحيةٍ أحقِّ أراه غُبَارِي ثمَّ قالَ له : الحقُّ  
وذكرتُ بهذا الخبرِ ما وُصِفَ عن أبي عبدِ اللهِ بنِ شَرَفٍ ، وذلك أنه

قال يوماً للمأمونِ بنِ ذِي النونِ أيامَ خِدْمَتِهِ إياه ، واستشفافِهِ صُبابَةَ عُمَرِ  
في ذِراهِ ، وقد أجروا ذَكَرَ أبي الطَّيِّبِ ، فذهبوا في تأنيبه كلٌّ مذهب : إن  
رأى المأمونُ — لا فارقَ العِزَّةَ والعُلا — أنْ يُشيرَ إلى أيِّ قصيدةٍ شاءَ من  
شعرِ أبي الطَّيِّبِ حتى أعارضَه بقصيدةٍ تُنسي اسمَه ، وتُعَنِّي رسمَه . فمُتَأَلِّقٌ

ابنُ ذِي النونِ عن جوابِهِ ، عالماً بضيقِ جَنَابِهِ ، وإشفاقاً من فضيحَتِهِ  
وانتسابِهِ . وألحَّ أبو عبدِ اللهِ حتى أخرجَ ابنُ ذِي النونِ وأغراه ؛ فقالَ له :  
دُونَكَ قولَه : « لعينيك ما يلقى الفؤادُ وما لقي » . فخلا بها ابنُ شَرَفٍ أياماً  
فوجدَ مركبَها وعِمرَها ، ومَريرَتَها شَزْراً ، ولكنَّه أبلى عُذْراً ، وأرهقَ نفسَه  
من أمرِها عُسْراً ؛ فما قامَ ولا قعدَ ، ولا حلَّ ولا عقدَ . وسُئِلَ ابنُ ذِي النونِ  
بَعْدُ : أيُّ شيءٍ أقصَدَه إلى تلكَ القصيدةِ ؟ فقالَ : لأنَّ أبا الطَّيِّبِ يقولُ فيها :



« بلغت بسيف الدولة الثور » وأنشد البيتين . وهذه غريبة ولو صدرت  
عن أبي العباس المأمون ، فضلاً عن <sup>(١)</sup> مُنزع لقبه يحيى بن ذى النون .  
وقدما كبا الجموح ، وذهبت بالباطل الرّيح ؛ ولم يندم من بفا على أسه ، ولا  
هلك من عرف قدر نفسه .

- ٥ وقد حدثت أيضاً أن أبا عليّ ابن رشيّق ناجى نفسه بمعارضة أبي الطيّب  
في بعض أشعاره ، وراطن شيطانه بالدخول في مضماره ، فأطال الفكرة ،  
وأعمل النظرة بعد النظرة ، فاختر من شعره ما لم يطر ذكره ، ولا انحط <sup>(٢)</sup>  
قدره ؛ فأداه جهده ، وذهب به نقده ، إلى معارضة قوله : « أمن ازديارك  
في الدجى الرقباء » ، فبث عيونه ، واستمد ملائكته وشياطينه ، ولم يدع  
ثنية إلا طلعها ، ولا خبيثة إلا أطلعها ، ولا زوياً إلا اتسع لها فوسعها ؛  
ثم صنع قصيدة — فيما بلغنى — رأى أنها مائة طبعه ، ومُنهى طاقة وسعه ؛  
ثم حَكَمَ نقده ، ورضى بما عنده ، فرأى أن قد قصرت يده ، وقصّر  
مداه ، وعلم أن الإحسان كنز لا يوجد بالطلب ، وميدان لا يستولى عليه  
التعصب ، وصان نفسه عن أن يُتحدث عنه بأن تكون الهرة أحزم منه .

- ١٥ وقد ذكر عن صاعد ، أنه افتضح في سرقة شعر غير واحد ، من أهل تلك  
الآفاق ، من شعراء الشام والعراق ؛ إذ كان ورد بها وهى بغبار السفر ،  
فاشتهر بها في غير ما شعر وخبر . منها قوله يصف إبريقاً قد ملئ منه كأس  
وبقيت في فيه نقطة لم تسقط .

- ٢٠ وقهوة في فم الإبريق صافية كدمع مفجوعة بالإلف مغبار  
كأن إبريقنا والراح في فمه طير تناول ياقوتاً بمنقار



فكانوا يُولَعُونَ بهذا التشبيه ، وكانَ قاله — زعمَ — على البدیه ، وإنما نقل  
لفظَ أبي البركاتِ العلویِّ ممَّا أنشده الثعالبيُّ <sup>(١)</sup> :

كأنما إبريقنا طائرٌ يحملُ ياقوتاً بمنقارِ

أو قولَ أبي الفرجِ البَغَّاءِ من أرجوزةٍ خاطبَ بها الصابيَّ <sup>(٢)</sup> :

كأنما الحَبَّةُ في مِنقارِها حَبَابَةٌ تطفو على عُقارِها

وكانَ صاعداً مع ما قدَّمْتُهُ من صِفَتِهِ بديعَ الجوابِ حاضرَه ، طيَّبَ  
المعاشرَةَ ، فیکه المُجَالِسة ، مُمتعاً مُحسِّناً للسؤال ، حاذقاً في استخراجِ  
الأموالِ . دخلَ على المنصورِ يومَ أنسٍ وقد تقدَّم واتخذَ قميصاً من رِقاعِ  
الخِرايطِ التي وَصَلَتْ إليه فيها صَلَاتُهُ ولبسَهُ تحتَ ثيابه ، فلما خلا المجلسُ  
ورأى فُرصةً لما أرادَ ، تجرَّدَ وبقيَ في القميصِ المَخِيطِ من الخِرايطِ ، فقال  
له : ما هذا ؟ قال : هذه رِقاعُ صَلَاتِ مَوْلانا اتَّخَذْتُها شِعْعاراً ، وبكى ، وأتبعَ  
ذلك من الشُّكْرِ بما استوفاه . فأعجبَ به المنصورُ وقالَ له : عندي مَزِيدُ .  
وحكى عنه أنه لم يحضُرْ بعدَ موتِ المنصورِ مجلسَ أنسٍ لأحدٍ ممن وَلِيَ بعده ،  
وادَّعى وجعاً لحقَّ ساقَه . وكانَ صاعداً كثيراً ما يمدحُ بلادَ المشرقِ بمجلسِ  
المنصورِ ، ويُبَاهِي بأخبارِها ووصفِ أشرَبتها وأديارِها ، فكتبَ الوزيرُ  
أبو مروانَ عبدُ الملكِ بنُ شُهَيْدٍ إلى المنصورِ في يومٍ قرَّ بهذه الأبياتِ <sup>(٣)</sup> :

أما ترى بردَ يومِنا هذا صيِّراً للكمونِ أفذاذا ؟

قد فطرتُ صحَّةَ الكُبودِ به حتى لكادتَ تعودُ أفلاذا

فادعُ بنا للشُّمولِ مُصْطلياً نُفِذَ سيراً إليك إغذاذا

(٢) البنية ج ١ ص ١٩٠

(١) البنية ج ٤ ص ٣٠٠ .

(٣) موهج ٢ ص ١٧٦ .



وَادْعُ الْمَسْمُومَ بِهِ وَصَاحِبَهُ      نَدْعُ نَبِيْلًا وَتَدْعُ أَسْتَازَا  
لَوْ مَعْبِدًا أَوْ غَرِيضَةً لِحَقًّا      لَكَانَ عَنْ ذَا وَذَاكَ أَخَاذَا  
وَلَا تُبَالِي أَبَا الْعَلَاءِ زَهَا      بِخَمْرِ قَطْرُبُلٍ وَكَلَوَاذَا  
مَا دَامَ مِنْ أَرْمِلَاطٍ مَشْرَبُنَا      دَعْ<sup>(١)</sup> دَيْرَ عَمَّا وَطِيزْنَا بَاذَا

وكان المنصور قد عزم ذلك اليوم على الانفراد بالعيال ، فأمر بإحضار  
الأصحاب ، وأحضر الوزير أبا سروان ، وأخذوا في شأنهم ، فمر لهم يوم من  
الطيب لم يشهد ، وألونه من اللهو لم تعهد ، وطما الأمر وسما حتى تصايح  
القوم وتزافنوا ، ودار الدور ، ثم انتهى إلى الوزير ابن شهيد ، وكان لا يطيق  
القيام لنقرس كان يلازمه ، فأقامه الوزير أبو عبد الله بن عياش ، فارتجل  
الشيخ أبياناً جعل يقود بها وينشد :

هَآكْ شَيْخٌ قَادَهُ عَذْرُ لَيْكَا<sup>(٢)</sup>      قَامَ فِي رَقَصَتِهِ مُسْتَهْلِكَا  
لَمْ يُطِيقْ يَرْقُصُهَا مُسْتَثْبِتًا      فَانْتَنَى يَرْقُصُهَا مُسْتَمْسِكَا  
عَاقَةً مِنْ هَزْهَا مُعْتَدِلًا<sup>(٣)</sup>      نَقَرَسُ أَنْحَى عَلَيْهِ فَاتَّكَا  
طَرِبَ اللَّهُوْ وَقَدْ حُقَّ لَهُ      طَرَبًا أَرْمَضَهُ حَتَّى اشْتَكَى  
مِنْ وَزِيرٍ فِيهِمْ رَقَاصَةٌ      قَامَ مِنْ طَيْبٍ يُنَاغِي مَلِكَا  
أَنَا لَوْ كُنْتُ كَمَا تَعْرِفُنِي      قَتُّ إِجْلَالًا عَلَى رَأْسِي لَيْكَا  
قَهَقَهُ الْإِبْرِيْقُ مِنْى ضَحْكًا      وَرَأَى رَغْشَةً رَجُلِي فَبَكَى

وكان أيضاً في أصحاب ابن شهيد رجل بغدادى يعرف بالكك<sup>(٤)</sup> له

(١) فى الأصل : « من » والتصحيح عن مؤر .

(٢) فى الأصل : « له » والتصحيح عن مؤر ج ٢ ص ١٧٧ .

(٣) فى الأصل : « معتزلاً » . وفى مؤر : « منفرداً » .

(٤) هكذا رسم الكلمة فى الأصل ، وفى النسخ : « الفكك » وهو خطأ لأن

الفكك المعروف لم يدرك الوزير ابن شهيد والمنصور .

نَوَادِرُ تُضَحِّكُ ، فحضرَ معه في بعضِ مجالسِ الأنسِ ، وقد أُلْحَ عليه وَجَعُ  
النِّقَرسِ فجعلَ يُصَلِّي الصَّلَواتِ كُلَّما حَانَتْ واحدةٌ بعدَ أُخرى جالِسا ، وكانَ  
عِنْدَهُ ذَلِكَ اليَوْمَ أَحَدُ أَصْحَابِ الْمَنصُورِ مِمَّنْ يَعْرِضُ عَلَيْهِ وَيَسْكَرُمُ لَدَيْهِ ، فَلَمَّا سَمِيَ  
الوَطِيسَ ، وَأَنَسَ الْجَلِيسَ ، وطابَ المجلسُ ، ودارَتِ الأَكُوْثُ ، ونُسِيتِ أَوْجَاعُ  
النِّقَرسِ ، وقامَ ذَلِكَ الصَّاحِبُ الْجَلِيسُ يَرْقُصُ ، ودارَ الدَّورُ حَتَّى اتَّهَى إِلَى  
ابنِ شُهَيْدٍ ، فقامَ يَرْقُصُ مَعْتَمِدًا عَلَى عَادَتِهِ ، فَقَالَ لَهُ الْبَغْدَادِيُّ : اللَّهُ دَرُّكَ  
يَا وَزِيرَ ! تُصَلِّي بِالْقَاعِدَةِ وَتَرْقُصُ بِالْقَائِمَةِ ! فطابَ المجلسُ بِهَذَا الْكَلَامِ ، وَتَمَّ  
حَسَنُهُ أَكْمَلَ تَمَامٍ ، وَخَلَعَ ابْنُ شُهَيْدٍ عَلَى السَّكِّ وَانْتَهَى الْخَبَرُ إِلَى الْمَنصُورِ ،  
فمذهبُ بِهِ كُلِّ مَذْهَبٍ الضُّحْكُ . وكانَ ابْنُ أَبِي عامِرٍ كَثِيرًا ما يَرْتاحُ إِلَيْهِ ،  
وَيُوالِي الْإِحْسَانَ عَلَيْهِ ؛ انصَرَفَ مَرَّةً مِنْ غَزْوَةٍ تَخَلَّفَ عَنْهَا ابْنُ شُهَيْدٍ لِعُذْرِهِ ،  
فَسَكَّبَ إِلَيْهِ مِنْ مُجَلَّةِ أَبْيَاتٍ :

أَنَا شَيْخٌ وَالشَّيْخُ يَهْوَى الصَّبَايَا      فبِنَفْسِي أَقِيمُكَ كُلَّ الرِّزَايَا  
وَرَسُولُ الْإِلَهِ أَمَّهُمْ فِي النَّفَى      مَنْ لَمْ يَحْثُ فِيهِ الْمَطَايَا  
فأجابه ابْنُ أَبِي عامِرٍ <sup>(١)</sup> :

قَدْ بَعَثْنَا بِهَا كَشْمُسَ النَّهَارِ      فِي ثَلَاثٍ مِنَ الْعَمَاسِ أَبْكَارِ  
وَامْتَحَنَّا بُعْذَرَةَ الْغَيْدِ إِنْ كُنْ      تَتَوَخَّى بَوَادِرَ الْأَعْذارِ  
فَاتَّهَدْ وَاجْتَهَدْ فَإِنَّكَ شَيْخٌ      قَدْ جَلَا <sup>(٢)</sup> اللَّيْلُ عَنْ بِياضِ النَّهَارِ  
صَانِكَ اللَّهُ مِنْ كَلَالِكَ فِيهَا      فَمِنْ الْعَارِ كَلَّةُ الْمُسْتَعَارِ

(١) النفع ج ١ ص ٢٦١ .

(٢) في النفع : « قد جلا ليله بياض النهار » .



فاقتضهن الشيخ من ليلته ، وكتب إليه بكرة :

قد فضضنا ختام ذلك الصوار<sup>(١)</sup> واصطبغنا من النجيع الجارى  
وصبونا في ظل أطيب عيش ولعبنا بالدر أو بالدرارى  
وقضى الشيخ ما قضى بحسام ذى مضاع غضب الظبا بقار  
فاصطنعه فليس يجزيك كفراً واتخذته فحلاً على الكفار ٥

وأهدى له ابن أبي عامر تحفة خيزران إذ نفرس ، فقال :

لله نفسك فهى أزكى الأنفس عقلت علاها بالجوارى الكنسى  
عنيت بحالى كلها حتى لقد عنيت مكارمها بملق نفرس  
فتخيرت لى إذ شكت قدى الونى عليها مطية رحلة لم تحبس  
لا فى العتاق ولا الشواحيج تنتهى نسياً ولا هى بالأمون<sup>(٢)</sup> العريس ١٠  
إن أهملت لم تنبعث أو أجهدت لم تعتذر أو أخرجت لم تشمس  
محبوكة من خيزران مائس لذن مهزته كريم العريس  
ويخفى<sup>(٣)</sup> فيها إذا استمطيتها بيض الوجوه هبات أروع أشوس

ودخل صاعد يوماً على المنصور فلما وصل إليه ، وجد عوداً بين يديه ،

فقال له المنصور : قد تواتر الخبر ، وتحدثت عنك البشر ، أنك فرد فى علم ١٥  
الموسيقى . وقد أردت غير سرية الانبساط معك سرّاً فى ذلك ، فشق الأمر  
على صاعد هنالك ، ولم يجد من يحيد عن أخذ العود ، فتناولوه وجس أوتاره  
وسوى تسوية أطربت ابن أبي عامر ، ثم اندفع ينشده بيتي مجنون  
بنى عامر :

(٢) فى الأصل : « بالأمور العرس » .

(١) فى الأصل : « السوار » .

(٣) فى الأصل : « ويخفى » .



أَبَى الْقَلْبُ إِلَّا حَبَّهَا عَامِرِيَّةً لَهَا كُنْيَةٌ عَمَرُو وَلَيْسَ لَهَا عَمَرُو  
تَكَادُ يَدَى تَنْدَى إِذَا مَا لَمَسَتْهَا وَيَنْبِتُ فِي أَطْرَافِهَا<sup>(١)</sup> الْوَرَقُ الْخَضِرُ  
فَغَضِبَ ابْنُ أَبِي عَامِرٍ وَتَسَوَّرَ، لِتَوَهُّمِهِ أَنَّهُ عَرَّضَ بِخَبَرٍ، وَقَالَ لَهُ : يَا أَبَا الْعَلَاءِ ،  
أَبَا الْإِخْوَةِ عَرَّضْتَ أُمَّ بِالْأَبْنَاءِ ؟ . وَهَذِهِ إِشَارَةٌ رُئِيسِ أَنْفٍ مِنْ أَنْ يَجَاوِبَهُ ، عَلَى  
مَغْزَى مَا خَاطَبَهُ ، فَأَخْرَجَ الْجَوَابَ عَلَى التَّذْكِيرِ ، هَمَّةٌ إِمَامٍ غَيُورٍ . وَذَكَرْتُ  
بِهَذَا الْحَدِيثِ مَا ذَكَرَهُ بَعْضُ الرُّوَاةِ عَنِ الْمُعْتَصِمِ أَنَّهُ قَالَ يَوْمًا لِلْقَاضِي ابْنِ  
أَبِي دَوَادٍ : أَتَعْلَمُ أَنَّ أَبَا دُلْفٍ مِنَ الْمَغْنَنِ الْأَفْرَادِ وَإِنْ كَانَ مِنَ الشَّجَمَانِ  
الْأَنْجَادِ ؟ قَالَ الْقَاضِي : فَكَيْفَ بَسْمَاعِهِ ؟ فَأَحْضَرَهُ الْمُعْتَصِمَ ، وَخَبَأَ ابْنُ أَبِي  
دَوَادٍ ، وَعِزَمَ عَلَيْهِ فِي الْغِنَاءِ . فَلَمَّا انْدَفَعَ يُغْنِي هُتَكَتِ السَّتَّارَةُ ، فَخَجَلَ  
أَبُو دُلْفٍ وَقَالَ : أَجَبَرُونِي أَعِزُّ اللَّهُ الْقَاضِي . قَالَ لَهُ ابْنُ أَبِي دَوَادٍ :  
يَا مَا جِئْتُ ، هَبْهُمْ أَجْبِرُوكَ عَلَى أَنْ تُغْنِيَ فَمَنْ أَجْبَرَكَ عَلَى الْإِحْسَانِ ؟ فَقَالَ  
أَبُو دُلْفٍ : وَيُرِيدُنِي مِنْكَ أَيُّهَا الْقَاضِي مَعْرِفَتُكَ بِمَحَاسِنِ الْأَلْحَانِ وَتَأْلُفِ الْأَوْزَانِ !!  
وَكَانَ صَاعِدٌ [ كَثِيرًا ] مَا تُسْتَغْرَبُ لَهُ الْأَلْفَاظُ وَيُسَالُ عَنْهَا فَيُجِيبُ عَنْ  
ذَلِكَ أَسْرَعَ جَوَابٍ ، عَلَى نَحْوِ مَا يُحْكِي عَنْ أَبِي عَمَرٍ الزَّاهِدِ . وَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ  
كَثِيرَ الْمَزَاحِ لَمَا مُحِلَّ إِلَّا عَلَى الصِّدْقِ . دَخَلَ يَوْمًا عَلَى الْمَنْصُورِ وَبِيَدِهِ  
كِتَابٌ وَرَدَّ عَلَيْهِ مِنْ عَامِلٍ لَهُ اسْمُهُ مَيْدَمَانُ بْنُ يَزِيدٍ مِنْ أَهْلِ يَابُرَةِ ، يَذْكُرُ  
فِيهِ الْقَلْبَ وَالتَّرْبِيلَ<sup>(٢)</sup> وَمَا عِنْدَهُمْ مِنْ مُعَانَاةِ الْأَرْضِ قَبْلَ زَرْعِهَا ،  
فَقَالَ لَهُ : يَا أَبَا الْعَلَاءِ ، وَقَعَ إِلَيَّ مِنَ الْكُتُبِ كِتَابُ الْقَوَائِبِ وَالرَّوَائِبِ  
لِمَيْدَمَانَ بْنِ يَزِيدٍ . قَالَ : نَعَمْ رَأَيْتُهُ فِي نُسْخَةِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ دَرِيدٍ<sup>(٣)</sup> بِخَطِّ

(١) فِي الْأَصْلِ : « أَوْرَاقُهَا » .

(٢) رَاجِعْ تَكْمِلَةَ الْمَعْجَمَاتِ لِدَوْزَى مَادَّةَ « رَبِل » . وَالْكَلِمَةُ غَيْرُ وَاضِحَةٍ تَمَامًا بِالْأَصْلِ

(٣) رَسَمَ الْكَلِمَةُ فِي الْأَصْلِ : « دَرِيد » .



كأكرع النمل ، في جوانبها علامات الوضاع . فقال له : أما تستحي من هذا  
الكذب !! هذا كتاب عاملنا ببلد يابرة — يُعلم بالذي تقدم ذكره من صفة  
الأرض — وإنما صنعت هذا تجربة لك . فجعل يحلف أنه ما كذب وأنه أمر  
وفاق . وقال له المنصور يوماً : ما الخبشار في اللغة ؟ قال حشيشة يُعقد بها  
اللبن ببادية الأعراب ، وفي ذلك يقول شاعرهم :

لقد عُقِدَتْ محبتهم بقايي كما عُقِدَ الحليبُ بخبشارٍ

وقال له امرأة وقد قدّم طبق فيه تمر : ما التمر كلُّ في كلام العرب ؟  
[ فقال ] : يُقالُ تمر كل الرجل تمر كلًّا<sup>(١)</sup> إذا التفّ في كسائه .

وكان مع ذلك عالماً . حدث العاصمي النحوي قال : لما سألناه مراراً عن

مسائل من النحو غامضة بحضرة المنصور فقصرَ فيها ، قال ابن أبي عامر : فإنه  
من طبقتي في النحو أنا أناظره . ثم سألنا صاعداً يوماً فقال : ما معنى قول  
امرئ القيس :

كأن دماء الهاديات بنجره عَصَارَةُ حِنَاءٍ بِشَيْبِ مُرَجَلٍ

فقلنا هذا واضح ، وإنما وصف قرساً أشهب عقرت عليه الوحش فقطّرت

دمها إلى صدره فجاء هكذا . فقال صاعداً : سبحان الله ! أنسيتم قوله قبل  
هذا في صفته :

كُمَيْتٌ يَزِلُّ اللَّبْدُ عَنْ حَالِ مَشْنِهِ كما زَلَّتِ الصَّـفْوَاءُ بِالْمَتَنَزِّلِ

قال فبهتنا وكأنا لم نقرأ البيت قط . وقد اضطررنا إلى سؤاله ، فقال : إنما عني

أحد وجهين : إما أنه نضح صدره بالعرق وعرق الخيل أبيض ، فجاء مع

الدم كالشيب ، وإما أشياء كانت العرب تصنعها وذلك أنها كانت تسم

باللبن الحارِّ في صدر الخيل فيتمَّ طُ ذلك الشعرُ ، وينبتُ كأنَّه شعرُ أبيض ،  
 فأياً ما عني من أحدِ الوجهين فالوصفُ مُستقيم . وكان لابن أبي عامرٍ فتى  
 يُسمَّى فاتماً أوحدُ لا نظيرَ له في علمِ كلامِ العربِ ، وكلُّ ما يتعلقُ بالأدبِ ،  
 فناظرَ صاعداً بين يديه ، فظهرَ عليه ، وبكته حتى أسكته ، فازدادَ المنصورُ به  
 عجباً . وكان فاتنٌ حَسَنَ الخطِّ ، واسعَ المعرفة ، فصيحَ اللسانِ ، حاضرَ الجوابِ  
 إلى عفافِ طُفْمَةٍ ، وزَاهَةِ نَفْسٍ ، وجمالِ صورة . وكان ممن تُباهى الملوكُ  
 بخِدْمَتِهِ ، وتستريحُ إلى حِلْمِهِ . وتوفَّى هذا الفتى فاتنٌ سنة اثنتين وأربعمئة ،  
 وبيعت في ترِكَته قطعةُ دفاترٍ أدبيَّةٍ حَسَنَةِ الضبطِ دلَّت على جَوْدَةِ عِنايته .  
 وكان مُنْقَاداً لما نزلَ به من المُثَلَّةِ ، فلم يَتَّخِذِ النساءَ ولا كَشْفَنَ له عَوْرَةٍ . وكان  
 في ذلك الزمانِ بقرطبةَ جُمْلَةٌ من الفتيانِ المجايِبِ ، ممن أخذَ من الأدبِ  
 بأوفرِ نصيب . ورأيتُ تأليفاً لرجلٍ منهم يُدعى بحبيبٍ مُترجماً بـ « كتاب  
 الاستظهار والمغالبة على مَنْ أنكرَ فضائلَ الصقالبة » وذكرَ فيه جُمْلَةٌ من أشعارِهِم  
 ونوادرِ أخبارِهِم . منهم عمارةُ الصَّقْلَبِيِّ الفتى الكبير ، والصَّقْلِيُّ مَيْسُورٌ ، ونَجْمُ  
 الوَصِيفِ ، وغيرُهُم ممن يشتمِلُ عليه ذلك التَّصنيفُ ، وشعرُهُم خارجٌ من  
 شَرِطِنَا ، وليس مِن جَمْعِنَا .

ومن عجائبِ الدنيا الغريبةِ الوقوعُ ، العجيبيةِ المسموعِ ، أن صاعداً أهدى  
 إلى المنصورِ يوماً إيلاً وكتبَ معه بأبياتٍ يقولُ فيها :

يا حِرْزَ كلِّ مَخُوفٍ وأمانَ كلِّ مُشْرِدٍ ومُعِزَّ كلِّ مُذَلِّلٍ  
 عَبدٌ جَذَبَتْ بِضَبْبِهِ وَرَفَعَتْ مِنْ مِقْدَارِهِ أَهْدَى إِلَيْكَ بِأَيْلٍ  
 سَمِيئَتُهُ غَرَسَتْهُ وَبَعَثَتْهُ فِي حَبْلِهِ لِيَتَّحَ فِيهِ تَفَاوُلِي



فَقُضِيَ فِي سَابِقِ عِلْمِ اللَّهِ تَعَالَى وَقَدَرِهِ أَنَّ غَرَسِيَّةَ بْنِ شَانِجُهَ <sup>(١)</sup> مِنْ مُلُوكِ  
الرُّومِ ، وَهُوَ أَمْنَعُ مِنَ النُّجُومِ ، أُسْرِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ بِعَيْنِهِ الَّذِي بَعَثَ فِيهِ صَاعِدًا  
بِالْإِيلِ وَسَمَاءَ غَرَسِيَّةَ عَلَى التَّفَاوُلِ بِأَسْرِهِ . وَكَانَ أَسْرُهُ فِي رَبِيعِ الْأَوَّلِ سَنَةِ  
خَمْسٍ وَثَمَانِينَ وَثَلَاثُمِائَةٍ . وَهَكَذَا يَكُونُ الْجَدُّ لِلصَّاحِبِ وَالْمَصْحُوبِ .

وَدَخَلَ يَوْمًا صَاعِدًا عَلَى الْمَنْصُورِ فِي يَوْمِ مَطِيرٍ ، وَعَلَيْهِ ثِيَابٌ جَدُّ وَخَفٌّ  
طَرِيٌّ فَشَى عَلَى حَاشِيَةِ الصُّهْرِيحِ لِازْدِحَامِ مَنْ حَضَرَ فزَلِقَ وَسَقَطَ فِي الْمَاءِ ،  
فَضَحَكَ الْمَنْصُورُ وَأَمَرَ بِإِخْرَاجِهِ ، وَكَادَ الْبَرْدُ يَأْتِي عَلَيْهِ . فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِ أَمَرَ بِخِلْعِ  
ثِيَابٍ لَهُ ، وَأَدْنَى مَجْلِسِهِ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : يَا أَبَا الْعَلَاءِ هَلْ قُلْتَ فِي سَقَطَتِكَ شَيْئًا ؟  
فَأُطِرَقَ ثُمَّ قَالَ :

شَيْئَانِ كَانَا فِي الزَّمَانِ غَرِيبَةً ضَرَطَ ابْنٌ وَهَبٍ ثُمَّ زَلَقَهُ صَاعِدٌ  
فَاسْتَبَرَدَ مَا أَتَى بِهِ . وَكَانَ السَّكَاتِبُ أَبُو مَرْوَانَ الْجَزِيرِيُّ حَاضِرًا ، فَقَالَ لَهُ  
يَا أَبَا الْعَلَاءِ هَلَّا قُلْتَ :

سُرُورِي بِغُرَّتِكَ الْمُشْرِقَةِ . وَدِيمَةِ رَاحَتِكَ الْمَغْدَقَةِ .  
ثَنَانِي نَشْوَانٍ حَتَّى هَوَيْتُ فِي لُجَّةِ الْبِرْكَةِ الْمَطْبِقَةِ  
لِئِنْ ظَلَّ عَبْدُكَ فِيهَا الْغَرِيقَ فَجُودُكَ مِنْ قَبْلِ ذَا أَغْرَقَهُ .  
فَقَالَ لَهُ الْمَنْصُورُ : اللَّهُ دَرُّكَ يَا أَبَا مَرْوَانَ قَسَمْنَاكَ بِأَهْلِ الْعِرَاقِ فَفَضَّلْتَهُمْ ،  
فَبِمَنْ نَقَاسَ بَعْدَ أَفَانِهِضَ الْجَزِيرِيِّ يَوْمَئِذٍ لِلشَّرْطَةِ .

وَقَدْ فَرَّقَ حُذَاقُ النَّظَرِ بَيْنَ الْبَدِيهِ وَالْأَرْتِجَالِ ، فَجَعَلُوا الْأَرْتِجَالَ مَا كَانَ  
عَلَى طَرِيقِ الْإِنْهَامِ وَالْتِدْفُقِ لَا يَتَوَقَّفُ فِيهِ قَائِلُهُ ، كَالَّذِي وَقَعَ لِلْفَرَزْدَقِ إِذَا أَمَرَهُ  
سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بِضَرْبِ عُنُقِ أُسَيْرِ رُومِيٍّ ، وَدَسَّ إِلَيْهِ بَعْضُ بَنِي عَبَّسٍ

سَيْفًا كَهَامَا فَنَبَا حِينَ ضَرَبَ بِهِ ، وَضَحِكَ سُلَيْمَانُ ، فَقَالَ الْفَرَزْدَقُ :  
فَإِنْ يَكُ سَيْفُ خَانَ أَوْ قَدَرُ أَتَى      لِتَأْخِيرِ نَفْسٍ حَيْنَهَا غَيْرُ شَاهِدِ  
فَسَيْفُ بَنِي عَبَسٍ وَقَدْ ضَرَبُوا بِهِ      نَبَا بِيَدَيَّ وَرَقَاءُ<sup>(١)</sup> عَنْ رَأْسِ خَالِدِ  
كَذَلِكَ سُيُوفُ الْهِنْدِ تَنْبُو ظُبَاتُهَا      وَيَقْطَعْنَ أَحْيَانًا مَنَاطَ الْقَلَانِدِ  
وَلَوْ شِئْتُ قَطَّ السَّيْفُ مَا بَيْنَ أَنْفِهِ      إِلَى عَلَقِي دُونَ الشَّرَا سَيْفٍ جَاسِدِ  
ثم جلس وهو يقول :

وَلَا نَقْتُلُ الْأَسْرَى وَلَكِنْ نَفْكُهُمْ      إِذَا أَثْقَلَ الْأَعْنَاقَ حَمْلُ الْمَغَارِمِ  
وَمَنْ غَرِيبَ الْبَدِيهَةِ خَبِرُ حَبِيبٍ ،      مَعَ الْكِنْدِيِّ يَعْقُوبَ ، وَقَدْ أَنْشَدَ أَحْمَدُ  
ابْنَ الْمُعْتَصِمِ<sup>(٢)</sup> قَوْلَهُ :

إِقْدَامُ عَمْرِو فِي سَمَاحَةِ خَالِدٍ      فِي حِلْمٍ أَحْنَفَ فِي ذِكَاةِ إِيَّاسِ  
فَقَالَ لَهُ الْكِنْدِيُّ : مَا صَنَعْتَ شَيْئًا      فَإِنَّ الْأَمِيرَ أَفْضَلُ مِمَّنْ ذَكَرْتَ ،  
وَمَا هُوَ لَاءٌ وَقَدْرُهُمْ ؟ فَأَطْرَقَ ثُمَّ قَالَ :

لَا تُنْكَرُوا ضَرْبِي لَهُ مِنْ دُونِهِ      مَثَلًا شَرُودًا فِي النَّدَى وَالْبَاسِ  
فَاللَّهُ قَدْ ضَرَبَ الْأَقْلَّ لِنُورِهِ      مَثَلًا مِنَ الْمَشَاكَةِ وَالْتِبْرَاسِ  
فَتُعْجِبُ مِنْ بَدِيهِتِهِ يَوْمَئِذٍ لِأَنَّهُ كَانَ      رَجُلًا مُصَنِّعًا لَا يَجِبُ أَنْ يَكُونَ هَذَا  
فِي طَبْعِهِ . وَقَدْ قِيلَ إِنَّ الْكِنْدِيَّ لَمَّا خَرَجَ حَبِيبُ قَالَ : أَرَى هَذَا الْفَتَى يَمُوتُ  
شَابًّا لِأَنَّ ذِكَاةَهُ يَنْحِتُ عُمُرَهُ كَمَا يَأْكُلُ السَّيْفُ الصَّقِيلُ غَنَدَهُ . فَكَانَ  
ذَلِكَ كَذَلِكَ ، مَاتَ وَقَدْ نَيْفَ عَلَى الثَّلَاثِينَ . وَكَانَ أَبُو الطَّيِّبِ كَثِيرَ الْبَدِيهِةِ  
إِلَّا أَنَّ شِعْرَهُ نَازِلٌ فِيهِ . وَأَهْلُ الشَّعْرِ فِي ذَلِكَ فِي سَعَةٍ مِنَ الْعُذْرِ ، إِذْ هُوَ

(١) فِي الْأَصْلِ : وَرَقَاءُ وَالتَّصْحِيحُ عَنْ طَبَقَاتِ ابْنِ سَلَامٍ (طَبْعُ مِصْرَ ص ١٤١) .

(٢) فِي الْأَصْلِ : الْمَأْمُونُ . وَهُوَ خَطَأٌ .



كما قال ابن الرومي<sup>(١)</sup> :

نَارُ الرَّوِيَّةِ نَارٌ جِدُّ مُنْضِجَةٍ      وَلِلْبَدِيَّةِ نَارٌ ذَاتُ تَلْوِيجٍ  
وَقَدْ يُفْضَلُهَا قَوْمٌ لِسُرْعَتِهَا      لِسَكْنِهَا سُرْعَةٌ تَمْضِي مَعَ الرِّيحِ  
وقال ابن المعتز<sup>(٢)</sup> :

• وَالْقَوْلُ بَعْدَ الْفِكْرِ يُؤْمَنُ زَيْغُهُ      شَتَانٌ بَيْنَ رَوِيَّةٍ وَبَدِيَّةٍ  
ومن الشعراء من شعره فيهما وعند الأمن والخوف سواء ، بمقدار قُدْرَةِ  
كلٍّ أحده ، وسكون جأشه ، وقوة غريزته ، كهذبة بن الخشرم ، وطرفة بن  
العبد ، ومرة بن محكان السعدي ، إذ يقول وقد أمر مضعب بن  
الزبير بقتله :

١٠ بَنِي أَسَدٍ إِنْ تَقْتُلُونِي تُحَارِبُوا      تَمِيمًا إِذَا الْحَرْبُ الْعَوَانُ أَشْمَعَتْ<sup>(٣)</sup>  
وَلَسْتُ وَإِنْ كَانَتْ إِلَى حَبِيبَةٍ      بِبَاكِ عَلَى الدُّنْيَا إِذَا مَا تَوَلَّتْ  
وكعبد يغوث إذ أعطى في نفسه لبني تميم ألف ناقة فأبوا إلا قتله ، وكانوا قد  
شدوا لسانه خوفاً من الهجاء ، فعاهدوه فأطلقوه لينوح على نفسه ، فقال القصيدة  
التي أولها<sup>(٤)</sup> :

١٥ أَقُولُ وَقَدْ شَدُّوا لِسَانِي بِنَسْمَةٍ      أَمْعَشَرَ تَمِيمٍ أَطْلَقُوا مِنْ لِسَانِيَا  
فِيَا رَاكِبًا إِمَّا عَرَضْتَ فَبَلَّغْنَا      نَدَامَايَ مِنْ نَجْرَانٍ أَلَّا تَلَاقِيَا  
وتميم بن جحيل السدوسي وكان قام بشاطئ الفرات ، واجتمع إليه الأعراب  
وغلظ أمره ، فظفر به وحمل إلى باب المعتصم ، فلما مثل بين يديه ، وكان وسيماً

(١) هذان البيتان غير مثبتين في الديوان ( نكرة الشيخ محمد شريف سليم — حرف الحاء ) .

(٢) لا يوجد هذا البيت في ديوانه

(٣) الكلمة غير واضحة بالأصل والتصحيح من الكامل للمبرد (ص ١١٣ نكرة رايت)

(٤) وردت هذه القصيدة في النقااض ج ١ ص ١٧٣ (طبع بيقان)

جَمِيلًا ، فَأَحَبَّ الْمُعْتَصِمُ أَنْ يَعْلَمَ أَيْنَ الْمَنْظَرُ مِنَ الْحَبَرِ ، قَالَ لَهُ تَكَلَّمْ ، فَقَالَ  
بَعْدَ أَنْ حَمِدَ اللَّهَ وَدَعَا الْمُعْتَصِمُ : إِنَّ الذُّنُوبَ تُخْرِسُ الْأَلْسِنَةَ ، وَتُعْمِي الْأَفْئِدَةَ ،  
وَلَقَدْ عَظُمَتِ الْجُرِيرَةُ ، وَانْقَطَعَتِ الْحُجَّةُ ، وَسَاءَ الظَّنُّ ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الْعَفْوُ  
أَوْ الْإِنْتِقَامُ ، وَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ أَقْرَبَهُمَا مِنِّي وَأَسْرَعُهُمَا إِلَيَّ أَشَبَّهُمَا بِكَ ،  
وَأَوْلَاهُمَا بِكَرَمِكَ . ثُمَّ قَالَ وَقَدْ كَانَ قَدَّمَ السِّيفُ وَالنِّطْعُ لِقَتْلِهِ :

٣٩ | ٥

أَرَى الْمَوْتَ بَيْنَ السِّيفِ وَالنِّطْعِ كَأَمِنًا      يُلَاحِظُنِي مِنْ حَيْثُمَا أَتَلَفْتُ  
وَأَكْبَرُ ظَنِّي أَنَّكَ الْيَوْمَ قَاتِلِي      وَأَيُّ أَمْرِي مِمَّا قَضَى اللَّهُ يُفْلِتُ  
وَأَيُّ أَمْرِي يُدْلِي بِعُذْرٍ وَحُجَّةٍ      وَسَيْفُ الْمَنَایَا بَيْنَ عَيْنَيْهِ مُضَلَّتْ  
يَعِزُّ عَلَى الْأَوْسِ بْنِ تَغْلِبٍ مَوْقِفُ      يَهْزُ عَلَى السِّيفِ فِيهِ وَأَسْكُتُ  
فَمَا حَزَنِي أَنِّي أَمُوتُ وَإِنِّي      لِأَعْلَمُ أَنَّ الْمَوْتَ شَيْءٌ مُوقَّتُ  
وَلَكِنْ خَلْفِي صَبِيَّةٌ قَدْ تَرَكَتْهُمْ      وَأَكْبَادُهُمْ مِنْ حَسْرَةٍ تَقَفَّقَتْ  
كَأَنِّي أَرَاهُمْ حِينَ أُنْعَى إِلَيْهِمْ      وَقَدْ سَخَّشُوا تِلْكَ الْوُجُوهَ وَصَوَّتُوا  
فَإِنْ عِشْتُ عَاشُوا خَافِضِينَ <sup>(١)</sup> بِنِعْمَةٍ      أَذُودُ الرَّدَى عَنْهُمْ وَإِنْ مِتُّ مَوْتُوا  
فَكَمْ قَاتِلٍ لَا أَبْعَدَ اللَّهُ دَارَهُ      وَآخَرَ جَذَلَانٍ يُسَرُّ وَيَشْمَتُ  
فَعَنَى عَنْهُ الْمُعْتَصِمُ ، وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ ، وَقَلَّدهُ عَمَلًا . وَعَلَى بْنِ الْجَهْمِ الَّذِي قَالَ ارْتَحَلَا  
وَقَدْ صُلِبَ عُرْيَانًا :

١٠

١٥

لَمْ يَنْصَبُوا بِالسَّادِيَاخِ عَشِيَّةَ الْ      إِنِّينَ مَفْلُولًا وَلَا مَجْهُولًا  
نَعَبُوا بِحَمْدِ اللَّهِ مِلءَ عُيُونِهِمْ      حُسْنًا وَمِلءَ قُلُوبِهِمْ تَبْجِيلًا  
مَا ضَرَّه أَنْ بَزَّ عَنْهُ غِطَاؤُهُ      فَالسِّيفُ أَهْوَلُ مَا يَرَى مَسْلُولًا

٢٠ إلى غير ذلك من غرائب أهل المشرق .



فأما ما جاء في هذا الباب لأهل عصرنا بهذا الأفق، فسكالذي وقع لأبي  
عامر بن شهيد القرطبي مع لمة من أصحابه، فإنه حكي أنهم قالوا له: يا أبا عامر  
إنك لات بالعجائب، وجاذب بذوائب الغرائب، ولكنك شديد الإعجاب  
بما يأتي منك، هاز لعطف الزهو عند الفادرة تتاح لك، ولكن تريد أن  
تصف لنا مجلسنا هذا. وكان الذي طلبوه منه يومئذ زبدة التعنيت، ومحة  
بيض التبكيت، لأن المعنى الجلف إذا لم يطب على النفس، وتناول المحسن  
أساء فيه، وكانت هيئته ذلك المجلس وصفته مما يقتل سماعها برده، وهيئته  
لا يتمكن فيها كلام ولا يتركب عليها معنى: باب غريب معرض في المجلس،  
وليد أحمر مبسوط على أرضه، وصدور أخفافهم على حاشيته. وذكر أبوابه  
وانضمامها على أرجله فقال:

١٠

|                          |                                     |
|--------------------------|-------------------------------------|
| وفتية كالشجوم حسنا       | كلهم شاعر نبيل                      |
| مستقد الجانبين ماض       | كانه الصارم الصقييل                 |
| راموا انصرافي عن المعالي | والغرب من دونها قليل <sup>(١)</sup> |
| فاشدت في إثرها مسح       | كل كثير بها قليل                    |
| في مجلس شابه التصابي     | وطاردت وصفه العقول                  |
| كانما بابه أسير          | قد عرّضت وسطه نصول                  |
| يراد منه المقال قسرا     | وهو على ذلك لا يقول                 |
| ينظر من لبده لدينا       | بحر دم تحته يسيل                    |
| كان أخفافنا عليه         | مراكب ماها دليل                     |
| ضلت فلم تدّر أين تجرى    | فهى على شطو تقيل                    |

١٥

٢٠

وَاتَّفَقَ أَنْ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهِمْ فَاجْتَنَزَ بِحَانُوتٍ بَعْضَ مَعَارِفِهِ مِنَ الطَّرَائِفِيِّينَ <sup>(١)</sup>  
وَبَيْنَ يَدَيْهِ رَامِسَنَةٌ <sup>(٢)</sup> جَمِيلَةٌ فِي زَنْبِيلٍ مَلَّانَ حَرَشَفًا ، فَعَمَلَ يَدَهُ فِي لِحْجَامِ  
دَابَّةِ ابْنِ شُهَيْدٍ وَقَالَ لَهُ : صِفْ هَذَا أَبَا عَامِرٍ ، فَإِنَّ صَاعِدًا رَامَ وَصَفَ ذَلِكَ  
لِابْنِ أَبِي عَامِرٍ فَلَمْ يَأْتِ بِشَيْءٍ غَيْرَ ذِكْرِ الْحَرَشَفِ . فَقَالَ ابْنُ شُهَيْدٍ وَهُوَ  
عَلَى ظَهْرِ دَابَّتِهِ .

هَلْ أَبْصَرْتَ عَيْنَاكَ يَا خَلِيلِي      قَنَافِذَا تُبَاعُ فِي زَنْبِيلِ  
مِنْ حَرَشَفٍ <sup>(٣)</sup> مُعْتَمِدٍ جَلِيلِ      ذِي إِبْرَةٍ تَفْقُذُ جِلْدَ الْفِيلِ  
كَأَنَّهَا أَنْيَابُ بِنْتِ الْغُولِ      لَوْ نُخِصَتْ فِي اسْتِ امْرَأَةٍ ثَقِيلِ  
لَقَفَّزَتْهُ نَحْوَ أَرْضِ النِّيلِ      لَيْسَتْ تَرَى طَيَّ حَشَا مَنَدِيلِ  
نُقْلُ السَّخِيفِ الْمَائِقِ الْجَهْلِ      وَأَكَلُ قَوْمٍ بَارِحِي <sup>(٤)</sup> الْعُقُولِ  
أَقْسِمُ لَا أَطْعَمْتُهَا أَكِيلِي <sup>(٥)</sup>      وَلَا طَعَمْتُهَا عَلَى شَمُولِ  
وَكَانَ يَوْمًا مَعَ جَمَاعَةٍ مِنْ أَهْلِ الْأَدَبِ ، بِمَجْلِسِ ابْنِ ذَكْوَانَ ، فَجِئْتُ  
بِبَاكُورٍ بِاقِلِي <sup>(٦)</sup> ، فَقَالُوا لَا يَنْفَرِدُ بِهِ <sup>(٧)</sup> إِلَّا مَنْ وَصَفَهُ ، فَقَالَ ابْنُ شُهَيْدٍ :  
إِنَّ لَأَلِيكَ أَحَدَثٌ صَلَفًا      فَاتَّخَذْتُ مِنْ زُمُرٍ صَدَفًا  
تَسْكُنُ دُرَّاتُهَا <sup>(٨)</sup> الْبُحُورَ <sup>(٩)</sup> وَذِي      تَسْكُنُ لِلْحُسْنِ رَوْضَةً أَنْفَا  
هَامَتْ بِلُحْفِ الْجِنَانِ فَاتَّخَذَتْ      مِنْ سُنْدُسٍ فِي جِنَانِهَا لُحْفَا

(١) كَذَا فِي الْأَصْلِ . (٢) سَبَقَ أَنْ وَرَدَتْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ بِالْخَبْرَةِ ج ٢ ص ٣٧٠ بِالشَّيْنِ

(٣) رَسَمْتُ الْكَلِمَةَ بِالْخَاءِ الْمَعْجَمَةِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ وَلَكِنَّهَا فِي الْمَوْضِعَيْنِ السَّابِقَيْنِ

بِالْخَاءِ الْمَهْمَلَةِ .

(٤) الْكَلِمَةُ غَيْرُ مَعْجَمَةٍ فِي الْأَصْلِ فَتَحْتَمِلُ أَيْضًا أَنْ تَكُونَ « نَازِحِي »

(٥) فِي الْأَصْلِ : أَكْلِيلِ (٦) رَسَمْتُ الْكَلِمَةَ فِي الْأَصْلِ : نَاقِلِي

(٧) فِي الْأَصْلِ : بِهَا (٨) فِي مَوْحٍ : ضَرَاتُهَا .

(٩) فِي الْأَصْلِ : الْبَحْرُ .



تثقبها<sup>(١)</sup> بالثغور من لطفِ حَسْبُكَ مِنَّا فِي بَرٍّ مِّنْ لُّطْفَا

جَازَ<sup>(٢)</sup> ابْنُ ذَكْوَانَ فِي مَسْكَارِمِهِ حُدُودَ كَعْبٍ وَمَا بِهِ وَصِيفَا

قَدَمَ دُرِّ الرِّيَاضِ مُنْتَخِبَا مِنْهُ لَأَفْرَاسٍ مَدَحِيهِ عِلْفَا

أَكَلُ ظَرِيفٍ وَطَعْمُ ذِي أَدَبٍ وَالْقَوْلُ<sup>(٣)</sup> يَهْوَاهُ كُلُّ مَنْ ظَرُفَا

رَخَّصَ فِيهِ شَيْخٌ لَهُ قَدَرٌ فَكَانَ حَسْبِي مِنَ الْمُنَى وَكَفَى

وَخَرَجَ سَعْدَانُ الْمُؤَدَّبُ مِنْ قُرْطُبَةَ إِلَى الْحِجَازِ وَشَيْعَهُ جَمَاعَةٌ ، وَكَانَ قَدْ  
بَاعَ دَارَهُ لِسَدِّ جَهَازِ طَرِيقِهِ [ وَوَضَعَهُ ] تَحْتَهُ فِي خُرْجِهِ ، فَقَالَ فِيهِ يَوْمَئِذٍ مُّؤْمِنٌ  
ابْنُ سَعِيدٍ :

قَدْ بَعْتَ دَارَكَ فَارْحَلْ غَيْرَ مُحْتَقِبٍ زَادَ التَّقَى عَنْ بَنَى الدُّنْيَا إِلَى سَقَرٍ<sup>(٤)</sup>

لَمَّا رَأَيْتَ أَذَى الْأَمْطَارِ مُتَّصِلَا حَصَنْتَ دَارَكَ فِي خُرْجٍ عَنِ الْمَطَرِ ١٠

فَلَسْتَ تَخْشَى عَلَى حِيطَانِهَا زَلَلَا مِنْ وَكِيفٍ يَهْدِمُ الْبُنْيَانَ مِنْهُمْ

زَوَّدْتُكَ اللَّغْنَ مُخْصُوصًا بِهِ أَبَدًا لَمَّا غَدَوْتَ بِلَا زَادٍ عَلَى سَفَرٍ

فَاغْرُبْ إِلَى حَيْثُ لَا مَاءٌ وَلَا شَجَرٌ كَمَا غَنَيْتَ<sup>(٥)</sup> بِلَا مَاءٍ وَلَا شَجَرٍ

وَسَائِرُ ابْنِ عَمَّارٍ فِي بَعْضِ الْأَسْفَارِ غُلَامَيْنِ وَسَيَمَيْنِ مِنْ بَنَى جَهْوَرٍ ،  
أَحَدُهُمَا أَشْقَرُ وَالْآخَرُ بَعِذَارٌ أَخْضَرُ ، فَكَانَ يَمِيلُ بِحَدِيثِهِ مِنْ ظَهْرِ دَابَّتِهِ إِلَى  
الَّذِي وَصَفَهُ مِنْهُمَا حَيْثُ قَالَ ارْتَجَالَا :

تَعَلَّقْتُ بِهِ جَهْوَرِي النَّجَارِ حُلُوَ اللَّائِي جَوْهَرِي<sup>(٦)</sup> الثَّنَايَا

مِنَ النَّفَرِ الْبَيْضِ جَدْوَى<sup>(٧)</sup> الزَّمَانِ رِقَاقِ الْحَوَاشِي كِرَامِ السَّجَايَا

(٢) في الاصل : حاز .

(٤) في الاصل : سفر .

(٦) في الاصل : جهوري .

(١) رسم الكلمة في الاصل : بتقبها .

(٣) في الاصل : والقول .

(٥) في الأصل : عميت .

(٧) رسم الكلمة في الأصل : حدوا .

ولا غَزَوْا أَنْ تَغْرُبَ الشَّارِقَاتُ وَتَبْقَى مُحَاسِنُهَا بِالْعَشَايَا  
ولا وَصَلَ إِلَّا جُحَانُ الْحَدِيثِ نُسَاقَطُهُ مِنْ ظُهُورِ الْمُطَايَا  
شَمِنَتْ الْمُلُثَاتُ لِلزَّغْفَرَانِ وَمِلَتْ إِلَى خُضْرَةٍ فِي الثَّغَايَا

قال ابنُ بَسَّامٍ : وكان الأستاذُ أبو الوليدِ بن ضابطٍ قد بدأ عليه بالقراءة  
الوزيرُ أبو محمد بن عبدونَ وهو غلامٌ ابن ثلاث<sup>(١)</sup> عشرة سنةً ، وكان ابنُ  
ضابطٍ المذكورُ مُتَكَسِّبًا بالشعرِ . فضجَرَ يوماً وقال : « الشَّعْرُ خُطَّةٌ خَسَفِ »  
فقالَ له ابنُ عبدونَ :

لَسْكَلٌ طَالِبٌ عَرَفَ

لِلشَّيْخِ عَيْبَةٌ عَيْبٌ وَلِلْفَتَى ظَرْفٌ ظَرْفٌ

والبديهِ والارتجالُ في هذه الأشعارِ الأندلسيَّةِ وإن لم تلحق بالأشعارِ  
المشرقيَّةِ ، ولا فيها كبيرُ طائِلٍ ، ولا تقربُ مما ألصقته إليها<sup>(٢)</sup> من أشعارِ  
الأوائلِ ، فهي نحوى في هذا المجموعِ الذي انتَحَيْتُ ، وطلَّقَ الذي إليه  
جَرَيْتُ ، ولذلك ما أثبتُّ مُذالها ومَصُونها ، وكتبتُ غُثَّها وسَمِينها . والأدبُ  
طريقٌ يسلكُها الصَّحِيحُ والجَرَبُ ، وسوقٌ يَنْفَقُ فيها الدرُّ والمُخْشَلَبُ .  
ولأُخْرِجَ من جدِّ إلى هزلٍ<sup>(٣)</sup> ، وأنْتَقِلَ من سهْلٍ إلى حَزَنٍ ، رَجَعْتُ  
إلى ما قَطَعْتُ من أخبارِ صاعِدٍ ، وما يَتَعَلَّقُ بها ويذكرُ بسببها من الفوائدِ .

### إيجازُ الخبرِ عن أسْرِ غَرْسِيَّةَ الذي ذُكِرَ

قالَ ابنُ حَيَّانٍ : لما قَفَلَ ابنُ أبي عامرٍ سنةً أربعٍ وثمانينَ عن بَلَدِ غَرْسِيَّةَ  
صاحبِ قَسْتِيلَةَ ، حَشَرَ عَدُوَّ اللَّهِ جُمُوعَهُ لَغَزَوْا بِلَادَ الْإِسْلَامِ ، فاغْتَمَّ الْمَنْصُورُ

(١) في الأصل : من ثلاثة . (٢) في الأصل . إليه

(٣) السياق يقتضي : إلى جد من هزل .



لذلك . فبينما هو يحاول بعض الأمر هنالك إذ ورد عليه كتاب قنديل الوزير صاحب مدينة سالم يذكر أنه أسرى في نخبة أهل ثغره إلى بلاد غرسية فقتل وغنم ، ثم انكش قافلاً فتبعه غرسية في قطعة حسنة من نخبة حماته ، فثبت الله أقدام الإسلام ، وأجلت الحرب على أسرى غرسية جريحاً ، وسبق إلى مدينة سالم ، وأقام بيد قنديل يعالجه من جرحه فهلك في يده . وحز رأسه وجعله في تابوت ، وأنفذه إلى حضرة قرطبة ، واختزن جسده إلى أن دفع مع رأسه إلى ولده شانهج عند عقد السلم بعد مدة .

### مقتل أبي مروان الجزيري

وكان أبو مروان عبد الملك الجزيري أحد شعراء الأندلس المجيدين وقته ، ومن اجتمع له بهذا الإقليم نوعاً البلاغة في المنشور والمنظوم . وتقدم عصره ١٠ منفعي من ذكره ؛ وفي خبر مقتله طول ، لسنن نلعم منه بلعة ، بعد أن تقدم من نوعي كلامه قطعة .

فمن ذلك أن المنصور بن أبي عامر صنع صنيعاً في ذلك الأوان ، لتطهير ابنه عبد الرحمن . وكان عامر قطيعاً فارتفع السعر بقرطبة ، وبلغ ربع الدقيق إلى ديفارين ، فجلا الناس . فلما كان يوم ذلك الصنيع ، نشأت في السماء سحابة عمّت الأفق ، ثم أتى المطر الوابل فاستبشر الناس وسرّ ابن أبي عامر ، فقال الجزيري بديهة :

أما الغمام فشاهدك أنه لا شك صنوك بل أخوك الأوثق  
وإني الصنيع فحين تمّ تمامه في الصبح أنشأ ودقه يتدفق  
وأظنه يحكميك جوداً إذ رأى في اليوم بحرك زاخراً يتفوق

ومنها (١) :

وتوسّطتها جُـةً في قعرها      بنّت السلاحف ما تزال تُنفقُ  
تنسابُ من فسكى هزير إن يكن      ثبّت الجنان فإن فاهُ أخرقُ  
صاغوه من ندى وخلق صفحتي      هاديه محض الدرّ فهو مطوقُ  
للياسمين تطلعُ في عرشه      مثلُ المليك عراه زهوهُ ، مطرقُ  
ونضائدُ من نرجس وبنفسج      وجني خيري وورد يعبقُ  
ترنو بسجود (٢) غيونها وتكادُ من      طرب إليك بلا لسان تنطقُ  
وعلى يمينك سوسنات أطلعت      زهر الربيع فهنّ حسناً تشرقُ  
فكأنما هي في اختلاف رقومها      راياتُ نصرِكَ يوم بأسِكَ تخفقُ  
في مجلس جمع السرور لأهله      ملكٌ إذا جُمعت قناه (٣) يفرقُ  
حازت بدولته المغارب عزةً      فغدا ليحسدها عليه المشرقُ

وعتب عليه المنصورُ وسجنه في مطبق الزاهرة ، واستعطفه برسائل وأشعار  
عدّة ، فلم يسمع منه ، ثم صفّح بعدُ عنه ، فكتب إليه الجزيري :

عجبتُ من عفوّ أبي عامر      لا بدّ أن تتبّعهُ مِنهُ  
كذلك الله إذا ما عفا      عن عبده أدخله الجنّة

فسر المنصورُ بذلك ، وصرفه إلى حاله ، وردّ عليه ما كان اعتقل من ماله .

ومن (٤) شعره أيضًا ، مما اندرج له في أثناء نثره الذي ملّح فيه ، مخاطبته  
على السنة أسماء كرائمه بزهور رياضيه . من ذلك عن بهار العامرية قصيدة أولها :

(١) راجع النفع (ج ١ ص ٣٤٨) .

(٢) النفع : بسحر .

(٣) في الأصل قناه

(٤) النفع (ج ١ ص ٣٤٩) .



حَدَقُ الحِسانُ بُقْرَ لى وَتَغَارُ      وَتَضِلُّ فِي صِفَتِي النَّهْيِ وَتَحَارُ  
 طَلَعَتْ عَلَى قُضْبِي عَيُونُ كَهَانِي <sup>(١)</sup>      مِثْلَ الْعَيُونِ تَحْفَهَا الْأَشْفَارُ  
 وَأَخَصُّ شَيْءٍ بِي إِذَا شَبَّهْتَنِي <sup>(٢)</sup>      دُرٌّ <sup>(٣)</sup> تَنْطَقُ سِلْكُهَا دِينَارُ  
 أَهْدَى لَهُ قُضْبُ الزُّمُرِدِ سَاقَهُ      وَحَبَاهُ أَنْفَسَ عَطْرِهِ الْعَطَّارُ  
 أَنَا نَرْجِسُ حَقًّا بَهْرَتُ عُقُولَهُمْ      بَبْدِيعِ تَرْكِيبِي فَقِيلَ بَهَارُ  
 وَمِنْ أُخْرَى عَلَى لِسَانِ نَرْجَسٍ الْعَامِرِيَّةُ :

حَيَّتِكَ يَا قَرَّ الْعُلا وَالْمَجْلِسِ      أَزْكَى تَحِيَّتِهَا عَيُونُ النَّرْجِسِ  
 زُهْرًا تُرِيكَ بِحُسْنِهَا وَبِلَوْنِهَا      زُهْرَ النُّجُومِ الْجَارِيَاتِ الْكُنُوسِ  
 يَمْلِكُنْ أَفْتَدَةَ الْفَدَايِ كُلَّمَا      دَارَتْ بِمَجْلِسِهِمْ مَدَارَ الْأَكُوسِ  
 مَلِكُ الْهَمَامِ الْعَامِرِيُّ مُحَمَّدٍ      الْمَكْرُمَاتِ وَلِلْنَهْيِ وَالْأَنْفَسِ  
 وَمِنْ أُخْرَى عَنِ بَنَفْسَجِ الْعَامِرِيَّةِ :

إِذَا تَدَافَعَتِ الْخُصُومُ — أَيْدِ اللَّهِ مَوْلَانَا الْمَنْصُورَ — فِي مَذَاهِبِهَا ، وَتَنَافَرَتْ  
 فِي مَفَاخِرِهَا ، فَالِيهِ مَفْرَعُهَا ، وَهُوَ الْمَقْنَعُ فِي فَصْلِ الْقَضِيَّةِ بَيْنَهَا ، لَاسْتِيلَانَهُ عَلَى  
 الْمَفَاخِرِ بِأَسْرَها ، وَعَلِمِهِ بِسَرِّها وَجَهْرِها . وَقَدْ ذَهَبَ الْبَهَارُ وَالنَّرْجِسُ فِي وَصْفِ  
 مَحَاسِنِهَا ، وَالْفَخْرُ بِمَشَابِهِهَا كُلِّ مَذْهَبٍ . وَمَا مِنْهُمَا إِلَّا ذُو فَضِيلَةٍ ، غَيْرَ أَنَّ  
 فَضْلِي عَلَيْهِمَا أَوْضَحُ مِنَ الشَّمْسِ الَّتِي تَعْلُونَا ، وَأَعَذِبُ مِنَ الْغَمَامِ الَّذِي يَسْقِينَا .  
 فَإِنْ كَانَا قَدْ تَشَبَّهَا فِي شِعْرِهَا بَبَعْضِ مَا فِي الْعَالَمِ مِنْ جَوَاهِرِ الْأَرْضِ وَمَصَابِيحِ  
 السَّمَاءِ ، وَهِيَ مِنَ الْمَوَاتِ الصَّامِتِ ، فَإِنِّي أَتَشَبَّهُ بِأَحْسَنِ مَا زَيْنَ اللَّهُ بِهِ الْإِنْسَانَ  
 وَهُوَ الْحَيَوَانُ النَّاطِقُ . مَعَ أَنَّيْ أَعْطَرُ مِنْهُمَا عِطْرًا ، وَأَحَدُ خُبْرًا ، وَأَكْرَمُ إِمْتَاعًا  
 شَاهِدًا وَغَائِبًا ، وَيَانِعًا وَذَابِلًا . وَكِلَاهُمَا لَا يُمْتَنَعُ إِلَّا رِيثًا يَمْنَعُ . ثُمَّ إِذَا ذَبَلَ

(١) فِي الْأَصْلِ : تَهَانِي . (٢) لَعَلَّهَا دُرٌّ .



تَسْتَكْرِهُ الْأَنْفُ شَمَّهُ ، وَتَسْتَدْفَعُ الْأَكْفُ ضَمَّهُ ، وَأَنَا أُمْتَعُ رَطْبًا وَيَابَسًا ،  
وَتَذْخُرُنِي الْمُلُوكُ فِي خَزَائِنِهَا وَسَائِرُ الْأَطْبَاءِ ، وَأَصْرَفُ فِي مَنَافِعِ الْأَعْضَاءِ . فَإِنْ  
فَخَّرَا بِاسْتِقْلَالِهِمَا عَلَى سَاقٍ هِيَ أَقْوَى مِنْ سَاقِي ، فَلَا غَرَوَ إِنَّ الْوَشْيَ ضَعِيفٌ ،  
وَالْهَوَاءَ لَطِيفٌ ، وَالْمَسِكَ خَفِيفٌ ، « وَلَيْسَ الْجَدُّ يُدْرِكُ بِالصَّرَاعِ » .

٥ وقد أودعتُ — أَيَّدَ اللَّهُ مَوْلَانَا — قَوَافِي الشَّعْرِ مِنْ وَصْفِ مَشَابِهِ  
مَا أودعاه ، وَحَضَرْتُ بِنَفْسِي لِمَثَلِ أَغْيَبَ عَنْ حَضَرَتَيْهَا ؛ فَقَدِيمًا فَضَّلَ الْحَاضِرُ  
وَإِنْ كَانَ مَفْضُولًا ، وَلِهَذَا قَالُوا أَلَذُّ الطَّعَامِ مَا حَضَرَ لَوْقَتِهِ ، وَأَشْعَرُ النَّاسِ مَنْ  
أَنْتَ فِي شِعْرِهِ ؛ فَمَوْلَانَا أَتَمُّ الْفَضْلِ فِي أَنْ يَفْصِلَ بِحُكْمِهِ الْعَدْلَ . وَأَقُولُ :

شَهِدَتْ لُفُوفُ الْبَيْتِ أَلْسُنٌ مِنْ لَوْنِهِ الْأَحْوَى وَمِنْ إِبْنَاعِهِ  
لَمَشَابِهِ الشَّعْرِ الْأَثِيثِ أَعَارَهُ ١٠ قَمَرُ الْمُنِيرِ الطَّلُقُ نَوْرَ شُعَاعِهِ  
وَلَرُبَّمَا جَمَدَ النِّجْمُ مِنَ الطَّلَى فِي صَارِمِ الْمَنْصُورِ يَوْمَ قِرَاعِهِ  
فَحَسَاكَ غَيْرَ مُخَالَفٍ فِي لَوْنِهِ لَا فِي رَوَائِحِهِ وَطِيبِ طِبَاعِهِ  
مَلِكٌ جَهَلْنَا قَبْلَهُ سُبُلَ الْهُدَى حَتَّى وَضَحْنَ بَنَاجِهِ وَشِرَاعِهِ  
فِي سَيْفِهِ قِصْرَ لَطُولِ نِجَادِهِ وَتَمَامَ سَاعِدِهِ وَفُسْحَةِ بَاعِهِ  
ذُو هَمَّةٍ كَالْبَرْقِ فِي إِسْرَاعِهِ وَصَرِيحَةٍ كَالْحَيْنِ فِي إِيقَاعِهِ ١٥  
تَلَقَى الزَّمَانُ لَهُ مُطِيعًا سَامِعًا وَتَرَى الْمُلُوكَ الشُّمَّ مِنْ أَتْبَاعِهِ

٤٢ قَالَ ابْنُ حَيَّانَ : وَكَانَ عَبْدُ الْمَلِكِ بَعْدَ أَبِيهِ قَدْ فَوَّضَ إِلَى عِيسَى بْنِ سَهِيدٍ  
الْقِطَاعَ وَزَيْرَهُ أَمْرَهُ ، فَصَارَ عِيسَى قِيَمَ الدَّوْلَةِ ؛ فَحَسَدَهُ رِجَالُ الْعَامِرِيَّةِ ، وَحَمَلُوا  
طَرَفَةً فَتَى عَبْدَ الْمَلِكِ عَلَى مُنَاوَأَتِهِ ؛ فَسَمَتُ نَفْسُ طَرَفَةَ لِذَلِكَ لِقَبْلِ هَمَّةٍ كَانَتْ  
لَهُ ، وَحِظَ أَدَبٌ مَيَّزَهُ عَنْ طَبَقَتِهِ . فَاسْتَخْلَصَ مِنْ أَعْدَاءِ عِيسَى لُغَةً ، مِنْهُمْ  
عَبْدُ الْمَلِكِ الْعِزَّيْرِيُّ وَأَبُو الْعَبَّاسِ بْنُ ذَكْوَانَ ، فَزُيِّنَ لَهُ التَّقَدُّمُ عَلَيْهِ . وَهَرَفَهُ



العجز يرى ما تهياً لكافور الأسود مولى محمد بن طنج صاحب مصر من الملك  
باسم مولاه تلك المدة الطويلة ، وأن محله فوق محل ذلك بابيضاض النفس  
والجلد ، واكتمال الفضل والمعرفة . فأصغى له طرفه وتدبر برأيه ، وحمل مولاه  
على أن قدم عبد الملك الجزيري إلى خطة الوزارة . فعارض عيسى في كل أمر  
حتى كاد يسقطه لولا استخذه <sup>(١)</sup> عيسى له . ثم اعتل عبد الملك المظفر ، فانفرد  
طرفه بخدمته ، وكثر الإرجاف به ، فحمله <sup>(٢)</sup> ابن الجزيري بغية وسوء رأيه ،  
وجسره على أن يضبط الأمر لنفسه باسم الطفل مولاه ، على رسم كافور  
الذي ذكرناه .

ثم رأى المظفر أن يخرج عسكرياً إلى شرق الأندلس لإتفاق ما فيه من  
الأطعمة ، فهش فتاة طرفه لذلك ، وسأل مولاه أن يخرج معه عيسى الوزير  
وقد أسر الإيقاع به ، فأجابه مولاه لذلك ؛ فأخذ في التجهيز وأسرف فيما أتاه ،  
ولم يبق من وجوه القواد وصنوف العدد والعتل وكراهم النجائب عند مولاه  
إلا ما لا قدر له حتى صار في أبهة الملوك . وأخذ الوزير عيسى في الخروج معه ،  
فتأقل له ، وأحس بالشر في صحبته ، ورأى الانفراد بالمظفر في ذلك ، فلم يمكنه  
لضبط طرفه باب مولاه ؛ فألقى عيسى بنفسه إلى مفرج صاحب مدينة الزاهرة  
ثقة المظفر واستغاثه <sup>(٣)</sup> لمخفته . فوصل له رقعة إلى المظفر شرح فيها مراد طرفه .  
عند ذلك <sup>(٤)</sup> أتى من مأمينه <sup>(٥)</sup> واستعفى الخروج معه ، فلم يساعفه مولاه <sup>(٥)</sup> .

(١) رسم الكلمة في الأصل : استخدام .

(٢) كذا في الأصل . ولعلها : فجمل له أو فجمله على .

(٣) في الأصل : استغاثته .

(٤) في الأصل وأتى .

(٥ — ٥) مقتضى السياق أن المظفر أجاب رجاء عيسى في التخلف وأن طرفه استعفى

من الخروج أيضاً فلم يجب رجاءه ، فلفظ « معه » في السطر الأخير زائد .



فَنَفَذَ لَطِيفَتَهُ ، وَالْعُجْبُ يَقُودُهُ وَالْحَيْنُ يَسُوقُهُ . وَخَلَا وَجْهُ الْمَظْفَرِ لِعِيسَى بَعْدَهُ ،  
 وَذَكَرَ لَهُ أَشْيَاءَ حَقَّقَ بِهَا عَلَى طَرَفَةٍ . وَتَعَجَّلَ الْمَظْفَرُ الْخُرُوجَ إِلَى غَزْوَتِهِ إِثْرَ  
 طَرَفَةٍ ، فَخَرَجَ مَعَهُ وَزِيرُهُ عِيسَى ، وَالْجَزِيرِيُّ يَغَالِطُهُ فِي الْقَدَحِ فِي طَرَفَةٍ ،  
 وَفِي قَلْبِهِ مِنْ عِيسَى النَّارُ الْمُتَضَرِّمَةُ ، وَعِيسَى أَعْلَمُ النَّاسِ بِنِفَاقِهِ ، وَأَحْبَثُهُمْ فِي سَفْكَ  
 دِمِهِ . فَلَمَّا صَارَ عَبْدُ الْمَلِكِ إِلَى بَعْضِ الطَّرِيقِ دَبَّرَ عِيسَى عَلَى ابْنِ الْجَزِيرِيِّ أَنْ  
 يَنْصَرِفَ إِلَى الْحَضْرَةِ لِيَحْصُلَ قَبْضُ بَقَايَا الْخَرَاجِ وَالنَّفَقَاتِ ، وَلَمْ يَحْسَبْ بِمَا  
 دَبَّرَ عَلَيْهِ وَعَلَى صَاحِبِهِ . فَلَمَّا وَصَلَ الْمَظْفَرُ سَرَقُسْطَةَ ، وَطَرَفَةُ مَرْتَقِبٌ قُدُومَ  
 مَوْلَاهُ عَلَى مَقْرُبَةٍ مِنْهَا ، دَخَلَ فِي أَتْبَعَتِهِ وَتَعَبَّتِيهِ وَصَارَ إِلَى قَصْرِ مَوْلَاهُ مُدْلًا  
 بِمَنْزِلَتِهِ ، فَعُدِلَ بِهِ عَنْ مَجْلِسِهِ وَلَمْ تَقَعْ عَيْنُ الْمَظْفَرِ عَلَيْهِ ، وَقُيِّدَ لَوْقَتِهِ ، وَأُخْرِجَ  
 إِلَى الْجَزَائِرِ الشَّرْقِيَّةِ . فَلَمْ يَكُنْ بَيْنَ دُخُولِهِ سَرَقُسْطَةَ أَمِيرًا وَخُرُوجِهِ عَنْهَا أَسِيرًا  
 إِلَّا سَاعَةً . وَاتَّخَذَ النَّاسُ حَدِيثَهُ عَجَبًا . ثُمَّ أَنْفَذَ الْمَظْفَرُ إِلَى الْحَضْرَةِ بِضَمِّ  
 عَبْدِ الْمَلِكِ الْجَزِيرِيِّ إِلَى الْمُطَبِّقِ بِالزَّاهِرَةِ . وَكَتَبَ عِيسَى الْوَزِيرُ إِلَى مُفَرِّجِ  
 الْعَامَرِيِّ وَإِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَسْلَمَةَ ، وَكَانَا مِنْ أَعْدَاءِ ابْنِ الْجَزِيرِيِّ ، وَحَرَّضَهُمَا  
 عَلَى إِبَادَتِهِ ؛ فَأَدْخَلَ عَلَيْهِ فِي مُطَبِّقِهِ قَوْمٌ مِنَ الشُّودَانِ وَخَنَقُوهُ ، وَأَشْمَعَ مَوْتَهُ  
 وَأَخْرَجَ مَيِّتًا بَعْدَ أَيَّامٍ ، وَأَسْلَمَ إِلَى أَهْلِهِ وَلَا أَثَرَ بِهِ ، وَدُفِنَ فِي شَوَالِ سَنَةِ  
 أَرْبَعٍ وَتِسْعِينَ . فَضُرِعَ مِنْهُ — رَحِمَهُ اللَّهُ — يَوْمَئِذٍ فَارِسُ نَثْرِ وَنِظَامٍ ، وَمُزَقَّ  
 بِقَتْلِهِ وَشَى الْكَلَامِ . وَكَانَ يُشَبِّهُ فِي ذِكَاثِهِ وَأَدْبِهِ مَعَ عَقْرَبِيَّةِ الطَّبَعِ وَكَثْرَةِ  
 الضَّرِّ وَقِلَّةِ النِّفْعِ ، مُحَمَّدُ بْنُ الزِّيَّاتِ فِي ذَلِكَ الصُّمْعِ . أَخْبَرَنِي أَبِي خَلْفُ بْنُ حُسَيْنٍ  
 قَالَ : سَأَلْتُ الَّذِي تَوَلَّى قَتْلَ ابْنِ الْجَزِيرِيِّ فِي مَحْبِسِهِ لِيَجْعَلَ يَصِفُ لِي سَهْوَةَ مَا عَانَاهُ  
 مِنْهُ لِقِضَافَتِهِ وَضَعْفِ أَسْرِهِ ، وَيَقُولُ : مَا كَانَ الشَّقِيُّ إِلَّا كَالْفَرْوَجِ فِي يَدَي .  
 دَقَقْتُ رَقَبَتَهُ بِرَكْبَتِي فَمَا زَادَ أَنْ نَفَخَ فِي وَجْهِهِ . فَعَجِبْتُ مَنْ جَهِلَ هَذَا الْأَسْوَدُ .

٥

١٠

١٥

٢٠



رجعُ ما انقطع : وكان صاعدٌ قد طُوبَ في أخرياتِ تلكَ الدولة . وانتهت  
به الحال ، إلى أن أُغْرِمَ في خبرِ طويلٍ مائةَ مِثقال ، فاستغاثَ على ابنِ وداعةَ  
أحدَ الفرسانِ الأبطالِ ونهباءِ الدولة كانَ في ذلكَ الأوان ، وكتبَ إليه رقعةَ  
قالَ فيها .

- ٥ إني على وهنى ، وما أخذَه الدهرُ مني ، ونَحْتَه من قِدْحِي ، لأربأَ بالفضلِ  
أن يَنْحَطَّ إِلَّا في مَصَانِهِ <sup>(١)</sup> ، وَيُحَلَّ رَحْلُهُ في غيرِ مَعَانِهِ <sup>(٢)</sup> ، فلم أَحْوِمْ على أحدٍ  
طيرَ رجائي ، ولا رَمَقْتُ بأملٍ إِلَّا من نَوْه الله باسمِهِ ، وناسبَ بين أحواله ،  
وشابهَ بينَ خِلاله ؛ فسبحانَ من جعلَ سِنَانَكَ عِدْلَ لِسَانِكَ ، وبيانَكَ كُفَّ  
طِعَانِكَ ، فالألسنُ تتنادمُ على وصفِكَ ، والقلوبُ تعاقِرُ خِمرَةَ حُبِّكَ ، خَبِيثَةُ  
أَذَاعِهَا اللهُ مِنْكَ ، وذخيرةُ أَرْزَها الدهرُ بك . وما زلتُ في الأيامِ التي تعرفُها  
مُنْقَبًا عن محاسنِكَ ، بِحَثَاثَا لَا تَارِكَ بِالْعُدُوِّ وَذَوَاتِهَا ، ومقارعتِكَ الأهوالَ ،  
وَمُصَاصِعَتِكَ الأبطالَ ، عاركا بِجَبِينِكَ شَوْكَةَ الأَسِنَّةِ ، وَمُنَاجِيًا أَطْرَافَ الأَعْنَةِ ،  
فَأَذْكُرُ بِكَ صَعَالِيكَ الْعَرَبِ وَذُؤْبَانَهَا ، وشُعْرَاءَ الْفَرَسَانِ وَغِرْبَانَهَا <sup>(٢)</sup> ، كَعَفْتَرَةَ  
وَزَيْدِ الْخَيْلِ ، وَأَنْتَ يُمْنُ السَّرِيَّةِ وَقَرْنُ الْكِتَابَةِ ؛ وَغَارَةُ قَوْمِكَ مِنْ سُلَيْمٍ  
عَلَى فِزَارَةَ وَنَذِيرُهَا يَهْتَفُ : أَتَيْتُمْ يَا فِزَارَةَ هَذِهِ سُلَيْمٌ وَالْمَوْتُ ! وَأَنَا ابْنُ عَمِّكَ  
١٥ مِنْ رَبِيعَةٍ ، إِذْ هِيَ وَسُلَيْمٌ أَحْلَافٌ ، فَالْعَدْنَانِيَّةُ تَلْفَنَّا ، وَالنَّسَبُ يَضُمُّ شَعْبَنَا .  
وَفِي الْبَلَدِ مَنْ وَتَرَنِي فَاسْتَقَادَ مِنْهُ لِسَانِي ، وَظَلَمَنِي فَانْتَصَرَ لِي حِمَاةُ كُمَاتِي ، فَأَرْسَلْتُهَا  
فِيهِ شُعْثًا قِبَاحًا ، موروثةً فِي الْأَعْقَابِ ، خالدةً عَلَى الْأَحْقَابِ ، أَشْرَدَ مِنْ نَعَامَةٍ ،  
وَأَلْزَمَ لَهُ مِنْ طَوَقِ الْحَمَامَةِ ، فَهُوَ يَبْغِي الْغَوَائِلَ ، وَيَبْثُ لِي الْحَبَائِلَ .

(١) في الأصل : مضانه ... مغانه .

(٢) في الأصل : عربانها .

ومن شعره فيه :

أبا حسنٍ ربيعةٌ من سليمٍ      سنانُ زانَ عاليةَ الرماحِ  
وإني عائذُ بك من هَناقِ<sup>(١)</sup>      نَحْتَنَ دعائِي نَحْتَ القِداحِ  
فَنُكِرَ على ابنِ عمِّك وانتشلهُ      فليسَ حمى ابنِ عمِّك بالمُباحِ  
فإنَّ الجارَ عندك بينَ جنبي      عُقابِ الدَّجْنِ كاسرةِ الجناحِ

ومنها في المدح :

تَصَدُّ الخيلُ باسمك في غديرٍ      على ظمأٍ عن الماءِ القَرَّاحِ  
تَظُنُّكَ طالِعاً ببنى سُلَيمٍ      عليها عندَ مُفْتَضَحِ الصُّباحِ  
إذا سَاورتَ قِرْنَكَ في مَكْرٍ      جعلتَ له ذِرَاعَكَ كالوشاحِ

فما انتفع بعلي بن وداعة ، ولا كانت له فيه شفاعاة .

وكان خاطباً أيضاً هشام بن الحكم الخليفة في تلافى حاله ، فما أصغى له لزُهدِه فيه وفي أمثاله . وعُوْجِلَ<sup>(٢)</sup> على بن وداعة وقتل في خبرٍ طويل ، فانسَدَّ بابُ الفهمِ بقرطبة يومئذٍ وطَمَسَتِ العبيدُ العاقبونَ له رسمه ، وأيسَ ذُوءُ الأحسابِ منهم ، فتفرقوا شذَر مَذَر ، ولم يبقَ بها منهم مَنْ له خَطَر . وتَنَاصَرَتِ خِلالُ المَكْرُوهِ فيما بعدُ على صاعدي بارتجاجِ الفتنَةِ ، غلاء سِغَرٍ ورِخَصُ شِعْرٍ ، حتى اختلَّ وعَجَزَ عن سترِ ولده وأهله . وبخَلَ هشامُ على ذلك كُلِّه بتسريحِهِ والإذنِ له في الانطلاقِ عن الأندلسِ فرَقاً من خُبثِ لسانِهِ . فخرَجَ مُستَخْفِياً وِجَارَ بِشَاطِطِشٍ على يدِ أبي زيدٍ البكري رَئِيسِها سنة ثلاثٍ وأربعمائة ، فاتصلَ بصاحبِ صِقْلِيَّةٍ ، وفارقَ البؤسَ وراجَعَ النِّعْمَةَ . ثم رَجَعَ

(١) الهناة أي الداهية مفرد جمعها هنوات واستعملها صاعد هنا جمعاً .

(٢) في الأصل : وعوجل .



إلى الأندلس إثر غلبة سليمان والبرابر على قرطبة مُستخِرِجاً لمن تخلّف بها من أهله وولده . وتعرّض أيضاً لمديح سليمان فما أنجح معه ولا أفلح . وقد كان استطرف أول دولته « فرثمه رِمانَ العلوق<sup>(١)</sup> » ولم يقره قرصاً لاستحالتِه عن فعل الجليل مُجَلَّة . ثم عجل الانكفاء إلى صقلية ، ومات بها رحمه الله سنة عشر وأربعمائة .

قوله : « جعلت له ذراعك كالوشاح » أخذه من قول أمير<sup>(٢)</sup> يزيد ابن الصّعق :

تركتُ الركابَ لأربابها وأكرهتُ نفسي على ابنِ الصّعق  
جعلتُ يَدَيَّ وشاحاً له وبعضُ الفوارسِ لا يُعتنقُ

- ونعقب أخبار صاعدي بمصادر وموارد من أخبار ابن أبي عامر ، منسوقة  
الأوائل والأواخر ، مقيّدة العيون والنوادر . ونلّمع بشيء من الأسباب التي  
ذلت له الصّعاب ، وأخضعت له الرقاب . وإنما نعتمد من الأخبار أشهرها  
بسوقاً ، وأخصرها طريقاً ، وأسمها بالأدب رِجماً ، وأشبهها بفرض هذا الكتاب  
أرضاً وسماً . وبحسبنا من دولة ابن أبي عامر أن ننقل نصّ ابن حيان ؛ كيف  
طلعت نجومها ، ومن أين نشأت غيومها ، ونُتلي ذلك كيف مال<sup>(٣)</sup> ظلّها  
واضطرب حبلها ، إذا كثُر ما يقال للحاضر من أين طلع ، وللغابر الدابر  
ما صنع . ونهاية المراد ، علمُ السكون والفساد .

تلخيصُ التعريف بدولة ابن أبي عامر من الأول إلى الآخر

هو أبو عامر محمد بن عبد الله بن عامر بن أبي عامر محمد بن الوليد بن

(١ - ١) رسم المجلة في الأصل : فرسه رمان العلوى .

(٢) في الأصل : أبي يزيد (٣) رسمها في الأصل : « ما ظلها » .



يزيد بن عبد الملك المعافري . وعبد الملك جدّه هو الداخل بالأندلس مع طارق  
مولى موسى بن نصير فى أول الداخلين من المغرب . وهو فى قومه وسيط . ونقلت  
من خطّ ابن حيان ، قال : انتهت خلافة بنى مروان إلى الحكم تاسع الأئمة  
فيها ، فتناهت فى السُّرور والجلالة والكمال والأبهة ؛ ونظم رواة الأخبار وحمله  
الأنار من مناقبه ما طار كل مطار فى جميع الأقطار ، إلا أنه — تَعَمَّدَ اللهُ  
خطايه — مع ما وُصف من رجاحته ، كان ممن استهواه حبُّ الولد وأفرط  
فيه ، وخالف الحزم فى توريثه الملك بعده فى سنّ الصِّبا ، دون مَشِيخَةِ الإخوة  
وفتيان العشيرة ومن يكمل للإمامة بلا محاباة ، فرط هووى ووهلة انتقدها  
الناس على الحكم وعدّوها الجانية على دولته . وقد كان يعميها على ولد العباس  
قبله ، فأتاها هو مختاراً ولا مردّ لأمر الله . وذلك أنه نفّس بسلطانه على ثلاثة  
رجال من إخوته ولد الناصر : عبد العزيز شقيقه والأصبغ والمغيرة ، مع جماعة  
من ولد الخلفاء كهول وشبان ، ما فيهم إلا مضطّلع للأمر قوى عليه . فتخطى  
جماعتهم إلى ابنه هشام وهو فى الوقت طفل ما بلغ الحلم . قال ابن بسام :  
وحدثت عن أحمد بن زياد عن محمد بن وضاح عن رجل يتكلّم فى الحديثان ،  
أنه قال : لا يزال ملك بنى أمية بالأندلس فى إقبال ودوام ما توارثه الأبناء  
عن الآباء ، فإذا انتقل إلى الإخوة وتوارثوه بينهم فقد أدبر وانصرف . فلعل  
الحكم بهذا الخبر توهم ، فجاذبه عن إخوته ؛ وإن كان ذوّ اللب والنظر  
لا يلتفتون إلى مثل هذا الخبر .

رجع الخبر إلى ابن حيان : وكان جودر وفائق فتيا الحكم قد أخفيا  
موته ، ودبروا على صرف البيعة إلى أخيه المغيرة ، وكان قال له فائق : إن هذا  
لا يتم لنا إلا بقتل جعفر المصحفى . فقال له جودر : ونستفتح أمرنا بسفك دم



- شيخ دولة مولانا ! قال له : هو والله ما أقول لك . ثم بعثا إلى المصحفي ونعيا إليه الحكم ، وعرفاه برأيهما في المغيرة ، فقال لهما المصحفي : وهل أنا إلا تبعكما وأنتما صاحبا القصر ومدبرا الأمر ، ولكما الرأي فيما قلتماه ؟ فأخذا في تدبير ما رآياه . وخرج المصحفي وجمع حاشيته وجنده ، ونعى إليهم الحكم وعرفهم مذهب جؤذير وفائق في المغيرة . وقال : إن بقينا على ابن مولانا كانت الدولة لنا ، وإن بدلنا استبدل بنا . فقالوا الرأي رأيك . فبادر المصحفي ببعثه محمد بن [أبي] عامر مع طائفة من الجند وقته إلى دار المغيرة لقتله . قال ابن أبي عامر : فالفيت المغيرة مطمئنا لا خبر عنده ، فنعيت إليه أخاه الحكم فخرع ، وعرفته جلوس ابنه هشام في الخلافة . فقال : أنا سامع مطيع . فسكرت إلى جعفر بحاله وبالصورة التي ألقىته عليها من السلامة . فراجعني جعفر المصحفي وهو يقول : غررنا ، اقض عليه وإلا وجهت غيرك من يقتله ! فقتل رحمه الله خنقا . وكانت علة الحكم الفالج ، وكان تقدمه عبد العزيز أخوه بمديدة ، وتعطل أخوه الأصبغ ببطالة أزالت عنه الرهبة . فذهبت عن جعفر بن عثمان فيهما الحزة<sup>(١)</sup> ، وتوفر اهتمامه بعدها بالمغيرة . وكان فتى القوم كرماء ورجلة ، ومن أشير نحوه بالأمر بأسباب باطنة<sup>(٢)</sup> ، فأخذ له أهبتة ؛ فلما قضى الحكم نحبه ليلة الأحد الثالثة من صفر سنة ست وستين ، بادر بالمغيرة على الصفة المذكورة .

- وافتح المصحفي أمره بعد بإيثار النصفة ، وأطراح الكبر . وكان أول ما أناه من ذلك صدر تقلده حجابة هشام — وقد رفع فراشه فوق فراش الوزراء أصحابه ، وأبدل بالكتان الديباج على سالف العادة — أن قال : إني أستحي من

(١) كذا في الأصل . (٢) في الأصل : وبأسباب باطنة .



أصحابي أن أتمهد أفضل من فرشهم ، مع عجزى عن درك شأوهم ، غير أنا  
نسلم لأمير المؤمنين اختياره ، فإما يساوى بيننا في فرش كرامته ، وإما أقرنا  
على الأمر الأول ولا كفران لنعمته . فأفرش للجميع ، مدّ زال فرش الديباج ،  
فرش السكتان ، فخرى عليهم الرسم إلى آخر الزمان . واستحسن فعل جعفر  
يومئذ وعد من غوره . وعول جعفر في سائر أوقات دولته على هذا النوع  
من السياسة ، فلزم التواضع للناس ، وأطلق لهم البشر والآن كنفه ووطأ خلقه ،  
ورأى أنهم بذلك يصلحون له ، دون البذل لذات اليد والمواساة في النعمة ؛  
فاستأثر بالأعمال ، واحتجج الأموال ولم يفلهم ، وبني المنازل وهدمهم ، وشح  
بالنشب وسخى بهم . وعارضه من محمد بن أبي عامر ماجد أخذ معه بطرفي  
نقيض : بالبخل جوداً ، وبلاستبداد أثره ، [و] باقتناء الضياع اصطناع الرجال ،  
حتى غلبه عما قليل . وتحركت حال ابن أبي عامر لأول الدولة ، وشارك في  
التدبير بحق الوزارة ، وتقوى على أمره بنظره في الوكالة وخدمته للسيدة  
صُبْح أم هشام . وكانت حاله عند جميع الحرم أرفع الأحوال ، بقديم الاتصال ،  
وحسن الخدمة ، والتصدى لمواقع الإرادة ، وطلاقة اليد في باب الإلطاف والهدية ،  
فأخرج له أمر الخليفة هشام إلى حاجبه جعفر في الاستعانة به في التدبير  
والمشورة له في الأمور ، والاختصاص به على الجمهور . وكان جعفر لمحمد على  
بعض ما أريد منه ثقة به وسكونا إلى جهته ، فامثل ما أمر به في ابن أبي  
عامر لغفلته ، وتزيد في برّه ، وأشركه في سرّه وجهره . وانهمك<sup>(١)</sup> ابن أبي  
عامر في مغالطة جعفر ، وأراه أنه صاحبه الخاطئ لحاله ؛ وعول جعفر على رأي  
محمد ، ووصل يده بيده ، واستراح إلى كفايته ، وابن أبي عامر يكرر به ويُضرب



بين حسدته ، ويُناقضه في أكثر ما يعامل به الناس ، ويستعمل<sup>(١)</sup> إليهم بالبذل وقضاء الخوائج ، ويتقدم من المعالي إلى ما يُحجِمُ جعفر عنه ؛ يستضمُّ الرجال وجعفر يدفعهم ، ويزيدهم جعفر ينقضهم ، يظنُّ أنه كلُّ يحمله عنه ، فيالك من جامعٍ لمحمدٍ ومفرِّقٍ عن جعفر ! إلى أن هوى نجمه وزال أمره .

- وكان أول اتصال ابن أبي عامر بالحكم أنه وُصف له فاستخلف على قضاء كورة ربه ، ثم تصرف في وكالة صُبْحٍ أم هشام ، فاضطلع بكل ما قلده ، واستهوى هذه<sup>(٢)</sup> المرأة بحسن الخدمة — وهي الغالبة على الحكم — فأزلفتها . وولى الشرطة والسكة والمواريث . والسكة يومئذ أعلى الخطط في الإفادة . وقرن له بهذا كله القضاء بأشبيلية ، فعلت حاله وعرض جاهه ، وعمر بابه في حياة الحكم ، ومهمته ترتبى به وراء ما يناله من الدنيا أبعد مرمى ، وهو في كل ذلك يغدو إلى باب جعفر ويروح ، ويختص به ويتحقق نصيحته ، إلى أن أحظاه الجد وساعده القضاء ، فأسقط جعفرًا . فلما انفرد بشأنه وتمكَّن من سلطانه ، توثق لنفسه وحصن حاله ، ورمى إلى الغرض الأقصى من ضبط الملك والحجر عليه والاستبداد دونه . وامتثل رسم المتغلبين<sup>(٣)</sup> على سلطان ولد العباس بالشرق من أمراء الديلم في عصره ، فنال بُغيتَه ، وتهنأ معيشته ، وأورثه عقبه بعده ، من غير اقتدار عليه بجندٍ خاص ولا صيالٍ بعشيرة ولا مُكاثرةٍ بمال ولا عُدَّة ، بل رمى الدولة من كنفاتها ، وعدا عليها بأعضادها ، وانتضلها<sup>(٤)</sup> بمشاقصها ، وأنفق على ضبطها أموالها وعُددها ، حتى حوَّها إليه ، وسبكها في

(١) كذا في الأصل ولعلها : ويستميلهم .

(٢) في الأصل : بهذه .

(٣) رسم الكلمة في الأصل : المستغلبين .

(٤) في الأصل : وانتضلها .

قَالِيهِ ، وَسَلَخَ رَجَالَهَا بِرَجَالِهِ ، وَعَفَى رُسُومَهَا بِمَا أَوْضَحَ مِنْ رُسُومِهِ ، وَأَسَقَطَ رَجَالَ  
الْحَكَمِ مِنْ سَائِرِ الطَّبَقَاتِ : وَالْكِتَابِ وَالْعَمَالِ وَالْقُضَاةِ وَالْحَكَّامِ وَأَصْحَابِ  
السُّيُوفِ وَالْأَقْلَامِ وَمَزَقَهُمْ ، وَأَقَامَ بِأَزَانِهِمْ مِنْ تَخْرِيجِهِ وَاصْطِفَاعِهِ رَجَالًا  
سَدُّوا مَكَانَهُمْ ، وَمَحَوْا ذِكْرَهُمْ ، أَعَانُوهُ عَلَى أَمْرِهِ .

• وَأَوَّلُ عُرُوَّةٍ فَضَّ ابْنُ أَبِي عَامِرٍ مِنَ عُرَى الْمُلِكِ جَمَاعَةَ الصَّقَابِ ، اسْتَخْرَجَ  
مِنْهُمْ بِأَسْبَابِ الْمَصَادِرَةِ أَمْوَالًا جَمَّةً اسْتَأْثَرَ بِأَكْثَرِهَا ، وَتَتَبَعَ لَذَلِكَ كُتَابَهُمْ  
وَأَسْبَابَهُمْ وَقَتًا بَعْدَ آخَرٍ ، وَتَقَسَّمَتْهُمْ أَيْدِي الْقَدَرِ نَفِيًّا وَقَتْلًا ، صَبْرًا وَغَلْبَةً ،  
سِرًّا وَعِلَانِيَةً ، حَتَّى هَلَكُوا عَنْ <sup>(١)</sup> آخِرِهِمْ فِي أَسْرَعِ مُدَّةٍ . وَاخْتَلَفَتْ مَقَاتِلُهُمْ  
بِحَسَبِ اسْتِيفَائِهِمْ مُدَدَ أَعْمَارِهِمْ ، فَلَمْ يَصِحَّ لِي تَارِيخُ ذَلِكَ عَلَى حَقِيقَتِهِ . فَكَانَتْ  
تِلْكَ الطَّائِفَةُ أَوَّلَ مَنْ ظَهَرَ انْتِقَامُ اللَّهِ تَعَالَى بِابْنِ أَبِي عَامِرٍ مِنْهَا ؛ فَكَانُوا جَبَّارِينَ  
قَاسِطِينَ فِي بِلَادِهِ ، مَتَمَرِّدِينَ عَلَى عِبَادِهِ ، فَأَرْسَلَهُ بِقُدْرَتِهِ عَلَى هَذَا النَّمَطِ مِنْ  
خَلْقِهِ فَأَبَادَهُمْ ، وَنَجَّى أَهْلَ السَّلَامَةِ مِنْ سَوْرَتِهِ ، وَتِلْكَ عَادَتُهُ تَعَالَى فِي مَنْ نَسَكَبَ  
عَنْ سَبِيلِهِ .

١٠ ذَكَرُ دِفَاعِ ابْنِ أَبِي عَامِرٍ الْعَدُوَّ صَدَرَ الدَّوْلَةِ وَقِيَامِهِ بِالْجِهَادِ دُونَ الْجَمَاعَةِ  
وَتَوَصُّلِهِ بِذَلِكَ إِلَى تَدْيِيرِ الْمُلِكِ

١٥ قَالَ ابْنُ حَيَّانَ : وَجَاشَتْ النُّصْرَانِيَّةُ بِمَوْتِ الْحَكَمِ ، وَخَرَجُوا هَلِي أَهْلَ  
الشُّغُورِ ، فَجَاءَ صُرَّاءُخُهُمْ إِلَى بَابِ قُرْطُبَةَ فَلَمْ يَجِدُوا عِنْدَ جَعْفَرٍ غَنَاءً وَلَا نُصْرَةً .  
وَكَانَ مِمَّا غَرَّبَ بِهِ لُجْبُنُهُ وَعَظِيمِ أَفْنِهِ أَنْ أَمَرَ أَهْلَ قَلْعَةِ رِبَاحِ <sup>(٢)</sup> بِقَطْعِ سَدِّ  
نَهْرِهِمْ آتَةَ لُغْمِهِ وَسُوءِ دِجْلَتِهِ ، يَلْتَمَسُ بِذَلِكَ دِفَاعَ الْعَدُوِّ عَنْ حَوَازَتِهِ ؛ لَمْ



تَنَسَّعَ حِيلَتُهُ لَا كَثُرَ مِنْ ذَلِكَ مَعَ وَفُورِ جَيْشِ السُّلْطَانِ يَوْمَئِذٍ وَجُومِ أَمْوَالِهِ ،  
فَكَانَتْ مِنْ سَقَطَاتِ جَعْفَرِ الْمَأْثُورَةِ ؛ فَأَنِفَ ابْنُ أَبِي عَامِرٍ مِنْ تِلْكَ الدَّنِيَّةِ ،  
وَأَشَارَ عَلَى جَعْفَرٍ بِتَجَرِيدِ<sup>(١)</sup> الْجَيْشِ لِلجِهَادِ ، وَخَوْفَهُ سُوءَ الْعَاقِبَةِ فِي تَرْكِهِ ،  
وَأَجْمَعَ الْوُزَرَاءُ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا جَمَاعَةً خَافُوا عَنْهُ ، فَبَادَرَ ابْنُ أَبِي عَامِرٍ إِلَيْهِ وَوَعَدَ  
مِنْ نَفْسِهِ الْإِسْتِقْلَالَ بِهِ عَلَى أَنْ يَخْتَارَ الرِّجَالُ ، وَيُجَهَّزَ لَغَزْوَتِهِ مِائَةُ أَلْفٍ مِثْقَالٍ ،  
فَنَفَرَ بِالْجَيْشِ وَدَخَلَ عَلَى الشَّعْرِ الْجَوْفِيِّ إِلَى جَلِيقِيَّةٍ ، فَنَازَلَ حِصْنَ الْحَامَةِ مِنْ  
أَعْمَالِ رُدْمِيرَ ، فَدَخَلَ رَبَضَهُ وَأَفْشَى النَّسْكَاءَ وَغَنِمَ ، وَقَفَلَ وَوَصَلَ الْحَضْرَةَ  
بِالسَّبْيِ إِلَى اثْنَيْنِ وَخَمْسِينَ يَوْمًا ، فَعَظُمَ السَّرُورُ وَخَلَّصَ الْجُنْدُ لَهُ ، وَاسْتَهْلَسُوا  
فِي ظَاعَتِهِ لِمَا رَأَوْهُ مِنْ كَرَمِهِ .

- ١٥ | ٤٦ حدثني أبي خلف بن حسين قال : تذاكرنا جُودَ ابْنِ أَبِي عَامِرٍ يَوْمًا ،  
وَبِالْحَضْرَةِ مُحَمَّدِ بْنِ أَفْلَحِ غَلَامِ الْحَكَمِ ، فَقَالَ عِنْدِي مِنْ جُودِهِ غَرِيبَةٌ : أَنْكِحْتُ  
بَنَتِي عَلَى عَهْدِ مَوْلَانَا الْحَكَمِ وَالْحَالُ بِنَاضِيقَةٍ ، فَاضْطُرَرْتُ لِمَا أُصْلِحُ بِهِ حَالَ  
الْجَارِيَةِ إِلَى بَيْعِ إِيْجَامٍ جُلِّيٍّ ثَقِيلِ الْوِزْنِ رَدَى الْعِيَارِ ، وَكَانَ عِنْدِي لِزَيْنَتِي  
أَيَّامَ الْمَرَاكِبِ ، وَتَقَاعَدَ فِيهِ التِّجَارُ فَانْقَطَعَ بِي أَمْلِي ؛ فَوَقَعَ فِي نَفْسِي قَصْدُ ابْنِ  
أَبِي عَامِرٍ صَاحِبِ السَّكَّةِ لِلذَّائِعِ مِنْ كَرَمِهِ ، وَأَعْظَمُ رَغْبَتِي أَنْ يُضْرَبَ لِي فِي  
السَّكَّةِ دَرَاهِمٌ ، فَقَصَدْتُهُ وَعَرَفْتُهُ رَغْبَتِي ، فَسَارَعَ بِأُتْلُقِ وَجْهِي وَقَالَ : سِرْ إِلَى  
بِدَارِ الضَّرْبِ ؛ فَجِئْتُهُ وَأَوْصَلَنِي إِلَى نَفْسِهِ وَالدَّرَاهِمِ الْمَطْبُوعَةِ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَأَوْمَأَ  
إِلَيَّ فَأَخْرَجْتُ الْإِيْجَامَ وَأَنَا خَائِفٌ مِنْ صَرَفِهِ لِسُقُوطِ عِيَارِهِ ، فَوَاللَّهِ مَا نَظَرَ إِلَيْهِ  
وَلَا عَايَرَهُ ، وَرَاطَلَنِي وَاللَّهِ بِاللَّجَامِ بِحَدَائِدِهِ وَسُيُورِهِ . فَأَخَذْتُ مَا لَمْ يَدُزْ فِي  
وَهْمِي أَنِّي أَظْفَرُ بِمِثْلِهِ . وَعَظَّمَ ابْنُ أَبِي عَامِرٍ فِي عَيْنِي ، وَقَمْتُ عَنْهُ وَحِجْرِي



مَلَانُ وَلَا أَصَدَقُ بِمَا حَصَلَتْ عَلَيْهِ ؛ فْجَهَزْتُ بِنْتِي وَفَضَّلَ لِي شَيْءٌ لَا يَكْفِينِي ؛  
وَقُلُّ مَوْلَايَ الْحَكَمُ فِي عَيْنِي وَأَحْبَبْتُ ابْنَ أَبِي عَامِرٍ ، حَتَّى لَوْ دَعَانِي إِلَى مَعْصِيَةِ  
الْحَكَمِ — وَهُوَ مَالِكٌ رَقِيَ وَإِمَامِي — لَمَا قَعَدْتُ عَنْهُ .

مُظَاهَرَةٌ غَالِبٍ مَوْلَى النَّاصِرِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي عَامِرٍ وَمُظَاهَرَتُهُ  
عَلَى الْمُصْحَفِيِّ إِلَى أَنْ أَسْقَطَهُ وَمَاتَ فِي سَجْنِهِ

قَالَ ابْنُ حَيَّانَ : وَكَانَ بَيْنَ الْمُصْحَفِيِّ وَغَالِبٍ صَاحِبِ مَدِينَةِ سَالِمٍ وَشَيْخِ  
الْمَوَالِي وَفَارِسِ الْأَنْدَلُسِ غَيْرَ مُدَافِعٍ أَشَدَّ مَا كَانَ بَيْنَ اثْنَيْنِ مِنَ الْعَدَاوَةِ وَالتَّقَاطُعِ .  
فَأَهَمَّ الْمُصْحَفِيَّ شَأْنُهُ ، وَنَظَرَ الْوُزَرَاءُ فِي مَا بَدَأَ مِنْ تَشَاقُلِهِ فِي الذَّبِّ عَنِ الثَّغْرِ ،  
فَأَشَارُوا بِاسْتِصْلَاحِهِ . وَبَادَرَ بِذَلِكَ ابْنُ أَبِي عَامِرٍ لَمَّا أَرَادَهُ مِنْ مُظَاهَرَتِهِ ، فَلَمْ  
يَزَلْ يَقُومُ بِشَأْنِهِ وَيَخْدُمُهُ دَاخِلَ الدَّارِ مِنْ قِبَلِ الْحُرْمِ كَعَادَتِهِ حَتَّى تَمَّ عَلَى  
إِرَادَتِهِ ، وَخَرَجَ الْإِذْنُ أَنْ يُنْهَضَ غَالِبٌ إِلَى ثَنَى الْوِزَارَةِ وَيُدَبِّرَ جَيْشَ الثَّغْرِ ،  
وَابْنُ أَبِي عَامِرٍ جَيْشَ الْخُضْرَةِ . ثُمَّ خَرَجَ ابْنُ أَبِي عَامِرٍ إِلَى غَزَاتِهِ الثَّانِيَةِ ،  
وَاجْتَمَعَ بِهِ وَتَعَاقَدَا عَلَى الْإِبْقَاعِ بِجَعْفَرٍ . وَقَتَلَ ابْنُ أَبِي عَامِرٍ غَانِمًا ، وَبَعْدَ صَيْتِهِ .  
فَخَرَجَ أَمْرُ الْخَلِيفَةِ هِشَامٍ بِصَرْفِ الْمُصْحَفِيِّ عَنِ الْمَدِينَةِ ، وَكَانَتْ فِي يَدِهِ يَوْمَئِذٍ  
نُخْلَفَ عَلَيْهَا ابْنُهُ . فَخَرَجَ ابْنُ أَبِي عَامِرٍ نَحْوَ كُرْسِيِّهَا فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ وَانْخَلَعَ عَلَيْهِ ،  
وَلَا خَبَرَ عِنْدَ جَعْفَرٍ ، وَإِنَّ ابْنَهُ لَجَالِسٌ تَجَالَسَ فِي أَبْهَتِهِ ، حَتَّى صَعِدَ ابْنُ أَبِي  
عَامِرٍ نَحْوَهُ ، فَوَلَّى وَلَدُ الْمُصْحَفِيِّ الدُّبُرَ نَاكِصًا عَلَى عَقْبِهِ ، وَأَتْبَعَ بِذَابْتِهِ ، وَعَادَ  
إِلَى دَارِهِ . وَمَلَكَ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عَامِرٍ الْبَابَ بَوْلَايَتِهِ الشَّرْطَةَ ، وَأَخَذَ عَلَى جَعْفَرٍ  
وُجُوهَ الْحِيلَةِ ، وَخَلَّاهُ <sup>(٢)</sup> وَلَيْسَ بِيَدِهِ مِنَ الْأَمْرِ إِلَّا أَقْلُهُ . وَكَانَ ذَلِكَ — زَعَمُوا —



بتدبير غالب معه عند اجتماعهما بالثغر ، وقال له : سيظهر لك ذكرٌ بهذا الفتح  
ويشغلُ السرورُ أهله عن الخوض فيما تحدثه من قصة ، فإياك أن تخرج عن  
الدار حتى يُعزلَ جعفرُ عن المدينة وتقلدَها ، ويزول أمرُه عن الباب والدار  
ويتمَّ عليه التدبيرُ حتى يُزالَ عن الحجابة . ففعلَ ذلك وضبطَ المدينة ضبطاً  
أنسى به أهلَ الحضرة من سلف قبل من الكفاة أولى السياسة .

- وانهمك ابنُ أبي عامر في ضحبة غالب ؛ ففطنَ جعفرُ لتدبيرِ ابنِ أبي  
عامر عليه بعدَ وهلته<sup>(١)</sup> ، فكاتبَ غالباً يستصلحه وخطبَ أسماءَ بنتَه لابنَه  
عثمان ، فأجابَه غالبٌ لذلك ، وكادت تتمُّ مصاهرته له . وبلغَ ابنُ أبي عامر  
فقامت قيامته ، وكاتبَ غالباً يخوفُه الحيلة ويهيئُ منه الحقد . وألقى عليه أهلَ  
الدار وكاتبوه فصرفوا غالباً ؛ ورجعَ إلى محمد بنِ أبي عامر وأنكحَ ابنتَه أسماءَ  
منه وتمَّ العقدُ له في محرمِ سنة سبعٍ وستين ، وأدخلَ السلطانُ تلكَ الابنةَ إلى  
قصره وجَهَّزَها إلى محمد بنِ أبي عامر من قبله ؛ فظهرَ كلُّ الظهور ، واستوثقَ  
له التدبير ، وصارَ عنده جعفرُ لا شيء ، إلا أنه غالطه زمنه إلى أن أحكمَ  
أسبابَ صرفه . واستقدمَ السلطانُ غالباً وقلدهَ خُطَّةَ الحجابة مُشترِكاً مع  
جعفر . ودخلَ ابنُ أبي عامرٍ بأسماءَ بنتَه ليلةَ نيزوزِ العام المؤرخ ، وكانت أعظمَ  
ليلة عرسٍ بالأندلس . ولجعفرُ في ذلك رسالةً إلى السلطانِ حسنةً في بابها تملقُ  
فيها وتصنع ، وهو قد أيقنَ بالنسبة ؛ وكفَّ عن اعتراضِ ابنِ أبي عامر في  
شيء من التدبير . وابنُ أبي عامرٍ يداهنه ولا يكشفه ، وجعفرُ يشكُّ في أمره ؛  
قد استولى عليه الإديارُ والحيرة ، فلم يصحَّ له رأى ولا روية ؛ وانقبضَ الناسُ  
عنه ، وانثالوا على ابنِ أبي عامر إلى أن صارَ يغدو إلى قصرِ قرطبة ويروحُ



وحده وليس في يده من الحجابة سوى اسمها ، وابن أبي عامر قائمٌ بشروطها ؛  
 ينصبُ الحبائلَ لسقوطِ جعفر ، والأقدارُ السماويةُ تنجده . وكانت لله عند  
 جعفر في إثاره هشاماً بخلافته ، واتباعه شهوةً نفسه وحظاً دنياء ، وتسرعُه إلى  
 قتلِ المغيرةِ لأوّلِ وهلةٍ دونَ قصاصِ جريرة<sup>(١)</sup> استدركتُه دونَ إملاء ، فسأطَ  
 عليه من كان قدّر أنّه يتسلطُ على الناسِ باسمه . ولما اتفقتُ على جعفر هذه  
 الأسبابُ ، جدّ المقدارُ به وسخطَ السلطانُ عليه وعلى ولده وأنسابه وعلى أخيه  
 هشامٍ وسائرِ طبقتِهِ ، وطولبوا بالأموالِ وأخذوا برفعِ حسابٍ ما تصرفوا فيه  
 لأوّلِ الزمان . وأخذهم ابنُ أبي عامر بالخروجِ عنها ، وتوصّلَ بذلك إلى  
 استئصالِ أموالهم وانهالكِ حُرْمَتهم وأبشارهم ، واجتثاثِ أصولهم . وكان هشامُ  
 ابنُ أخى جعفر قد بلغَ من حسادته لابنِ أبي عامر أن سَرَقَ له في غزاته الثالثةِ  
 في طريقه رءوساً للنصارى كانت تُساقُ للحضرةِ ، فنَفَسَ فيها وأمرَ غلامانه  
 فصَبُّوها في النهرِ ، فقامت قِيامةُ ابنِ أبي عامر لذلك ، وكاشفَ آل<sup>(٢)</sup> عثمانَ  
 من ذلك اليوم ؛ وتجرّدَ لإبادتهم فاستبلغَ في مَسْكَروهِ هشامٍ وعاجَلَهُ بالقتلِ في  
 المُطَبِقِ قبلَ عمِّه جعفر ، فلما<sup>(٣)</sup> استقصى ابنُ عامر مالَ جعفر باعَ داره  
 بالرُّصافةِ ، وكانت من أعظمِ قُصورِ قُرطبة . واستمرّتْ النكبةُ عليه سنينَ ،  
 مرةً يُحبَسُ ومرةً يُحَلَّى ويُقرَّ بالحضرةِ وتارةً يسيرُ عنها ، ولا يُراحُ في الحالتينِ  
 من المُطالبةِ والأذى . إذا سَمِعَ<sup>(٤)</sup> ابنُ أبي عامرِ إغناثه وَكَلَهَ إلى غالبِ صهره  
 فيتولى كِبَرَه ، ويضعُ عَذَابَه . والأخبارُ عنهما في ذلك كثيرة . فلما بانَ  
 عجزُ جعفر وضعفه أُقِرَّ في المُطَبِقِ بالزهراءِ إلى أن وافاه<sup>(٥)</sup> هنالك حِمَامُه وأسلمَ

(١) في الأصل : ولا جريرة . (٢) في الأصل : الى .

(٣) في الأصل : حتى باع داره .

(٤) في الأصل : وفاه .



مَيِّتًا إِلَى أَهْلِهِ ؛ وَمَا تَرَكَ النَّاسُ بَعْدُ أَنْ عَدَّوْهُ فِي قَتْلِ ابْنِ أَبِي عَامِرٍ ، وَزَعَمُوا أَنَّهُ دَسَّ لَهُ شَرِبَةَ سَمٍّ قَضَتْ عَلَيْهِ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ كَاتِبُ ابْنِ أَبِي عَامِرٍ قَالَ : سِرْتُ مَعَ مُحَمَّدِ بْنِ مَسْلَمَةَ ثِقَّةِ ابْنِ أَبِي عَامِرٍ إِلَى الزَّهْرَاءِ لِنُسْلِمَ جَسَدَ جَعْفَرِ بْنِ عُثْمَانَ إِلَى أَهْلِهِ وَالْمَنْظَرِ <sup>(١)</sup> إِلَى عَيْنِهِ . وَسِرْنَا إِلَى مَنْزِلِهِ وَمَا غَطَّى جَسَدَهُ إِلَّا كِسَاءُ خَلْقٍ لِبَعْضِ الْبُؤَابِينَ أَقْبَاهُ عَلَى سَرِيرِهِ . وَدَعَا لَهُ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ بِغَاسِلٍ يَغْسِلُهُ عَلَى فَرْدِ بَابٍ اخْتُلِعَ مِنْ نَاحِيَةِ الدَّارِ . وَخَرَجْنَا بِنَعْشِهِ وَوَارِيْنَاهُ ، وَمَا جَسَرَ أَحَدٌ لَشَهْوَدِهِ مَعَنَا سِوَى إِمَامٍ مَسْجِدِهِ الْمُسْتَدْعَى لِلصَّلَاةِ عَلَيْهِ وَمَنْ حَضَرَهُ مِنْ وَلَدِهِ . فَعَجِبْتُ مِنْ عُدْوَانِ الزَّمَانِ بَعْدَ تَصْرِيفِهِ لَهُ ، وَإِنْ لِيَ بِالْإِعْتِبَارِ بِشَأْنِهِ فِي الْحَالَتَيْنِ مَعَ قُرْبِ الْمُدَّةِ الْمَوْعُظَةِ .

١٠

وَقَفْتُ لَهُ فِي طَرِيقِهِ مِنْ دَارِهِ وَقْتَ عِلَّةِ الْحُكْمِ ، وَقَدْ تَنَاهَى أَمْرُهُ فِي الْجَلَالَةِ أَرُومُ أَنْ أَتَاوَلَهُ قِصَّةً ، فَوَاللَّهِ مَا تَمَسَّكْتُ مِنَ الدُّنُوِّ إِلَيْهِ لِكثَافَةِ مَوَكِبِهِ ، وَأَخَذَ النَّاسُ الطَّرِيقَ عَلَيْهِ مَسْلَمِينَ وَسَائِلِينَ ، فَانْتَنَيْتُ حَسِيرًا مَبْهُوتًا . فَلَمْ تَطُلْ الْمُدَّةُ حَتَّى سَلَبَهُ ابْنُ أَبِي عَامِرٍ حَالَهُ وَقَبِضَ عَلَيْهِ ، وَجَعَلَ يَحْمِلُهُ فِي الْغَزَوَاتِ مَعَهُ . وَسِرْتُ فِي صُحْبَةِ ابْنِ أَبِي عَامِرٍ فَاتَّفَقَ لِي أَنْ نَزَلْتُ فِي بَعْضِ الْمَنَازِلِ بِجَلِيَّةٍ إِلَى جَنْبِ خِبَائِهِ . وَفِي لَيْلَةٍ نَهَى ابْنُ أَبِي عَامِرٍ عَنْ وَقُودِ النَّارِ لِيَخْفِيَ عَلَى الْعَدُوِّ مَكَانُهُ ، فَرَأَيْتُ وَاللَّهِ عُثْمَانَ بْنَ جَعْفَرٍ يَسْقِي أَبَاهُ جَعْفَرَ دَقِيقًا قَدْ خَلَطَهُ بِالمَاءِ يُقِيمُ أَوْدَهُ ، وَالشَّيْخُ يُحْسِوهُ وَيَحْرِصُ <sup>(٢)</sup> عَلَيْهِ ضَعْفَ حَالٍ وَعُدْمَ زَادٍ ؛ فَلَا أَنْسَى تِلْكَ الْمَوْعُظَةَ . وَمَا يَغْتَرُّ بِالْأَيَّامِ إِلَّا ضَعِيفُ الْعَقْلِ . وَكَانَ مَهْلِكُ جَعْفَرٍ فِيمَا أَخْبَرَنِي بِهِ أَبِي خَلْفُ ابْنِ حُسَيْنٍ سَنَةَ اثْنَيْنِ وَسَبْعِينَ .

٢٠

(١) كَذَا فِي الْأَصْلِ وَلَعَلَّهَا : وَانْظُرْ . (٢) فِي الْأَصْلِ : يَحْرِضُ .



ومما طُوبَ به جعفرُ مالُ الصَّقَلِي جعفر . كَانَ الْحَكْمُ وَقَعَهُ قَبْلَ خَالِدِ بْنِ هِشَامٍ وَتَوَرَّعَ عَنْهُ وَأَوْصَى أَنْ يُوزَعَ فِي السُّكُورِ الَّتِي كَانَتْ إِلَيْهِ وَقْتَهُ ، تَحْلُلًا مِنْ مَظَالِمِ أَهْلِهَا . فَأَرْجَاهُ عِنْدَ خَالِدٍ مُدَّةً إِلَى أَنْ يَحْتَاجَ إِلَيْهِ فَقَبْضَهُ سِرًّا ، وَانْدَفَعَ إِلَى جَعْفَرٍ وَأَخَذَ خَالِدُ بْنُ هِشَامٍ بَرَاءَتَهُ مِنْهُ ، فَسُئِلَ جَعْفَرُ عَنْهُ . فَقَالَ : كُنْتُ خَادِمَ الرَّجُلِ وَصَاحِبَ سِرِّهِ فَعَمِلْتُ بِرِسْمِهِ ، وَإِنْ رُجِعَ فِي الْاِسْتِدْلَالِ إِلَى زِمَامِهِ الْمَاضِي الَّذِي كُنْتُ أَقْيَدُ فِيهِ الْأَمْوَالَ الْبَاطِنَةَ وَجُدَ فِيهِ ثَبَتُهُ . فَجِئْتُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ بِذَلِكَ الزِّمَامِ وَقَدْ قُطِعَ مِنْهُ الدَّرَجُ<sup>(١)</sup> الَّذِي فِيهِ ذَكَرُ الْمَالِ الْبَاطِنِ وَوُصِّلَ مَا انْقَطَعَ بِذَلِكَ مِنَ الْكَلَامِ بِمَا بَعْدَهُ . وَأَرْشَدَ جَعْفَرُ إِلَى هَذِهِ الْوَهْلَةِ ، وَحَسِبَ أَنْ مَعَ وُجُودِهَا لَا تَلْزِمُهُ الْحِجَةُ . فَقَدَلُوا بِهِ إِلَى بَيْدَاءٍ مُضَلَّةٍ .

١٠

قَالَ ابْنُ حِيَانَ : وَلَمَّا أَمَرَ بِضَمِّهِ إِلَى الْمُطَبَّقِ بِالزَّهْرَاءِ وَدَّعَ أَهْلَهُ وَوَلَدَهُ وَدَاعَ الْفَرَقَةِ ، وَقَالَ لَسْتُ تَرَوْنِي بَعْدَهَا حَيًّا ، فَقَدْ أَتَى وَقْتُ إِجَابَةِ الدَّعْوَةِ وَأَنَا أَرْتَقِبُهُ مِنْذُ أَرْبَعِينَ سَنَةً . وَذَلِكَ أَنِّي أَسْرَفْتُ عَلَى فُلَانٍ — رَجُلٍ سُجِنَ بَعْدِ الْفَاصِلِ — وَمَا أَطْلَقْتُهُ إِلَّا بِرُؤْيَا ، قِيلَ لِي : أَطْلِقْ فُلَانًا فَقَدْ أُجِيبَتْ فِيكَ دَعْوَتُهُ . فَأَطْلَقْتُهُ وَأَحْضَرْتُهُ وَسَأَلْتُهُ ، فَقَالَ : نَعَمْ ! دَعَوْتُ عَلَى مَنْ شَارَكَ فِي أَمْرِي أَنْ يُمِيتَهُ اللَّهُ فِي أَضْيَاقِ الشُّجُونِ . فَعَلِمْتُ أَنَّهَا قَدْ أُجِيبَتْ ، وَنِدِمْتُ بِحَيْثُ لَا تُغْنِي الْفَدَامَةُ ، فَأَطْلَقْتُ الرَّجُلَ . قَالُوا فَمَا لَبِثَ فِي مَحْبَسِهِ إِلَّا قَلِيلًا وَأُخْرِجَ مَيِّتًا ، فَسُئِلَ إِلَى أَهْلِهِ فِي أَقْبَحِ صُورَةٍ . وَمَا زِلْتُ أَسْمَعُ أَنَّهُ قُتِلَ خَفَقًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالْحَقِيقَةِ ، الْمَغْضَى<sup>(٢)</sup> عَلَى مُحَالِ هَذِهِ الْخَلِيقَةِ . انْتَهَى مَا لَخِصَتْهُ مِنْ كَلَامِ ابْنِ حِيَانَ فِي شَأْنِ جَعْفَرِ بْنِ عُثْمَانَ . وَكَانَ أَحَدَ مَنْ اجْتَمَعَ لَهُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ

١٥

٢٠



نوعاً البلاغة في النظم والنثر ، وهو القائل في نكبتة :

لا تأمن من الزمان تقلباً      إن الزمان بأهله يتقلب  
ولقد أراني والليوث تخافني      وأخافني من بعد ذاك الثعلب  
حسب الكريم<sup>(١)</sup> مذلة ونقيصة      ألا يزال إلى لئيم يطلب  
وإذا أتت أعجوبة فاصبر لها      فالدهر يأتي بالذي<sup>(٢)</sup> هو أعجب

وحدث غير واحد أنه استعطف المنصور بهذه الأبيات :

هَبْنِي أَسَاتُ فَايْنَ الْفَضْلُ وَالْكَرَمُ      إِذْ قَادَنِي نَحْوَكِ الْإِذْعَانُ وَالنَّدَمُ  
يَا خَيْرَ مَنْ مُدَّتِ الْأَيْدَى إِلَيْهِ أَمَا      تَرِنِي لِشَيْخٍ نَعَاهُ عَنْدَكَ الْقَلَمُ  
بَالِغَتْ فِي الشُّخْطِ فَاصْفَحْ صَفْحَ مُقْتَدِرٍ      إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا مَا اسْتَرْجَحُوا رَجَحُوا

فأجابته بهذه الأبيات وهي لعبد الملك الجزيري :

الآنَ يَا جَاهِلًا زَلَّتْ بِكَ الْقَدَمُ      تَبَغَيْ التَّكْرُمَ لِمَا فَاتَكَ الْكَرَمُ  
نَدِمْتَ إِذْ لَمْ تَفْزُ مِنْهَا بِطَائِلَةٍ      وَقَلَّمَا يَنْفَعُ الْإِذْعَانُ وَالنَّدَمُ  
ومنها :

نَفْسِي إِذَا جَمَحَتْ لَيْسَتْ بِرَاجِعَةٍ      وَلَوْ تَشَفَّعَ فَيْكَ الْعُرْبُ وَالْعَجَمُ

وأخبرت أن المصحفي لما بلغ إليه هذا الجواب قال :

لِي مُدَّةٌ لَا بَدَّ أَبْلَغُهَا      فَإِذَا انْقَضَتْ أَيَّامُهَا مُتٌ  
لَوْ قَابَلْتَنِي الْأَسَدُ ضَارِيَةً      وَالْمَوْتُ لَمْ يَدْنُ<sup>(٣)</sup> لِمَا خِفْتُ  
فَانْظُرْ إِلَيَّ وَكُنْ عَلَى حَذَرٍ      فَمِثْلُ<sup>(٤)</sup> حَالِكَ ، أَمْسٍ قَدْ كُنْتُ

(١) في الأصل : اللئيم .

(٢) في الأصل : ما .

(٣) في موه ج ١ ص ٣٩٧ : يقرب

(٤) موه : في مثل .

قال ابن بسام : ومما يروى لجعفر المصحفي عند ظهور ابن أبي عامر عليه ،  
وانتزاعه ما كان من الحجابة في يديه ، وإفضائه به إلى هذه الحال من الهضم  
والاعتقال ، قوله :

تندمت والمغرور من قد تندما      وهل ينفع الإنسان أن يتندما  
غرسْتُ قضييًّا خلته عودَ كرمِ      وكنتُ عليه في الحوادثِ قيما  
أكرمهُ دهرى فيزدادُ خِسةً      ولو كان من عودِ كريمٍ تكرما

جملٌ وجوامع من كبار الأحداث بالدولة العاصرية

قال ابن حيان : أولُ ذلك الوحشةُ الحادثةُ بين ابن أبي عامر والخليفة  
هشام ووالديه صُبح . والذي أثارها أسبابُ الحسدِ ودواعي المنافسة بين أهل  
القصر الهشامي والعامري ؛ وأشاعوا عنه أنه يريدُ أن يستبدَّ بالأمر . فقام ابن  
أبي عامر في ركائبه لحسمِ حديثه ، وعلم أنه أتى <sup>(١)</sup> من حاشية القصر . وكان به  
عِدَّةٌ من الخدمِ ففرقَهم ومزقَهم ، ولم يدعْ في خدمة القصرِ إلّا مَنْ استشعرَ  
له رهبةً وهيبةً . وأذكى العيونَ مع ذلك عليهم حتى ملكَ نفوسَهم . ثم نظرَ  
في شدِّ الأموالِ المخزنةِ فيه مُذْ عهد الخلفاء ، ووصفَ أن أيدي الخرم تنبسطُ  
عليها . قال ابن حيان : أخبرني ولد الخال من بعض ما <sup>(٢)</sup> كانتُ تفعله السيدةُ  
صُبح مع أخيها رائق ؛ أنها أخرجتُ عندَ تمكُّنِ الوحشةِ بينهما وبين ابن  
أبي عامر مائةَ كوزٍ على أعناقِ الخدمِ الصقاليةِ مختومةً ، قد صيرتُ أشطارها  
مالاً عيناً ذهباً وفضةً ، وموّهتُ على ذلك كله بالمرَبّي والشهيد وغير ذلك من  
الأصباغِ الرفيعةِ المتخذةِ بقصرِ الخلافةِ . وكتبتُ على رؤوسِ السكيزانِ أسماءَ



- ذلك . ومَرَّت بصاحب المدينة فحسبها كما كتبت عليها . وكان في تلك الكيزان ثمانون ألف دينار . فأحضر ابن أبي عامر جماعة وأعلمهم أَنَّ الخليفة مشغولٌ عن حفظها بانهماكه في العبادة ، وَأَنَّ في تضييعها على المسلمين وعلى الدولة أعظم الآفة . فرأت الجماعة أَنَّ كَوْنَ الأموال بيد المنصور أسلمٌ ، وهو على حفظها أقدر وأقوم . ثم نالته على ذلك بقيَّة عليَّة طاولته فأرجفوا به ، فانتقل ابنه ٥ عبدُ الملك إليه بالزاهرة ليُنْفِذَ الأمور عنه . فكشف أعداؤه وجوههم عند استحكام الإرجاف به ، وراسلوا حاشية الخليفة هشام سرًّا ، وجهازوا للقيام عليه ؛ فلم يكن فيهم فضلٌ لذهاب أعيانهم . واشتدَّ [ ذلك ] على <sup>(١)</sup> ابن أبي عامر فتقدَّم إلى ابنه عبد الملك أَن يعترض أُلْفَى فارس من المصطنعين للدولة والغلمان العامريين ، وَأَن يبيتوا معه بالزاهرة لإنفاذ العزيمة فيما رآه من حمْلِ الأموال إليه . وأحكم الأمر مع الفقهاء والوزراء ، فركب ذلك الجيش من بين يديه يوم الثلاثاء الثالث من جمادى الأولى سنة ست وثمانين . فأتى قصر الخلافة بقرطبة ، وأذن لمن وافى من الفقهاء والوزراء بالوصول إلى مجلسه ، وشافهم في ذلك ، فاعترف الملاء بفضل أبيه المنصور ، فقال لهم عبدُ الملك : إنَّ قوماً ممن يتصلُّ بأسباب الخليفة هشام يُؤثِرُ الفتنة ويكره الدَّعة . ١٥ فأنكرت الجماعة ذلك . وأحبَّ عبدُ الملك الوصول بهم إلى مجلس هشام ليُشافهوه بهذه الكروبِ العظام ، فكره هشام ذلك وامتنع منه وتبرأ من أعداء ابن أبي عامر . وانصدع جمعهم على انتقال المال . فنقل في ثلاثة أيام حتى استنفد جميع ما ظهر عليه من بيت المال . وتعدَّر ما كان بجوف القصر من بيت مال الخاصة ؛ ودافع عنه أهلُ الدار لقيام السيِّدة أمِّ هشام ٢٠

(١) في الأصل : عليه .



دونه . أخبرني أبي بعظيم ما شاهدته من صرامة تلك المرأة ومنازعتها لابن أبي عامر وولده ورميها <sup>(١)</sup> لهما بكل عزيمة ، وعبدُ الملك يومئذ ساكتٌ يتجرعُ غصصه ، لا يردُّ كلمةً . فبلغَ عبدُ الملكَ رغبته وانسكفاً إلى أبيه بالزاهرة بعد أن ثَقَّفَ القصرَ ؛ فسكنَ جاشُ ابنِ أبي عامرٍ بإحرازِ تلك الأموال . وكان جملة ما حُمِلَ — زعموا — من الورقِ خمسةَ آلافِ ألفِ دينارٍ دراهمِ قاسميّةٍ ، ومن الذهبِ سبعمائة ألفٍ جعفريةٍ .

ثم استبَلَّ المنصورُ ، ووصلَ إلى مجلسِ الخليفةِ هشامٍ مع ابنه عبدِ الملكِ وسائرِ عظماءِ الدولة . فخَلَا هشامٌ مع ابنِ أبي عامرٍ واعترفَ له بالفضلِ والاضطلاعِ بالدولةِ . فخرستُ السنةُ الحسنةُ . وعلمَ المنصورُ ما في نفوسِ الناسِ لظهورِ هشامٍ ورؤيتهم له ؛ إذ كانَ منهم مَنْ لم يره قطُّ . فأبرزه للناسِ وركبَ ركبته المشهورة ، وقد برزوا له في خلقٍ عظيمٍ لا يُحصيهم إلا مَنْ أحصى آجالهم ، في بهجةٍ ولبوسٍ وهَيْئَةٍ ، مُعَمِّماً على الطويلةِ ، سادِلاً للذَّوَابَةِ ، والقَضِيبِ في يده ، زِيَّ الخِلافةِ . وإلى جانبه المنصورُ راكباً يسائرُهُ ، وقد أمَّه الحاجبُ عبدُ الملكِ راجلاً يَمْشِي ، ويسيرُ الجيشُ أمامه . ومن الموابكِ وطوائفِ الجُنْدِ والغلمانِ والفِتيانِ القَصْرِيِّينَ والعامريينَ ما عَجِبَ من كثرتهم .

### وفاةُ المنصورِ ابنِ أبي عامرٍ

قالَ ابنُ حيانَ : وخرجَ المنصورُ إلى الغَزَاةِ ، وقد وقعَ في مرضِهِ الذي ماتَ منه في صفرٍ سنةِ اثنينٍ وتسعينٍ وثلاثمائةٍ . واقتحمَ أرضَ جَلِيقِيَّةَ مِن

(١) في الأصل : ورميه .



- تَلْقَاءَ مَدِينَةِ طَلَيْطَلَةَ ، ومرضه يَخْفُ وقتاً ويثقل وقتاً . ونفذ على عمل بني غومس إلى أرض قشتيالة ، بلد شانجه بن غرسية . وهو كان مطلوبه الذي ألف عليه الجماعة ، فأحل الغارات بأقطاره . فقويت عليه العلة هنالك فاتخذ له سرير خشب ودع عليه أعضائه ، وسوى مهاده ، متطاول الشكل يمكنه الاضطجاع عليه متى خارت قواه . وكان يحمل سريره على أعناق الرجال ، وسجفه منسدل عليه ، وعساكره تحف به وتطيع أمره . وكان يحمل بين يديه شراع خفيف منصوب ينقل على الأيدي ، فإذا حركته الخلفة أنزل سريره إلى جنب ذلك الشراع ليقتضي ما به من حاجة . وتناول وضوءه جاريقان من قوامه كان حملهما في غزاته ، فكانتا تسيران وسط الفتیان .
- وما كان بين نزوله واستقلاله إلا الفترة لقوة الخلفة . بذلك قطع أربعة عشر يوماً حتى وصل إلى مدينة سالم . وكان هجر الأطباء في علقته تلك لاختلافهم فيها ، واقتصروا على أوصاف كاتبه الجزيري عبد الملك . وأيقن هنالك بالموت . وكان يقول إن زمامي يشتمل على عشرين ألف مرتزق ما فيهم أسوأ حالاً مني . وددت أن أقال زلتى وأنا كبعض هؤلاء السودان الحاملين لسريرى . وكان تحمل سريره السودان الرقاصة للين مشيهم ، وكان يتأذى بضنان ريحهم مع ما كان حوله من الطيب . فاشتغل ذهنه يومئذ بقرطبة وهو بمدينة سالم وقد أيقن بالوفاة . فأمر ابنه عبد الملك بالنفوذ لشدها في طائفة من ثقات غلمانه بعد أن أوصى كلهم أشقاتاً وجماعة . ثم خلا بولده عبد الملك يوصيه ويودعه ويقبض على يده ، وكلما ذهب عنه استرده مستدركا بوصيته . وعبد الملك يبكي فينكر ذلك عليه ويقول : هذا أول العجز والفشل ؛ إلى أن قضى وطره .
- مما بينه وبين عبد الملك . وأمره أن يستخلف أخاه عبد الرحمن على العسكر



إلى أن يُنفذَ إليه حُكمه فيه . وخرجَ عبدُ الملكِ إلى قرطبةَ ومعه القاضي ابنُ ذَكْوَانَ فدخلها في صدرِ شوالٍ من العامِ ، فسكَنَ الإرجافَ بموتِ والدِه وعرفَ الخليفةَ كيفَ تركه .

١٥٠

قالَ ابنُ حيانَ : قالَ لي أبي خلفُ بنُ حُسينَ : وَجَدَ المنصورُ بعضَ الراحةِ ، وأمرَ أنَ تدخلَ عليه جماعةٌ فدخلتُ في جملتهم وذنوتُ منه وهو كالخيلٍ لا يُبينُ كلاماً ، وأكثُرَ عملِه بالإشارةِ كالمسلمِ المودَّعِ . وخرجنا فكانَ آخرَ العهدِ به . وماتَ ليلةَ الاثنينِ لثلاثِ بقينَ لرمضانَ من العامِ المؤرَّخِ ؛ وعلينا في العسكرِ عبدُ الرحمنِ ابنُه فعزَّيناه . وكانَ أوصى أنَ يُدفنَ حيثُ يُقبَضُ ولا يُنقلَ تابوتُه . فدفنَ في قصرِه بمدينةِ سالمٍ . ورأوا أَنَّهُ اختارَ اللهُ له ، إذْ كانتَ من أَطيبِ ما بناهَ رحمه اللهُ .

٥٣٩٤

١٠

وتلوَّم ابنُه عبدُ الرحمنِ بالعسكرِ مُدَّةَ الأسبوعِ وهو ينتظرُ رأيَ أخيه عبدِ الملكِ في القُفُولِ ، والغلمانُ يضطربونَ عليه وطمعوا في ردِّ الدولة . فقالَ لهم عبدُ الرحمنِ اصبروا . فكشفوا ما في أَنفُسِهِم له ، وقالوا : وإنما نحنُ في حجرِ آلِ أبي عامرٍ الدهرَ الداهرِ ؟ ! نلحقُ ببابِ مولانا الخليفةِ هشامٍ ولا نتدبَّرُ إلا بأمرِه . فتقدَّمه إلى قرطبةَ منهم نحوُ سبعمائةٍ معهم عبيدُ اللهِ بنُ بدرٍ . ثم جاءه بعدُ إذنُ أخيه ، فقَدِمَ هو بسائرِ العسكرِ . وتجددَ يومَ وَرَدِ قرطبةَ من الحُزنِ بابنِ أبي عامرٍ ، وحرَّكه خَدَمُه وقِيانُه قد ألبستِ المسوحَ والأَكسيةَ بعدَ الوَشْيِ والحَبَرِ ، ما لا شَيْءَ فوقه .

١٥

أخبرني أبي قالَ : سمعتُ مُحَمَّدَ بنَ أبي عامرٍ يُوصي ابنَه عبدَ الملكِ في مَرَضَتِهِ تلكَ ويقولُ في جملةِ كلامِه : يا بُنَيَّ ، لستَ تجدُ أنصحَ لك مني فلا تُعدِّينَ مشورتِي ؛ فقد جرَّدتُ لك رأيي ورويتي على حينِ اجتماعٍ من ذَهني .

٢٠



- فاجعلها مثالا بين يديك . قد وطأت لك مهاد الدولة ، وعدلت لك طبقات أوليائها ، وغارت لك بين دخل المملكة وخرجها ، واستكثرت لك من أطعمتها وعددها ، وخلفت جباية تزيد على ما ينوبك لجيشك ونفقتك ؛ فلا تطلق يدك في الإنفاق ، ولا تقيض لظلمة العمال ، فيختل أمرك سريعا ، فكل سرَف راجع إلى اختلال لا محالة . فاقصد في أمرك جهدك ، واستثبت فيما يرفع أهل السعاية إليك . والرعية قد استقصيت لك تقويمها ، وأعظم منهاها أن تأمن البادية وتسكن إلى لين الجنبه . وصاحب القصر قد علمت مذهبه ، وأنه لا يأتيك من قبله شيء تكرهه والآفة<sup>(١)</sup> ممن يتولاه ويلتمس الثوب باسمه ، فلا تهم عن هذه الطائفة جملة ، ولا ترفع عنها سوء ظن وتهمة ، وعاجل بها من خفته على أقل بادرة ، مع قيامك بأسباب صاحب القصر على أتم وجه ؛ فليس لك ولا لأصحابك شيء يقيمكم الحنث في يمين البيعة إلا ما تقيمه لوليها من هذه النفقة . فأما الأفراد بالتدبير دونه مع ما بلوته من جهله وعجزه عنه ، فإني أرجو أنني وإياك منه في سعة ما تمسكنا بالكتاب والسنة . والمال المخزون عند الدتلك ، هو ذخيرة مملكيتك ، وعدة الحاجة تنزل بك ، فأقمه مقام الجارحة من جوارحك التي لا تبدلها إلا عند الشدة تخاف منها على سائر جسدك . ومادة الخراج غير منقطعة عنك بالحالة المعتدلة . وأخوك عبد الرحمن قد صيرت إليه في حياتي ما رجوت أني قد خرجت له فيه عن حقه من ميراثي ، وأخرجته عن ولاية الثغر لئلا يجد العدو مَساغاً بينكما في خلاف وصيتي فيُسرع ذلك في نقض أمري ، ويحلب الفاقة على دولتي . وقد كفيئتكم الخيرة فيه فأكفه الحيف منك . وكذلك سائر أهلِكَ فيما صنعت فيهم بحسب

(١) رسم الكلمة في الأصل : والآفا .



ما قَدَّرْتُ بِهِ خَلَاصِي مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي فِي يَدِي . وَخِلَافَتُكَ بَعْدِي أَجْدَى عَلَيْهِمْ مِمَّا <sup>(١)</sup> صَرَفْتُهُ ؛ فَلَا تُضَيِّعْ أَمْرَ جَمِيعِهِمْ ، وَالْحَظُّهُمْ بَعَيْنِي ، فَإِنَّكَ أَبُوهُمْ بَعْدِي . نَفَرَجْ ذِكْرَهُمْ بِاسْتِخْدَامِكَ ، وَالْحِفْ إِنْأَتَهُمْ جَنَاحَكَ ، جَبَرَ اللَّهُ جَمَاعَتَهُمْ ، وَأَحْسَنَ الْخِلَافَةَ عَلَيْهِمْ . فَإِنْ انْقَادَتْ لَكَ الْأُمُورُ بِالْحَضْرَةِ فَهَذَا وَجْهُ الْعَمَلِ ، وَسَبِيلُ السَّيِّرَةِ ، وَإِنْ اعْتَصَمْتَ عَلَيْكَ فَلَا تُلْقِنَنَّ بِيَدِكَ إِقْدَاءَ الْأَمَةِ ، وَلَا تَنْظُرْ بِكَ وَأَصْحَابِكَ السَّلَامَةَ فَتَنْسُوا مَا لَكُمْ فِي نُفُوسِ بَنِي أُتَيَّْةَ وَشِيعَتِهِمْ بِقَرْطَبَةِ . فَإِنْ قَامَتْ مِنْ تَوَثُّبٍ عَلَيْكَ مِنْهُمْ فَلَا تَذْهَلْ عَنِ الْحَزْمِ فِيهِمْ ، وَإِنْ خِفْتَ الضَّعْفَ فَانْتَبِذْ بِخَاصَّتِكَ وَغِلْمَانِكَ إِلَى بَعْضِ الْأَطْرَافِ الَّتِي حَصَّنَتْهَا لَكَ . وَاخْتَبِرْ غَدَكَ إِنْ أَنْكَرْتَ يَوْمَكَ . وَإِيَّاكَ أَنْ تَضَعَ يَدَكَ فِي يَدِ مَرَوَانِي مَا طَاوَعَتْكَ بَنَانُكَ ، فَإِنِّي أَعْرِفُ ذَنْبِي إِلَيْهِمْ .

قال : وسمعتُه يقول لِغِلْمَانِهِ عِنْدَ هَذِهِ الْوَصِيَّةِ : تَنْتَبَهُوا لِأَمْرِكُمْ ، وَاحْفَظُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ، فِي طَاعَةِ عَبْدِ الْمَلِكِ أَخِيكُمْ وَمَوْلَاكُمْ ، وَلَا تَغْرَنَّاكُمْ بِوَارِقُ بْنُ أُمِيَّةَ ، وَمَوَاعِيدُ مَنْ يَطْلُبُ مِنْهُمْ شَتَاتَكُمْ . وَقَدَّرُوا مَا فِي قُلُوبِهِمْ وَقُلُوبِ شِيعَتِهِمْ بِقَرْطَبَةِ مِنَ الْحَقْدِ عَلَيْكُمْ ، فَلَيْسَ بِرَأْسِكُمْ بَعْدِي أَشْفَقُ عَلَيْكُمْ مِنْ وَلَدِي . وَمِثْلُكُمْ أَمْرِكُمْ أَنْ تَنْسُوا الْأَحْقَادَ وَأَنْ تَكُونَ جَمَاعَتُكُمْ كَرَجُلٍ وَاحِدٍ ، فَإِنَّهُ لَا يُفْلُ فِيكُمْ . وَمَا زَالَ يُكْرِّرُ هَذَا وَشِبْهَهُ لَطَائِفِهِ بَعْدَ أُخْرَى حَتَّى ضَعُفَ وَشُغِلَ بِنَفْسِهِ .

### قيامُ عبدِ الملكِ ابنِهِ بالدَّوْلَةِ

وَلَمَّا وَرَدَ النَّبَأُ بِمَوْتِهِ رَكِبَ عَبْدُ الْمَلِكِ إِلَى هِشَامٍ وَنَعَى إِلَيْهِ الْمَنْصُورَ أَبَاهُ ، فَظَهَرَ الْإِشْفَاقُ ، وَعَرَفَهُ بِمَا اضْطَرَبَ مِنْ أَمْرِ الْفِتْيَانِ وَعَصِيَانِهِمْ ؛ فَخَرَجَ هِشَامٌ



وأمره بتدبير أمرهم بحسب ما يستقيم به أمر الدولة ، وحذره موقعة الدماء وتلقيح الفتنة ، وخلع عليه ، وأخرج معه كتابه بولاية الحجابة مكان أبيه ، وقرئ<sup>(١)</sup> على الكافة ، وأنشئ به الكتب إلى الأقطار . وعاقب بعض الفتيان العاصين ، وأخرج بعضهم إلى سبته ، فما قفلوا عنها إلا عند وثوب المهدي بن عبد الجبار على الدولة العاصرية . ثم وافى العسكر الكبير مع أخيه عبد الرحمن ، واجتمع الشمل ، وتمكنت الطاعة ، وأيسر الأعداء من دولة بني عامر ، وعلموا أنها وراثته .

- وأسقط عبد الملك سدس الجباية لأوّل ولايته في جميع أقطار الأندلس عن الرعيّة ، فراقت أيتامه ، وأحبّه الناس سرّاً وعلانية ، وانصبّ الإقبال والتأييد عليه انصباباً لم يُسمع بمثله . وسكن الناس منه إلى عفافٍ ونزاهة نفس ، فباحوا بالنعمة ، وأخذوا في المكاسب والزينة من المراكب والملابس والقِيان ، حتى سمّت أثمان هذه الأشياء في مدّته . وبلغت الأندلس في أيامه إلى نهاية الجمال والكمال وسعة الحال ، في كنف ملكٍ مُقتبِل السَّعد ، ميمون الطائر ، غافل عن الأيتام ، مسرور بما تنافس فيه رعيّته من زُخرف دُنياها . فاجتمع الناس على حُبّه ، ونجا من الفتن . وأخباره في ذلك ماثورة . وكان على أهل الأندلس أسعد مَولودٍ وُلِد . بلغني عن أحمد بن فارس البصري المنجّم زعيم الصناعة بها على عهد الحكم ، أنّه نظر في مَولِد عبد الملك هذا وهو طفل فأشار من بُعدٍ سعادته إلى أمرٍ كبير [و] لم يدرك هو وأخوه ، فعجب من شاهدته من جودة إصابته ، وذلك أنّه قال : لم يولد قطُّ بالأندلس مَولودٌ أسعدُ منه على أبيه وعلى نفسه وحاشيته . نعم ! وعلى أهل الأندلس طرّاً ، وعلى أرضها فضلاً عن



ناسِها ، وأنها لا تزال بخير حياتِه ، وإذا هلك ما أراها إلا بالخذ . . قال ابن  
حيّان : سمعتُ هذا الحديثَ عن ابنِ فارسٍ من غيرِ ما طريق ، فكان كما قال .  
لقد حدثَ بالأندلسِ إثرَ مهليكه ما هو مشهورٌ .

وكانَ عبدُ الملكِ من أحيّا الناسِ ، فإذا كانت الحربُ عوينَ منه الأسدُّ  
المُحرَّبُ في بَرائِنه خطماً وشِدَّة . من رَجُلٍ عديمِ الفَهمِ والمعرفةِ جُملةً ، صِفِرُ  
من الأدبِ والتعاليمِ ، حتّى ما كانَ يُسايِرُه وينادِمُه إلا العِجمُ من الجلالِقةِ  
والبرابرةِ يَمَن لا يَهشُّ لسماعِ ، ولا يَطرِبُ لإيقاعِ . فارتفعتْ بذلكَ عن مجالسِ  
لهوهِ طبقةِ المعرفةِ ، وقوَّضَ عنها كلُّ فاضِلٍ وعالمٍ ، واعتاضَ منهم بِجُفأةِ البرابرِ  
والأعاجِمِ . إلا أَنَّهُ مع زُهيدِهِ في الأدبِ تَمَسَّكَ بِمَن كانَ استخلصَه أبوه من  
طبقاتِ أهلِ المعرفةِ من خطيبٍ وشاعِرٍ ، ونَدِيمٍ وشِطْرَنجِيٍّ ، ومُعَدِّلٍ وتاريخيٍّ  
وغيرِهِم ، حَفِظًا للصنائعِ والدِه وقيامًا برُؤُومِه ، فقرَّرَهُم على مَراتِبِهِم ، ولم يَنقُصْهُمْ  
سِوى الفوزِ بِمُخصوصِيَّتِه . وكانت تُرفعُ إليه بطائِقُ أهلِ الشَّعرِ ويصلُهُم ، على  
تَساهِلِهِم في مَدِيحِهِ لأَمانِهِم مِن نَظَرِهِ فيها . وأحرَزَ لَهُم مع الفائدةِ عفوُ القَريحةِ ،  
وذلكَ بَيِّنٌ لَمَن تَأَمَّلَه في أشعارِ مادِحِيهِ لِفُتُورِها . ثم أغرقَ عبدُ الملكِ النَّزَعَ  
في دَولَتِه ، وانهمكَ في طَلَبِ الآلاتِ المُلوكِيَّةِ حتّى جُلِبَ إليه مِن ذلكَ كلِّ  
عَلَقٍ خَظيرٍ ، وتأنَّقَ في مَراكِبِهِ هو وأصحابُهُ بالحِلْيَةِ التامَّةِ بِخالصِ اللُّجَيْنِ . عَهِدَى  
به يومَ فُصُولِهِ لَغَزَوَتِه سَنَةُ ثَمَانٍ وَتَسْعِينَ التي احتَفَلَ فيها لسانُجِه بنِ غَرَسِيَّةِ ،  
واستكثَرَ فيها من العُدَّةِ والعَدَدِ ، فبرزَ على جِوَادٍ من مُقَرَّبَاتِه <sup>(١)</sup> المنسوبةِ ،  
بأنفَحِ تلكَ المَراكِبِ المُسَلَّسَةِ ، ولَبُوسِ دِرْعِ فِضِّيَّةٍ مَطرَزةٍ بالذَهَبِ ، وعلى  
رأسِهِ خَوَذةٌ <sup>(٢)</sup> مُثَمَّنَةٌ الشَّكْلِ ، مُحَدَّدَةٌ الرَأْسِ ، مُرْصَعَةٌ الطَّرِيقِ بِدُرٍّ فَاخِرٍ ،



واسطته حَجَرُ ياقوتٍ أحمرُ مرتفعُ القيمة ؛ قد لَزِمَ وَسَطَ الجيشِ ، وطَرَحَ الشعاعُ على سُنَّةِ وجهه ، فما رأى الناسُ بعده مَلِكًا يَعدُّله في البهاء والبهجة . وكانت مما راقَتْ به دولته في الجمال ما تلاحقَ فيها [ مِنْ ] غِلْمَانِ أبيه العاصريين الناسيين في دولة المنصور ، وكان قد وفَّرَ عنايته بهم ، وجدَّ في تَدْرِيبِهِمْ ، ووقفَ حُذَّاقُ المُنَاقِفِينَ على تخريبِهِمْ ، فأثْمَرَ غرسُهُمْ ، وأمكنَ جنَاهُمْ ، وراقتْ جُمْلَتُهُمْ في الفُروسِيَّةِ والرِّمَايةِ ، وبلغوا أَلْفَ غُلامٍ . وانهمكَ أيضًا في اصطناعِ البرابرةِ العُدُوِّيِّينَ ، ودعا القبائلَ منهم إلى الدُخُولِ إليه والخِدْمَةِ له .

وكان من أعظم مَنْ هاجرَ إليه منهم زاوِي بنُ زيرِي بنِ مَنَادِ الصَّنَاجِيٍّ عَمُّ أَبِي المَعزِّ بنِ باديس بنِ مَنصورٍ صاحبِ إفريقيَّةٍ وصاحبِ الفِرْقَةِ الخارجِيةِ عليه من أهلِ بيته . وكان المنصورُ أياَّمَهُ قد التَوَى في الإِذْنِ له بالدُخُولِ إلى الأندلسِ حَذَرًا من دَهِيِهِ ومَكْرِهِ وبُعدِ صِيتِهِ في المغربِ . فأضربَ عبدُ الملك عن <sup>(١)</sup> الفِكرِ في شأنِهِ وطلبَ الشُّمْعَةَ باستخدامِ مثله ، فأدخله بمن معه من إخوته ، وهم من سَعَةِ النِّعْمَةِ وبُعدِ الهمِّ واستصغارِ الرغائبِ فيما يكونُ عليه أشباهُهُمْ من أبناءِ الملوكِ . فاستقلُّوا ما وصلَهُمْ به عبدُ الملك على كَثْرَتِهِ ، وما استقرُّوا [ وا ] الدارَ إِلَّا على قلعةٍ ، ولا [ حَمِدُوا <sup>(٢)</sup> ] معروفَهُمْ ، ولا لَبِسُوا أَعَالَى المراتبِ السلطانيةِ إِلَّا على ابتذالٍ ومُحَقَّرَةٍ ، ولا قَطَعُوا أَمَدَ المُقَامِ بالأندلسِ إِلَّا بِذِكْرِ الرِّحْلَةِ والتماسِ التَّسْرِيحِ بُكَرَةً وَعَشِيَّةً ، جهلاً وفرطَ أنْفَةٍ ؛ والأقْدَارُ موَكَّلَةٌ بِثَنِي عزمِ عبدِ الملكِ عن إسعافِهِمْ بِسَراحيهِمْ لِمَا كانَ قَدَرَهُ — عِزًّا وَجُهَةً — مِنَ الفِتْنَةِ وتَفْرِيقِ شَمْلِ الأندلسِ بِأَشْبَاهِهِمْ . فلم يَخْرُجُوا عنها إلى أَنْ قاموا على الجماعةِ ،

(١) في الأصل : في الفكر عن شأنِهِ .

(٢) في الأصل : بياض والسياق يقتضي ما أثبتناه أو ما في معناه .



وشغَبُوا عليها بعدَ عبدِ الملك . وكان شيخُهم زَاوِي أَوَّلَ دُخُولِهِ الأندلس يُظهر [من] أنواعَ البرِّ والبشْرِ للناس ما لا شَيْءَ فوقَهُ . وكان شأنُهُ في الدَّهْيِ والمَكْرِ والخَلَابَةِ عَجَبًا . وكان يَرَجِعُ في <sup>(١)</sup> إقامة ما اعتاده من سَعَةِ إنفاقِهِ إلى ما جاء به من بلَدِهِ من عُمُودٍ وذخائرٍ ، فيبيعُ من ذلك النفيسَ والخطيرَ ، وربما اشترى من ذلك عبدُ الملك فيزيدُ في حسرتِهِ . وكان عبدُ الملك [راغبًا] في رفعة منزلتِهِ ، وولاه الوزارةَ أرفعَ خطَطِ أصحابِ السلطانِ بالأندلس . ووصلَ إليه الرسولُ بالصَّكِّ في ذلك وطلب أن يصله عليه ، فقال : لو جئتنا بمالٍ لأسهمناكَ ، وإنما [خُطَّتْنا الحربُ] <sup>(٢)</sup> لا الوزارةَ ، وأقلامُنا الرماحُ ، وصحائفُنا الأجسادُ . ولم يَمْتَنِعْ عبدُ الملك مع غطرسة زَاوِي هذا من إقامة الحدِّ على مَنْ وجبَ عليه من أهله : عدا ابنُ أخيه على مَوَلَى لَمْ يَمُوتْهُ فاقادَهُ عبدُ الملك لحينِهِ ، وأسلمَهُ أهله السيفَ فضرَبَتْ عُنُقَهُ على قَتِيلِهِ ذلك ، بمقبرة كِلاعٍ بمَشْهَدٍ عَظِيمٍ من الناسِ ، وأسلمَتْ جِثَّتُهُ إلى أهله . ونَبَتْ الأندلسُ بعدُ بأخِي زيري أبيهِ فقَوَّضَ عنها أَوَّلَ المقوِّضينَ مِنْ صِنهاجَةٍ بِسَراحٍ <sup>(٣)</sup> مِنْ عبدِ الملك .

قال ابنُ حَيَّان : وانبسطت حاشيةُ الخليفةِ هشامٍ على عبدِ الملك طولَ مدَّتِهِ في جميعِ أحوالِها ، فحملَهُم على مُرادِهِم . وانهمكَ هشامٌ طولَ أيامِهِ فلم يَظْهَرْ وقتًا فيها ، ولا شَهِدَ صلاةً ، واحتجبَ في نَزْهِهِ الباطنةَ على رَسمِهِ في أيامِ أبيهِ المنصورِ . وبلغَهُ منها عبدُ الملك بُغيَتَهُ ، وجعلَ يُخرِجُهُ إليها مع حُرْمِهِ مستخفياً

(١) في الأصل : « إلى » .

(٢) في الأصل : وإنما خططنا لا الوزارة . . . . . وواضح أن هناك سقط ولعل

ما أثبتناه هو الصواب .

(٣) الباء غير انحر . ب ١ صل إلى الواو .



- بعد طرد الناس عن طريقه ، فيضربُ به إلى كلِّ ناحية ، ثم يعود إلى قصره .  
ونالَ في مدَّة هذا الانهماك والدَّعة أهلُ الاحتيالِ من الناسِ عندهم الرغائبُ  
النفيسة ، بما ازدلفوا به من أثرِ كريم ، أو زخرفوه من كذبٍ صريح ، حتَّى لقد  
اجتمعَ عندَ نساءِ القصر ثمانية حوافِرَ عَزَى جميعها إلى حمارِ عَزَيْرِ المُسْتَحْيِ  
بالآيةِ الباهرة . واجتمعَ عندهن من خشبِ سفينةِ نُوح عليه السلام وألواحها  
قطعة ، وظفَرَن من نسلِ غنمٍ شُعيب عليه السلام بثلاث . وكَلَفَن من هذا  
ومثله لعَفَّتِهِنَّ وزُهدِ صاحِبِهِنَّ بأشياءَ توجَّهتْ على أموالِهِنَّ من قِبَلِها أعظمُ حيلة ،  
ولِهَجَنَ مع ذلك بطلَبِ ذَوِي الأسماءِ الغريبةِ من الناس ، الموافقةِ أسماؤهم لمن  
اجتَبَاهُ اللهُ مِنْ خَلْقِه ، مثلُ عبدِ النورِ وعبدِ السَّميعِ وعبدِ اللطيفِ وعبدِ المؤمنِ  
وحزبِ الله ونصرِ الله وفضلِ الله ، ومثلُ ياسينَ واليسعَ ومَن جَانَسَه ، يَصِيرُ  
الرجلُ من هؤلاءِ في الحاشية ، ويُستعملُ على وَكالةِ جهةٍ ، ولا يَبْعُدُ أن يتموَّلَ  
في أقربِ مدَّة ، وإن اتَّفَقَ مع ذلك أن يكونَ ذا حيلةٍ عَثْلَوِيَّةٍ ، وصاحبَ سِبَالٍ  
وهامة ، فقد تَمَّتْ له السَّعادة ، ولا سيَّما إن كانتَ لحِيَّتُه حمراءَ قارنية ، فإنَّها  
أجْدَى عليه من دارِ البطِّيخِ غَلَّةً ، ثم لا يُسألُ عما ورائَ رُوَاةٍ من أصلٍ  
ولا فضيلةٍ ولو كان مُرَدِّدًا في بنى اللُخْناء<sup>(١)</sup> ، وعاريًا من جميعِ الخِصالِ ،  
والأخبارُ في مثل هذا عنهنَّ كثيرةٌ مأثورةٌ . فبَاهَتْ حُرْمُ هِشَامٍ بِمِثْلِ<sup>(٢)</sup> هذه  
المعاني الشاذَّة ، وبذلنَ الأموالَ في التماسِها بما لم يُسمعَ مثلُها . ولم تَزَلِ الدولةُ  
تزدادُ انهماكًا إلى أن ماتَ عبدُ الملك ، وكَبَتْ كِبَوةٌ لم تستَقِلْها آخرُ الدهرِ .  
قالَ ابنُ حَيَّان : وكانتْ ولايةُ عبدِ الملكِ وفِرْقُ النصرانيةِ بأسْرِها  
منقِضةً ، وعهدُها قريبٌ بالاجتماعِ على المسلمين ، وإطعامها بموتِ حَتَفِها

(١) الكلمة مطبوسة في الأصل ، وما أثبتناه أقرب قراءة لها .

(٢) في الأصل : من مثل .



المنصور ثابتة . وكانت الإفرنجية في آخر وقت المنصور قد تمسكت بالمسألة ،  
فلما سمعت بموته طمعت ، واحتاج عبد الملك إلى التشاغل عنهم توطيداً للحضرة ،  
إلى أن اعتدلت فيها الدولة ، وأخبار الثغور توافيه كل وقت بما لا يوافقه .  
وكان أهم جموع طوائف الطواغيت عليه يومئذ أمراً<sup>(١)</sup> شيطانهم الرجيم ، ومغويهم  
الزعيم ، شانجه بن غرسية بن فردلند صاحب قشتيلة . وكان يليه في النكاية  
ميندس [ بن ] غندشلب قومس<sup>(٢)</sup> غليسية ، وكافل ملصهم أذفونش بن برمند ،  
وسائر القواميس<sup>(٣)</sup> عندهما سقط وحاشية . فقدم عبد الملك الحذر منهما ،  
فألقى مولاه واضحاً الفتى صاحب مدينة سالم على شانجه فصالحه واضح سنة  
ثلاث وتسعين ولاطفه إلى أن تمهدت قواعد الدولة . وجرّد عبد الملك يومئذ  
إلى ثغر قلمرية قاصية الثغر الجوفى المواجه لأرض غليسية جيشاً كشيفاً ، وبقي  
في وجه ميندس [ بن ] غندشلب ، وصمد<sup>(٤)</sup> عبد الملك بلد الإفرنجية إذ لم تزل  
عند ولاية الأندلس مبدأ كل علة ، فاستعد لقصدهم ، واقتحم أرضهم في جموعه  
وأوغل<sup>(٥)</sup> في بسيط برشلونة ، وحطم غير ما مدينة ، وعاد قافلاً سالماً غانماً .  
فهابته الإفرنجية وأذعنت إلى السلم ، وجاء رسولها إلى قرطبة ، وقد أعد  
عبد الملك لوروده أكل العدة من ترتيب الجنود ، فكان يوم دخل  
ذلك الرسول بقرطبة آخر أيام الزينة ، إذ انتقض الملك على أثره سريعاً  
ووقعت الفتنه .

قال ابن حيان : سمعت بعض المشايخ يومئذ يقول : إنه ما كان بالأندلس  
مثل ذلك في أمد الدولة ، بما اجتمع له من كثرة الجمع والزينة والعزة

(١) في الأصل : أمير شيطانهم .

(٢) في الأصل : قومين ... قومين .

(٣) في الأصل : وصد .

(٤) رسم الكلمة في الأصل : وأوعل .



السلطانية . وأما التجارُ الغرباء فدخلوا يومئذٍ إلى موضعِ هَيْئَةٍ<sup>(١)</sup> التجافيفِ والأعلامِ المصوّرةِ وسائرِ القِطَعِ العَجَمِيَّةِ والقنّا الهنديةِ ، وموقفِ خيلِ الركابِ بالسروجِ الثقالِ ، والتراسِ المذهبةِ والمفضضةِ ، معها بغالُ الركابِ الرائقةِ في زِيَّها المشهورِ ، وما اتصلَ بذلكِ من عُدةٍ غريبةِ . وتوصلَ أولئكُ التجارُ إلى ذلكِ المكانِ قبلَ إباحتهِ للنظارةِ بإذنِ التمسودِ من عبدِ الملكِ ، فلم يختلفُوا في استيساعِ<sup>(٢)</sup> ما عاينوه ، وانفقوا — وكانوا جملةَ عراقيينَ ومصريينَ وغيرهم — على أَنَّهُ ما شاهدُوا لأحدٍ من ملوكهم مثله .

ولما أحكمَ عبدُ الملكِ الشدَّ لفتنِ الفرنجةِ دبرَ قصدَ شانجِه ، فخرجَ نحوه صائفةً سنةَ أربعٍ وتسعينَ ، وأوغلَ في أرضه<sup>(٣)</sup> وخامَ عنه شانجِه ولم يظهر له ، وقفلَ عبدُ الملكِ إلى قرطبةَ . فاضطرَّ شانجِه إلى السلمِ ووَفَدَ بنفسِه إلى قرطبةَ ، فأعظمَ عبدُ الملكِ مَورَدَه ، وضمنَ أن يغزوَ معه قومه . فخرجَ مع عبدِ الملكِ سنةَ خمسٍ وتسعينَ ، فاقتحمَ جليقيةَ وغادرَ أعمالَ بني غومس<sup>(٤)</sup> مُضْمَلَةً ، وهدى المسلمينَ شانجِه إلى عَوْرَاتِ قومه ، وانتهى بهم إلى مدينةٍ ليونه وهى من أَمْنَعِ المعاقِلِ ، ولم يكنِ المنصورُ بلغها لصُعوبتها . وطمعَ عبدُ الملكِ فيها ونازلها فأُعيت عليه ، وقفلَ إلى قرطبةَ . وبقيَ شانجِه في مُسَالَمتهِ ثلاثةَ أعوامٍ يستعدُّ لحربه . فأحسنَ عبدُ الملكِ بَعْدَهِ ، فسابقَه بالغزوِ سنةً ستَ بعدها ، وضجى<sup>(٥)</sup> عبدُ الملكِ يومئذٍ بمدينةِ سالمٍ . ووافاهُ هنالكَ رسولُ الرومِ مِنَ القُسطنطينيَّةِ بكتابهٍ إليه ، يسألهُ المواصلةَ على سبيلِ سَلَفِه مع ملوكِ المروانيةِ . وساقَ له

(١) رسم الكلمة في الأصل . هنية . (٢) في الأصل : استيساع .

(٣) في الأصل : في أرض وحام . . . (٤) في الأصل : غوس .

(٥) في الأصل : وصحى .



هديةً وعِدَّةٌ مِنْ أَسَارَى الْأَنْدَلُسِ طِيرٌ<sup>(١)</sup> عَلَيْهِمْ بِأَطْرَافِ جَزَائِرِهِ الْبَحْرِيَّةِ ،  
فَسُرَّ عَبْدُ الْمَلِكِ بِذَلِكَ ، وَإِذَا كَتَابُهُ مَكْتُوبٌ بِالذَّهَبِ عَلَى رَسْمِ مُلُوكِ الرُّومِ  
الَّذِي فَاتَ الصَّنْعَةَ ، وَذَكَرَ صَاعِدٌ وَرُودَ ذَلِكَ الرَّسُولِ فِي شَعْرِ قَالٍ فِيهِ :

زَلَزَلَتْ بِالْمُرْهَفَاتِ صَاحِبَ قَسْطَنْطِينٍ حَتَّى اتَّقَاكَ بِالسُّكُتِ  
يَطْلُبُ فِيهَا رِضَاكَ مُجْتَهِدًا مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَّقِيكَ بِالْهَرَبِ  
فَلَيْسَ بِالْفَائِتِ<sup>(٢)</sup> الْبَعِيدُ مَعَ اللَّهِ إِذَا [ مَا ] هَمَّتْ بِالطَّلَبِ

وَتَمَادَى اسْتِعْدَادُ شَانِجُهُ مِيرَا الْغَزْوِ عَبْدَ الْمَلِكِ فَسَابَقَهُ سَنَةٌ سَبْعٌ وَتِسْعِينَ ،  
وظَهَرَ الْمُسْلِمُونَ عَلَيْهِمْ . ثُمَّ قَفَلَ إِلَى قُرْطُبَةَ آخِرَ ذِي الْحِجَّةِ مِنْهَا . ثُمَّ غَزَا سَنَةَ  
ثَمَانٍ غَزْوَتَهُ الْأَخِيرَةَ فِي شَوَّالٍ ، فَاعْتَلَّ فِي مَدِينَةِ سَالَمٍ ، وَرَجَعَ إِلَى قُرْطُبَةَ مُحَرَّمِ  
سَنَةِ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ . فَكَانَتْ آخِرَ غَزَاةٍ نَفَذَتْ<sup>(٣)</sup> إِلَى بِلَادِ الْحَرْبِ لَوْ شَكَانَ  
مَوْتِهِ فِي صَفَرٍ مِنْهَا . وَضَبَطَ أَخُوهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْأَمْرَ بَعْدَهُ لِنَفْسِهِ .

٥٤

١٠

(١) كَذَا بِالْأَصْلِ : وَلَعَهَا ظَهَرَ . (٢) فِي الْأَصْلِ : مِنَ الْفَائِتِ .  
(٣) فِي الْأَصْلِ — نَفَذَتْ — بِغَيْرِ نَقْطَةٍ عَلَى الدَّالِ ، وَكَذَا فِي جَمِيعِ الْمَوَاطِنِ السَّابِقَةِ  
الَّتِي ذَكَرْتُ فِيهَا السَّكْمَةُ فِي هَذَا الْمَجْلَدِ .



فصل في ذكر الوزير أبي الفضل محمد بن عبد الواحد البغدادي  
الدارمي ، وإثبات جملة من أشعاره مع ما يتشبهت بها من طريف أخباره .

- بلغني أنه خرج من بغداد إذ مات أبوه ، وأساء عشرته أخوه ، وسنه  
دون العشرين ، فلحق بالأمير محمود ، وشهد حروبه بأرض الهند ، وله فيه  
غير ما قصيد . إلى أن توفي فولي أكبر ولده بعده ، فبقي أبو الفضل على حاله  
عنده ، إلى أن خرج بعض إخوته عليه ، فهض لحربه ، فدبر<sup>(١)</sup> وزراؤه  
في طريقه الفتك به ، وشاوروا أبا الفضل في القضية ، فأبى من تلك الدنية ،  
وأودع أذن الأمير ، ذلك التدبير . فخاف وزراؤه أن يفتضحوا ، وعاجلوه قبل  
أن يصبجوا ، وقيّدوه قبل أن يقدم أخوه ، فسبقهم أبو الفضل إليه ، وقص  
ما فعلوه بأخيه عليه . فشكر له وفاءه لصاحبه ، وقال : الوفاء حلية الأحرار ،  
والغدر ثوب الأشرار . ووصل القوم بعد بأخيه ، فلك عن أغلاله ، وحبسه  
عند بعض عماله . وضرب أعناق العذرة ، وقرب أبا الفضل واستوزره ، إلى  
أن خرج عنه في خبر طويل . ولحق بشرّوان شاه وصحبه إلى أن توفي أيضا .  
وولّوا أخاه ، فكتب أبو<sup>(٢)</sup> الفضل الخليفة أبا جعفر القائم ببغداد في الوصول  
إليه ، فاتفق ورود كتابه إثر وفود رسول المعز بن باديس عليه ، فطلب  
الخليفة رجلا يسفر بينهما ، فأرشد إلى أبي الفضل ، فوجه عنه ، وورد فجهزه .  
وخرج مستترا من بلد إلى بلد حتى وصل حلب ، فاشتهر خبره ، وطلب  
مدح معز الدولة بقصيدته التي أوّلها : « عهود الصبا من بعد عهدك آمل »  
فأمر له بثياب سريّة ، وحمله على فرس عربيّة . ثم انفصل عنه واجتاز بمعرة

(١) في الأصل : فدبروا وزراؤه . (٢) في الأصل : أبا الفضل .



الثعمان ، وبها المعري أحمد بن سليمان . فوصل إليه ، وأنشده قصيدته اللامية ،  
 فقبل المعري بين عينيه ، وقال له : بأبي أنت من ناظم ! ما أراك إلا الرسول  
 إلى المغرب . فوصل مصر ووزيرها يومئذ صدقة بن يوسف بن علي الملقب  
 بالفلاح . فقصده مجلس قاضي القضاة بها ، وأثبت عقداً على رجل مشهور كان  
 يومئذ ببلاد المغرب بشهادات زور ، ولما ثبت ذلك من الطومار ، خرج من  
 مصر في زى التجار ، يؤم بلاد إفريقية . فوقع على خبره صاحب الإسكندرية ،  
 وطلبه فأعجزه . وبلغ أطرابلس المغرب أول عمل المعز ، فأفشى أمره ، وفضح  
 سره . فأمر المعز بإشخاصه . فلما وصل سعى به عنده وأراد قتله ، فقال له :  
 تأن في ، واستقص علي ، فإن صدقت وإلا قتلت . فمضى أبو الفضل بالقيروان  
 مراقباً عليه ، إلى أن ورد كتاب القائم بصدقه ، فاعتذر إليه ، ورفع منزلته ،  
 وأكرمه وبسط يده في مطالعته ، وحكمه <sup>(١)</sup> . فحماهم أبو الفضل إلى منزله ،  
 وأحسن إليهم ، وخلع عليهم . فعجب المعز من كرمه ، وقلده تدبير حشمة .  
 وكان ورود أبي الفضل ببلد القيروان سنة تسع وثلاثين . حكى ذلك أبو علي  
 ابن رشيقي ، وقال إنه أول من أدخل كتاب اليتيمة للشعالي عندهم ، وشهد  
 حصار القيروان معهم . فلما كانت عام ستة وأربعين صرف المعز خطبته إلى  
 صاحب مصر ، ونبذ العباسية . فخرج أبو الفضل إلى سوسة ، فتطاول عليه  
 أهلها ، فخرج عنهم بعد أن أوقع الفتنة بينهم ، وتركهم فرقتين : قيسية ويمنية ،  
 وأوقع في نفوسهم أن الحرب قائمة بين هاتين القبيلتين إلى يوم القيامة . فاقتتل  
 الفريقان إلى أن تغلب عليهم تميم بن المعز ، وتردد أبو الفضل هنالك عدة  
 سنين ، وشهد الحروب مع بلقين . ثم انتبذ من تلك الناحية وركب البحر ،

(١) يريد وحكمه فيمن سموا به .



فَنَزَلَ بِدَائِنِيَّةٍ ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ أَمِيرُهَا ابْنُ مُجَاهِدٍ بِلَحْمٍ وَأَرْبَاعٍ دَقِيقٍ أَوَّلَ نَزْوِلِهِ ،  
فَصَرَفَهَا فِي وَجْهِ رَسُولِهِ ، وَتَعَجَّلَ الْإِرْتِحَالَ عَنْهُ إِلَى بَلَنْسِيَّةَ فَلَقِيَ بِرًّا . وَاسْتَجْلَبَهُ  
المَأْمُونُ بْنُ ذِي الثَّنُونِ فَحَسَنَ بِطُلَيْطَلَةَ مَشَوَاهُ ، وَأَجْزَلَ قِرَاهُ ، وَتَوَسَّعَ لَهُ وَلِعَبِيدِهِ  
فِي الْبَرِّ ، وَأَجْرَى لَهُ سَتِينَ مِثْقَالًا فِي الشَّهْرِ . وَكَانَ دَخُولُهُ طُلَيْطَلَةَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ  
لثَلَاثِ بَقِيْنِ الْجُمَادَى الْأُولَى سَنَةِ أَرْبَعٍ وَخَمْسِينَ ، وَتُوُفِّيَ بِهَا رَحِمَهُ اللَّهُ مُنْتَصَفَ  
شَوَالٍ سَنَةِ خَمْسٍ وَخَمْسِينَ . وَمِنْ غَرِيبِ وِفَاءِ الْمَأْمُونِ لَهُ — زَعَمُوا — أَنَّهُ  
اسْتَمَرَّتْ جِرَائِقُهُ عَلَى حَاشِيَتِهِ ، وَتَجَافَى عَنْ مِيرَاثِهِ وَجَعَلَهُ وَصِيَّةً لَهُ إِذْ لَمْ يُوصِ  
لِفَجَاءَةِ وَفَاتِهِ . وَرِثَاهُ الْحَكَمُ أَبُو مُحَمَّدٍ بْنُ خَلِيفَةَ بِشَعْرِ يَقُولُ فِيهِ :

سَقَى اللَّهُ قَبْرًا حَلًّا فِيهِ أَبُو الْفَضْلِ سَحَابًا يَسِخُ الْمُزْنَ وَبَلًّا عَلَى وَبَلٍ  
وَكَيْفَ يُسَقَّى الْمُزْنَ قَبْرًا يَحُلُّهُ وَفِي طَيْهِ بَحْرُ الْمَكَارِمِ وَالْفَضْلِ  
وَبَدْرُ تَمَامٍ مِنْ تَعِيمٍ نَجَّارُهُ مَلُوكٌ لَهُمْ قَامَ الْمُلُوكُ عَلَى رِجْلِ  
وَمِنْهَا :

وَمَا الدَّهْرُ إِلَّا آ كُلٌ مِنْ نَفُوسِنَا وَنَحْنُ لَدَيْهِ فِي الْحَقِيقَةِ كَالْأَكْلِ  
وَهَذَا كَقَوْلِ الْمَعْرِيِّ :

وَمَا الْأَرْضُ إِلَّا مِثْلُنَا<sup>(١)</sup> الرِّزْقُ تَبْتَغِي وَتَأْكُلُ مِنْ هَذَا الْأَنَامِ وَتَشْرَبُ  
وَقَدْ كَرَّرَ الْمَعْرِيُّ هَذَا الْمَعْنَى فِي مَوَاضِعَ<sup>(٢)</sup> :

فَشِمُّ صَارِمًا وَارْكُزُ قَنَاقَةً فَلِلرَّدَى يَدٌ هِيَ أَدْرَى بِالطَّعَانِ وَأَدْرَبُ  
أَفْضُ لِهَامَاتٍ وَأَرْمَى بِأَسْهُمٍ وَأَطْعُنُ فِي قَلْبِ الْخَيْسِ وَأَضْرَبُ  
وَوَزِيرُ مِصْرَ الْمَلَقَبِ بِالْفَلَّاحِ الْمُتَقَدِّمُ الذِّكْرِ ، وَالَّذِي كَانَ يُوسُفُ بْنُ عَلِيٍّ

(١) فِي الْأَصْلِ : « مِثْلُ الرِّزْقِ » وَالتَّصْبِيحُ عَنِ اللُّزُومِيَّاتِ .

(٢) اللُّزُومِيَّاتُ ج ١ ص ٧٤ .



الذى هجاه الواساني بالقصيدة التى أولها (١) :

يا أهل جَيْرُونَ هَلْ لِسَامِرِكُمْ إِذْ اسْتَقَلْتُ كَوَاكِبُ الْجَمَلِ  
وهو يومئذٍ مُشْرِفٌ عَلَى دِمَشْقٍ فِي أَيَّامِ الْحَاكِمِ ، وهى قصيدةٌ فى معناها  
فَرِيدَةٌ . وقال الحَاكِمُ يَوْمًا : أَرِيدُ سَمَاعَ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ مِنْ رَجُلٍ حَسَنِ النَّدِيدِ ،  
فَقِيلَ لَهُ صَوْتُ الذِّى قِيلَتْ فِيهِ لَا أَحَدٌ يُجَارِيهِ ، فَأَحْضَرَ وَاسْتَعْفَى مِنْ نَشِيدِهَا  
فَلَمْ يُعَذِّرْ ، وَأَنْشَدَ إِلَى أَنْ انْتَهَى إِلَى قَوْلِ الْوَاسَانِي فِيهَا :

كُنْتُ عَلَى بَابِ مَنْزِلِ سَحَرًا أَنْتَظِرُ الشَّاكِرِيَّ يُسْرِجُ لِي  
وَطَالَ لَيْلِي بِحَاجَةٍ عَرَضَتْ بَاكِرَتُهَا وَالتَّجْوُمُ لَمْ تَعَلِ  
فَمَرَّ بِي فِي الظَّلَامِ أَسْوَدُ (٢) كَالْفَيْلِ عَرِيضُ الْأَكْتَفِ ذُو عَضَلِ  
مُشَقَّقُ الْكَعْبِ أَفْدَعُ الْيَدِ وَالرَّجُلُ طَوِيلُ السَّاقَيْنِ فِي سَمَلِ  
فَأَهْدَتِ الرِّيحُ مِنْهُ لِي أَرْجَا مِثْلَ جَنَى الرُّوضِ فِي النَّدى الْخَضِلِ  
فَصِحْتُ مِنْ خَلْفِهِ رُوَيْدَكَ يَا أَسْوَدُ مَا لِي بِالْعَدُوِّ مِنْ قَبَلِ  
فَنَكَّرَ نَحْوَى عَجَلَانَ يَعْثُرُ فِي مِرْطِ كِسَاءٍ مُبْرِغَةٍ قَمَلِ  
وَقَدْ مَدَى فَا الْمَذْيُ يَقَطُرُ مِنْ غُرْمُولِهِ فِي الذُّيُولِ كَالْوَشَلِ  
وَوَظَنَّا أَنِّي صَيِّدٌ فَأَبْرَزَ لِي فَيْشَلَةٌ مِثْلَ رُكْبَةِ الْجَمَلِ  
وَقَالَ : لِيَجْ دَارَكُمْ لِأَوْلَجَهَا فِيكَ وَإِنْ كُنْتَ لَمْ تَبُلْ فَبُلْ  
فَطَالَمَا أَهْمَلْتُ طَبِيعَةً مَنْ لَيْسَ لَأَمْثَالِهَِا بِمُحْتَمَلِ  
فَانْظُرْ إِلَيْهَا فَإِنْ رَأَيْتَ لَهَا شِبْهًا فَلَا تَدْعُنِي أَبَا الْجَمَلِ (٣)  
وَأَخُذْ عَمُودًا غِلَافُهُ شَرَجٌ لَمْ يُمْتَنَنْ سَاعَةً وَلَمْ يُذَلْ

(١) راجع القصيدة فى اليتيمة (ج ١ ص ٢٧٤) .

(٢) لم ترد فى الأصل والتصحيح عن اليتيمة .

(٣) فى الأصل : « أَبَا الْعَجَل » والتصحيح عن اليتيمة .



قلت له : والذي يَمُدُّ لك المُمْرَ وَيُعْطِيكَ غَايَةَ الْأَمَلِ  
 مَاشَقَّ دُبْرِي مُدَّ قُطَّ فَنَشَلَهُ وَلَا انْتِخَابُ الْأَيُورِ مِنْ عَمَلِي  
 وَلَا هَذَا دُعِيْتُ<sup>(١)</sup> فَأَطْلُبْ لِعُرِّي مُوَلِّكَ مَنْ يَسْتَلْذُهُ بَدَلِي  
 وَهَاتِ قُلِّي لِي بِاللَّهِ مِنْ أَيْنَ أَقْبَلْتَ وَدَعْنِي مِنْ هَذِهِ الْعِلَالِ  
 ٥ فقال : لِي بَتُّ عِنْدَ عَامِلِكُمْ هَذَا أَبِي الْفَضْلِ يُوسُفَ بْنَ عَلِيٍّ  
 فَصَاكَ بِي طَيِّبُهُ وَصَاكَ بِهِ مِنِّي صُنَانٌ فِي حِدَّةِ الْبَصْلِ  
 تَرَكَتُهُ فِي النَّهَارِ أَخْفَشَ لَا يَنْظُرُ فِي خِدْمَةٍ وَلَا عَمَلٍ  
 قلتُ تَرَدَّيْتُ<sup>(٢)</sup> وَاعْتَدَيْتُ عَلَى شَيْخٍ نَبِيلٍ يُنَمِّي إِلَى نُبُلٍ  
 لَعَلَّهُ غَيْرُهُ فَصِفُهُ فَمَا تَخْدَعُ مِثْلِي بِهِذِهِ الْحَيْلِ  
 ١٠ فقال : يَا سَيِّدِي عَجَلْتَ بِمَكْرُوهِهِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ  
 هَذَا<sup>(٣)</sup> الَّذِي بَتُّ عِنْدَهُ نَصَفُ دُونِ مُسْنٍ وَفَوْقَ مُسْكَنْهِ  
 أَدْرُ رِخْوُ الْعِجَانِ مُنْحَرَفُ الْمِيسَمَرِ الْحَيُّ مُهَيَّجُ الشُّفْلِ  
 أَنْتَنُ مِنْ كُلِّ مَا يُقَالُ إِذَا بَالَغَ فِي النَّتَنِ ضَارِبُ الْعَمَلِ  
 نَعَمْ ، وَفِي بَابِ سُرْمِهِ<sup>(٤)</sup> وَضَحُّ أَيْتُ لَيْلِي مِنْهُ عَلَى وَجَلٍ  
 ١٥ أَخَافُ يُعْدِي أَيْرِي بِبَرَصَتِهِ فَاعْتَدِي مُثْلَةً مِنْ الْمُثَلِ  
 فقلتُ : هَذِهِ صِفَاتُهُ وَلَقَدْ شَغَلَتْ قَلْبِي بِذَلِكَ الرَّجُلِ

### ومنها في التعريض بمنشأ بن إبراهيم

فقلتُ قُلِّي لِي مِنْ أَيْنَ تَعْرِفُهُ فَقَالَ زِدْنِي<sup>(٥)</sup> مِنْ هَذِهِ الْعُقُلِ

(١) لم ترد في الأصل . (٢) في البيعة « ترايدت » .

(٣) في الأصل « هو » . (٤) في الأصل « صرمة » .

(٥) في البيعة : ذرني .



كُنْتُ أَجِيرًا بَيْتًا<sup>(١)</sup> مَعْصَرَةً كَانَتْ قَدِيمًا لِكَاتِبِ الْبَجَلِ<sup>(٢)</sup>  
 فَنِمْتُ يَوْمًا وَكُنْتُ مِنْ سَهَرِ اللَّيْلِ وَقِيذًا كَالشَّارِبِ الثَّمَلِ  
 فَاجْتَازَ لِلْحَيْنِ وَالْقَضَا الَّذِي حُسْمٌ مَنْشَأًا فِي مُوَكَّبِ زَجَلِ<sup>(٣)</sup>  
 وَكَانَ مِنْهُ التَّفَاتَةُ فَرَأَى ذِيْلَ قَمِيصِي قَدْ قُدَّ مِنْ قُبُلِ  
 فَاشْتَدَّ تَحْدِيْقُهُ<sup>(٤)</sup> إِلَى كَمَا حَدَّقَ ذَنْبٌ طَاوٍ إِلَى حَمَلِ  
 وَلَمْ أَبْتَ لَيْلِي وَعَيْشِكَ يَا مَوْلَايَ حَتَّى رُفِعْتُ بِالرُّسُلِ  
 فَجِئْتُهُ خَائِفًا كَمَا يَلِجُ الْمَعْصُورُ مُسْتَكْرَهًا عَلَى الْوَرَلِ  
 فَارْتَعْتُ لِمَا رَأَيْتُ لِحِيْتَهُ وَكِدْتُ أُخْرِى مِنْ شِدَّةِ الْوَجَلِ  
 وَظَنُّ أَنِّي اسْتَحْيَيْتُهُ فَقَدَا يَبْسُطُنِي بِالْمُزَاحِ وَالْغَزَلِ  
 وَقَالَ إِنْ كُنْتُ مُكْرِمِي ثُلٍّ قَدْ رَى فَبَعْضُ الْهُوَانِ أَرْفَعُ لِي  
 إِنْتِفَ سِبَالِي وَاصْفَعُ قَفَايَ وَلَا تَنْظُرْ إِلَى قُدْرَتِي وَلَا خَوْلِي  
 وَلَمْ يَزَلْ دَائِبًا يُشْمِرُ شَا قَوْلِي<sup>(٥)</sup> وَيَحْتَالُ لِي عَلَى مَهَلِ  
 فَحِينَ أَدْلَيْتُ كَالْحِمَارِ بَدَا يَرْفَعُ أَثْوَابَهُ<sup>(٦)</sup> عَلَى الْكَفَلِ  
 وَخَرَّ لِلْوَجْهِ وَالْجَبِينِ وَقَدْ رَطَّبَ حَوْلِي خُصِيْمِهِ بِالْبَالِ  
 طَعْنَتُهُ طَعْنَةً بِصَدْقِ الْأَنَا يَبِ أَصْمُ الْكُعُوبِ مُعْتَدِلِ  
 ثُمَّ رَمَى صَفْحَتِي بِلَحِيْتِهِ فَقُلْتُ دَاهِ الشَّرْمِ<sup>(٧)</sup> مِنْ بَنِي ثَعْلِ  
 فَقَالَ أَخْطَأْتُ إِذْ أَسَلْتُ دَمِي فَقُلْتُ كَلَّا وَاللَّهِ لَمْ يَسِلِ  
 أَيْنَ النَّجِيمُ الْقَانِي فَدَيْتُكَ مِنْ لَطِنِ رَجِيمِ كَالْوَرَسِ مُنْسَجَلِ

(١) فِي الْأَصْلِ : بَيْد . (٢) كَذَا بِالْأَصْلِ .

(٣) فِي الْأَصْلِ : رَحَل ، وَالتَّصْحِيحُ عَنْ الْيَتِيْمَةِ .

(٤) فِي الْأَصْلِ : تَحْدِيْقُهُ .

(٥) فِي الْأَصْلِ : يَشْمِرُ سَافُولِي ، وَالتَّصْحِيحُ عَنْ الْيَتِيْمَةِ .

(٦) فِي الْيَتِيْمَةِ : أَجْلَالَهُ عَنْ . (٧) رَسَمَ السَّكْمَةَ فِي الْأَصْلِ : الصَّرْم .

فقال أيرُ أرى به هوجاً<sup>(١)</sup> قد جازَ حَدَّ الجنونِ والخبَلِ  
 يأسىدى ما اسمه فقلتُ أبو الأسـ ودٍ يُسكنى وليسَ بالدُّولى  
 وهى طويـلةٌ ، فلما فرغَ قالَ له الحاكمُ لمَ لمَ تقطعْ لسانه ؟ والله لا عملت  
 لى عملاً بعدُ ، فصرفه .

### جُمْلَةٌ مِنْ أَشْعَارِ أَبِي الْفَضْلِ فِي أَوْصَافِ شَتَّى النَّسِيبِ وَمَا يَنَاسِبُهُ

كَانَ يَوْمًا مَعَ الْمُعَزِّ بْنِ بَادِيسَ فِي مَجْلِسِ أَنَسٍ ، وَغُلَامٌ وَسِيمٌ يَدُورُ بِالسَّكَّاسِ  
 فَقَالَ فِيهِ :

وَمُعَذَّرُ نَقْشِ الْجَمَالِ بِمَسِكَه خَدًّا لَهُ بِدَمِ الْقُلُوبِ مُضَرَّجَا  
 لَمَّا تَيَقَّنَ أَنَّ سَيْفَ جُفُونِهِ مِنْ تَرْجَسٍ جَعَلَ النِّجَادَ بِنَفْسِ جَا  
 ١٠ وَكَانَ لَهُ هَوًى بَغْلَامٍ فِي مَدِينَةِ السَّلَامِ فَإِذَا رَأَاهُ أَنْكَرَ حَبَّه ، وَالْغُلَامُ  
 يَعْرِفُ شِدَّةَ وَجْدِهِ وَكَلْفِهِ ؛ فَدَمَعَتْ يَوْمًا عَيْنَا أَبِي الْفَضْلِ ، فَقَالَ الْغُلَامُ :  
 دَمْعُكَ شَاهِدٌ عَلَيْكَ ، فَقَالَ :

وَهَبْنِي قَدْ أَنْكَرْتُ حَبْلَكَ جُمْلَةً وَأَلَيْتُ أَنِي لَا أُرُومُ مَحْطَهَا<sup>(٢)</sup>  
 ١٥ فَنَ أَيْنَ لِي فِي الْحَبِّ جَرْحُ شَهَادَةٍ سَقَامِي أَمْلَاهَا وَدَمْعِي خَطَاهَا ؟  
 وَدَخَلَ يَوْمًا عَلَى قَيْنَةٍ وَهِيَ تَتَبَخَّرُ بِالْقَدِّ ، وَدُخَانُهُ قَدْ عَلَا وَجْهَهَا فَقَالَ :

وَمَحْطُوطَةُ الْمُتَنِينِ مَهْضُومَةُ الْحَشَا مُنْعَمَةُ الْأُرْدَافِ تَدْمِي مِنَ اللَّامِيسِ  
 إِذَا مَا دَخَانُ الْقَدِّ مَرَّ<sup>(٣)</sup> جَمِينَهَا عَلَى وَجْهِهَا أَبْصُرْتَ غَيْمًا عَلَى الشَّمْسِ

وَهُوَ الْقَائِلُ :

(١) فِي الْأَصْلِ : أَوَى بِهِ هَوْنًا . وَفِي الْبَيْتَةِ : نَخَاصَ جَسْمِي أَيْرُ بِهِ هَوْجٌ .  
 (٢) كَذَا بِالْأَصْلِ . (٣) كَذَا بِالْأَصْلِ وَلَعَلَّهَا مَرَّ بِجَمِينِهَا .



يَغْرِسُ وردًا ناضِرًا ناظري  
فَلَيْمٌ مَنَعْتُمْ شَفَقِي قَطْفًا  
في وَجْهِ كَالْقَمَرِ الطالِعِ  
وَالْحَكْمُ أَنَّ الزَّرْعَ لِلزَّارِعِ !  
وقال :

وَحَيَاةٍ مَا غَرَسَ الْحَيَاءُ بِخَدِّهِ  
وَمُبْلَبِلٍ مِنْ صُدْغِهِ الْعَطِيرِ الَّذِي  
أَغْرَرَنِي بِمُحَبَّتِي فِي حُبِّهِ  
وَلَنْ تَعْدَرَ إِنْ عِنْدِي ذِلَّةٌ  
من وَرْدِهِ بِعَتَابِهِ وَعَتَابِي  
أَهْدَى لِي الْبَلْبَالَ دُونَ حِجَابِ  
غَرًّا يُطِيلُ مَعَ الْخُطُوبِ خِطَابِي  
تَسْتَعِطِفُ الْأَحْبَابَ لِلْأَحْبَابِ  
وقال :

يَالَيْلُ هَلَّا انْجَلَيْتَ عَنْ فَلَاقِ  
جَفَّتْ جُفُونِي الْآمَاقَ فَيْكُ فَمَا  
كَأَنِّي صُورَةٌ مُثْنَّةٌ  
وَأِنَّمَا أَشَارُ فِي هَذَا إِلَى قَوْلِ بَشَارِ :

جَفَّتْ عَيْنِي عَنِ التَّغْمِيضِ حَتَّى  
فَنَقَلَ لَفْظُهُ وَمَعْنَاهُ ، وَقَصَّرَ عَنْهُ كَمَا تَرَاهُ . وَقَدْ أَخَذَ أَيْضًا الْعَتَابِي هَذَا الْمَعْنَى ،  
وَاجْتِنَاءَ أَرْيَا ، فَرَدَّهَ شَرِيًّا ، بِقَوْلِهِ :

فِي مَاقِيٍّ انْقِبَاضٌ عَنْ جُفُونِهِمَا  
وَقَالَ أَبُو الْفَضْلِ :

بَذَرْتُ تِمْرَ عَلِيٍّ لَيْسَ يَلِينُ  
طَالِبًا لِلْخِلَافِ إِنْ لَمْ أَكُنْ كَا  
فَعَلَى ذَا مَا نَلْتَقَى قَطُّ حَتَّى  
خَابَ فِيمَا رَجَوْتُ فِيهِ الظَّنُّونُ  
نَ وَإِنْ كُنْتُ حَاضِرًا لَا يَكُونُ  
يَتَلَقَّى الْمُضَافُ وَالتَّنْوِينُ

وقال :

وظفني أراي غُرَّةً من جبينه  
تجرعت بالإسعافِ جرعةَ ظلمه  
وكم أمكنتني فرسةً فتركتها  
ولو كنتُ في ثوبِ الشبيبةِ رافلاً  
وهذا كقول الآخر :

دعني عيّنك نحو الصبا  
فلولا وحقك عُذرُ المشيبِ  
وهذا مثل قول جرير ومنه أنشد :

لولا الحياءِ وأنّي مشهورُ  
لحلتُ منزلَك الذي تحته  
وابن الرّفاع هو القائل :

لولا الحياءِ وأنّ رأسي قد عسا  
وقال بعض أهل عصرنا :

فلولا حياءِ المحيّا وما  
لمرغتُ خدّي وألفتُ بين  
وقال محمد بن هاني<sup>(١)</sup>

والله لولا أن يسفهنى الهوى  
لكسرت دملجها بضيقِ عناقها  
بنتم فلولا أن أغير<sup>(٢)</sup> لمتي  
لخططتُ شيباً في عذارى كاذباً

تزيد ضياء بين أصدائه الدّم  
لأنّي رأيتُ الظلم يدراً بالظلم  
حياء من الشيب الموقر بالحلم  
لصحّ على إتيان زلتها عزمي

دعاء تكرر في كل ساعة  
لقلت لعينك سمعاً وطاعة

والعيب يلحق بالكبير كبير  
ولكان منزلنا هو المهجور

فيه المشيب لزرت أمّ القاسم

عراني لفقد الصبا من مُصاب  
هشيم المشيب ورّض الشباب

ويقول بعض القائلين تصاني  
ولمت من فيها البرود رُضابا  
عبثاً وألقاكم على غُضابا  
ومحوت محو النقيس عنه شبابا

(٢) في الأصل : غير .

(١) راجع الديوان ص ١٠٦ .



وخلعته خلع النجادر مذمماً واعتضت من جلبابه جلباباً  
وخضبت مسود الحدار عليكم لو أنني أجد البياض خضاباً  
وسأله أبو منصور الثعالبي أن يصف غلاماً صغيراً كان بديع الحسن ،  
ليثبت ذلك في كتابه المترجم بألف غلام ، فقال :

إني عشقت صغيراً قد دب فيه الجمال  
وكاد يفشي حديث الـ فضول منه الدلال  
لومر في طرقي<sup>(١)</sup> الهجر لاعتراه ضلال  
وتاه فيه اغتراراً لو لم يفشه الوصال  
يريك بداراً تماماً في الحسن وهو هلال

وسأله أيضاً أن يصف غلاماً كاتباً كان حسن الخطين خط اليد وخط  
الوجه ، فقال :

وكاتب أهديت نفسي له فهي من سوء فدا نفسه  
سلط خديه على مهجتي فاستأصلاها وهي من غرسه  
كأنما خط على خده مثل الذي قد خط في طرسه  
فلمست أدرى بعد ما حل بي بعشكه أتلف أم نفسه

وقال فيه :

وشادن أسرف في صده وزاد في التيه على عبده  
الحسن قد بث على خده بنفسجاً يرنو إلى ورده  
رأيت يكتب في طرسه خطأ يضاهي الدر في عقده  
نخلت ما خـطه كفه للحسن قد خط على خده

وَألم أبو الفضل في هذا بقول بعض الكتاب :

ما أخطأت نوناتُه من صدغِه      شيئاً ولا ألفاتُه من قدّه  
وكأنما أنقاسه<sup>(١)</sup> من شعره      وكأنما قرطاسُه من جلده

وينظر إلى هذا من طرف خفي ، قول أبي سُمرة الدارمي قال :

سرابُ الفَيافي صادقٌ عندَ وعدِها      وسمُّ الأفاعي مُبرئٌ عندَ صدّها  
رمتني ولم أَسعدْ بأيامٍ وصلِها      بعيني مَهابةً أنحسنتني ببعديها  
تعلقها قلبي كما قد تعلقْتُ      صوالجُ صدغِها<sup>(٢)</sup> بتفاحِ خدّها  
فقلبي لما أضعفتُه كخمرِها      ودمعي لما نظمتُه كعقدِها

وقال أبو الفضل :

قلت للملقى على الخدِّ (م) ين من وردِ خمارِ  
والذي سلَّ على العشاقِ بالاحظِ شِفارا  
أسبَلِ الصدغُ على خدِّ      لك من مسكٍ عذارا  
أم أعانَ الليلَ حتى (م) قهرَ الليلُ النهارا ؟  
قال ميدانُ جرى الحسَّ      ن عليه فاستقدارا  
ركضتُ فيه عيونُ      فأثارتُه غُبارا

وقال يتشوق إلى بلده :

أهيمُ بذكرِ الشرقِ والغربِ دائباً      وما بي شرقٌ للبلادِ ولا غربُ  
ولكنَّ أوطاناً نأتُ وأحبّةً      فقدتُ متى أذكرُ عهدَهم أصبُ  
إذا خطرت ذِكرهمُ في خواطري      تنائرٌ من أجفاني الأولو الرطبُ  
ولم أنسَ من ودعتُ بالشطِّ سحرةً      وقد غرَّدَ الحادونَ واستعجلَ الركبُ

(١) في الأصل : أنقاسه . (٢) في الأصل : خديها .



ألفان هذا سائرٌ نحو غُرْبَةٍ  
وقال في مثله : وهذا مقيمٌ سارٌ<sup>(١)</sup> عن صدره القابُ

تذكرُ نَجْدًا والحمى فبكى وَجْدًا  
وحَيْثُ أَنْفَاسُ الْخَزَامَى عَشِيَّةً  
فأظهرَ سُـلُوانًا وأضمرَ لَوْعَةً  
ولو أَنَّهُ أُعْطِيَ الصَّبَابَةَ حُكْمَهَا  
ولم أَنَسَهُ وَالسُّكْرُ يَفْتِلُ قَدَّهُ

وقال :

ومغورِ الجفونِ بلا نُحْـمَارٍ  
فما زالتْ به حِيَالِي إِلَى أَنْ  
وجادَ بَقْبَلَةٍ فشمِمتُ مِسْكَاً  
فكان السُّكْرُ لِي سَبِيباً سَقَانِي  
فيا شَرِباً وردتُ فـكَانَ عَذْباً

وقال :

قالوا تَبَدَّى شَمْرُهُ فَأَجَبْتُهُمْ  
والبدرُ أبهرُ ما يكون ضِيَاؤُهُ

وقال :

ظبيُّ إذا حركَ أَصْـدَاغَهُ  
غَنَى بِشِعْرِي مُنْشِداً لِيَتْنِي ۖ  
فكلما كرَّرَ إِنْشَادَهُ

(١) رسم الكلمة في الأصل : صار .

وقال :

يا ذا الذي خطَّ الجلالُ بوجهه      سَـطَرَيْنِ هاجا لوعةً وبَـلاَـبِـلا  
ما صحَّ عندي أن لحظك صارمٌ      حتَّى لِدستَ بعارضيك حمائلًا  
وهذا كقول ابنِ رشيق :

وهل [ ترى ] عارضيه إلا      حمائلًا قُلدتُ حُـسـامـا

وقال أبو الفضل في بعض غلمانِه وكان له به هوى :

علىَّ لا تَصِلْ وَبَيْنَ      فقلبي غيرُ مُرتَهَنٍ  
غَضِبْتَ فزِدْ ودُمُ غَضِبًا      فإني عن رضاك غني  
أَتُخْفِي بِغَضَّتِي سِرًّا      وتُبْدِي الحبَّ في العلنِ ؟ !  
لَقَدْ غَرَّتْكَ فِي مَمِيلِي      إليك كواذبُ الظننِ  
أَتَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ هَوًى      وودُّك لي على دَخَنِ ؟ !  
إِذَا فَسَدَتْ يَدٌ قُطِعَتْ      ليسلمَ سائرُ البدَنِ

فأجابه الغلام :

غلامُك غيرُ مُمتَهَنٍ      تُخـوِّنه ولم يَخْنِ  
وَتَطْلُبُ عَتْبَهُ ظُلْمًا      على غضبٍ ولم يكنِ  
وَتُوقِعُهُ بِمَا قَدْ قَدْ      تَ في بحرٍ من الفتنِ (٢)  
فَقُلْ لِي كَلَّ طَرَفُكَ أَمْ      خلا طرفي من الفتنِ ؟

وقال أبو الفضل :

وحبيب [ ضنَّ ] بالوصلِ رتيها      هل تَضِنُّ (١) البدورُ بالإشراقِ  
أنا أخشى إن دامَ ذا الهجرُ أنْ يُذْ      شِطَّ من حُبِّه عِقَالٌ وَثاقِ

(١) في الأصل : يظن .

(٢) كذا ولعلها : الظنن تفادى الأخطاء .



فأريحَ الفؤادَ ممّا اعتراهُ وأردّ الهوى على العشاقِ  
وقال :

سمحتُ بنفسى غداةَ الرحيلِ غراماً على القمرِ الآفلِ  
وبتُ أنفُضُ ختامَ الجفونِ وأبكي على الجسدِ الناحلِ  
ومن عجبِ العشق أن القليلَ يحنُّ ويصبو إلى القاتلِ !

وقال :

يا حادياً وجمالاً الحى سائمةً ماذا تريدُ بقلبي أيّها الحادى ؟  
كلفته السَّيرَ من جسمى ففارقته (١) وهل يسيرُ أسيرُ ما له فادٍ ؟  
رفقاً فقد هجّت شوقاً ما استعدّ له فكيف يرحلُ مشتاقٌ بلا زادٍ ؟

وقال :

أيا بصري أعدى (٢) علىّ ويا سمعى ويا مسرّفاً عند التضرع فى مفعى  
إذا كنت مطبوعاً على الهجرِ والجفا فمن أين لى صبرٌ فأجعله طبعى ؟  
سل المطرَ الغمرَ الذى عمّ أرضكم أجاء بمقدارِ الذى فاضَ من دمعى ؟

ما أخرجته من شعره فى سائر الأوصاف

كان ليلةً مع بعض إخوانه وبين أيديهم شمعة ، فأفضى حديثهم إلى وصفها ،  
فجملَ من حضرَ يريّض نفسه ، ويعمل فى ذلك حسّه ، فقال أبو الفضل :  
ذهبتنا فأذهبتنا الهمومَ بشمعةٍ غنينا بها عن طلعة الشمسِ والبدرِ  
أقولُ وجسمى ذائبٌ مثلَ جسمِها ودمعها تجري كما دمعى تجري  
كلانا لعمري ذو بيانٍ من الهوى فنارُك من حجرٍ ونارى من هجرٍ

(١) فى الأصل : ففارقته .

(٢) رسم الكلمة فى الأصل « عذا » ولعلها ما أثبتناه أو لعلها « أعزى » .

وأنتِ على ما قد تُقاسين من أذى فصدرك في نار ونارى في صدرى  
وله في وصفٍ طريف :

حكى فرسى الليل في لونه فقابله البدرُ عند اضطرار  
فكان له غرة في التمام ونعلاً لحافره في السرار

وقال :

رُبَّ ليلٍ أبطأ على فلما مدّ ضافى<sup>(١)</sup> دُجَاه ما استبطانى  
جئتُ أسعى إليه سعى زلالٍ ماء يستنُّ في حشى الظمان  
ظلتُ أسرى بمثله فيه حتى خلّتنى قد أحاط بي ليلان  
فهو طريفٌ له حصانى<sup>(٢)</sup> سواد أنا فيه كهينة الإنسان

وأرى السلامى قد نبّهه على هذا التشبيه ، وإن كان أبو الفضل قد زاد فيه .  
وكان السلامى قد ركب زورقاً بدجلة فقال :

وميدان تجول به خيول تقود الدارعين وما نقاد  
ركبتُ به إلى الذات طرفاً له جسمٌ وليس له فؤاد  
جرى فظننتُ أن الأرض وجه ودجلة ناظرٌ وهو السواد

وقال عبدُ الجليل للمعتمد بن عبادٍ من شعرٍ قد تقدّم إنشاده في صفة جواز البحر :

فسرتُ فوق دِفاعِ الله تهصره براحة الدين والتّقوى فينصره  
كأنما كان عيماً أنت ناظرها وكل شطّ بأشخاص الورى شُفّر

وقال أبو الفضل في زامرٍ أسود :

وحالك اللون كالليل البهيم له فضائلٌ مُشرّقاتُ الحُسن كالفلق  
تنوب عن نطقه ريحٌ مؤثّرة في قلبٍ مُصطبِحٍ أو لبٍّ مُغتَبِق

(١) في الأصل : « صافى » . (٢) في الأصل : « خضافى » .



تَخَالُ مَجْلَسَنَا وَجْهًا بِهِ حَسَنًا  
كَأَنَّمَا كَفَّهُ مِنْ زَمَرِهِ سُلَيْمٌ  
تَرَاهُ يَحْفَظُ مَا يُوحَى إِلَيْهِ بِهِ  
يَحْدُو بِأَنْفَاسِهِ الْأَوْتَارَ مَجْتَهِدًا  
أَهْدَى الشَّبَابُ إِلَيْهِ حُسْنَ بَهْجَتِهِ  
إِذْ صَارَ فِيهِ كَحَالِ مُعْجَبٍ لِبَقِ  
أَوْزَمَرُهُ مِنْ يَدَيْهِ جِدُّ مُسْتَرْقِ  
وَسِرُّهُ أَبَدًا يَهْوَى بِمُنْخَرِقِ  
فَتَسْتَقِيمُ<sup>(١)</sup> بِهِ الْأَلْحَانُ فِي الطَّرْقِ  
فَنَاسِبَ الْمِسْكِ فِي لَوْنٍ وَفِي عَبْقِ

وقال :

هَاتِ اسْقِنِي فَالْعَيْشُ شَاكٍ جُرَاةً  
مِنْ قَهْوَةٍ تَدْعُ الْفَتَى مُسْتَحْسِنًا  
مَعَ نَاعَسِ الْأَلْحَاطِ تُخْبِرُ أَنَّهُ  
وَالثَّلْجُ يَحْكِي فِي الْأَكْتِنَانِ سَقُوطَهُ  
وَالدَّهْرُ نَكَبٌ عَنْ لِقَاءِ أَعْزَلَا  
مِنْ غَفْلَةٍ فِي شُرْبِهِ أَنْ يَجْهَلَا  
مَا قَالَ فِيمَا رِيَمَ مِنْهُ قَطُّ لَا  
وَضَائِلُ<sup>(٢)</sup> جِثَّتِهِ دَقِيقًا غُرْبَلَا

ويا بُعد ما بين هذا وبين قول بعض أهل عصرنا وهو :

[ وَالشَّمْسُ طَالَعَةٌ وَلَمَّا تَغْرُبِ<sup>(٣)</sup> ]  
خِلَتْ الرِّذَاذُ بُرَادَةً مِنْ فِضَّةٍ  
قَدْ غُرِبَتْ مِنْ فَوْقِ نَطْعٍ مُذْهَبِ

ولأبي الفضل في الشيب :

طَاقَةٌ نَفَّصَتْ عَلَى شَبَابِي  
فَأَقَامَتْ عِنْدَ الْمَكَانِ وَنَابَتْ  
قُلْتُ مَاذَا هَذَا لَعَمْرُ التَّصَابِي  
قَالَتْ<sup>(٤)</sup> قَدْ جَرَى مِنَ الرَّسْمِ لِلسُّلْطَانِ أَخْذُ الْبُرَاءِ قَبْلَ الْجَانِ  
وَإِنْ أَرَدَدْتَ فِي الْجَفَاءِ فَلَا تُنْكِرْ قُدُومِي عَلَيْكَ مَعَ أَعْوَانِ  
فَتَعَمَدْتُ نَتْفَهَا غَيْرَ وَانِ  
عِنْدَ نَتْفِي مِنْ غَيْرِهَا طَاقَتَانِ  
لِشَبَابِي وَجِدَّتِي مَحْنَتَانِ

(١) في الأصل : « فتستقيم » .

(٢) في الأصل : وطيل .

(٣) يياض بالأصل . (٤) في الأصل : قالت .

ألم في البيت الأخير بقول<sup>(١)</sup> :

رويدك حتى يلحق الجيش من خلف ... ..

وفي البيت الثاني والثالث بقول كشاجم :

أخى قمّ فعاوني على شبيمة بغت  
إذا ما مضى المنقاش يأتي بها أبت  
كجان على السلطان يجزى بذنبه  
وقال أبو الفضل من طردية :

أنعت<sup>(٢)</sup> كلباً لم يصب مثاله  
مثل الهزبر سلبت أشباله  
للسام من مصاله مصاله<sup>(٣)</sup>  
فكلنا من صيده عياله

وله من قصيد طويل :

كأنما الفجم والنيران تلهب به  
أوالزئود براها<sup>(٤)</sup> السيف في رهج  
مد الرماد عليه بعد رقدته  
أقول للنار والأحزان نائرة  
إيالك أن تقرّبي<sup>(٥)</sup> ناراً مؤججة  
أظن أنك ما لافيت ما لقيت  
ولا منيت<sup>(٦)</sup> بتوديع وقد جعلوا

(١) بيان في الأصل . (٢) في الأصل : أبت .

(٣) رسم هذا الشطر في الأصل : سام من مطاله مطاله .

(٤) في الأصل : أو الزئود براها . (٥) في الأصل : شطة .

(٦) في الأصل : تقرّني . (٧) في الأصل : سنييت .





يا زائراً زار من قرب على بُعد

آنست مُسْتَوْحِشاً لا ذقت ما ذاقا

يا ليل عرس على خلائن قد جعلنا بيض السواعد للأعناق أطواقا

ومن قصائده المطوّلات ، في المدح وما يتعلق به من الصفات .

قال من قصيدة في معز الدولة صاحب حلب :

وقفت على رسم الديار مُسائلاً وهل يشفى <sup>(١)</sup> من لوعة الحب سُؤالُ؟

فالوى رسوم الصبر رسم من اللوى وطل دموعى بالسببية <sup>(٢)</sup> أطلالُ

يُحْيِي بها صوب الحياء معالمًا خلعت عليهن الحاسن أنوال <sup>(٣)</sup>

فما رَوَّضَتْ أرضُ المهَادِ ملاحِفُ

وزهر رُباها الحلى والنسور خلخال <sup>١٠</sup>

ورقاء تسملى حنيني بنوحها كلانا على عهد الأحية هذالُ

وإني إذا ما ازور عني منزل رعى الحِلَّ في قطريه شد وترحالُ

أقيم إذا ما العز وطد مقرشى وأنبو إذا ما أعقب <sup>(٤)</sup> العز إذلالُ

أنا ابن الشرى إن ملنى <sup>(٥)</sup> متن سابق

تسلمنى شئت الجزارة مرقال <sup>١٥</sup>

كأن الفلا ظئر <sup>(٦)</sup> لها الليل حجلة تحن إليها من ركابي أطفالُ

(١) في الأصل : يشفى .

(٢) رسم الكلمة في الأصل : « بالست » ولعلها « بالسبية » أو « بالسبية » من

مواضع بلاد العرب . (٣) في الأصل : نوال .

(٤) في الأصل : أعقت ولعلها ما أثبتناه أو لعلها : أعنت .

(٥) رسم الكلمات في الأصل : إن حلى متنق ... ولعل الصواب ما أثبتناه .

(٦) في الأصل : طير .



تَفَوَّزُ فِي قَطْعِ الْمَفَاوِزِ جُرَاتِي إِذَا انْصَاعَ عَنْ قَطْعِ الْمَجَاهِلِ جُهَالُ<sup>(١)</sup>  
 إِذَا الْبَدْرُ جَلَّى وَجَنَّةَ الْبَرِّ نُورُهُ فَجُونُ الطَّلَى مِنْ فَوْقِ وَجَنَّتِهِ خَالُ<sup>(٢)</sup>  
 سَقَى حَلَبًا وَالْحَيَّ مِنْ آلِ عَامِرٍ هَزِيمٌ تَوَالَى مِنْ تَشَاصِكَ<sup>(٣)</sup> مِهْطَالُ  
 فَكَمْ أُنْمِرَتْ فِيهِ الْقَنَا مِنْ مُنَاقِفٍ وَكَمْ أَتَعَبَتْ فِيهِ الصَّوَارِمَ أَبْطَالُ  
 إِذَا خُطِبُوا الْعُلِيَاءُ يَوْمَ كَرِيهَةٍ فَأَسْـيَافُهُمْ فِيهَا مُهُورٌ وَأَجْعَالُ  
 بِيَمِنْ مُعَزِّ الدَّوْلَةِ انْكَشَفَتْ لَنَا مِنْ الدَّهْرِ أَحْوَالُ مَرَّتَهُنَّ أَحْوَالُ  
 تَحْجَافِي مُحِبِّي الْمَالِ حَتَّى كَانَمَا يُقَابِلُهُ مِنْهُمْ<sup>(٤)</sup> وَشَاةٌ وَعُذَّالُ  
 كَأَنَّ الْوَعْيَ طَرَفٌ لَهُ الْخَيْلُ<sup>(٥)</sup> تَحْجِرُ

لَهُ النَّفْعُ أَكْهَالُ لَهُ الزَّانُ<sup>(٦)</sup> أُمِّيَالُ  
 وَأُسْمَرُ عَسَّالٍ إِذَا احْتَدَمَ الْوَعْيُ تَصَدَّقَ مِنْهُ الزَّادَ أَطْلَسُ عَسَّالُ  
 وَلَهُ مِنْ أُخْرَى فِي ابْنِ ذِي النُّونِ الْمَأْمُونِ :

لَا يَشْرَبُ الْمَاءَ مَا لَمْ يُحْفَ حَافَتَهُ حَتَّى إِذَا قَطَرَتْ أَرْمَاحُهُ شَرِبَا  
 وَلَا يَرُدُّ الْمُحْيَا الطَّلُقَ بَغْرَتَهُ كَالْقِرْنِ عَنْ بَيْرِقِ خُلْبٍ خُلْبَا  
 مَا بَالُ بَالِي إِذَا سَكَنَتْهُ نَفَرَتْ عِشَارُهُ وَإِذَا كَفَّكَفَتْهُ انْسَرَبَا  
 أَلْتَبْرِمَ بِالْدُنْيَا وَزِينَتِهَا أُمُّ الْبَعِيدِ مِنَ الْآمَالِ قَدْ قَرُبَا  
 بِهَمَّةِ الْمَلِكِ الْمَأْمُونِ حِينَ غَدَا إِفْضَالُهَا لِتَنَاهِي هِمَّتِي سَبَبَا

(١) في الأصل : « إذا طاع ... جاهل » ولعل الصواب ما أثبتناه .

(٢) رسم هذا البيت في الأصل .

إذا البدر جلا وجهه البر نوره غده طلى فوق وجنته خال وهو مضطرب كما ترى ولعل ما أثبتناه أقرب الاحتمالات .

(٣) كذا بالأصل ولعلها من سنا البرق ورسم هذا البيت :

سعى حلياً والحلي من آل عامر هريم توالى من تشاصك مهطال

(٤) في الأصل : منه . (٥) في الأصل : الجبل .

(٦) في الأصل : الزان .

الواهبِ الألفَ لا عَيْنًا ولا وَرَقًا  
 في جَحْفَلٍ كسوادِ الليلِ مُرْتَكِمٍ  
 كأنما نَهْجُ أنبوبِ الرماحِ به  
 قومٌ إذا رَكَبُوا سَدُّوا الفضاءَ وإنْ  
 قد صَيَّرُوا الحَرْبَ كَأَسَاوِ الدَّماءِ بها  
 وله فيه من أخرى :

ولم يفهموا ما تكتبُ البيضُ في الوَغَى  
 تسرَّعَ حتى خِلْتُ كُلَّ مُقَصِّرٍ  
 وحتى توهمنا النجومَ أَسِنَّةً  
 وله من مَرثية في الملكِ شروان شاه :

يا مُوضِعاً<sup>(٢)</sup> عن مُلِكِكِ وسريره  
 طَلَّتْ رَزِيئَتُهُ دَمِي إِنْ لَمْ أَدْعِ  
 يا تَارِكاً رُسُلَ المُلُوكِ بَبَابِهِ  
 أَرَحَلْتَ ثُمَّ تَرَكْتَنِي وَلَقَبَلْتَ ذَا  
 أَتُرَى دَلِيلَكَ فِي السَّرَايَا غَرَّةُ  
 صِرْنَا نُقَبَلُ قَبْرَهُ وَلَطَالَمَا  
 جَدْتُ غَدًا جَفْنَا لَأَبْصِرَ نَاطِرَ<sup>(٣)</sup>  
 ياقَبْرِ لَمْ نَعْرِفْ<sup>(٤)</sup> تَشْتَتِ شَمِلُنَا<sup>(٥)</sup>  
 ظَلَمْنَا نَشَقُّ جِيوَبَنَا مِنْ بَعْدِ أَنْ  
 ماذا أَضْرَكَ لَوْ لَبِثْتَ قَلِيلاً؟  
 دَمَ مُقَلَّتِي فِي لَحْدِهِ مَطْلُولَا  
 مَنْ ذَا يَرُدُّ عَلَيْهِمُ التَّجْمِيلَا؟  
 كُنَّا نَحْفُ إِذَا أَرَدْتَ رَحِيلَا  
 خَطَا فَسَارَ إِلَى الْحِمَامِ دَلِيلَا؟  
 كُنَّا نَبِيحُ بِسَاطِهِ التَّقْبِيلَا  
 أَمْسَى وَأَصْبَحَ بِالرَّدَى مَكْحُولَا  
 حَتَّى غَمَدْتَ الصَّارِمَ الْمَصْقُولَا  
 كُنَّا نُجَرِّرُ فِي ذَرَاهُ ذُيُولَا

(٢) في الأصل : نسج .

(٣) في الأصل : « لأنصر ناصر » .

(٤) في الأصل : تعرف .

(٥) في الأصل : بعلنا .



وَنَعَبُ كَاسَاتِ الدُّمُوعِ كَأُنْثَا      فِي أَنْسِ مَجْلِسِهِ نَعَبٌ شَمُولَا  
عُذْلَ الْبَكَاءِ فَظَلَّ يُنْشِدُ نَفْسَهُ      يَبْتَأُ يُمَهِّدُ عُذْرَهُ الْمَقْبُولَا ...  
رَدُّ الْجَمُوحِ الصَّعْبِ أَيْسَرُ مَطْلَبَا      مِنْ رَدِّ دَمْعٍ قَدْ أَصَابَ سَبِيلَا  
مَا لِلرَّمَاكِ قَصْرُنَ عَنْ دَرْكِ الْمَدَى      وَرَأَيْنَ حَمَلَ نُصُولِهِمْ فُضُولَا ؟  
وَلَقَبْلُ كُنَّ إِذَا رَأَيْتَكَ عَازِمَا      عَيْنٌ طُولَكَ فَاسْتَفَذْنَ الطُّولَا  
لَيْسَ الْحِدَادَ حَدِيدُهُنَّ فَمَا نَرَى      إِلَّا سِنَانًا مِنْ صَدَاهُ كَلِيلَا  
تَبْكِيكَ أَقْلَامٌ [زَهَتْ] <sup>(١)</sup> مِنْ عُظْمِ مَا      كَتَبَتْ فُتُوحَكَ بُكْرَةً وَأَصِيلَا  
وَبَحُورُ شَعْرِ غَاصٍ <sup>(٢)</sup> مَدْحُكَ فَاثْتَقَى

منهنَّ دُرًّا فِي النَّظَامِ جَزِيلَا

وله من أخرى في بعض عبيده :

أَعْبَدَيْ قَدْ أَسَارْتُمَا [فِي] جَوَانِحِي      مِنْ الْوَجْدِ دَاءٌ مُسْتَكِنًا وَبَادِيَا  
أَسَاتِمُ وَلِلْحَبِّ الْمَبْرُحِ حُجَّةٌ      تُحَسِّنُ فِي عَيْنِي تِلْكَ الْمَسَاوِيَا  
لَئِنْ بَرَزَنِي دَهْرِي بِبَغْدَادَ تَرْوِي <sup>(٣)</sup>      فَمَا زِلْتُ مِنْ كَسْبِ الْحَامِدِ كَاسِيَا  
فِيمَا لَيْتَنِي لَمْ آتِ بِغَدَادِ نَابِهًا <sup>(٤)</sup>      وَأَصْبَحْتُ فِي أَكْنَافِ شِرْوَانٍ عَارِيَا  
فَلَوْ كُنْتُ فِيهَا لَمْ تُحْصَ قَوَادِمِي      وَلَا أَحْفَتِ <sup>(٥)</sup> الْأَشْوَاقُ مِنْهَا الْخَوَافِيَا  
فَهَزَقْتُ أَثْوَابَ الْفَلَاحِ بِسَوَابِقِي      تَظَلُّ بِهَا الْأَنْضَاءُ <sup>(٦)</sup> تَغْلِي الْفَيَافِيَا  
إِذَا [مَا] أُمَاطَتْنِي بِهَا نَشْوَةُ الْكَرَى      تَرَنِّجَ فِي كَفِّي الْمَهْدُ <sup>(٧)</sup> صَارِفِيَا

(١) هذه الزيادة أو ما في معناها لازمة لإقامة البيت — وفي الأصل « عن » مكان

(٢) في الأصل : عام .

(٣) في الأصل : ترني ... تروني .

(٤) في الأصل : أوت بغداد ماها (٦) في الأصل : أخفت .

(٧) في الأصل : الانصداع . ولفظا الفلى وتغلى غير معجمتين في الأصل .

(٨) في الأصل : ترمج ... المهدي .

وإن أنا طَلَقْتُ النهارَ بِجَوْرِها خَطَبْتُ خُدَارِيًّا<sup>(١)</sup> من الليل داجيا  
ومَن طلبَ الغــــــــــــــــاياتِ جَرَعَ نفسه  
سُـلَافَ الشَّرَى واستنهضَ النجمَ ساقيا

ما أخرجته من مقطوعاته الإخوانيات وغيرها

في أوصافٍ مختلفات

له من قصيدة في وصف القيروان وقت فتنة العامة بها يقول فيها :

حالت على القيروانُ بحالها عما عهدتُ العيشَ فهو مُنْقَصُ  
نُجْرابُها في كلِّ يومٍ زائدُ وجنابُها المعمورُ فيها يَنْقُصُ<sup>(٢)</sup>  
ومنها :

١٠ إنْ كانَ أرخصني الزمانُ فإنه أَسَدَى إلى بضائعا لا تَرُخُصُ  
أو كانَ غيرَ من طِبَاعِي<sup>(٣)</sup> موضعي فَاخْرُ إنْ تَرَكْتُ وِعَاها تَقْرُصُ  
كيفَ الرجوعُ وطِرفُ حالي عَائِرُ<sup>(٤)</sup> وجناحُ آمالي الكسيرُ مُقَصَّصُ  
وله من أخرى :

١٥ ولَمَّا أنْ كَسَانِي الشَّيْبُ ثَوْبًا ولم يَكُ وقتَ تَغْيِيرِ الثِّيابِ  
أَتَانِي غَفْلَةٌ وَالنَّفْسُ فِيهَا بَقَايا مِنْ عَقَابِيلِ<sup>(٥)</sup> التَّصَابِي  
وَعُصْنُ شَيْبَتِي غَضُّ نَضِيرُ به ظَمًا إلى ماءِ الشــــــــــــــــبابِ  
وَرَامَ النَّاسُ مِنِّي ما يُضَاهِي مَشْيِي فِي فِعَالِي أو خِطَابِي

(١) في الأصل : حواريا .

(٢) في الأصل : وحبابه .. تنقص

(٣) في الأصل : ضياعي

(٤) رسم الكلمة في الأصل غير واضح ويحوز

(٥) في الأصل : عقايل

أن يقرأ « غامض » .



ولم أقدم على وصل التصابي  
فداومت المدام فما أبالي  
فإن ظهر التصابي في يوماً  
وهذا من قول حسان :

نوليها الملامة إن ألمنا  
إذا ما كان مغث أو إحصاء (١)  
وقال أبو الفضل :

ومعنف لي في المقام ضرورة  
ألقى الهوان بها وكم من عزّة  
جهلوا على الإحسان فيها موضعي  
فكأنتي القرآن عند مغطّل  
ما الدرّ ينقص فضله في بحره  
كلاً وليس المسك يبطل عرفه  
ما عيب ضوء الشمس عند بزوغها  
والليث لا ينسى استطالة بأسه  
أو ما ترى الدنيا بفقد مليكها  
وله من أخرى :

وأعظم من مصيبات الليالي  
يقابلني بوذر متميل  
إذا عاتبته أبدى مجوناً  
ومن جعل السموم له دواء  
على وصرّفها خلّ خؤون  
وبين ضلوعه داء دفين  
وعلة ذلك العتب المجنون  
فيؤشك أن يفاجئه المنون

أَهْمُ بَأْنُ أَجَازِيهِ فَيَأْبَى عَلَى الْأَصْلُ وَالْعَرِضُ الْمَصُونُ  
أَرَى هَذَرَ<sup>(١)</sup> الْكَلَامِ الْمَحْضُ غَثًا فَيَرْدَعُنِي عَنِ الْغَثِّ السَّمِينُ  
وَلَمْ يُزْعِجْ زَيْبُ الْأُسَيْدِ حِلْمِي أَيْزَعُجُهُ مِنَ الْبَقِّ الطَّنِينُ ؟  
أَيْطَمِعُ أَنْ يَشُقَّ غُبَارَ مُهْرِي ذَلِيلٌ تَحْتَهُ عَيْرٌ حَرُونُ ؟  
سَلِ السُّمَرَ الذَّوَابِلَ مَا غَنَانِي إِذَا اشْتَجَرَتْ بِهَا الْحَرْبُ الزَّبُونُ  
أَلَمْ أَجْعَلْ مُنَارَ<sup>(٢)</sup> النَّقْعِ بَحْرًا عَلَى أَنْ الْجِيَادَ لَهُ سَفِينُ ؟ !

وله من أخرى في صاحب الخيل ابن أذين من قصيدة طويلة ، منها قوله :

وَأَعَذِبُ مِنْ يَوْمِنَا بِالْعَذِيبِ سَلَامُتْنَا الْيَوْمَ مِنْ ذِي سَلَمٍ  
وَلَسْتُ بَمَنْ يَطْطِيبُهُ الْغِنَى وَيَرْصُدُ طَيْفًا لَهُ أَنْ يُلِمَ  
وَمَنْ عَمِثَتْ<sup>(٣)</sup> نَفْسُهُ بِالْغِنَى تَسَاوَى الْغِنَى عِنْدَهُ وَالْعَدَمُ  
وَكَمْ طَسَمَ<sup>(٤)</sup> الدَّهْرُ مِنْ جَبَلَتِي فَرْدٌ نَضَارَةٌ مَا<sup>(٥)</sup> قَدْ طَسَمَ  
وَكُنْتُ إِذَا مَا رَمَانِي الزَّمَانُ أَوْ كَادَ أَوْهَمَ بِي أَوْ عَزَمَ  
عَلِقْتُ أَبَا الْحَسَنِ الْمُرْتَجَى فَأَمْسَيْتُ مِنْ صَرْفِهِ فِي حَرَمٍ  
فَتَى لَوْ رَأَى الْبُخْلَ فِي نَوْمِهِ أَوْ الْجَبْنَ خُلُقًا لَهُ لَمْ يَنْمَ  
وَلَوْ كَانَ طَيْفًا وَكَانَ الْكَبْرَى طَرُوقًا لَغَيْرِ الْعُلَا مَا أَلَمَ  
فَمَا لِي أَرَى عِقْدَ إِحْسَانِهِ تَبَدَّدَ مِنْ سِلْكِهِ مَا نَظَمَ ؟  
وَلَمْ ذَمَّنِي عِنْدَهُ حَاسِدٌ كَأَنَّ بِهِ جِنَّةً أَوْ لَمَمَ  
بَدَأَ وَجْهَهُ فَاشْتَهَيْتُ الْعَمَى وَكَلَّمَنِي فَاصْتَزَرْتُ<sup>(٥)</sup> الصَّمَمَ  
وَقَدْ كُنْتُ تُرْضِعُ دَرَّ الصَّفَا وَدَادِي<sup>(٦)</sup> فَمَا لِدَادِي<sup>(٦)</sup> فُطِمَ ؟

(١) في الأصل : هزم .

(٢) كذا بالأصل ولعلها غثيت أو غنيت .

(٣) في الأصل : من .

(٤) في الأصل : فاستزدت .

(٥) في الأصل : فاستزدت .

(٦) في الأصل : فاستزدت .



كَذَا الطِفْلُ يَرْضَعُ حَتَّى إِذَا تَرَعَرَعَ غُيِّبَ عَنْهُ الْحَلَمُ  
يُسَائِلُنِي النَّاسُ عَمَّا تَقُولُ وَمَا قُلْتَ لِي قَطُّ إِلَّا نَعَمُ  
[وله:]

قَالُوا مَدَحْتَ أَنْسَاءَ لَأَخْلَاقٍ لَهُمْ مَدَحًا يُنَاسِبُ أَنْوَاعَ الْأَزَاهِيرِ  
فَقُلْتُ لَا تَعْدِلُونِي إِنَّنِي رَجُلٌ أَقْلُدُ الدُّرَّ أَعْنَاقَ الْخَنَازِيرِ  
وقال:

«مَا لِي أَرَى» قَرَبَكُمْ صَائِبًا وَأَنْتُمْ لِي غَيْرُ أَجْنَسٍ!  
وَمَا جُلُوسِي عِنْدَكُمْ أَنَّنِي أَعَدُّكُمْ مِنْ بَعْضِ جُلَاسِي  
لَكِنِّي أَجْلِسُ بَيْنَكُمْ تَعْلَلًا مِنْ عَدَمِ النَّاسِ  
وقال في رجلٍ يُعْرِفُ بَابَنٍ كَثِيرٍ:  
وَمَا الْخَيْرُ مِمَّا يُرْتَجَى فِي ابْنٍ وَاحِدٍ  
فَكَيْفَ تُرَجِّيهِ مِنْ<sup>(٢)</sup> ابْنٍ كَثِيرٍ!  
وقال:

وَكَيْفَ تَرْجُو السَّحَابَ الْجُودَ مِنْ رَجُلٍ لَا يَطْمَعُ الطَّيْرُ فِيهِ وَهُوَ مَصْلُوبُ  
أَصْبَحْتُ أَحْلَبُ تَيْسًا لَا مَدَرَّ لَهُ وَالتَّيْسُ مَنْ ظَنَّ أَنَّ التَّيْسَ مَحْلُوبُ  
وقال:

يَا لَأَمَّا عِمْرَانُ لَا تُفْشِدَنَّ عَمْرَوُ بْنُ كَلْثُومٍ «أَلَا هَبِّي»  
طَمِعَتْ فِي كَلْبٍ فِدَارِيَّتَهُ وَالسَّكْبُ مَنْ يَطْمَعُ فِي كَلْبٍ

## فصل في ذكر طائفة من الشعراء المقلين الطَّارئين

على هذا الأفق من بلاد المشرق ، مع ما يتصل  
بذكرهم من المعارف المفيدة

منهم :

- سليمان بن محمد الصقلي : كان — فيما بلغني — من أهل العلم والأدب والشعر ، ووفد على هذا القطر سنة أربعين وأربعمائة ، وقصد بمديحه عدة من الرؤساء ، وتقدم بفضل أدبه عند الكبراء . ومما أنشدته له في عذول قبيح قوله :

- رأى وجهه من أهوى عذولي فقال لي  
فقلت له بل وجهه جبي وراءه
  - أجلك عن وجهه أراه كريها  
وأنت ترى [مكروه] <sup>(١)</sup> وجهك فيها
- ومن شعره :

- تقلب دهرنا فالصقر فيه  
على الدنيا العفاء فقد تناهى
- يطلب فضل أرزاق الحمام  
تسرعها إلى أيدي اللثام
- وما النعماء المفـضـول إلا  
كمثل الحلي لاسيف الكهام
- ذريني أجهل الترحال سلكاً  
أنظم فيه ساحات الموامي
- فاني كالزلال العذب يؤذى  
صفاه وطعمه طول المقام

وهذا المعنى مشهور ، وقد مر منه في تضاعيف هذا التصنيف كثير ، كقول بعض أهل عصرنا .

مألت حصص وملتني فلو نطقت كما نطقت تلاقينا على قدر

(١) هذه الكلمة غير موجودة بالأصل ولا بد منها وما يشبهها لإقامة الوزن .



وسوّلت لي نفسي أن أفارقها والماء في المِزْنِ أَصْفَى مِنْهُ فِي الْغُدْرِ  
وكذلك قوله : « بَلْ وَجْهٌ حَبِيٍّ مِرَاءةً » معنى مُتَدَاوِل ، منه قولُ يوسف  
ابن هارون الرَّمَامِي :

وإذا أرادَ تَنَزُّهاً في رَوْضَةٍ أَخَذَ المِرآةَ بِكَفِّهِ فَأَدَارَهَا  
وقال الآخر :

أنا كالْمِرآةِ أَلْقَى كُلَّ وَجْهِ بِمِثَالِهِ  
وقال العباسُ بنُ الأحنف :

هَمَّتْ بِإِتْيَانِنَا حَتَّى إِذَا نَظَرْتُ إِلَى المِرآةِ نَهَاها وَجْهَهَا الْحَسَنُ  
ولبعضِ أَهْلِ المِصْرَيْنِ فِي غِلَامٍ كَانَ يَهْوَاهُ ، مِمَّا يُتَطَرَّفُ مَعْنَاهُ :

يَجْرِي الذَّسِيمُ عَلَى غِلَالَةِ وَجْهِهِ وَأَرْقُ مِنْهُ مَا يَمُرُّ عَلَيْهِ ١٥  
نَاوَلْتُهُ المِرآةَ يَنْظُرُ وَجْهَهُ فَعَكَسَتْ فِتْنَةً نَاظِرِيهِ إِلَيْهِ  
ورأى أبو الحسن السَّلامِي فِي يَدِ غِلَامٍ يَمِيلُ إِلَيْهِ مِرآةً فَقَالَ :

رَأَيْتُهُ وَالْمِرآةُ فِي يَدِهِ كَأَنَّهَا شَمْسَةٌ عَلَى مَلِكٍ  
فَقُلْتُ لِلصُّورَةِ الَّتِي احْتَجَبَتْ مِنْ غَيْرِ زُهدٍ فِيهَا وَلَا نُسُكٍ  
يَأْشُبُهُ النَّاسُ بِالْحَبِيبِ أَلَا تَخْبِرُنَا عَنْكَ غَيْرَ مُؤْتَفِكِ<sup>(١)</sup> ١٥  
قَالَ أَنَا الْبَدْرُ زَرْتُ بَدْرَ كُمٍ وَهَذِهِ قِطْعَةٌ مِنَ الْفَلَكَ  
قُلْتُ فَإِنِّي أَرَى بِهَا صَدَأً<sup>(٢)</sup> فَقَالَ هَذِي بَقِيَّةُ الْحُبِّكَ

وذكرتُ بذكره المِرآةَ قولَ القَرَّاطِيِّ السَّكُوفِيِّ ، وَهِيَ أُبَيَاتٌ يَتَدَاوِلُهَا الْقَوَالُونَ :

مَا تَنْقِضِي مِنْ عَجَبٍ فِكْرَتِي فِي خَصْلَةٍ فَرَّطَ فِيهَا الْوُلَاةُ  
تَرَكِ الْحُبَّ بِلَا حَاكِمٍ لَمْ يُقْعِدُوا لِلْعَاشِقِينَ الْقَضَاءُ ٢٠  
وَقَدْ أَتَانِي خَبْرٌ سَاءَ نِي مَقَالُهَا فِي السَّرِّ : وَاسْوَأُ نَاةُ

أَمْثَلُ هَذَا يَبْتَغِي وَصَلَنَا أَمَا يَرَى ذَا وَجْهَهُ فِي الْمِرَاةِ ؟  
قال القراطيسي : وقلتُ يوماً للعباس بن الأحنف : هل أَلَمْتَ بِهَذَا الْمَعْنَى ؟  
فَأَشَدَّنِي لِنَفْسِهِ (١) :

جَارِيَةٌ أَعْجَبَهَا حُسْنُهَا وَمِثْلُهَا فِي النَّاسِ لَمْ يُخْلَقِ  
خَبَرْتُهَا أَنِّي مُحِبٌّ لَهَا فَأَقْبَلَتْ تَضْحَكُ مِنْ مَنطِقِي  
وَالْتَفَتَتْ نَحْوَ فَتَاةٍ لَهَا كَالرَّشَاءِ الْوَسْنَانِ فِي قُرْطَقِ  
قَالَتْ لَهَا قُولِي لِهَذَا الْفَتَى أَنْظِرْهُ إِلَى وَجْهِكَ ثُمَّ اعْشَقِ

وحدثني الفقيه أبو بكر بن الوزير الفقيه العربي (٢) ؛ قال : حَدَّثْتُ عَنْ الْفَقِيهِ  
أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْحَمِيدِيِّ عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ مُحَمَّدٍ الصَّقَلِيِّ ، قَالَ : كَانَ بِسُوسَةِ إِفْرِيقِيَّةٍ  
رَجُلٌ أَدِيبٌ ظَرِيفٌ يَهْوَى غُلَامًا جَمِيلًا مِنْ غُلَامَانِهَا ، وَاشْتَدَّ كَلْفُهُ بِهِ ، فَتَجَنَّى  
الْغُلَامُ عَلَيْهِ ، فَبَيْنَاهُ ذَاتَ لَيْلَةٍ يَشْرَبُ مُنْفَرِدًا وَقَدْ غَلَبَ عَلَيْهِ الشُّكْرُ خَطَرَ  
بِبَالِهِ أَنْ يَأْخُذَ قَبَسَ نَارٍ فَيَحْرِقَ بِهِ دَارَهُ ، ففَعَلَ وَجَعَلَهُ عِنْدَ بَابِ الْغُلَامِ فَاشْتَعَلَ  
نَارًا ، فَاتَّفَقَ أَنْ رَأَاهُ بَعْضُ الْجِيرَانِ فَأُطْفِئَهُ ، فَلَمَّا أَصْبَحَ حُمِلَ إِلَى الْقَاضِي فَسَأَلَهُ  
لِمَ فَعَلَ ذَلِكَ ، فَأَنْشَأَ يَقُولُ :

لَمَّا تَمَادَى عَلَى بِعَادِي وَأَضْرَمَ النَّارَ فِي فُؤَادِي  
وَلَمْ أَجِدْ مِنْ هَوَاهُ بُدًّا وَلَا مُعِينًا عَلَى الشَّهَادِ  
حَمَلْتُ نَفْسِي عَلَى وَقُوفِي بِبَابِهِ حَمْلَةَ الْجَوَادِ  
وَطَارَ مِنْ بَعْضِ نَارِ قَلْبِي أَقْلٌ فِي الْوَصْفِ مِنْ زِنَادِ  
فَاحْتَرَقَ الْبَابُ دُونَ عِلْمِي وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ مِنْ مُرَادِي (٣)

فَامْتَظَرَنِي قَاضِي الْبَلَدِ ، وَتَحَمَّلَ عَنْهُ مَا أُنْسِدُ .

(١) هذه الأبيات ليست بالديوان . (٢) في الأصل : العربي .

(٣) في الأصل : ذاك بمراد .



قال الحميدى : وكنت أظن أن هذا المعنى مما تفرّد به هذا القائل حتى أخبرت أن نصر بن أحمد الخبزرى دخل على أبي الحسن ابن المثنى فى إثر حريق المربد ، فقال له : هل قلت فى هذا شيئاً ؟ فقال : ما قلت ، ولكن أنشدك ارتجالاً ، وجعل ينشد هذه الأبيات :

أتمكم شهود الورى تشهد      فما تستطيعون أن تجحدوا ؟  
فيا مربديون ناشدتكم      على أننى منكم مكمد  
جرى نفسى صعداً نحوكم      فمن حره احترق المربد  
وهاجت رياح حنينى لكم      فظلت بها ناركم توقد  
ولولا دموعى جرت لم يكن      حريقكم أبداً يحمد<sup>(١)</sup>

## فصل فى ذكر الأديب أبي الفتوح ثابت بن محمد الجرجاني

من جملة من وفد أيضاً على البلد فى ذلك الأوان ، وكان الغالب على أدواته علم اللسان ، وحفظ الغريب والشعر الجاهلى والإسلامى ، إلى المشاركة فى أنواع التعاليم ، والتصرف فى حمل السلاح ، والحذق بالآلات الجندية ، والنفاذ فى معانى الفروسيّة ؛ فكان الكامل فى خلال جمّة طراً على الجانب<sup>(٢)</sup> منذ صدر الفتنة للذائع من كرمه ، فأكرم نزلّه ، ورفع من شأنه ، وأصبحه ابنه المرشح — كان — لسلطانه . فلم يزل له بهما المكان المسكين إلى أن تغير عليه يحيى بتغير الزمان ، وتقلب الليالى والأيام بالإنسان ، ففارقته ولحق فى غرناطة بعسكر البرابرة ، فخلت به من أميرهم باديس الفارقة .

(١) فى الأصل : محمد . (٢) كذا بالأصل ولعلها « الناصر » وهو على بن

حمود الحسينى والدي يحيى المذكور فيما بعد .

ووجدتُ بخطَّ الفقيه أبي محمد بن حزم ، قال : إنَّ أوَّلَ مَنْ لَقِيَ مِنْ مُلُوكِ  
الأندلسِ مُجَاهِدُ العاصِرِ الْمُتَقَدِّمُ الذِّكْرُ ، فَأَكْرَمَ نَزْلَهُ وَأَنَسَ بِهِ ، وَسَأَلَهُ  
يَوْمًا عَنْ رَفِيقٍ لَهُ رَأَاهُ مَعَهُ ، فَقَالَ الْجُرْجَانِيُّ :

رَفِيقَانِ شَتَّى أَلْفَ الدَّهْرِ بَيْنَنَا وَقَدْ يَلْتَقِي الشَّتَى فَيَأْتِلِفَانِ

- ٥ قال أبو محمد بن حزم : ثُمَّ لَقِيتُ بَعْدَ ذَلِكَ أَبَا الْفَتْوحِ فَأَخْبَرَنِي عَنْ  
بَعْضِ شُيُوخِهِ أَنَّ ابْنَ الْأَعْرَابِيِّ رَأَى فِي مَجْلِسِهِ رَجُلَيْنِ يَتَحَدَّثَانِ ، فَقَالَ لِأَحَدِهِمَا  
مَنْ أَيْنَ أَنْتَ ؟ قَالَ مِنْ أَسْفِيحِجَابٍ <sup>(١)</sup> وَسَأَلَ الْآخَرَ فَقَالَ : مَنْ الْأَنْدَلُسُ ،  
فَعَجَبَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ مِنْ ذَلِكَ وَأَنْشَدَ الْبَيْتَ الْمُتَقَدِّمَ .  
ثُمَّ أَنْشَدَنِي هَذِهِ الْمَقْطُوعَةَ .

- ١٠ نَزَلْنَا عَلَى قَيْسِيَّةٍ يَمْنِيَّةٍ لَهَا نَسَبٌ فِي الصَّالِحِينَ هِجَانٍ  
فَقَالَتْ وَأَرْخَتْ جَانِبَ السِّتْرِ دُونَهَا : وَقَدْ يَلْتَقِي الشَّتَى فَيَأْتِلِفَانِ <sup>(٢)</sup>  
قال ابن حزم : وَأَخْبَرَنِي أَبُو الْفَتْوحِ الْجُرْجَانِيُّ ، قَالَ : أَخْبَرَنِي عَلِيُّ بْنُ حَزْزَةَ  
[ أَنَّ الْقَصِيدَةَ الَّتِي أَوَّلُهَا « هَذِي بَرَزْتُ لَنَا فَوَجَّتِ رَسِيصًا » قَالَهَا الْمُتَنَبِّيُّ فِي مُحَمَّدِ  
ابْنِ رَزِيْقٍ ] وَكَيْلِ زَوَامِلِ بْنِ الزَّيَّاتِ صَاحِبِ طَرَسُوسٍ <sup>(٣)</sup> ، وَأَنَّهُ وَصَلَهُ عَلَيْهَا  
بِعَشْرَةِ دَرَاهِمٍ ، فَقِيلَ لَهُ إِنَّ شِعْرَهُ حَسَنٌ ، قَالَ : مَا أَدْرِي أَحْسَنُ هُوَ أَمْ قَبِيحُ  
١٥ وَلَسَكُنِي أَزِيدُهُ عَشْرَةً أُخْرَى ! فَكَانَتْ صَلَاتُهُ عَلَيْهَا عَشْرِينَ دَرَاهِمًا <sup>(٤)</sup> .

(١) فِي الْأَصْلِ « أَسْتِيحَاب » وَالتَّصْحِيحُ عَنْ يَاقُوتَ .

(٢) وَرَدَتْ هَذِهِ الْمَقْطُوعَةُ فِي بَغِيَةِ الْمُلْتَمَسِ ص ٢٣٧ فِي أَرْبَعَةِ آيَاتٍ هَكَذَا .

نَزَلْنَا عَلَى قَيْسِيَّةٍ يَمْنِيَّةٍ لَهَا نَسَبٌ فِي الصَّالِحِينَ هِجَانٍ  
فَقَالَتْ وَأَرْخَتْ جَانِبَ السِّتْرِ دُونَنَا لِأَيَّةِ أَرْضِ أُمِّ مِنَ الرِّجَالِ  
فَقُلْتُ لَهَا أَمَّا رَفِيقِي فَقَوْمُهُ تَمِيمٌ وَأَمَّا أُسْرَقِي فَيَمَانِي  
رَفِيقَانِ شَتَّى أَلْفَ الدَّهْرِ بَيْنَنَا وَقَدْ يَلْتَقِي الشَّتَى فَيَأْتِلِفَانِ

(٣) فِي الْأَصْلِ طَرَسُوسُ .

(٤) وَرَدَ هَذَا الْخَبَرُ نَاقِصًا فِي الْأَصْلِ وَالتَّكْمِلَةُ عَنْ مَعْجَمِ الْأَدْبَاءِ ( ج ٥ ص ٢٠٣ ) .



## فصل في ذكر الأديب عبد العزيز بن محمد الشوسي أحمد أضياف بن ذي النون

قال ابن بسام : ولم يقع إلى من شعر هذا الرجل إلا قصيدة من مجلة قصائد لغير واحد ، أنشدت للمأمون يحيى بن ذي النون ، سنة خمس وخمسين في صنيع احتفل فيه لإعذار حفيده حسب ما أصفه . وقصيدة الشوسي في ذلك طويلة ، منها قوله :

لما بنيت من المكارم والعلا ما جاوز الجوزاء في الإجلال  
أعملت رأيك في بناء مكرم مدار قط لأميل في بال  
لوزاره كسرى أنو شروان لم يصرف إلى الإيوان لحظ موالى<sup>(١)</sup>  
ياساقى الصهباء أين كبارها قد لذ وزد القهوة السلسال  
إعذار يحيى أبهج الدنيا وبين عذرنا في نخوة المختال  
حشد الشرور لنا طهور مطهر من عائر الجبناء والبخال  
عرض من الآلام يجلب صحة وطيف نقص فيه كل كمال

انتهى ما كتبه منها . ونذكر بعقبها ما تعلق بسببها فصلاً لابن حيّان في وصف ذلك الصنيع الذنوني ، دلّ به على براعته ، وأعرب به عن موضعه من صناعته . وسيمر أثناء ذكر شعراء من هذه الطائفة الطارئة وسواها ، لانتظام كلام ابن حيّان إياها . فمنهم من ذكرت في هذا الموضع بارع أشعاره ، وجردت فصلاً من كتابي في مستطرف أخباره ، ومنهم من فات دركي ولم يعلق بشركي ، فاقصرت في هذا الفصل على ذكره ، وأثبت ههنا ما وقع

(١) رسم الكلمة في الأصل : « قوال » وما أثبتناه أقرب الاحتمالات .

إلى من شعره . وكان غير الشوسى منهم أحقّ بالتقديم كحمّد بن شرف  
وسائر طبّقته ، ممن هو أعصف في البيان ريجا ، وأكثر عن الإحسان تصرّحا  
ولكن وصلنا هذا الفصل بخبر هذا الرجل إذ لم يكن له في سواه آية تُتلى ،  
ولا حسنة تُجتلى .

- قال ابن حيان : كتب إلى الأديب ابن جابر ، قال : احتفل المأمون  
ابن ذي النون في مدعاة إغذار حفيده يحيى فحشد أمراء البلاد ، ومجلة  
الوزراء والقواد ، فأقبلوا إليها كالقطا القارب أرسلالا ، وقد رسم لخدمته  
في توسيع مَشَارِبِ هذا الإغذار ، وإرغاد موائده ، وتكميل وظائفه ، وإذكاء  
مطابخه ، رؤوما انتهوا فيها إلى حدّه ، وشقق عليها جُيوب أكياسه ، وأمر  
بالاستكثار من الطهارة والإتاق للقدور ، والإتراع للجفان ، والصّلّة لأيام  
الطعام ، والمشاكلة بين مقادير الأخباز والآدام ، والإغراب في صنعة ألوانها  
مع شيايب أباريقها بالطيوب الزكية ، والقران فيها بين الأضداد المخالفة ما بين  
حارّ وبارد ، وحلو وحامض ؛ والمماثلة بين رائق أشخاصها وبين ما تُودع فيه  
من نفائس صحافها ، والاستكثار لها من أنواع الحلواء المَجَبَّرة<sup>(١)</sup> للمعد من  
داء الإتيام وتجاوز عسلها إلى السكر . فجاءوا في ذلك كله بأمر كبار أبيدت  
لمطابخه أُمَم من الأنعام ، جمع فيه بين المَشَاء<sup>(٢)</sup> والطيار والعوام . وانتسفت  
لخازنه أهرا من الطعام ، وأنفقت على مجاميره ومعاطره جمل من الأموال  
الجسام ،<sup>(٣)</sup> فاغتدى ختماً لداعي<sup>(٣)</sup> أهل الإسلام العظام .

وشرف المأمون بالاشتراك مع تطهير حفيده يحيى صبيانا من بنى أصحابه ،

(١) ويحتمل أن تضبط : المجيرة . (٢) في الأصل : الشا .

(٣-٣) في الأصل : « فاغتدى حماما المداعي » ولعلها ما أثبتناه .



وبدأ بحفيده قبلهم ، فكان أسكن من حنيف معه جاشاً ، وأقلهم زمعاً ، وإنه  
 مشى — زعموا — إلى الحديد مشى البطل النجيد ، ومكن الخاتن من عضوه  
 فأعانه على إحكام صنعه ، وسوى ختانه ، وخفف آلامه <sup>(١)</sup> ، وأوشك إقرافه <sup>(٢)</sup> ،  
 فخلص من محنته هذه الشرعية ، خلوص صادر السهام المصمى للرمية ، فسُرَّ  
 ابن ذى النون وشام برق الأمنية . فعند ذلك أذكى نيرانه ، وأنضج أطعمته  
 ونصب موائده ، ودعا الجفلى إليها ، ولم يُفْسَحْ لأحدٍ التخلف عنها .  
 فاكتملت الأطعمة ، وفتحت الأبواب ، وسهل الحجاب ، ورُفعت الستور ،  
 وجليت المقاصير ، وزينت القصور ، وأقيمت المراتب ، ووكل بكل قسم  
 منها كبير من وجوه الخدمة ضم إليه فريق من الأعوان والوزعة ، يتصرفون  
 بأمره ، ويقفون عند حده . قد أخذوا بخفض الأصوات مع سرعة الحركات  
 وحث الأقدام ، فصار من بديع ذلك الصنيع الفخم أن لم يعمل فيه صوت ، ولا  
 تشكى منه صوت <sup>(٣)</sup> ، فطال العجب من استوائه في مثل ذلك المشهد .

قال ابن حيان ، ولما بكرت أفواج عليية الناس إلى باب القصر مستبقيين ،  
 وغشيتهم زمرهم وزرافاتهم مبتدرين ، أنزلوا عن دوابهم عند باب المنصب  
 الأول ، فأذن لهم بالدخول على مراتبهم ، فمشوا وقد خففهم سراة الصقلب  
 الحصيان ، وخواص الحشم والغلمان ، فأجلسوا في الدار الأولى ذات الخائر  
 الريان . فلما اكتملوا أدخلوا إلى المجلس الكبير ، فلما استقر فيه جمعهم  
 خرجت تسمية من الأمير المأمون بإدخال القضاة والفقهاء ، والعُدُولِ ومن  
 يليهم من كبار الناس ، دعاهم لذلك ذو الوزارتين أبو الفرج <sup>(٤)</sup> ، فقاموا

(١) رسم الكلمة في الأصل : الامته . (٢) كذا .

(٣) في الأصل : قوت . (٤) في الأصل : أبى الفرج .



- والسكينة عليهم ، يقدّمهم قاضى القضاة أبو زيد بن عيسى القرطبي ، فأدخلوا بتكريمٍ على تُوْدَةٍ ورفق ، وجيءَ بهم إلى الدارِ الكبرى الثانية ذاتِ الساحةِ الواسعةِ الزاهرة ، ثم وصلوا إلى مجلسٍ قد فرشَ بالديباجِ التستريِّ المرقومِ بالذهب ، وسُدلت فوقَ حناياه سُتُورٌ من جنسه تكاد تلتصعُ الأبصارُ بصناعةِ ألوانها وإشراقِ عقيانها . وقد جلسَ لهم الأميرُ المأمون في جانبٍ منه ، وحفيده في جانبٍ آخر ، فأكبَّ الناسُ عليه يهنئونه ، ويلثمون أطرافه ، ويتناغون فيما قد روّوا وابتدئوها ، وهو يشملهم بإقبالِ طرفه ويعمّهم بإجمالِ رَدِّه ، فينشئون منه إلى حفيده يدعون له . ثم عدلَ بهم إلى مكانِ الأُطعمةِ في المجلسِ الأول —
- على ذاتِ اليسارِ من تلكِ الدارِ — الواسعِ القطرِ الرَّحْبِ الأبوابِ ، وقد فرشَ بالوطاءِ التستريِّ ، وعُلِّقت على أبوابه وحناياه سُتُورُ الطميم<sup>(١)</sup> المثلثة ذاتُ الصورِ المُقيّدةِ للأحاطِ ، وقد مُدَّت فيه صُنفُ الطعامِ . فأمعنت هذه الطائفةُ في الأكلِ ازدقاً وسرّطاً ، واختضاماً وقضماً ، وانتهالاً وعلاً . ووُصفاء الموائدِ الحافونِ من حولهم يطردون الأذبة<sup>(٢)</sup> عن مجلسهم بطوالِ المذابِّ البديعةِ الصنعةِ ، المُقَمَّعةِ الأطرافِ بفاخرِ الحلية . ولما مضى لهم صدرٌ من أكلهم ، نجمَ لهم الأميرُ المأمون قائماً فوقَ رؤوسهم ، مُتَهَمِّماً بشأنهم ، مُبَالِغاً في تكميمهم ، قد حَفَّ به أذواءُ الوزارةِ وأهلُ الخدمةِ ، وأكابرُ الفتيانِ وأعاضمُ القوادِ قاعينَ بقيامه . ولما قضى وطراً من القيامِ بمُكارمهم صدرَ راجعاً إلى ممرِّ تَبَّتِهِ .
- ولما فرغت تلكِ الطائفةُ جيءَ بهم إلى المجلسِ المرسومِ لوضوئهم ، وقد فرشَ أيضاً بوطاءِ الوشيِّ المرقومِ بالذهب ، وعُلِّقت فيه سُتُورٌ مُثَقَلَةٌ بمائِلةً ، فأخذوا بمجالسهم منه ، وناولهم الوُصفاءُ الطائفونَ بهم رفيعَ المُقاواتِ<sup>(٣)</sup> والذرائرِ المطيباتِ

(١) كذا في الأصل . (٢) في الأصل : الأذنة . (٣) رسم الكلمة في الأصل : المعاوانب .



في الأقداح والأشناندانات<sup>(١)</sup> الفِضِّيَّاتِ الْمُحْكَمَةِ الصَّنَاعَاتِ ، كَادَتْ تُغْنِيهِمْ  
بَطْيِهَا عَنِ الْغَسْلِ . ثُمَّ أَدْنَى إِلَيْهِمْ إِثْرَ ذَلِكَ الْوُضُوءِ فِي أُبَارِيقِ الْفِضَّةِ الْمُحْكَمَةِ  
الصَّنْعَةِ ، يَصْبُونَ عَلَى أَيْدِيهِمْ فِي طُسُوسِ الْفِضَّةِ الْمُتَأَثِّلَةِ لِأُبَارِيقِهَا فِي الْحُسْنِ  
وَالْجَلَالَةِ ، فَاسْتَوْعَبُوا الْوُضُوءَ ، وَأَذْنَيْتُ مِنْ أَيْدِيهِمْ مَنَادِيلُ تَتَضَاعَلُ لَهَا مَا عَلَيْهِمْ  
مِنْ سَنَى الْكُسُوءِ . ثُمَّ نُقِلُوا إِلَى مَجْلِسِ التَّطْيِيبِ أَنْفَحَ تِلْكَ الْمَجَالِسَ ، وَهُوَ  
الْمَجْلِسُ الْمُطْلَقُ عَلَى النِّهْرِ الْعَالِي الْبِنَاءِ ، السَّامِي السَّنَاءِ ، فَشَرَعَ فِي تَطْيِيبِهِمْ فِي  
مَجَامِرِ الْفِضَّةِ الْبَدِيعَةِ بِفَلَقِ الْعُودِ الْهِنْدِيِّ ، الْمَشُوبَةِ بِقِطْعِ الْعَنْبَرِ الْفُسْتُقِيِّ ، بَعْدَ  
أَنْ نُذِيتْ أَعْرَاضُ ثِيَابِهِمْ بِشَايِبِ مَاءِ الْوَرْدِ الْجُورِيِّ ، يُصَبُّ فَوْقَ رُؤُسِهِمْ  
مِنْ أَوَانِي الرُّجَاجِ الْمَجْدُودِ ، وَفَيَاشَاتِ الْبَلُورِ الْحَفُورَةِ ، ثُمَّ أَدْنَى إِلَيْهِمْ قَوَارِيرُ  
الْمُهَامِ الْحِكْمَةِ الصَّنْعَةِ ، الرَّائِقَةُ الْهَيْئَةِ ، قَدْ أُرْعَتْ بِالْغَوَالِي الذَّكِيَّةِ ، النَّامَةِ  
بَسْرًا قَبْلَ الْخُبْرَةِ ، الْمُتَخَذَةِ مِنْ خَالِصِ الْمِسْكِ الثَّبَتِيِّ ، وَحَصَّ الْعَنْبَرِ الْمَغْرِبِيِّ ،  
لَا مَ بَيْنَهُمَا رَشْحُ الْبَانِ الْبَرَعَكِيِّ ، فَتَنَاوَلُوا مِنْ ذَلِكَ حَتَّى لَا قَطْرَتُ سِبَالِهِمْ ذَوْبَانَا ،  
وَأَعَادَتْ شِدْبَهُمْ شُبَّانَا . فَلَمَّا اسْتَمَّ هَؤُلَاءِ الْخَلَّةَ نَعِيمَ يَوْمِهِمْ ، مِنْ طَعْمِهِمْ وَطْيِيبِهِمْ ،  
أَقِيمُوا لِلدَّخُولِ عَلَى الْمَأْمُونِ ، فَسَلَّمُوا عَلَيْهِ ، وَدَعَوْا لَهُ . فَأَقْبَلَ عَلَيْهِمْ أَحْسَنَ  
قَبُولٍ ، وَرَدَّ أَجَلَ رَدِّ ، وَأَسْرَ بِإِدْخَالِهِمْ إِلَى سَيِّدِ مَجَالِسِهِ الْمُسَمَّى الْمُسْكِرِمْ ، نَتِيجِ  
هَمَّتِهِ ، وَبَدِيعِ حِكْمَتِهِ ، السَّائِرِ خَبْرُهُ ، الطَّائِرِ ذِكْرُهُ ، الْمَعْدُومِ ذِكْرُهُ<sup>(٢)</sup> ،  
لِيُمْتَعُوا أَبْصَارَهُم بِالنَّزْهَةِ ، وَلَمْ يَكُنْ أَكْثَرُهُمْ رَأَاهُ إِلَى يَوْمِهِمْ ذَلِكَ مَعَ عُلوِّ وَصْفِهِ  
بِخَوَاطِرِهِمْ ، فَلَمَّا رَأَوْهُ صَغُرَ عَنْدهُمْ مَا كَانُوا يَسْتَكْبِرُونَ مِنْ وَصْفِهِ ، وَرَجَعُوا  
أَبْصَارَهُمْ فِيهِ ، وَنَبَّهَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا عَلَى دَقَائِقِ مَعَانِيهِ .

قال ابن حيان — قال ابن جابر : وكنت ممن أذهلته فتنه ذلك المجلس ،

(١) في الأصل : والأشنان . (٢) كذا بالأصل ونحسبها نظيره أو ما في معناها .



وأغرب ما قيّد لَحْظِي مِنْ رَهَى زُخْرَفِهِ الَّذِي كَادَ يَحْبِسُ عَيْنِي عَنِ التَّرَقُّي عَنْهُ  
إِلَى مَا فَوْقَهُ إِزَارُهُ الرَّائِعُ الدَّائِرُ بِأَسْهُ حَيْثُ دَارَ ، وَهُوَ مُتَّخِذٌ مِنْ رَفِيعِ الْمَرْمَرِ  
الْأَبْيَضِ الْمُسْنُونِ ، الزَّارِيَةِ صَفَحَاتِهِ بِالْعَاجِ فِي صِدْقِ الْمَلَاةِ وَنَصَاعَةِ التَّلَوِينِ ،  
قَدْ خُرِمَتْ فِي جُثْمَانِهِ صُورُ الْبَهَائِمِ وَأَطْيَارُ وَأَشْجَارُ ذَاتُ ثَمَرٍ ، وَقَدْ تَعَلَّقَ كَثِيرٌ  
مِنْ تِلْكَ <sup>(١)</sup> التَّمَائِيلِ الْمَصُورَةِ بِمَا يَلِيهَا مِنْ أَفْنَانِ أَشْجَارٍ وَأَشْكَالِ الثَّمَرِ مَا بَيْنَ  
جَانِ وَعَابِثٍ ، وَعَلِقَ بَعْضُهَا بَعْضًا بَيْنَ مُلَاعِبٍ وَمُثَاقِفٍ ، تَرَنُّوْا إِلَى مَنْ تَأْتَلُمَا  
بِالْحَاطِطِ عَاطِفٍ ، كَأَنَّهَا مُقْبِلَةٌ عَلَيْهِ ، أَوْ مُشِيرَةٌ إِلَيْهِ . وَكُلُّ صُورَةٍ مِنْهَا مُنْفَرَدَةٌ  
عَنْ صَاحِبَتِهَا ، مُتَمَيِّزَةٌ [ مِنْ ] شِكْلِهَا ، تَسْكَدُ تَقْيِيدَ الْبَصَرِ عَنِ التَّعَلُّي إِلَى مَا فَوْقَهَا .  
قَدْ فَصَّلَ هَذَا الْإِزَارَ عَمَّا فَوْقَهُ كِتَابُ نَقْشِ عَرِيضِ التَّقْدِيرِ ، مُخَرَّمٌ مَحْفُورٌ ،  
دَائِرٌ بِالْمَجْلِسِ الْجَلِيلِ مِنْ دَاخِلِهِ ، قَدْ خَطَّهُ الْمِنْقَارُ أَبْيَنَ مِنْ خَطِّ التَّزْوِيرِ ، قَائِمٌ  
الْحُرُوفِ بِدِيعِ الشَّكْلِ ، مُسْتَبِينٌ عَلَى الْبُعْدِ ، مَرْقُومٌ كُلُّهُ بِأَشْعَارٍ حَسَنَةٍ ، قَدْ  
تُخَيَّرَتْ فِي أَمَادِيحِ مُخْتَرَعِهِ الْمَأْمُونِ . وَفَوْقَ هَذَا الْكِتَابِ الْفَاصِلِ فِي هَذَا  
الْمَجْلِسِ بِحُورٍ مُنْتَظِمَةٍ مِنَ الزَّجَاجِ الْمَلَوَّنِ الْمُلْبَسِ بِالذَّهَبِ الْإِبْرِيْزِ ، وَقَدْ أُجْرِيَتْ  
فِيهِ أَشْكَالُ حَيَوَانٍ وَأَطْيَارٍ ، وَصُورُ أَنْعَامٍ وَأَشْجَارٍ ، يُذْهِلُ <sup>(٢)</sup> الْأَلْبَابَ وَيُقَيِّدُ  
الْأَبْصَارَ . وَأَرْضُ هَذِهِ الْبَحَارِ مَدْحُوَّةٌ مِنْ أَوْرَاقِ الذَّهَبِ الْإِبْرِيْزِ ، مُصَوَّرَةٌ  
بِأَمْثَالِ تِلْكَ التَّصَاوِيرِ مِنَ الْحَيَوَانِ وَالْأَشْجَارِ بِاتَّقْنِ تَصْوِيرٍ وَأَبْدَعَ تَقْدِيرٍ .  
قَالَ : وَلِهَذِهِ الدَّارُ بُحَيْرَتَانِ ، قَدْ نُصِّتَ عَلَى أَرْكَانَيْهَا <sup>(٣)</sup> صُورُ أَسْوَدٍ مَصْوَغَةٍ مِنَ  
الذَّهَبِ الْإِبْرِيْزِ أَحْكَمَ صِبَاغَةٍ ، تَتَخَيَّلُ لِمَتَأَمَّلُهَا كَالْحَلَّةِ الْوَجُوهَ فَاعْرَةَ الشَّدُوقِ ،  
يَنْسَابُ مِنْ أَفْوَاهِهَا نَحْوُ الْبُحَيْرَتَيْنِ الْمَاءُ هَوْنًا كَرَشِيْشِ الْقَطْرِ أَوْ سُحَالَةِ اللَّجَيْنِ .  
وَقَدْ وُضِعَ فِي قَعْرِ كُلِّ بَحْيِرَةٍ مِنْهَا حَوْضٌ رُخَامٌ يُسَمَّى الْمَذْبَحَ ، مَحْفُورٌ مِنْ رَفِيعِ

(١) فِي الْأَصْلِ : « ذَلِكَ » .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « يَذَل » .

(٣) فِي الْأَصْلِ : « أَرْكَانَهَا » .



المرمر، كبير الجرم، غريب الشكل، بديع النقش؛ قد أبرزت في جنباته صور حيوان وأطيار وأشجار، وينحصر منها<sup>(١)</sup> في شجرتي فضة عاليتي الأصلين، غريبتي الشكل، تحكمتي الصنعة، قد غرزت كل شجرة منها وسط كل مذبح بأدق صناعة، يترقى فيهما الماء من المذبحين فينصب من أعلى أفنانهما انصباب رذاذ المطر أو رشاش التنديّة، فتحدث لخرجه نغمت تصبى النفوس، ويرتفع بذروتها عمود ماء ضخيم منضغط الاندفاع؛ ينساب من أفواها ويبلل أشخاص<sup>(٢)</sup> أطيارها وثمارها، بألسنة كالمبارد الصقيلة، يقيّد حسنها الألباظ الثاقبة، ويدع الأذهان الحادة كليلّة.

قال ابن حيّان: إلى هذا المكان انتهى تلخيصي ووصفي، وهو جليل عند قرانه بموصوفاته، ووُشِّلُ عند إضافته إلى منعوتاته<sup>(٣)</sup>. وأبرأ من عهدة التقصير فيه، وأنهجه لمن تعاطى الاقتدار على الإبداع في وصفه. قال: وتوالى إطعام أفواج الناس في ذلك الإعذار، مجلساً بعد آخر، أياماً متوالية، حتى استدعى له من بقايا أصناف الناس وأدورهم حتى الجفلى. وأزعجوا إلى النعيم الذي لا عهد لهم به، دخلوا على التطليق، وحفظوا من ضنك المضيق، وأوسعت ما كلهم من غليظ ورقيق، فالتهموا وازدردوا<sup>(٤)</sup>، ونهلوا وعلّوا، ووضئوا وطُيِّبوا.

### مجلس الأُنس

قال ابن حيّان: وذهب المأمون إلى تميم تكريم زوّاره من رجال الأمراء الذين استحضروهم يومئذٍ لشهود فرحتهم، بمشاهدة مجلس خلوته، وتنعيم أسماعهم بلذات أغانيه، وقد علم أن فيهم من يرخص في التنبيد

(١) لعل الصواب: ماؤها. (٢) في الأصل: «أشخاصها طيارها». (٣) في الأصل: «ممنوضاته». (٤) في الأصل: «ازدردوا».



ولا يسوغ له نعيمٌ دونه ، فاحتَمَلَ حَرَجَ ذلك مُبالغةً في تأنيسهم ، فاحتَفَلَ  
 لهم في مجلسٍ قد نُضِدَ وأُخْضِرَ فيه جميعُ آلات الأُنس . فلهذا استَوَى بالقومِ  
 مجلسهم ، واشترأوا إلى الأخذِ في شأنهم ، قَرَّبَ إليهم أطمعةً طنوريةً<sup>(١)</sup>  
 جوامدَ وباردةً ، وصنوفاً من المصُوصِ والأشربةِ والطياهجِ ، وائدَ مترعةً  
 اتخذوها بسطاً لنبيذهم . ثم انثنوا إلى الشرابِ ونفوسهم به صبةً ، وقد مُدَّتْ  
 سِتارةُ الغناء لأهل الحِجاب ، ونُظِمَتْ نوبةُ المغنِّين زُمراً ، فهاجوا الأطراب ،  
 واستخفوا الألباب ، ونقلوا الطُّباع فجاؤا بأمرٍ عَجاب ، بذَّهم فيه سابقُ حَلَبَتهم ،  
 المُحَسَّدُ من جماعتهم ، الإسرائيلي ذى<sup>(٢)</sup> ، الزائدُ إحسانه على إبراهيم الموصلي ،  
 صديقُ إبليس ، الطريفُ من<sup>(٣)</sup> فتنته ، ومحاباه بالماخور في المكنون<sup>(٤)</sup> ، الذي اغتدَى  
 في باطله نسيجَ وحده ، يزدهى العيدانَ جَسَّه ، ويُخْرِسُ الأُطيَّارَ شَجْوَه . قاتله  
 ١٠ اللهُ من آخِذٍ بالقلوب ! فطربوا وطربَ المأمونُ ليلتمُذَّ على وفورِ حلمه . وكان  
 الذي غنَّاه فيها ذى صوتاً شجياً لحنه من خفيفِ الرَّمَلِ ، مُطلقاً بالخِنْصَرِ ، في  
 مقطوعةٍ نظَّمها عبدُ اللهِ بنُ خليفة الملقَّبُ بالمِصرى ، وهى :

١٥      باكرُ ليكرِ الدَّنانِ إنْ مَ هِدَاءُ القروسِ في السَّحَرِ  
 واشربْ عُقاراً<sup>(٤)</sup> تَخالُ مُحَرَّتَها      تحرقُ أيدي الشَّقَاةِ بالشرِّ  
 فإنَّ يَحْيَى أَحْيَى بدولته      ما قد مَحَاهُ تَصَرُّفُ القَدَرِ  
 مَلَكٌ هُوَ الدهرُ في عَرِيَمَتِهِ      يَطْلُعُ فينا بِطلعةِ القَمَرِ

فطَمَحَ بَابنُ ذى الثَّوْنِ الإطراب ، حتى حَنَّ حَنِينَ النَّابِ ، وخَلَعَ لَوْقَتِهِ عليه  
 ثوباً من التُّسْتَرَى الأخضرِ مُطرزاً بالذهب ، ووصله بمائتي دينارٍ ذهباً ، ثم فَضَّ

(١) كذا بالأصل ولعلها « تنورية » . (٢) كذا رسم هذا العلم في الموضعين .

(٣-٣) كذا بالأصل ولعلها : ومحاباه في الماخور بالمسكنون

(٤) في الأصل : عمارا .



الصَّلَاتِ وَالْخَلَعِ فِي سَائِرِ الطَّبَقَاتِ .

هذا آخرُ خطابِ ابنِ جابرٍ إلى بوصفِ ذلك الإعذار ، ومُجملهُ التي بَسَطْتُهَا  
من إدماجِهِ ، وسَبَكْتُهَا من نَقْدِهِ . خلا أنه سامَنِي ذِكْرَ مقطوعاتٍ حَشا بها  
كتابِهِ إلى ، من صنعةِ صديقِهِ عبدِ الله بن خليفةِ المِصرِيِّ ، تعاوَرَ المَغْنُونُ في تلك  
الليلةِ الغِناءَ بها ، وجميعُهَا عندِي في نِهَايَةِ من الضَّعْفِ والتَّخَلُّفِ والتَّبَرُّؤِ من  
صُنْعَةِ الشعرِ ، يَبْغِي بها تَوْشِيحَ هذا المَشْهَدِ الجَلِيلِ الَّذِي قِيلَتْ فِيهِ <sup>(١)</sup> « بِنَظْمِهَا » <sup>(٢)</sup>  
في عَقْدِهِ ، فلم أَسْعِدْهُ على ذلك تَرْفِيعًا بِهِ عن هُجْنَتِهَا ، وَتَبَرُّؤًا لِنَقْدِي على  
استِجَادَةِ سَبْكِهَا ، وَمَذْمَةً لَزَمِنِ غُفْلِ أَحْمَقٍ قَائِلِهَا في زُمرَةِ الشعراءِ ، وَجَسَّرَهُ  
على إِنْشَادِ جِلَّةِ الْأَمْراءِ . وطالَمَا عَنَانِي هذا الرَّجُلُ بِذِكْرِ ابنِ خَلِيفَةَ هذا وَإِنَّمَا  
إِلَى النِّسْبَةِ المِصرِيَّةِ ، وَعَزَّوْهُ لهُ إِلَى المَعَارِفِ الحِكْمِيَّةِ . وَأَنَا أَحْسِبُهُ مِصرِيَّ  
التُّرْبَةِ ، مُتَطَارِحِ الغُرْبَةِ ، مُسْتَطِيرًّا على بُعْدِ النُّجْمَةِ ، مُرْهَفَ الحَدِّ ، مُحْتَفِكُ  
التَّجَرِبَةِ ، أُرْتَاخُ لَذِكْرِهِ وَأَوْدُ لُقْيَاهِ والأَخْذَ عَنْهُ . فَأَبْرَزَهُ الفَحْصُ لِي قُرْطُبِيَّ  
التُّرْبَةِ ، مَحَلِّيَّ <sup>(٣)</sup> الحُرْمَةِ ، سُوقِيَّ الحِرْفَةِ ؛ ابنُ جَارٍ لِي مِنْ تِجَارِ الخُفَّافِينَ يُسَمَّى  
خَلِيفَةَ ، عَجْمِي نَبْزِ الْأَبِ بِالمُورْتِ ، مَجْفُوءٌ <sup>(٤)</sup> المَمْتَّةُ مِنْذُ سَنَوَاتٍ قَلِيلَةٍ . لَمْ أَعْهَدْ  
ابْنَهُ هَذَا يَرْتَسِمُ بِأَدَبٍ ، وَلَا يَسْعَى لَطَلْبٍ ، إِلَى أَنْ رَمَتْ بِهِ النُّوَى قَرِيبًا إِلَى  
بِلَادِ العُدُوَّةِ لابتِغَاءِ المَعِيشَةِ ، فَأُطَالَ بِهَا الثَّوَاءَ ، وَلَقِيَ الفُهْمَاءَ ، وَتَقَيَّلَ الجُسَمَاءَ ،  
فَكَرَّ إلَيْنَا على زَعَمِهِ مِصرِيًّا صُلَيْبِيًّا ، وَأَدِيبًا بِاقِرَةً <sup>(٥)</sup> ، وشَاعِرًا بِاقِعَةً ، وَحَكِيمًا  
نَظْمِيًّا ، وَظَرِيفًا مُمْتَعًا . كُلُّ ذَلِكَ مِنْ غَيْرِ طَوْلٍ رِيَاضَةٍ ، وَلَا تَقْدِيمَةِ مَعْرِفَةٍ .

(١) في الأصل : « قوبلت به » (٢) في الأصل : « ينظمها » .

(٣) في الأصل : محال ، ولعل ما أثبتناه أقرب الاحتمالات

(٤) في الأصل : « مفجوا الممتة » .

(٥) في الأصل : « بقرة » .



وما إن يُستنكر لقاسم الفضائل بين خلقه أن يجمع منها لواحد ما فرّق في جماعة ،  
له القدرة البالغة والحكمة القاهرة !

### وفي فصل له في ذكر الشعراء

- قال ابن حيّان : وصار من منا كيد ذلك الصنيع الملحقة به عيب التقصير  
عُدْمه لحدّاق من الشعراء يُجيدون القول فيه ، ويُحسنون وصفه ، فيؤفّفون  
المبدع له حقه . إذ ألوى ببقاياهم الزمن العصيف المطاول للفتنة ، وجاء بأشباه  
له من شعراء متكلفين مثل الخازياز المضروب مثله ، يهينمون بما لا ودق<sup>(١)</sup> له  
من ممائهم ، ويُفرغون في قوالب تضيق عن إفراغهم ، ويجهدون في حشو  
قوافيهم دون إرهافٍ للفظ ولا استنباطٍ لمعنى ، فلا يسرّون ناقدًا ، ولا يهزون  
ممتدحًا<sup>(٢)</sup> ، ولا يُنشِطون راويًا . وأشق ما على الحائز لهم غلظهم في أنفسيهم ،  
واستقصارهم لمن امتدحوه في إخلاله وقعوده بهم ، وهى لوعقوا أقعد وأضيق  
وأقصر وأعكس . فَيَاوَيْنَهم ماذا عليهم في الإنصاف من أنفسيهم والاعتراف  
بتقصيرهم ، أليس ذلك كان أولى بهم ؟ ! فما أحسن قول « لا أدري » بمن يدرى  
فضلاً بمن هو بضدها تُصاب مقارناته . فلو قلّدوا الزمن دونهم ، وولّوه نقصهم ،  
واعترفوا لبلاواه ، لكان أعذر لهم . فجلس لهم المأمون مُتخذ تلك المدعاة  
الفخمة في مرتبته ببرطيل المجلس الموصوف في أبهة نخمة ورتبة<sup>(٣)</sup> كاملة مع  
كبار أهل مملكته من أذواء الوزارات المثناة<sup>(٤)</sup> والمفردة ، ومن أصحاب الخطط  
العلّيات ، وأذن لتلك الحلبية من شعراء [ <sup>(٥)</sup> من طاري وقاطن ، وهم

(١) في الأصل : بما لا ورق له من أسمائهم . (٢) رمم الكلمة في الأصل : ممتونا .

(٣) كذا بالأصل ولعلها « وزينة » .

(٤) في الأصل المثنية . (٥) يياض في الأصل بقدر كلمة .



نَفَرٌ عَيْرٌ مُنَوَّهٌ بِهِمْ وَلَا بِأَسْمَائِهِمْ ، وَلَا يُحَاسِنُ<sup>(١)</sup> بِرُؤَاتِهِمْ ، فَدَخَلُوا إِلَيْهِ عَلَى هَيْئَتِهِمْ  
يَقْدُمُهُمْ شَيْخُهُمُ الْمُقَدَّمُ مِنْ جَمَاعَتِهِمْ ذَلِكَ الْيَوْمَ ، مُحَمَّدُ بْنُ شَرْفِ الْقَيْرَوَانِي ،  
الْقَرِيبُ عَهْدُهُ بِالْهَجْرَةِ ، بَعْدَ خَبْطِهِ سَمُرَاتِ مُلُوكِ الْأَنْدَالِ بِمِحْجَنِهِ ، وَاعْتَصَارِهِمْ  
بِقِصْعَتِهِ<sup>(٢)</sup> ، فَأَذِنَ لَهُمْ فِي الْإِنْشَادِ بِحَسَبِ تَطْبِيقِهِمْ ، فَتَقَدَّمَهُمْ ابْنُ شَرْفٍ فَأَنشَدَ  
قَصِيدَةً أَوَّلُهَا : « يُرِينِي الْهَوَى أَنْ الْهَوَى لَيْنٌ سَهْلٌ » ، مَا إِنْ هِيَ لِاحِقَةٌ بِعُمُيُونِ  
شَعْرِهِ ، أَطَالَ فِيهَا التَّشْيِيبَ نَفْخَصَ إِلَى التَّهْنِئَةِ ، وَقَدْ اسْتَفْرَغَ الْقَرِيحَةَ وَطَوَّلَ  
فَمَا أَتَى بِطَائِلٍ . ثُمَّ تَقَدَّمَ بَعْدَهُ الْبَائِسُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ خَلِيفَةَ الْأَنْدَلُسِيِّ الْمُتَمَصِّرُ  
بِرِزْمِهِ ، فَيَا بُؤْسَ لِسَابِقِي صَلِّي بَعْدَهُ ! فَأَنشَدَ قَصِيدَةً مُلَفَّقَةً ، ذَاتَ طَنِينٍ وَقَعْمَقَةٍ ،  
كَثَرَ أَيْبَاتُهَا ، وَقَلَّلَ أَقْوَاتُهَا ، أَوَّلُهَا : « أَرَى أَثْلَاتِ الْجِزْعِ بِالْوَصْلِ تُورِقُ »  
تَرَكَهَ الْمَأْمُونُ أَيْضًا يَتَصَرَّفُ بِهَا ، مَا إِنْ هَزَّتْ<sup>(٣)</sup> مِنْهُ عِطْفًا ، وَلَا أَبَدَتْ لَهُ  
بَسْمًا . وَقَامَ بَعْدَهُ مُحَمَّدُ بْنُ زُكَيٍّ الْأَشْبُونِيُّ ، فَأَنشَدَهُ شِعْرًا أَوَّلُهُ : « الْيَوْمَ أَبْهَجَ  
مِنْبَرٌ وَسَرِيرٌ » رَكِبَ فِيهَا سَنَنَ مَنْ قَبْلَهُ . وَلَحِقَ ابْنُ ذِي النُّونِ سَامَةً مِنْ  
كُلْفِ يَوْمِهِ ، فَأَمَرَ بِأَخْذِ بَطَائِقِ جَمِيعِ مَنْ حَضَرَهُ مِنَ الشُّعْرَاءِ ، وَأَسْلَمَهَا إِلَى  
وَزِيرِهِ الْأَثِيرِ يَوْمئِذٍ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُثَنَّى كِي يَتَصَفَّحَهَا بِفَضْلِ أَدَبِهِ ، وَيُطَبِّقَ قَائِلَهَا  
بِحَسَبِ مَعْرِفَتِهِ فَيَأْمُرَ لَهُمْ بِمَا يَجِدُهُ . فَبَدَأَ عَلَى الشَّعْرِ يَوْمئِذٍ انْكَسَارٌ ، وَلَحِقَ<sup>(٤)</sup>  
أَحْفَافُهُ انْهِيَارٌ ، وَأَصَمَّ بِهِ النَّاعِي ، مُسَمِّعًا يَنْدُبُ شَجْوَهُ بَابِنِ الْيَمَانِي ، مُنَادِيًا  
يُنَادِي : يَا إِدْرِيسَاهُ ! وَلَا إِدْرِيسَ يَوْمئِذٍ لِلْقَوَافِي ، وَكُلُّ شَيْءٍ لَهُ حَتْفٌ مُوَافِي !  
قَالَ ابْنُ حَيَّانَ : وَأَكْتُبُ إِثْرَ هَذَا الْفَصْلِ بِعُضْ مَا اخْتَرْتُهُ مِنْ قَصَائِدِ  
هَؤُلَاءِ الشُّعْرَاءِ عَلَى مَا خِيلْتُ لئَلَّا يَخْلَوْا جَيِّدُ الْقَوَائِفِ مِنْ مَحْشَلِهَا .

(١) الكلمة غير منقوطة بالأصل . (٢) كذا في الأصل .

(٣) في الأصل : ولحقت .

(٤) في الأصل : همت







طَلَيْطَلَةَ الْبَائِسَةِ ، وَشَرَحَ الْحَالِ الَّتِي أَبَادَتْ مَصَانِعَهَا ، وَطَيَّرَتْ وَاقِعَهَا ، وَمَا آلَ  
إِلَيْهِ أَمْرُ الْمَمْلَكَةِ الْقَابِضَةِ لِلْأَنَامِ ، الْمَبْنِيَّةِ عَلَى هَدْمِ دَعَائِمِ الْإِسْلَامِ ، الْمَجْمُوعَةِ  
مِنْ افْتِرَاقِ الْجَمَاعَةِ ، الْمَغْلُوبِ عَلَيْهَا أُمَّةُ السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ . وَنَذَكَرَ طَرَفًا مِنْ  
حَدِيثِ مَالِ أَمِيرِهَا الْمُتَرَفِّ الْمُسْرِفِ ، الْمَلَقَّبِ — كَانَ — مِنْ الْأَلْقَابِ  
السُّلْطَانِيَةِ بِالْقَادِرِ بِاللَّهِ ، جَهْلًا مِنْهُ بِحَقِيقَتِهِ ، وَتَهَاوُنًا بِاللَّهِ وَخَلِيفَتِهِ . خُطَّةٌ ذَاذَةٌ  
الْمِقْدَارُ عَنْ مُسْتَقَرِّهَا ، وَدَعْوَى دَفْعِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ فِي صَدْرِهَا . وَنَأْتَى أَوَّلًا  
بِفَصْلِ جَوَدَةِ ابْنِ حَيَّانٍ فِي ذِكْرِ جَدِّهِ إِسْمَاعِيلَ الْمُتَلَقَّبِ — كَانَ — بِالظَّافِرِ ،  
رَئِيسِ الْخِلَافِ ، وَرَأْسِ الْإِنْحِرَافِ ، وَجَمْهُورِ الْجَوْرِ وَالْإِسْرَافِ .

قال ابنُ حَيَّانٍ : وَكَانَتْ أَوَّلِيَّةُ نَبَاهَةِ بَنِي ذِي النُّونِ مِنْ جَدِّهِمْ ذِي النُّونِ ،  
فِي أَيَّامِ الْأَمِيرِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ . وَقَدْ اعْتَلَّ لَهُ خَصِيٌّ فِي طَرِيقِ قُفُولِهِ مِنْ  
الشَّغْرِ فَنَزَلَهُ عِنْدَهُ بِحَصْنِ أَقْلَيْشَ يُمَرِّضُهُ ، فَلَمَّا أَفَاقَ لَحِقَ بِالْحَضْرَةِ مَعَ الْخَصِيِّ ،  
فَأَخَذَ لَهُ تَوْقِيْفًا بِتَقْدِيمِهِ عَلَى حِصْنِهِ . ثُمَّ تَدَاوَلَ تِلْكَ الْخُطَّةُ وَلَدُهُ إِلَى أَيَّامِ  
الْحَكَمِ . فَلَمَّا اضْطَلَعَ بِالدَّوْلَةِ ابْنُ أَبِي عَامِرٍ ، تَعَلَّقَ بِهِ الْمَضْرَاسُ بْنُ ذِي النُّونِ  
وَإِسْمَاعِيلُ ابْنُهُ مَعَهُ . فَلَمَّا انْقَرَضَتِ الدَّوْلَةُ الْعَامِرِيَّةُ لَحِقَ بِالشَّغْرِ ، وَجَمَعَ إِلَيْهِ بَنِي  
عَمِّهِ ، وَخَطَبَ مِنْ سُلَيْمَانَ وَلَايَةَ أَقْلَيْشَ فَوَلَّاهُ إِيَّاهُ ، ثُمَّ تَهَيَّأَتْ لَهُ قَلْعَةٌ كُونُكَهَ ،  
وَكَانَتْ بَيْدٍ وَاضِحٍ الْعَامِرِي ، فَلَمَّا مَاتَ ضَبَطَهَا إِسْمَاعِيلُ مُنْتَظِرًا بَرْعِهِ مَنْ  
يَجْتَمِعُ عَلَيْهِ النَّاسُ ، وَتَحْتَ ذِيهِ مِنْ غُلُولٍ وَاضِحٍ كَثِيرٍ ، حِينَ لَمْ يَتْرُكْ إِلَّا الْأَطْفَالَ  
وَأُمَّهُمْ حُرَّتَةً ، أَلْقَتْ بِنَفْسِهَا إِلَيْهِ ، مُعْتَنِقَةً بِأَمَانِهِ ، فَحَصَلَ لِإِسْمَاعِيلَ الْبَلَدُ .  
وَسَطَا عَلَى مُجَاوِرِيهِ مِنْ قَوَادِ الشُّغُورِ ، فَاسْتَقَامَتْ لَهُ الْأُمُورُ . وَتَنَّى لَهُ الْوِزَارَةُ  
سُلَيْمَانُ وَسَمَاءُ نَاصِرِ الدَّوْلَةِ . فَاسْتَقَلَّ ذَلِكَ كُلَّهُ ، وَآثَرُ الْفُرْقَةِ ، وَاقْتَطَعَ جَانِبَهُ ،  
فَسَكَنَ أَوَّلَ الشَّوَارِ لِمَفَارِقَةِ الْجَمَاعَةِ ، وَفَرَطَهُمْ فِي نَقْضِ الطَّاعَةِ . ثُمَّ انْفَقَتْ لَهُ



أُمُورٌ اتَّسَعَ بِهَا عَمَلُهُ ، وَكَثُرَتْ جِبَابُتُهُ وَجَمْعُهُ . وَكَانَ مِنَ الْبُخْلِ بِالْمَالِ ، وَالْكَفْلِ  
بِالْإِمْسَاكِ ، وَالتَّقْتِيرِ فِي الْإِنْفَاقِ ، بِمَنْزِلَةِ لَمْ يَكُنْ عَلَيْهَا أَحَدٌ مِنْ مُلُوكِ عَصْرِهِ . لَمْ  
يَرْغَبْ فِي صَنِيعَةٍ ، وَلَا سَارَعَ إِلَى حَسَنَةٍ ، وَلَا جَادَ بِمَعْرُوفٍ ، فَمَا أُعْمِلَتْ إِلَيْهِ  
مَطْيَاءٌ ، وَلَا سَحَلَتْ أَحَدًا نَحْوَهُ نَاقَةً ، وَلَا عَرَجَ عَلَيْهِ أَدِيبٌ وَلَا شَاعِرٌ ، وَلَا امْتَدَّحَهُ  
نَاضِجٌ وَلَا نَائِرٌ ، وَلَا اسْتُخْرِجَ مِنْ يَدِهِ دِرْهَمٌ فِي حَقٍّ وَلَا بَاطِلٍ ، وَلَا حَظِيَ  
أَحَدٌ مِنْهُ بِطَائِلٍ . وَكَانَ مَعَ ذَلِكَ سَعِيدَ الْجَدِّ ، تَنَقَّادٌ إِلَيْهِ دُنْيَاهُ ، وَتَصَحَّبُهُ  
سَعَادَتُهُ فَيُقَالُ صِعَابَ الْأُمُورِ بِأَهْوَنِ سَعْيِهِ . وَهُوَ كَانَ فَرَطَ الْمُلُوكِ فِي إِبْشَارِ  
الْفُرْقَةِ ؛ فَاقْتَدَى بِهِ مَنْ بَعْدَهُ ، وَأَثَمُوا فِي الْخِلَافِ نَهْجَهُ . فَصَارَ جُرْثُومَةُ النِّفَاقِ ،  
وَأَوَّلَ مَنْ اسْتَنَّى سُنَّةَ الْعِصْيَانِ وَالشُّقَاقِ ، وَمِنْهُ تَفَجَّرَ يَنْبُوعُ الْفِتَنِ وَالْمِحَنِ .  
فَتَبَارَكَ مَنْ أَمَلَى لَهُ ، وَلَمْ يَرْضَ لَهُ عُقُوبَةُ الدُّنْيَا مَثُوبَةً .

فَقَدْ كَانَ أَصْحَابُهُ حَفِظُوا عَنْهُ كَلِمَاتٍ فِي سَبِيلِ ذِكْرِ السَّلَفِ الصَّالِحِ زِيَادَةً  
إِلَى مَسَاوِيهِ . وَذَلِكَ أَنَّهُ نُوْظِرَ فِي شَأْنِ التَّأْمِيرِ لِبْنِي أُمَيَّةَ فَقَالَ : وَاللَّهِ لَوْ نَازَعَنِي  
سُلْطَانِي هَذَا الصَّدِيقُ لِقَاتَلْتُهُ وَلَمَّا سَلَّمْتُ لَهُ ، فَكَيْفَ أُسَلِّمُ سُلْطَانِي لِمَنْ يُدْعَى  
إِلَيْهِ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ ، مِمَّنْ لَا يُوجِبُ اللَّهُ طَاعَتَهُمْ ، عِتْرَةِ مَرْوَانَ خَبِطَ بَاطِلٌ ، الَّذِينَ  
لَمْ يَسْمِقْ لَهُمْ نُحْبَةُ ، وَلَا أَدْخَلَهُمُ السَّلَفُ فِي شُورَى الْإِمَامَةِ ؟

قَالَ ابْنُ حَيْثَانَ : وَمِنْ أَشْهَرِ حِكَايَاتِهِ فِي ذَلِكَ ، مَا أَخْبَرَ عَنْهُ أَبُو الْعَبَّاسِ  
الشُّكْرِيُّ الْإِسْكَندَرَانِيَّ — رَجُلٌ مُتَمَتِّعٌ بِالْحَدِيثِ طَيِّبُ الْجَلَّاسَةِ — وَحَضَرَ  
مَجْلِسَ ابْنِ حَمُودٍ بِمَالَقَةٍ ، فَسَأَلَهُ إِسْمَاعِيلُ بْنُ ذِي النُّونِ عَنْ مَجْلِسِهِ مَعَهُ ، فَأَثْنَى  
عَلَيْهِ ، فَقَالَ أَتُثْنِي عَلَى أَدْعِيَاءٍ ؟ فَعَلَّ اللَّهُ بِهِمْ وَصَنَعَ ! فَبُهِتَ الْإِسْكَندَرَانِيَّ ،  
وَقَالَ : مَعَذَرَةٌ إِلَيْكَ أَيُّدَكَ اللَّهُ ، فَإِنِّي جَهَلْتُ رَأْيَكَ فِي هَذَا الرَّجُلِ مَعَ أَنِّي  
أَلْزَمْتُ نَفْسِي أَلَّا أَذُمَّ ذَا سُلْطَانِ الْبَقَّةِ ، وَأَنْتَ غَيْرُ مُنَازَعٍ فِي أَمَّتِكَ الْمَرْوَانِيَّةِ ،



وهم أهل ذلك منك ، أقادِيمُ الملوك ، وذوو العدل والسياسة . [ومضى] <sup>(١)</sup>  
الإسكندراني في إطرأهم ظناً أنه يسره ، إذ كان يقول بدغوتهم في ذلك  
الوقت . فقطع عليه ابن ذى النون بأسوأ من قطعه على الهاشميين ، وانحنى على  
ذم بني أمية فلم يبق ، ووصل كلامه بأن قال : توارثوا هذه الإمارة مخزقة  
وضعها قریش لاستكمال <sup>(٢)</sup> الناس والناس لأب وأُم ، والنفخار باطل ، أحقهم  
بالمُلك من استقل به . والله ما أُولى غير نفسه ، ولا أقوم إلا بسُلطاني ،  
ولو نازعنيهِ فلان وفلان — وذكر السلف الصالح الذين كرم <sup>(٣)</sup> الله ذكركم —  
لضربتهم دونه بسيفي ما استمسك بيدي . فقام عنه الإسكندراني مهوياً  
وأفشاء في غير أرضه . وأخباره في مثل هذا كثيرة .

انتهى كلام ابن حيان .

فقلت أنا : ولت إسماعيل هذا بقي ووقي ، على فظافة جانيه ، واختلاف  
مذاهبه ، وطول إعراضه عن عواقبه ! فلقد كانت عليه وقته قليل رقبه ، وعنده  
بعض أهبة ، لقرب عهده بأيام الجماعة ، واستشعاره عودة السمع والطاعة ،  
ولو فور من كان قبله يومئذ من مشيخة ذوى الهيئات ، وزعماء سائر الطبقات .  
ولقد أساء من جاء بعده ، ذهاباً في الكبر ، وتهاوياً بالأمر ، وقعوداً عن النضر ،  
واستظهاراً بأحزاب الكفر ، سلمه باطل وبطالة ، وحر به غواية وجهالة ، في  
المشركين نجومه وديمه ، ولهم موائيقه وذممه ، وفي المسلمين همومه وهيمه ،  
وعندهم بوائيقه ونقمه <sup>(٤)</sup> .

بلغني أنه لما مات الظافر إسماعيل ، كان حمة دولته ورؤوس جلته <sup>(٥)</sup>

(١) بياض قدر كلمة .

(٢) كذا في الأصول وأصلها : لاستعمال أو لاستعباد .

(٣) في الأصل : كرمهم . (٤) في الأصل : « نعمة » .

(٥) رسم الكلمة في الأصل « حلتة » ، ويحتمل كذلك « حملته » .



الحاج بن محفور وابن لبون وابن سعيد بن الفرع . وكان آكد ما عهد به إليه يحيى المتلقب بعده بالمأمون الاقتداء بهديهم ، والانتهاى إلى رأيهم . قال بعضهم : فدخلنا عليه لأيام يسيرة من مهلك أبيه ، وهو [ في ] إيوان كبير قد ملأه بنقر الفضة حتى لا فضل فيه عن مجلسه ، فأمرنا بالدنو ، فبعد لأي ما خلصنا<sup>(١)</sup> إليه لكثرة ما كان من ذلك بين يديه ، وقد امتلأت صدورنا عجباً ، وتقيدت الحاظنا فما تجد متقلباً ، لهذا الاتفاق كيف وقع ، ولهذا الشئحت من أين جمع . فأخذ يُقِيل<sup>(٢)</sup> رأى أبيه في اختزانه ، ويُعرض بجُحود<sup>(٣)</sup> كان في بنائه ، ونحن نقول : لعله قد أنف لضياع ثغوره ، وتشعث أموره ، وانتشار الشرك بازائه وظهوره . وكأنه فهم ما نحير ، وعلم إلى أين نشير ، فأظلم ما بيننا وبينه ، وازور إزورارة أنكرنا بها أثره وعينه ، [ وقال : ] من حق مثل هذا أن يُصرف في مثل ضروب الحلية الرائقة<sup>(٤)</sup> ، وأنواع الآنية الرائقة<sup>(٥)</sup> . وأى معنى في كونها نقر ؟ ما أعجب هذا وما أنكر ! هذه بالحجارة أشبه منها بالآلات الإمارة . فقال له ابن محفور ، وكان أشدهم جرأة وأثقلهم وطأة ، لعزة ركنه وإدلاله بفضل سنه : إن هذه — أي ذلك الله — إذا كانت تُقرأ بقيت ذخيرة زمان ، وعُدّة لحدث إن كان ، ولا تحوّل آلات إلا بعد نفقة ، وتحثيف من كل طبقة ، ثم لا تزال نُصب عين من يرِد من رسول ، ويلتاب من ابن سبيل ، وينمى خبرها إلى الطاغية فرذلند فتدعو السياسة إلى أن يُخص منها بقسم ، ويُضرب له في أنفسها بسهم . فزوى عنهم وجهه ، ولم يأمنوا نجهه ، وثقلوا بعد عليه ، ويئسوا من شئ من الفلاح يجري على يديه . وخالفهم إلى ما أراد ،

(١) رسم الكلمة في الأصل : « حاضا » ، ولعل ما أثبتناه أقرب إلى الصواب .

(٢) رسم الكلمة في الأصل : « يقبل » . (٣) كذا ، ولعلها بجمود .

(٤) كذا في الموضعين ولعل لإحداهما « الفائقة » .



فأبدى فيه وأعاد ، وآلت حاله إلى ما قال الشيخ ما نقص ولا زاد .

ذِكْرُ الْخَبَرِ عَنْ بَعْضِ مَا تَنَاهَى إِلَيْهِ الْمَأْمُونُ

مِنْ تَشْيِيدِ الْبُنْيَانِ بِقُصُورِ طُلَيْطَلَةَ

قال ابن بسام : ثم أخذ المأمون في بناء مجلسه الكبير المكرم بناء بانيه ، وخلا سريعا من اسمه ، لم يخلده في عقب ، ولا قضى من لدنه به كبير أرب . وكان الذي تولى له رصف بدائعه ، وإحكام مصانعه ، رجل من مهرة الفعلة ، أكثر خلق الله صلفا ، وأشدهم تنابعا<sup>(١)</sup> وسرفا . وكان المأمون لعدم نظيره ، يحتمل من اعتدائه وتغريره ، وتهاونه بجميع أموره ، ما لا مزيد عليه ، ولا انتهاء لأحد إليه . واتفق له مع ذلك الصانع أن وعده بتمام مجلسه المشيد قبل إطلال العيد ، فرشح ابن ذى النون للجلوس في صدره ، والاستظهار على زينة عيده بالفراغ من أمره . وتقدم إلى من كان بحضرته من الشعراء ، على قلتهم ببابه ، ونفارهم عن جنابه ، لقلّة نائله ، وتفاهة طائله ، في وصف مجلسه ذلك وتقرّيط مبانيه ، والثناء على مخترعه وبانيه . ثم إن ذلك الصانع استمر على ديدنه من الخلاف ، وعمل على شاكلته من التهاون والإخلاف . واتفق أثناء ذلك أن ضربت خيل الطاغية فردلند على بلاد المظفر بن الأنطس ؛ وطمتها وطاة تحت رسومها ، واستباححت حريمها ، واجتاحت حديثها وقديمها ، وأنست ما كان قبلها من جب<sup>(٢)</sup> الدروة ، وانصداع المروّة ، وأياست من البقاء ، وأذنت بشمول البلاء . فأخبرت عن وزيره أبي المظفر بن مثنى أنه كان يومئذ بمنزله بين الوجوم والإطراق ، وعلى نهاية الحذر والإشفاق ،

(١) في الأصل : « تنابعا » . (٢) في الأصل : « جب » .



- إذ وَرَدَتْ رُسُلُ المَأْمُونِ عَنْهُ تَتَرَمَّى ، وَهَجَمَتْ عَلَيْهِ زُمَرَةٌ بَعْدَ أُخْرَى . فَدَخَلَ عَلَيْهِ فَوَجَدَهُ قَدْ اسْتَشَاطَ حَقَقًا ، حَتَّى كَادَ يَتَمَيَّزُ شَقَقًا . فَظَنَّ أَنَّ ذَلِكَ الضَّجَرَ لِمَا كَانَ وَرَدَ بِهِ الْخَبَرُ مِنْ ضَرْبِ الْخَلِيلِ عَلَى بَلَدِ الْمَظْفَرِ ، وَإِخْفَارِ الدَّمِّ ، وَزَلَّةِ الْقَدَمِ ، وَانْهَتَاكِ الْحَرَمِ . فَطَفِقَ ابْنُ مُثَنَّى يَبْسُطُهُ وَيَقْبِضُهُ ، تَارَةً يُسَلِّيهِ وَتَارَةً يُحَرِّضُهُ ، وَطَوْرًا يَقُولُ لَهُ : فِيكَ الْخَلْفُ مِمَّا فَاتَ ، وَمَرْءَةٌ يَقُولُ : قَدْ آتَى لَكَ أَنْ تُنْكَرَ عَلَى الطَّاعِيَةِ هَذَا الْإِفْتِيَاءُ . فَمَا <sup>(١)</sup> فَهَمَّ مَنْعَهُ ابْنُ مُثَنَّى مِنْهُ ، وَأَعْرَضَ عَنْهُ ، وَقَالَ لَهُ : أَلَا تَرَى هَذَا الصَّانِعَ الْفَاعِلِيَّ الضَّائِعَ <sup>(٢)</sup> — يَعْنِي عَرِيفَ بُنْيَانِهِ — صَبَرْتُ لَهُ وَأَغْضَيْتُ ، وَفَعَلْتُ بِهِ كَيْتَ وَكَيْتَ ، فَمَا زَادَ إِلَّا تَنْغِيصًا لِلذَّنْبِ ، وَاسْتِخْفَافًا بِأَمْرَتِي ، وَتَصْغِيرًا لِلشَّانِ ، وَاجْتِرَاءً عَلَى سُلْطَانِي . وَهَبَّتْ رِيحُ الْعَقِيمِ ، تَقْعِدُ فِي غَيْرِ شَيْءٍ وَتُقِيمُ ، فَسَقَطَ فِي يَدِ ابْنِ مُثَنَّى وَانْكَسَرَ انْكَسَارَةً تَبَيَّنَ مِنْهَا ابْنُ ذِي النُّونِ فِيهِ . وَلَمْ يَجِدْ بُدًّا مِنْ أَنْ قَالَ لَهُ : هَوِّنْ عَلَيْكَ وَالْكَلْ طَوْعُ يَدَيْكَ ، وَنَاهِيكَ ، وَأَنَا أَكْفِيكَ .
- وَخَرَجَ وَمَثَلَ بَيْنَ يَدَيْ ذَلِكَ الصَّانِعِ يَبْعُدُهُ وَيُمْنِيهِ ، وَيُدَاوِرُهُ <sup>(٣)</sup> وَيُدَارِيهِ ؛ وَالصَّانِعُ مُقْبِلٌ عَلَى شَأْنِهِ ، مَا أَمَرَهُ بِالْجُلُوسِ ، وَلَا زَادَهُ عَلَى التَّجَهُُّمِ <sup>(٤)</sup> وَالْعُبُوسِ . فَبَعْدَ لَا أَيْ مَا ضَرَبَ لَهُ مَثَلُ الْعَامَّةِ وَهُوَ قَوْلُهُمْ : مَا أَفْرَسَ الْجَالِسُ . ثُمَّ قَالَ : ١٥
- وَبِالْحَرِيِّ وَاللَّهِ أَنْ يَتِمَّ إِلَى عِيدٍ آخَرَ ، فَلْيَجْهَدْ جَهْدَهُ ، وَلْيَأْتِ بِكُلِّ مَا عِنْدَهُ . فَرَجَعَ ابْنُ مُثَنَّى إِلَى ابْنِ ذِي النُّونِ وَهُوَ عَلَى الشَّانِ ، وَخَفَّفَ لَدَيْهِ مَا كَانَ . وَخَرَجَ لَا يَذَرِي مِنْ أَيِّْ السَّلَاقَةِ يَفْجَبُ : أَمِنْ اغْتِرَارِ ذِي الذَّنْبِ وَجِهَلِهِ ، أَمْ إِنْضَاءِ الضَّرُورَةِ بِنَفْسِهِ إِلَى خِدْمَةِ مِثْلِهِ ، أَمْ مِنْ جُرْأَةِ ذَلِكَ الصَّانِعِ الْقَصِيرِ الْيَدِ النَّزْرِ الْعَدَدَ عَلَى ذُلِّ ذِي النُّونِ وَذُلِّهِ . ٢٠

(١) فِي الْأَصْلِ : « فَلَمَّا » . (٢) فِي الْأَصْلِ : « الصَّانِع » .

(٣) فِي الْأَصْلِ : « وَيُدَارِيهِ » . (٤) فِي الْأَصْلِ : « التَّجَهُُّم » .



قال ابن بسّام : فتبارك مَنْ أحاطَ بالأشياء ، ولم يخفَ عليه شيءٌ في الأرض ولا في السماء ، ومَنْ جعلَ اليومَ ذلكَ القصرَ العجيبَ ببنيانه ، الهادِمَ كانَ للدينِ والدُّنيا بنيانه<sup>(١)</sup> ، مربطاً للأفراس ، وملعباً للأعلاجِ الأرجاس ، مِنْ رجالِ الطاغيةِ ادفونش بن فرذكند ، بدّدَ اللهُ شيعته .

ذِكْرُ الْخَبَرِ عَنْ مَالِ حَفِيدِهِ الْمُتَلَقِّبِ بِالْقَادِرِ

مع [ما] يتشَبَّثُ به مِنْ خَبَرٍ نَادِرٍ

قد ذكرتُ في القسمِ الثاني مِنْ هذا المجموعِ مُلْكَ جَدِّهِ المأمونِ بقرطبة ، ويعودُ بنا القولُ إلى ما بدأتُ به مِنْ ذِكْرِ حَفِيدِهِ الْمُتَخَذِ لَهُ ذَلِكَ الصَّنِيعُ المَعْدُودُ عَلَى الْإِيَّامِ ذَنْبُهُ ، الباقِي فِي صَفْحَةِ الْإِسْلَامِ نَدْبَهُ . وقد ذكرتُ أيضاً فِي الْقِسْمِ الثَّالِثِ مِنْهُ مَهْلِكَ حَفِيدِهِ ببِلَنْصِيَّةٍ وَأَوْضَحْتُ صُبْحَهُ ، وَاسْتَوْفَيْتُ شَرْحَهُ . وَأَجْرَدُ هَهُنَا الْقَوْلَ فِي أَخْذِ طُلَيْطَلَةَ مِنْ يَدَيْهِ ، وَدَوْرَانِ الدَّائِرَةِ السَّوْءِ بِهَا عَلَى الْمُسْلِمِينَ وَعَلَيْهِ ، وَمَا تَعَلَّقَ بِأَذْيَالِ ذَلِكَ مِنْ غَرِيبَةٍ ، وَانْخَرَطَ فِي سِلْسِكَ مِنْ أُعْجُوبَةٍ .

كَانَ يَحْمِي حَفِيدُ ابْنِ ذِي النُّونِ رَكِينَ الْمَجْلَسِ ، تَرَى الْمَغْرَسِ ، حُلُوقَ الْحِوَارِ ، لَيْنَ التَّصَرُّفِ بَيْنَ الْإِيرَادِ وَالْإِصْدَارِ ، مَلِيحَ شَبَابِ الْخَطِّ ، هَذِهِ كَانَتْ فُضَايُهُ فَقَطْ . لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيسْلِفُهُ قَبْلَهُ بَاعٌ فِي الطَّلَبِ . وَلا حَظٌّ فِي الْأَدَبِ ؛ وَكَانَ — زَعَمُوا — آيَةً فِي قُرْبِ غَوْرِهِ ، وَسُكُونِ فَوْرِهِ<sup>(٢)</sup> ، وَالْحَوْرِ بَعْدَ كَوْرِهِ ، إِمْرَةً إِمْرَةً ، أَجْبَنَ مِنْ قُبْرَةٍ ؛ إِنْ حَزَمَ لَمْ يَعْزِمَ ، وَإِنْ سَدَّى لَمْ يُلْجِمَ ، إِلَى مَا كَانَ

(١) كَذَلِكَ فِي الْأَصُولِ وَلَعَلَّهَا بِكَيْفَانِهِ أَوْ بِظُفْيَانِهِ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « قَوْرِهِ » وَلَعَلَّهَا مَا أَثْبَتْنَاهُ .



يَعْرِضُهُ مِنْ غَرَضٍ ، وَيَلْزَمُهُ أَكْثَرَ مَدَّتِهِ مِنْ مَرَضٍ ، مِنْ ذَرْبٍ لَازِمٍ - زَعَمُوا -  
 كَانَ لِمَعْدَنَهُ <sup>(١)</sup> ، وَاسْتَحْرَارِ حَامِمٍ لِمَرَّتِهِ <sup>(٢)</sup> . وَقَدْ كَانَ جَسَدُهُ الْمَأْمُونُ قَسَمَ  
 الْحَضْرَةِ قَسَمِينَ ، وَأَدَارَ سِيَاسَتَهَا عَلَى رَجَائِينَ ، فَعَمَلَ تَدْبِيرَ الْأَجْنَادِ ، وَالنَّظَرَ  
 فِي طَبَقَاتِ الْقَوَادِ ، إِلَى سَائِرِ الشُّؤْنِ السُّلْطَانِيَّةِ ، وَالْأَعْمَالِ الدِّيَوَانِيَّةِ إِلَى ابْنِ  
 الْفَرَجِ ؛ وَبَقِيَّةَ الْإِصْدَارِ وَالْإِيرَادِ ، وَالنَّظَرَ لِمَجَاهِيرِ النَّاسِ وَكَوَاظِفِ الْبِلَادِ ،  
 وَالرَّأْيَ وَالْمَشُورَةَ ، وَالصَّغِيرَةَ وَالْكَبِيرَةَ ، إِلَى الْفَقِيهِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ الْحَدِيدِيِّ ،  
 رَجُلٍ كَانَ لَهُ قَدَمٌ وَإِقْدَامٌ ، وَعِنْدَهُ نَقْضٌ وَإِبْرَامٌ . وَكَانَ قَدْ عَمِدَ لِحَفِيدِهِ هَذَا  
 الْمُرْشِحَ لِأَمْرِهِ مَتَى وَرِثَ سُلْطَانَتَهُ ، وَتَبَوَّأَ مَكَانَهُ ، أَنْ يَشُدَّ عَلَى ابْنِ الْحَدِيدِيِّ  
 كَلِمَةً <sup>(٣)</sup> يَدِينَهُ ، وَلَا يَفْتَتِ بِأَمْرٍ مِنَ الْأُمُورِ عَلَيْهِ . وَأَخَذَ الْمُؤْتِقَ الْغَلِيظَ عَلَى ابْنِ  
 الْحَدِيدِيِّ لِيَبْلُغَنَّ كُلَّ مَبْلَغٍ فِي شِدَّةِ أَزْرِهِ ، وَتَثْبِيَتِ أَمْرِهِ ، عَلِمًا بِاسْتِقْلَالِهِ ،  
 وَاسْتِنَامَةِ إِلَى يَمْنٍ مَنَاقِبِهِ وَخِلَالِهِ ، وَحِفْظًا لِمَا <sup>(٤)</sup> كَانَ عِنْدَهُ مِنْ يَدِهِ فِي إِقَامَةِ  
 أَوْدِهِ ، وَمُمَالَاتِهِ عَلَى أَهْلِ بَلَدِهِ . وَقَدْ كَانَ أَكْثَرُهُمْ فِيمَا سَلَفَ نَفَرُوا عَنْهُ ، وَهَمُّوا  
 بِالْإِسْتِبْدَالِ مِنْهُ . فَفَكَتَ <sup>(٥)</sup> أَبُو بَكْرٍ هَذَا قُوَى مَكْرِهِمْ ، وَخَاطَبَ الْمَأْمُونُ يَوْمَئِذٍ  
 إِلَى بَلَنْسِيَّةٍ بِجَلِيَّةٍ أَمْرِهِمْ ، خَوْفًا مِنَ الْفِتْنَةِ ، وَتَفَادِيًا مِنَ الْمِحْنَةِ . فَاشْكَدَرَ الْمَأْمُونُ  
 مِنْ حِينِهِ إِلَى طُلَيْطَلَةَ وَقَدْ ضَاقَ ذِرَاعًا ، وَكَادَتْ نَفْسُهُ تَذْهَبُ شَعَاعًا . وَأَدَارَ  
 الْحِيلَةَ عَلَى مَشِيخَةِ طُلَيْطَلَةَ فِي خَبَرِ طَوِيلٍ حَتَّى سَجَنَ عَامَتَهُمْ بِمَطْبَقِ حِصْنِ  
 [ وَبَذَهُ <sup>(٦)</sup> ] أُخْرَى قَلَاعِهِ الْمَنْيَعَةِ ، وَلَمْ يَزَلْ أَوْبَاهَا حَتَّى سَابَ الشَّبَابَ ، وَبَلَّيْتَ  
 الْأَحْقَابَ . وَتَلَّكَ الْيَدَ كَانَ الْمَأْمُونُ يُرَاعِي لَابْنَ الْحَدِيدِيِّ ، فَوَضَعَ فِي حَيَاتِهِ  
 زَمَانَهُ بِيَدِهِ ، وَاسْتَخْلَفَهُ بَعْدَ وَفَاتِهِ عَلَى بَلَدِهِ وَوَلَدِهِ .

(١) فِي الْأَصْلِ : لِمَعْدَنِهِ . (٢) فِي الْأَصْلِ : لِمَرَّتِهِ .

(٣) رَسَمَ الْكَلِمَةَ فِي الْأَصْلِ : كَلَفَى .

(٤) فِي الْأَصْلِ : لِمَنْ . (٥) فِي الْأَصْلِ : فَكَّتْ .

(٦) بَيَاضٌ بِالْأَصْلِ قَدْرُ كَلِمَةٍ ، وَسَيَرُهُ اسْمٌ هَذَا الْمَحْضَنُ كَمَا أَثْبَتْنَاهُ فِيمَا بَعْدَ .



## مَقْتَلُ الْفَقِيهِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ الْحَدِيدِيِّ

فلما هَلَكَ المَأْمُونُ بِقُرْطُبَةٍ وَنُعِيَ بِطَلِيْطَلَةٍ وَمَاجَ بَعْضُهَا فِي بَعْضِهَا ، وَانْطَبَقَتْ  
سَمَاوُهَا عَلَى أَرْضِهَا ، احْتَوَشَتْ إِلَى حَفِيدِهِ ، اللّابِسِ لِبُرُودِهِ ، جُمْلَةً مِّنْ كَانَ  
يَتَعَلَّقُ بِسَبَبِهِ ، وَنِدَسَبُ إِلَى وَطْءِ عَقِبِهِ . وَطَفِقُوا يُغْرَوْنَهُ بِأَبِي بَكْرٍ <sup>(١)</sup> جَمَاعٍ  
أَمْرِهِ ، وَمَظَنَّةٍ تَأْيِيدِهِ وَنَصْرِهِ ، لَمَّا كَانُوا يُدْبِرُونَ مِنَ التَّقَلُّبِ عَلَيْهِ ، وَيَتَوَهَّمُونَ  
مِنْ ضَعْفِهِ عَلَى مَا فِي يَدَيْهِ . وَخَوْفُهُ غَوَائِلَ خَتَلِهِ ، وَزَعَمُوا أَنَّ سُلْطَانَهُ لَا يَتِمُّ  
إِلَّا بَعْدَ الْفَرَاغِ مِنْ قَتْلِهِ . وَقَدْ كَانَ أَثِيرُهُ أَبُو سَعِيدِ بْنِ الْفَرَجِ يَنْهَاهُ عَنْ إِخْفَارِ  
الدِّمَامِ ، وَيَخَوْفُهُ سُوءُ عَوَاقِبِ الْأَيَّامِ . فَرَكِبَ هَوَاهُ ، وَخَالَفَ نَاصِحَةَ وَعَصَاهُ ،  
وَجَرَّدَ قِطْعَةً مِنْ جُنْدِهِ ، وَأَمَرَهَا بِاسْتِقْبَالِ تَابُوتِ جَدِّهِ فِي طَرِيقِهِمْ مِنْ قُرْطُبَةٍ ،  
وَأَنهَى إِلَيْهِمْ مِرًّا قَتْلَ ابْنِ الْحَدِيدِيِّ الْمُسْتَقِيلِ بِحِمْلِهِ ، الْفَاضِلِ لِأَشْتَاتِ فَلِّهِ .  
وَقَالَ لَهُمْ : إِذَا لَقِيتُمُوهُ فَكُونُوا حَوْلَهُ ، وَعَظَّمُوا قَوْلَهُ ، فَإِذَا أُمِّسْكِنْتُمْ <sup>(٢)</sup> غِرَّتَهُ ،  
وَبَدَّتْ لَكُمْ غِرَّتُهُ ، فَاقْتُلُوهُ كَيْفَ أُمَكْنُ ، وَعَلَى مَا ظَهَرَ وَبَطْنًا . وَنَمَّا الْخَبِيرُ  
إِلَى ابْنِ الْحَدِيدِيِّ فَكَفَرَ بِطَاغُوتِهِمْ ، وَنَفَضَ يَدَيْهِ مِنْ تَابُوتِهِمْ ، وَنَكَبَ إِلَى  
بَعْضِ ضِيَاعِهِ ، فِي لَيْلَةٍ مِنْ شِيعَتِهِ <sup>(٣)</sup> وَأَتْبَاعِهِ . فَاضْطَرَمَّتِ الصُّدُورُ ، وَبَطَلَ  
ذَلِكَ التَّدْبِيرُ . ثُمَّ وَافَى الْبَلَدَ لَيْلَةً وَقَدْ اسْتَوْحَشَ مِنْ أَنْسِهِ ، وَأَوْجَسَ خِيفَةً  
فِي نَفْسِهِ ، وَأَصْبَحَ الْمَدِينَةَ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ ، وَنَادِمًا يَتَتَبَّعُ وَيَتَعَقَّبُ ، يَعْصُ  
يَدَيْهِ ، وَيَحْسِبُ كُلَّ صَبِيحَةٍ عَلَيْهِ . وَطَفِقَ أَصْحَابُ ابْنِ ذِي النُّونِ بَزْعِمَهُ يَقُولُونَ :  
قَدْ حَذَرَكَ ، وَتَيَقَّنَ <sup>(٤)</sup> ، وَلَا يَصْلُحُ لَكَ أَبَدًا ، وَلَا يَرُدُّ عَنْ مَكْرُوهِكَ  
يَدًا . وَمَشَتْ بَيْنَهُمَا الرُّسُلُ ، وَأَعْمَلَتْ فِي اجْتِمَاعِهِمَا الْحِيلَ . فَرَكِبَ إِلَيْهِ ذَاتَ

(١) فِي الْأَصْلِ : يُغْرَوْنَهُ بِأَبِي بَكْرٍ .

(٢) كَذَا وَلَعَلَّهَا : أُمِّسْكِنْتُمْ الْمُسْكِنُ السَّجْمُ . (٣) فِي الْأَصْلِ : شِيعَتُهُ .



يومٍ وقد أخذَ حِذْرَهُ ، وحشدَ عُرْفَهُ ونُسَكَرَهُ ، واستبطنَ<sup>(١)</sup> مَنْ كَانَ تَبِعَهُ  
يومئذٍ من الدَّهْمَاءِ ، وتعلّقَ بِرِكَابِهِ لِمَشْهَدِ أَمْرِهِ مِنَ الْغَوَاءِ . فمَلَأُوا أَفْنِيَةَ  
الْقَصْرِ أَسْرَعَ مِنَ الْمَاءِ إِلَى الصَّبَبِ ، وَأَهْوَلَ مِنَ النَّارِ فِي الْحَطَبِ . فحينَ ارتفعتْ  
الْأَصْوَاتُ ، وَغَصَّتْ بِهِمُ الْعَرَصَاتُ ، إِنْصَاعَ<sup>(٢)</sup> ابْنُ ذِي الثُّونِ فَأَمَرَ ابْنَ  
الْحَدِيدِ بِالْخُرُوجِ . فخرَجَ والدَّوْلَةُ مُتَعَلِّقَةً بِأَذْيَالِهِ ، وَطَبَقَاتُ أَعْيَانِهَا عَنْ  
يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ ، والعَامَّةُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَتَمَسَّحُونَ بِآثَارِهِ ، وَيَرْفُلُونَ فِي  
غُبَارِهِ ، وَهُوَ يَشْكُرُ صَنِيعَهُمْ ، وَيَعُمُّ بِالثَّنَاءِ جَمِيعَهُمْ . وَكَانَ عِنْدَمَا أَذْكَى عُيُونَهُ ،  
وَحَشَرَ شَيَاطِينَهُ ، قَدْ أَوقَعَ تُهْمَتَهُ عَلَى شَيْخَيْنِ مِنْ شُيُوخِ الْخِدْمَةِ يُدْعِيَانِ  
مُؤَمِّلًا وَابْنَ صَرُومٍ ، فَأَغْرَى الْعَامَّةَ بِاسْتِثْصَالِهِمَا ، وَتَحَبَّبَ إِلَيْهِمْ بِنَهْبَةِ أَمْوَالِهِمَا ،  
فَكَانَا عُتْوَانَ الْفِتْنَةِ ، وَبَاكُورَةَ الْمِحْنَةِ .

وَقَدْ حَدَّثْتُ أَنَّ ابْنَهُ أَشَارَ عَلَيْهِ يَوْمئِذٍ بِالْفَرَاغِ مِنْ شِيعَةِ ابْنِ ذِي الثُّونِ  
فَقِيلَ رَأْيُهُ ، وَاسْتَقْصَرَ سَعْيُهُ ، وَبُوْدُ<sup>(٣)</sup> طُلَيْطَلَةَ الْبَائِسَةِ لَوَأَنَّهُ فَعَلَ ، وَلَوْ أَمْضَاهَا  
مَا اخْتَلَفَ بِهَا اثْنَانِ ، وَلَا انْتَطَحَ فِيهَا عَتْرَانِ .

وَزَيَّنَ هَذَا الْحِزْبُ الْمُعْلِنُ بِشْرَهُ ، مِنْ شِيعَةِ ابْنِ ذِي الثُّونِ الْمَغْلُوبِ عَلَى  
أَمْرِهِ ، لِصَاحِبِهِمُ اللَّجَاجِ فِي غَدْرِهِ ، وَالتَّمَادِي عَلَى غُلُوءِ مَكْرِهِ . وَأَرْتَهُ أَنَّ ذَلِكَ  
مِنْ سَعْيِهَا لَا يَسْتَوِي عَلَى سُوقِهِ ، وَلَا يَخْلُو بِسِوَاءِ طَرِيقِهِ ، إِلَّا [ بِإِطْلَاقِ ]<sup>(٤)</sup>  
تِلْكَ الطَّائِفَةِ الْمَغْرَبَةِ بِمُطَبَقِ وَبَذِهِ ، الْمُحْتَرِقَةِ أَفْلَازِ كِبَادِهِمْ ، بِنِيرَانِ دَمِهِمْ  
وَأَحْقَادِهِمْ : دَاءُ دَفِينٍ ، وَشَرٌّ مَضْمُونٍ . وَسَوَّلُوا لَهُ أَنَّهُ إِذَا فَكَّ أَغْلَالَهُمْ ، وَوَصَلَ  
بِحَبْلِ الْحَيَاةِ حَبَالَهُمْ ، غَسَلَ جَوَانِحَهُمْ ، وَتَأَلَّفَ نَصَائِحَهُمْ ، وَشَارَكَهُمْ فِي ذَوَاتِ

(١) فِي الْأَصْلِ : اسْتَبْطَأَ ، وَلَعَلَّ الصَّوَابَ مَا أُنْبَتْنَاهُ .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « أَبَاعَ » وَلَعَلَّ الصَّوَابَ مَا أُنْبَتْنَاهُ .

(٣) السَّكْمَةُ فِي الْأَصْلِ غَيْرُ مَعْجَمَةٍ . (٤) بِيَاضٍ بِالْأَصْلِ بِقَدْرِ كَلِمَةٍ .



صُدُورِهِمْ ، واعتدَّ عليهم مِنَّةٌ نُشُورِهِمْ ، والبعثة مِن قُبُورِهِمْ . فَأَنَارَ مِنْهُمْ مُدَى  
وشفارا ، [أعدَّ] <sup>(١)</sup> بهم لخرابِ مُلْكِهِ أَغْوَانًا وَأَنْصَارًا . فَأَدْخَلَهُمُ الْبَلَدَ سِرًّا  
مِنْ بَعْضِ مَدَاحِلِهِ الْخَفِيَّةِ . وَقَدْ سَتَرَهُمُ بِاللَّثَمِ ، وَأَوْهَمَ أَنَّهُمْ بَعْضُ الْحُرَمِ ، حَتَّى  
وَصَلَوْا إِلَيْهِ ، وَمَثَلُوا بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَذَلِكَ الْيَوْمُ يَوْمُ الْجُمُعَةِ لِعَشْرِ خَلَّتْ لِحْرَمِهِ  
سنة ثمانٍ وستين .

وَكَانَ الَّذِي مَالَا ابْنَ ذِي النُّونِ عَلَى ذَلِكَ ، وَسَهَّلَ لَهُ — زَعَمُوا — تِلْكَ الْمَنَاهِجَ  
الْخَبِيْثَةَ وَالْمَسَالِكَ ، الْفَقِيهُ ابْنُ الْمَشَاطِ مُتَوَلَّى الْقَضَاءِ كَانَ يَوْمئِذٍ بِقُونُكِهِ . وَكَانَ  
أَبُو بَكْرُ بْنُ الْحَدِيدِيِّ [يَأْلُفُهُ] <sup>(٢)</sup> وَيَسْكُنُ إِلَيْهِ قَدِيمًا ، فَاسْتَدْرَجَهُ بِالْأَمَانِ ،  
وَاسْتَفْزَعَهُ إِلَى مَصْرَعِهِ يَوْمئِذٍ بِمَزَوْرَاتِ الْإِيمَانِ ، حَتَّى جَرَّعَهُ رَدَاهُ ، وَأَسْلَمَهُ إِلَى  
عِدَاهُ . وَدَخَلَ ابْنُ الْحَدِيدِيِّ يَوْمئِذٍ الْقَصْرَ ، وَالْمِقْدَارُ يُزْعِجُهُ ، وَالْخَائِنُ الْعَدَّارُ ابْنُ  
الْمَشَاطِ <sup>(٣)</sup> يَسْتَدْرِجُهُ . فَلَمَّا أَفْضَى إِلَى مَجْلِسِ ابْنِ ذِي النُّونِ رَأَى وُجُوهًا قَدْ أَمْنَهَا  
مِمَّا تَخَوَّفَهَا ، وَأَنْكَرَهَا مِنْ طُولِ مَا عَرَفَهَا ، وَأَيَقَنَ بِالشَّرِّ لَاخْلَاصَ ، وَلَاتَ حِينَ  
مَنَاصَ . ثُمَّ وَطَنَ لِحَنَّتِهِ ، وَاتَّكَأَ فَضْلَ مُنْتَهَى ، فَجَاذَبَهُمْ أَطْرَافَ الْخِصَامِ ، وَطَلَعَ  
عَلَيْهِمْ مِنْ ثَنَائِيَا النُّقْصِ وَالْإِبْرَامِ . فَقَامَ ابْنُ ذِي النُّونِ مِنْ مَوْضِعِهِ وَابْنُ الْحَدِيدِيِّ  
مُتَعَلِّقٌ بِأَذْيَالِهِ ، مُسْتَجِيرٌ بِهِ مِنْ أَقْتَالِهِ . فَشَغَبُوا عَلَيْهِ وَشَغَلُوهُ ، وَأَحَاطُوا بِهِ حَتَّى  
قَتَلُوهُ . فَقُضِيَ الْأَمْرُ ، وَفُضِيَ الْعِجْزُ وَالصَّدْرُ . وَلَمَّا أَحْسَسَتِ الْعَامَّةُ بِقَتْلِهِ ، وَهَمَّتْ  
بِسِلَاحِهَا مِنْ أَجْلِهِ ، نَارَ أُولَئِكَ الْمُخْرَجُونَ فِي وُجُوهِهِمْ ، أَطْلَالٌ فِي أَسْمَالِ .  
فَأَخَذَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ بِطَرَفٍ مِنَ الطَّرِيقِ ، وَذَهَبَ مِمَّنْ كَانَ هُنَالِكَ مِنَ الْعَامَّةِ  
بِفَرِيقٍ ، بَيْنَ صَدِيقٍ لَهُمْ يُسَمَّى ، وَعَدُوٍّ يَفِرُّ . وَتَشَاغَلُوا بِنَهَبِ دُورِ بَنِي الْحَدِيدِيِّ

(١) بياض بالأصل قدر كلمة ، ولعلها في معنى ما أثبتناه .

(٢) بياض بالأصل بقدر كلمة . (٣) في الأصل : السقاط .



حينَ عَجَزُوا عَنْ نُصْرَتِهِ ، وَعَلِمُوا أَنَّ لَا سَبِيلَ إِلَى كَرَّتِهِ . وَلَمْ يَكُنْ إِلَّا كـ « لا »  
حَتَّى أَصْبَحَتْ حَبْلًا<sup>(١)</sup> رَثًا ، وَهَبَاءَ مُنْبَثًا .

وظَنَّ ابْنُ ذِي النُّونِ [ أَنَّهُ ] قَدْ رَاعَ أَخْشَاءَ<sup>(٢)</sup> الْأَيَّامِ بِفَتْكَةِ بَرَّاضِيَّةٍ ،  
وَهَتَكَ أَسْتَارَ الْخُطُوبِ عَنْ حِيلَةِ عَمْرِيَّةٍ . وَلَعَمْرِي لَقَدْ أَرَاعَ وَلَسَكُنْ آمِنَ سِرِّيهِ ،  
وَلَقَدْ هَتَكَ وَلَسَكُنْ حِجَابَ قَلْبِهِ . أَخْلَى وَجْهَهُ لِشِرَارِ أَغْمَارِ ، لَمْ تَكُنْ لَهُمْ  
أَخْلَامٌ تَحْجُرُهُمْ ، وَلَا حُلُومٌ تُوقِرُهُمْ ، أَذْبَقَ<sup>(٣)</sup> شَهَوَاتٍ ، وَفَرَّاشِ ضَلَالَاتٍ ،  
أَغْضَى الزَّمَانَ لَهُمْ هُنَيْيَةً فَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ أَعْجَزُوهُ وَانْتَهَزُوهُ ، فَوَجَدَهُمْ مُغْتَرِّينَ لَيْسَ  
لَهُمْ سِلَاحٌ إِلَّا مَقَاتِلُهُمْ ، وَلَا بِهِمْ حُوبِلٌ إِلَّا تَدَابُرُهُمْ وَتَخَاذُلُهُمْ . وَنَفَثَ عَلَى نَفْسِهِ  
مِنْ أَوْلَيْكَ الْمُخْرَجِينَ شَرَارَ زِنَادٍ ، وَأَسْرَارَ عَدَاوَاتٍ وَأَحْقَادٍ ، خُلَّاسَ  
الشُّجُونِ<sup>(٤)</sup> وَالْأَهْوَالِ ، وَبَقَايَا الْقِيُودِ وَالْأَغْلَالِ . فَلَمْ يَزِدْ بِمَوْتِ ابْنِ الْحَدِيدِيِّ  
وَحَيَاتِهِمْ عَلَى أَنَّ كَانَ الشَّرُّ سَبَبًا فَأَصْبَحَ أَسْبَابًا ، وَالنَّاسُ حِزْبًا فَتَفَرَّقُوا أَحْزَابًا .  
وَانْتَبَذَ ابْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ لَتْلِكَ الْوَهْلَةِ بِبَلَنْسِيَّةٍ مِنْ جَمَاعَتِهِ ، وَخَلَعَ يَدَهُ مِنْ  
طَاعَتِهِ ، إِلَّا هُدْنَةً عَلَى دَخْنٍ يَتَطَارَدُ لَهُ بَصِيدُهَا ، وَيُنْشِدُهُ عَنْ كَيْدِهَا :

أَحْيَيْكَ فِي الْبَتُولِ وَفِي أَبِيهَا      وَلَسَكُنِّي أَحْيَيْكَ مِنْ بَعِيدٍ

وَفَرَّ الطَّاغِيَةُ أَدْفُونَشُ بْنُ فَرْدَلَنْدَ فَمَهَ عَلَى نُغُورِهِ الْمَشْفُورَةِ ، فَجَعَلَ لَوَقَتِهِ  
يَطْوِيهَا طَيَّ السَّجَلِ لِلْكِتَابِ ، وَيَنْهَضُ فِيهَا نَهْضَةَ الشَّيْبِ فِي الشَّبَابِ . وَابْنُ  
ذِي النُّونِ يُلْقِمُهُ أَفْلَازَ كَبِدِهِ ، وَيَرْجُمُهُ بِسَبْدِهِ وَلَيْمَةٍ ، وَادْفُونَشُ لَعَنَهُ اللَّهُ  
لَا يَقْنَعُ مِنْهُ بِصَيْدِ الْعَنْقَاءِ ، وَلَا بِيَيْضِ الْأَنْوُقِ ، بَلْ يَكْفُهُ<sup>(٥)</sup> إِحْضَارَ الْأَبْلَقِ

(٢) فِي الْأَصْلِ : أَخْشَاءَ .

(٤) لَعَلُّهَا : السُّجُونُ .

(١) فِي الْأَصْلِ : خَيْلًا .

(٣) فِي الْأَصْلِ : أَدْبَقَ .

(٥) فِي الْأَصْلِ : يَكْلَهُ .



العقوق وَيَسُومُهُ دَرَكُ الشَّمْسِ ، وَيَطْلُبُهُ بَرْدُ أَمَسٍ <sup>(١)</sup> . فَلَمَّا أَكَلَ الْإِنْفَاقُ ثَبَجَ <sup>(٢)</sup> مَالَهُ ، وَأَخَذَ الْخِنَاقُ بِكَظْمِ احْتِمَالِهِ ، وَأَحَسَّ الْعَدُوُّ الْمُشَاةُ بِذَلِكَ مِنْ حَالِهِ ، سَمًا إِلَى مَعَاقِلِهِ الْمُنِيعَةِ ، وَذَرَى أَمْلَاكِهِ الرَفِيعَةَ ، غَدَرَ الْأَنَامُ ، وَذُرُوبُ الْإِسْلَامِ ، فَمَارَاهَنَهُ مِنْهَا عَلَيْهِ غَلِقَ ، وَمَارَامَ أَخَذَهُ مِنْ يَدَيْهِ لَمْ يُدْرِكْهُ حَتَّى مُزِقَ .

فِرَارُ حَفِيدِ ابْنِ ذِي النُّونِ مِنْ طُلَيْطَلَةَ وَدُخُولُ الْمُتَوَكِّلِ

٥ | ١٣

وَانْجَرَّتِ الْحَالُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَوْلَئِكَ الشُّيُوخِ الْمُخْرَجِينَ مِنَ الْمَطْبَقِ بِمَقْدَارِ <sup>(٣)</sup> مَا رَقَعُوا خُرُوقَهُمْ ، وَجَمَعُوا فَرِيقَهُمْ ؛ فَلَمَّا اسْتَوْثَقَ أَمْرُهُمْ ، وَثَابَ إِلَيْهِمْ شَرُّهُمْ ، دَلَفُوا لِحَزْبِهِ الدُّنُونِيَّ <sup>(٤)</sup> الْبَسِيسَ ، تَحْتَ إِحْدَى لِيَالِي جَدِيسٍ <sup>(٥)</sup> ؛ أَرْغَى عَلَيْهِمْ سَقَبُ <sup>(٦)</sup> السَّمَاءِ ، وَتَمَخَّضَتْ لَهُمْ بِالْدَاهِيَةِ الدَّهْيَاءُ ، وَرُؤُوسُهُمْ بِأَيْدِي الْوِلْدَانِ لَعِبًا . وَأَتَى ابْنَ ذِي النُّونِ صَرِيحُهُمْ تِلْكَ اللَّيْلَةَ فَصَادَفَ مِنْهُ رَأْيًا مَغْلُوبًا ، وَقَلْبًا مَنخُوبًا ، طَارَ بِهِ الذُّعْرُ فَقَرَّ وَدُونَهُ مِنْ عَبِيدِهِ أُسْدُ الشَّرَى ، وَالْأَسْوَارُ شَاخِخَةُ الذَّرَى ، كَأَنَّمَا نَاجَتْهُ الْقِتَالُ أَضْغَاثُ حُلْمِهِ ، أَوْ رَأَى وَجُوهَ الْأَقْتَالِ فِي وَجُوهِ حُرَمِهِ ، فَجَفَلَ <sup>(٧)</sup> كَالظَّلِيمِ ، لَا يَحْفِلُ بِالْعَارِ الْمُقِيمِ ، وَلَا يُصَيِّخُ إِلَى الصَّدِيقِ الْحَمِيمِ . حَدَّثَتْ أَنَّ زَوْجَهُ بِنْتَ الْمُظَفَّرِ بْنِ عَامِرٍ — طَرِيدَ جَدِّهِ كَانَ مِنْ بَلَنْسِيَةِ — ، وَابْنَتَهُ مِنْهَا تَبِعَتَاهُ يَوْمَئِذٍ رَاحِلَتَيْنِ نَيِّفًا عَلَى فَرَسَيْنِ ، حَتَّى أُدْرِكَتَا بِمَرْ كُوبَ ، وَقَدْ أَخَذَ الْجَهْدُ مِنْهُمَا بِأَوْفَرِ نَصِيبٍ . وَاجْتَمَعَ مَشِيخَةُ طُلَيْطَلَةَ بِفَنَاءِ الْقَصْرِ ، مُرْتَبِكِينَ بَيْنَ الْأَجَاجِ وَالذُّعْرِ ، عَادَتْهُمْ تَتَطَاوَلُ بُزْعُمُهَا إِلَيْهِ ، وَخَاصَّتُهُمْ تَتَخَيَّلُ الْمُثُولَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَهُمْ يَظُنُّونَهُ بِحَيْثُ بَرَى وَيَسْمَعُ ، وَيَتَوَهَّمُونَ أَنَّهُ سَيَفْعَلُ وَيَصْنَعُ .

١٠

١٥

(١) فِي الْأَصْلِ : لِمَسْ

(٣) فِي الْأَصْلِ : بِمَقْدَامِ .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « ثَبَجَ »

(٥) فِي الْأَصْلِ : حَدِيسِ .

(٤) فِي الْأَصْلِ : الدُّنُونِيَّ الْبَسِيسِ .

(٧) فِي الْأَصْلِ : تَحْفَلُ الظَّلِيمِ .

(٦) فِي الْأَصْلِ : أَرْغَبَ عَلَيْهِمْ سَقَبُ .



فوجدوه قد أذعن للدَّنيّة ، وخرجَ مِنْ بعضِ تلكَ الخارجِ الخفيّة ، ومشى  
القَهْقَرى ، قَبْلَ عَيْرٍ وما جَرى . فاستأْصَدَتْ كلابُهُمْ لَأَكْلِ لَحْمٍ لَيْسَ لَهُ  
نَاصِر ، وهَزَجَ ذُبَابُهُمْ أَثْنَاءَ رَوْضٍ لَيْسَ [ لَهُ ] وَارِدٌ وَلَا صَادِر . وَأَلْقَوْا<sup>(١)</sup> يَوْمَئِذٍ  
فِي تَنْوَرٍ<sup>(٢)</sup> الطَّاعِمَةِ أَذْفُونَشٍ مِنْ تِلْكَ الْجَوَاهِرِ الْمَكْنُونَةِ ، وَالذَّخَائِرِ الْمَصُونَةِ .

- وتلاحقَ بَابِنَ ذِي النُّونِ بَقِيَّةُ سِرْبِهِ الْمَنْفَرِّ ، وَفُلُّ عَسْكَرِهِ الْمُدْبِرِ ، بِحَصْنٍ  
مِنْ حُصُونِهِ . وَأَقَامَ أَهْلُ طُلَيْطَلَةَ بَعْدَهُ أَيَّامًا وَلَا كَالسَّاعَةِ الْمُهْمَلَةِ نَامَ رَاعِيهَا ،  
وَأَكْبَهَتْ مَرَاعِيهَا ، يَتَهَادَوْنَ لَحْمًا بَيْنَ قَدِيدٍ وَمُعْجَلٍ ، وَيَرْتَمُونَ بِشَحْمٍ كَهَذَابِ  
الدَّمَقْسِ الْمَفْتَلِ ، فِي هِيَاظٍ وَمِيَاظٍ ، وَلَجَبٍ وَاخْتِلَاطٍ ، لَيْسَ عَلَيْهِمْ أَمِيرٌ ،  
وَلَا فِيهِمْ إِلَى الصَّوَابِ مُشِيرٌ . وَتَشَاوَرُوا فِي أَىِّ مُلُوكِ الطَّوَائِفِ يُحْكِمُونَهُ فِيهِمْ ،  
وَيُلْقُونَ إِلَيْهِ بِأَيْدِيهِمْ ، فَطَارَ طَائِرُهُمْ ، وَاخْتَلَفَتْ بَوَاطِنُهُمْ وَظَوَاهِرُهُمْ ، وَاشْرَابَ  
مَنْ كَانَ يَلِيهِمْ مِنْهُمْ لِمَا سَكَنَ لَمْ يُحْكَمُوا إِلَيْهَا أَسْبَابًا ، وَغَنِيمةٌ لَمْ يُوجَفُوا عَلَيْهَا  
خَيْلًا وَلَا رُكَابًا<sup>(٣)</sup> .

- وَكَانَ عِنْدَهُمْ يَوْمَئِذٍ أَبُو مُحَمَّدٍ يَوْسُفُ بْنُ الْقَلَّاسِ الْبَطَّايُوسِيُّ أَحَدُ عَفَارِيتِ  
الضَّلَالِ ، وَأَكَلَةِ الْأَمْوَالِ ، مِنْ رَجُلٍ أَجْرًا خَلَقَ اللَّهُ عَلَى دِمٍّ وَهُوَ أَجَبُنُ<sup>(٤)</sup>  
مِنْ صَافِرٍ ، وَأَجْسَرِهِمْ عَلَى رُكُوبِ ثَبَجٍ<sup>(٥)</sup> مُحَرَّمٍ وَهُوَ أضعفُ مِنْ لَحْظِ فَاتِرٍ ،  
نَهَبَتْ تِلْكَ الْفِتْنَةُ عَلَى قَدْرِهِ وَرَفَعَ عُذْمُ الرِّجَالِ صَوْتَهُ بِذِكْرِهِ ، فَهَبَّتْ  
رِيحُهُ شِمَالًا وَصَبَا ، وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ عَجَبًا . فَعَرَّضَ عَلَيْهِمْ بِصَاحِبِهِ  
الْمَتَوَكِّلِ عُمَرَ بْنِ الْمُظَفَّرِ بْنِ الْأَفْطُسِ ، وَأَعْرَبَ لَهُمْ عَنْ لَيْنِ مَكْسَرِهِ ، وَضَيْقِ

(١ — ١) فِي الْأَصْلِ : « وَأَلْقَوْا يَوْمَئِذٍ فِي سَوْرٍ » وَلَعَلَّ مَا أُثْبِتْنَاهُ أَقْرَبُ الْإِحْتِمَالَاتِ .

(٢) فِي الْأَصْلِ : رُكْبَانًا . (٣) فِي الْأَصْلِ : أَجْس .

(٤) فِي الْأَصْلِ : « تَبَج » .

(٥) فِي الْأَصْلِ : بَهْت .



مَسَافَةٍ نَظَرِهِ ، وَاشْتَغَالِهِ بِاللَّذَاتِ عَنْ أَكْثَرِهِ ، فَقَالُوا بُرْدٌ كَبِيرٌ ، مَا أَشْبَهَهُ  
سَعْدًا بِسَعْدٍ ! فَأَتَاهُ سَفِيرُهُمْ وَخَفَّ إِلَيْهِ عَيْرُهُمْ وَنَفِيرُهُمْ ، فَجَاءَهُمْ يَنْظَرُ مِنْ خَفَاءَ ،  
وَيَمْشِي عَلَى اسْتَحْيَاءَ ، كَوَدْنَا سَامُوهُ خُطَّةَ سَبَاقٍ وَحُبَيْنَةً<sup>(١)</sup> أَقَامُوهَا عَلَى سَاقٍ .  
فَدَخَلَ طَلِيْطَلَةَ عَقَبَ سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ ، وَأَقَامَ عِنْدَهُمْ نَحْوًا مِنْ عَشْرَةِ أَشْهُرٍ ،  
أَضَلَّ مِنْ يَدِهِ فِي رَجْمٍ ، وَأَذَلَّ مِنْ لَحْمٍ عَلَى وَضَمٍ .

[و] قَدْ كَانَ ابْنُ ذِي النُّونِ حِينَ انْفَلَتَ مِنْ يَدِ الْمُقْتَنَصِ ، انْفِلَاتَ  
الْحَمَامَةِ مِنَ الْقَفْصِ ، تَهَيَّأَ لَهُ دُخُولُ كُونَكَةٍ فِي خَبَرِ طَوِيلٍ ، فَثَابَ إِلَيْهِ حِسَّهُ ،  
وَرَجَعَتْ قَلِيلًا نَفْسُهُ ، وَرَاسَلَ الطَّاغِيَةَ أَذْفُونُشَ ، وَهُوَ بِحَيْثُ يَنْتَهَزُ الْفُرْصَةَ ،  
وَيَسْمَعُ الْقِصَّةَ . فذَكَرَهُ ابْنُ ذِي النُّونِ سَالِفَ عَهْدِهِ ، وَشَهِدَ عِنْدَهُ أَنْعَمَ جَدَّهُ ،  
فَبِالزُّنَادِ الذُّنُونِيَّةِ — زَعَمُوا — وَرِيتَ نَارُهُ ، وَمِنَ التَّلَاعِ الْمَأْمُونِيَّةِ<sup>(٢)</sup> تَدَفَّقَ  
تَيَّارُهُ ، أَيَّامَ كَانَ اسْمُ هَذَا الطَّاغِيَةِ نَحْمُولًا<sup>(٣)</sup> ، وَصَعْبُهُ ذُلُولًا ، بَتَغْلِبُ أَخَوِيهِ  
شَانِجُهُ وَغَرَسِيَّةٌ عَلَيْهِ ، وَأَخَذَهَا طَرَفِي سِلْكِهِ مِنْ يَدَيْهِ ، نَاوَاهُ الْمَأْمُونُ  
ابْنُ ذِي النُّونِ وَنَصَرَهُ ، وَاسْتَقَلَّ بِسُلْطَانِ طَاغُوْتِهِ حَتَّى أَظْهَرَهُ<sup>(٤)</sup> ، وَعِنْدَ اللَّهِ  
جَزَاءُ مُوفُورٍ ، وَإِلَيْهِ مُنْقَلَبٌ وَمَصِيرٌ . فَلَبَّى دَعْوَاهُ ، وَسَمِعَ شِكْوَاهُ ، وَأَظْهَرَ  
الْارْتِمَاضَ لِمَا عَزَّهْ وَعَرَاهُ . وَأَقْبَلَ مَعَهُ إِلَى طَلِيْطَلَةَ بِرْدٍ مَاءٍ بِمَاءٍ ، وَيُسِيرُ  
حَسَنًا فِي ارْتِفَاءٍ ، يُورِدُ وَرْدًا إِلَيْهِ صَدْرُهُ ، وَيَحْلُبُ حَلَبًا لَهُ أَكْثَرُهُ .  
وَالْمَتَوَكَّلُ بِهَا طَلِيحُ جِفَانٍ ، طَرِيحُ أَكْوَابٍ وَدِنَانٍ ، مُكَبَّبًا عَلَى قَمَشٍ مَا بَقِيَتْ  
الْحُمْنَةُ<sup>(٥)</sup> ، وَتَجَافَتْ عَنْ انْتِهَابِهِ الْفِتْنَةِ ، مِنْ فَرَشٍ فَخْمٍ ، وَسُرْدَاقٍ ضَخْمٍ ، وَأَنِيَّةٍ

(١) رَسْمُ الْكَلِمَةِ فِي الْأَصْلِ : « وَحْسَنَهُ » ، وَالْحُبَيْنَةُ دَوْبِيَّةٌ .

(٢) فِي الْأَصْلِ : الْمَأْمُونَةُ . (٣) فِي الْأَصْلِ : نَحْمُولًا .

(٤) فِي الْأَصْلِ : أَظْهَرَ .

(٥) رَسْمُ الْكَلِمَةِ فِي الْأَصْلِ : بَحْتُهُ ، وَلَعَلَّ الصُّوَابَ مَا أَتَيْنَاهُ .



وكتب ، وصعد من آلة الملك وصدب ، حتى اجتمع عنده من خبث زبرتها ، وغشاء  
غمرتها مع ما أدبوا <sup>(١)</sup> له صدر مقدّمه من شحم سنامها ، وأفاضوا من قردها <sup>(٢)</sup>  
وسلامها ؛ مجلّة علمته الجلوس في الصدر ، وأرته الفرق بين الخل والخمر ،  
وأهل طليطة الممتحنون في غمرتهم ساهون ، وعلى أعقابهم ينكصون ،  
يخوضون ويلعبون ، ويخرّبون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين .

خرج المتوكل من طليطة ، ورجوع ابن ذى النون إليها

فلما تمكن المتوكل من الرّى والشّبع ، تذكر عواقب الطمع ؛ ورأى  
أنه إن زاد على ملء بطنه ، كان كالسراج المنغمس في دهنه ؛ فكأيدهم  
بفراره ، وأجلى <sup>(٣)</sup> مبادراً إلى بطليوس دار قراره ، ينشد :

١٠ إن الله يُرْجِعُنِي مِنَ الْغَزْوِ لَا أَرَى      وَإِنْ قُلَّ مَالِي طَالِبًا مَا وَرَائِيَا

ومن غريب تأويل الأحلام ، أن رجلاً رأى المتوكل قبل دخوله طليطة  
بأعوام ، كأنه يأكل فيها طعاماً فيه سلق مع رجل يُسمّى يوسف ، ففسرها  
الأديب أبو عمر بن فتح المعروف بابن برلوضه ، وقال : إن المتوكل سيدخلها  
على يد رجل يُسمّى يوسف ، وينالان من أعمالها <sup>(٤)</sup> وذخائرها ، لكنهما يُسَلَقَانِ  
بالأسنة فيها ، ويقبّح الحديثُ عنهما ، فخرّجت الرؤيا كما فسّر . ولما دخلها  
١٥ وحصل إليه ما حصل فرّ وتركهم كالسفينتين خانتها الرّيح ، والجسد بان  
عنه الرّوح ، بين ناب الطاغية أدفونس وظفّره ، يقدح لهم نار الفتنة عن  
حجره ، ويريه الموت في أهول صورته ، مُقسماً لا يبرح العرصة حتى يفي

(٢) في الأصل : « بردها » .

(٤) في الأصل : عمالها .

(١) في الأصل : أدابرا

(٣) في الأصل : وأجل .



لابنِ ذِي النُّونِ بَضْمَانِهِ ، وَيُكَافِئُهُ عَلَى سَالِفِ إِحْسَانِهِ . وَكَانَ عَاقِدَهُ ابْنُ  
 ذِي النُّونِ أَنَّهُ إِذَا ضَرَجَ قَذَاهَا ، وَأَمَاطَ أَذَاهَا ، وَاقْتَضَى دَيْنَهَا <sup>(١)</sup> ، خَلَّى بَيْنَهُ  
 وَبَيْنَهَا . هَذَا [ مَا ] أَضْمَرَ ، فَأَمَّا الَّذِي أَظْهَرَ ، فَإنَّهُ وَعَدَهُ أَداءَ جُمْلَةٍ مِنَ الْمَالِ  
 لَا تَقِفُ بِهِ مُدَّةُ الْإِقْبَالِ ، وَلَا إِرخَاءُ الْحَالِ ، رَاهِنَهُ بِهَا أَبْنَاءُ الْأَمْجَادِ ، وَبَقَايا مَعَاوِلِهِ  
 الْأَفْرَادِ ، وَالْقَى أَهْلُ طُلَيْطَلَةَ بِأَيْدِي الصَّغَارِ ، عَلَى حِينِ أَيْقَنُوا بِالْبَوَارِ ، وَضَاقَتْ  
 عَلَيْهِمُ أَنْشَوَةُ الْحِصَارِ . فَجَاءَ ابْنُ ذِي النُّونِ يَقْدُمُهُ أَدْفُونَشُ ، وَهُوَ يُظَرُّ مِنَ  
 التَّزَامِ بِرَّهْ ، وَإِعْذَارِ نَصْرِهِ ، مَا بَهَرَ الْعُقُولَ ، وَكَثَّرَ الْقَالَ وَالْقِيلَ ، حَتَّى زَعَمُوا  
 أَنَّهُ رَفَعَ صَوْتَهُ يَدْعُو إِلَيْهِ ، وَتَرَجَّلَ يَمْشِي بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَصَارَ أَعْجَبَ مَنْ تَوَرَّطَ  
 فِي حَبَائِلِ كَيْدِهِ ، وَجَعَلَ الضَّرْعَمَ بَازِيًا لِصَيْدِهِ . وَكَمْ رَامَ أَهْلُ طُلَيْطَلَةَ قَتْلَ  
 ابْنِ ذِي النُّونِ فِي أَثْنَاءِ تِلْكَ الْوَشَّالَاتِ <sup>(٢)</sup> مِرَارًا ، وَلَكِنَّهُ بَلَغَ مَدَاهُ ، وَكَرِهَ  
 اللَّهُ لِقَاءَهُ فَأَبْقَاهُ ! وَكَانَتْ لِلَّهِ فِيهِ مَشِيئَةٌ أَمْضَاهَا ، وَقَضِيَّةٌ أَنْظَرَتْ لَهُ <sup>(٣)</sup> أَنَاهَا ،  
 لِذَلِكَ مَا خَبَأَتْهُ صُرُوفُ الْأَيَّامِ ، وَسَلِمَ مِنَ الْحِمَامِ إِلَى الْحِمَامِ . فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ النَّحْرِ  
 سَنَةً أَرْبَعٍ وَسَبْعِينَ ، نَهَدُوا لَهُ فِي عَدَدِهِمْ وَعَدِيدِهِمْ ، وَزَحَفُوا إِلَيْهِ بِحَدِّهِمْ وَحَدِيدِهِمْ ،  
 فَتَجَاوَلُوا عَامَّةَ يَوْمِهِمْ فِي شَوَارِعِهَا ، يَتَرَامُونَ بِدَوَامِغِ الْخُتُوفِ وَقَوَارِعِهَا ؛  
 فَأَجَلَّتْ الْحَرْبُ عَنْهُمْ قَدْ شَرِقُوا بِغُصَّتِهَا ، وَخَلُّوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ عَرَصَتِهَا . وَتَسَاقَطُوا  
 عَلَى أَدْفُونَشَ يَشْكُونَ ابْنَ ذِي النُّونِ إِلَيْهِ ، وَيَسْتَصِرُّونَهُ عَلَيْهِ . فَرَمَاهُمْ بِجَجَرٍ ،  
 وَلَبَسَ لَهُمْ جِلْدَةَ نَمْرٍ . فَتَفَرَّقُوا بِكُلِّ سَبِيلٍ ، وَطَارُوا عَلَى كُلِّ صَعْبٍ وَذَلُولٍ ،  
 حَتَّى مَاتَ ابْنُ مُغِيثٍ كَبِيرُهُم الَّذِي عَلَّمَهُم السَّحْرَ ، وَطَاغُوتُهُمُ الَّذِي شَرَعَ لَهُمْ

(١) فِي الْأَصْلِ : دَيْبِهَا

(٢) فِي الْأَصْلِ . الْإِسْلَاتِ ، وَمَا أَتْبَعْنَاهُ أَقْرَبُ الْإِحْتِمَالَاتِ

(٣) فِي الْأَصْلِ : بِهِ .

الكُفْر ، « بشيمول » <sup>(١)</sup> من أرض قشتيلة بين الدنان والصلبان ، فسار  
 وإلى الله إياه ، وعليه حسابه . ورجع بنوه أخيراً فانتزوا بمدينة تجريط وانحسروا  
 إليه ذؤبان الوقائع وأذبة المطامع ، فكانت بين ابن ذي النون وبينهم أيام  
 عدتهم له عدداً ، وساقتهم إليه وزدا ، حتى باد مجهورهم ، وتلاحقت أعجازهم  
 وصُدورهم . وبلغ ابن ذي النون من هدم ربوعهم ، وصلبهم على جذوعهم ،  
 ما يُبرِد صدر الموتور ، ويُضحك سن الموت المبير .

بَقِيَّةُ الْحَدِيثِ عَنْ شُؤْنِ ابْنِ ذِي النُّونِ بِطَلَيْطَلَةَ

وإسلامها لظهير الطاغية أدفونش ، وما انطوى في ذلك

من خبر ، والتف به من قبيح أثر

- ١٠ قال ابن بسام : وأخذ ابن ذي النون أهل طليطلة حين استقراره فيها  
 بفك تلك المعازل ، وآداء ما كان ضمن لأدفونش من الأموال الجلائل ؛  
 فضرَبَ مُدِيرَهُمْ بِمَقْبِلِهِمْ ، وَوَلَّى آخِرَهُمْ بَيْرَ أَوْلَهُمْ ؛ حتى طمِعَ فقيرهم في  
 غنيهم ، واجترأ ضعيفهم على قويهم ، وأصبح الرجل منهم يرتاع من ظله ،  
 ويلتفت وإنما هو بين أهله . وانكدر أدفونش على طليطلة ينتسف مرافقها ،  
 ويقعد لجالية أهلها ثناياها ومضايقتها ، يأسر ويقتل ، ويحرق ويمثل . وسما  
 السُّمُرُ ؛ وتفاقم الأمر ، وأنكرت الموارد والمصادر ، وبلغت القلوب الحناجر .  
 وكان من غريب ما اتفق ، وعجيب ما انتظم من ذلك واتسق ، أن البر كان  
 على زعمهم يَمَكُثُ عندهم أكثر من خمسين سنة لا يؤثر فيه طول القدم ،  
 ولا يخاف عليه آفة العدم ، ولم يرفع مُدَّةَ الْفِتْنَةِ من البيادر — على تعذر بدره ،

(١) كذا رسم هذا البلد في النسخة وهو غير واضح ، و« قشتيلة » تقرأ في الأصل « شيلة » .



وضيق الحيلة عن محاولة شيء من أمره — إلا وقد بدا البلي عليه ، وأسرعت  
 الآفة إليه ، أمر من الله لم يكن له مؤد ، ولا منه بُد . ولما شمل البلاء ،  
 وفدحت البأساء ، وأتى على أكثر أهل طليطلة القتل والجلاء ، وقضى  
 الطاغية أدفونش — قصمه الله — قضاءه من استباحة الحریم ، واستئصال  
 الراحل والمقيم ، وإتلاف الوجود والمعدوم ، أسرى تحت الليل ، في قطعة غير  
 وافرة من الخيل ، فنزل المنية المسورة<sup>(١)</sup> التي كان المأمون يحشد إليها كل  
 حُسن ، ويباهي بها جنة عدن ، ويقلب الجور<sup>(٢)</sup> في جسد بنيانها ، والإشادة  
 بشانها ، ظهر لبطن ، فاتخذ عروشها مرابطاً لأفراسه ، وإيواتها ملاعباً لأرامله  
 وأرجاسه . وهجم الشتاء فمنعه من ميرة تأتبه ، أو مدد يوافيه ، فأقام نيقاً على  
 شهرين لا يسميغ الشراب<sup>(٣)</sup> ، ولا يملك الحجيء ولا الذهب ، ليس له شوكة  
 إلا ظل لوائه ، ولا مدد إلا ضعف من كان بإزائه . ولولا اهتبال ملوك  
 الطوائف بإقامة مرافقه ، وإصفاؤهم إلى هدر شقاشقه ، لطار شعاعا ، وذهب  
 ضياعا . وطفق أهل طليطلة يستصرخون من حوْلهم ، وبُعْمِلُون في ذلك  
 ففعلهم وقولهم ، فيمكفون على طلل بائد ، ويضر بون في حديد بارد . فلما نأى  
 الشتاء بجانبه ، وخلى<sup>(٤)</sup> بين كل ذاهب ومذاهبه ؛ سال بأهل طليطلة سئل  
 لا يقوم له سهل ولا وعر ، وطلع عليهم ليل لا يلوح لهم فيه صبح ولا فجر .  
 واضطروا من أخطائه الحوادث ، وتخطته تلك الخطوب السكوارث ، من أثلها<sup>(٥)</sup>  
 ضيق الحصار ، وكتب البوار ، وإبطاء المرافق والأنصار ، إلى مُداخلة الطاغية  
 أدفونش ، فشرعوا في ذلك غير مظهرين للاستسلام ، ولا مُتبرئين من الصبر

(٢) كذا في الأصل .

(١) في الأصل : المصورة .

(٤ — ٤) في الأصل : وحل بين كان

(٣) في الأصل : التراب

(٥) كذا في الأصل ولعلها : « من شمله » أو ما في معناها



- عَلَى ضَنْكِ ذَلِكَ الْمَقَامِ ، طَمَعًا فِي أَنْ يُغْرَوْهُ وَلَوْ بِإِغْلَاءِ سَوْمٍ ، وَيَخْدَعُوهُ <sup>(١)</sup> ،  
 عَلَى أَذْمَاءِ نَفُوسِهِمْ وَلَوْ بِبِيضِ يَوْمٍ ، إِشَارَةَ الْغَرِيقِ إِلَى السَّاحِلِ ، وَاسْتِرَاحَةَ  
 الْمُحْتَضَرِّ إِلَى الطَّيِّبِ الْجَاهِلِ ! فَأَبَى أَدْفُونَشُ إِلَّا عَرَصَةَ الدَّارِ ، وَأُمَّ الْأَوْطَارِ ،  
 وَجَلَّاجًا بَيْنَ التَّمَادِي وَالِاسْتِمْرَارِ ، لَعَلَّهُ أَيْنَ يَنْتَهَى طَلَقُهُمْ ، وَتَقْدِيرُهُ <sup>(٢)</sup> لَمَّا  
 عَسَى أَنْ يَفِيَّ بِهِ رَمَقُهُمْ . نَخْرَجَ مِنْ أَعْيَانِهِمْ جُمْلَةً إِلَى مَضْرِبِ أَدْفُونَشِ فِي  
 بَعْضِ تِلْكَ الْأَيَّامِ ، وَقَدْ ضَاقَ الْجَمَالَ ، وَتَلَمَّظَتِ الْأَجَالُ ، وَأَقْبَلَتِ الْحُتُوفُ  
 تَحْتَالِ <sup>(٣)</sup> ، فَقَامَ الْحُجَّابُ دُونَهُ ، وَقَالُوا : هُوَ نَائِمٌ فَكَيْفَ تُوقِظُونَهُ ؟ فَعَدَلُوا إِلَى  
 مَضْرِبِ شِشْنَنْدٍ ، سِرَّةً <sup>(٤)</sup> الْعَتِيدِ ، وَشَيْطَانِهِ الْمَرِيدِ ، وَهَامَانِهِ الَّذِي أَوْقَدَ لَهُ عَلَى  
 الطَّيْنِ ، وَعَلَّمَهُ الدَّفْعَ بِالشَّكِّ فِي صَدْرِ الْيَقِينِ ، أَحَدِ أَعْلَاجِ ابْنِ عَبَّادٍ كَانَ ،  
 ١٠ مِنْ رَجُلٍ مُتَوَقِّدٍ جَمْرَةَ الذِّكَاءِ ، بَعِيدِ الْمَذْهَبِ بَيْنَ الْجُرَاةِ وَالنَّكْرَاءِ ، سَفَرٍ بَيْنَ الْمُعْتَصِدِ  
 وَالطَّاعِيَةِ فَرَزْدَنْدٍ ، فَعَقَدَ وَحَلَّ ، وَنَهَضَ بِمَا حَمَلَ مِنْ ذَلِكَ وَاسْتَقَلَّ . ثُمَّ خَافَ  
 الْمُعْتَصِدَ عَلَى نَفْسِهِ ، فَزَرَعَ بِهِ عِرْقُ اللَّوْمِ إِلَى الْمَقَرِّ الْمَذْمُومِ . وَاسْتَقَرَّتْ قَدَمُهُ  
 بِجَلِّيَّةٍ ، فَاضْطَلَعَ بِالْثُرُوبِ وَالشُّغُورِ ، وَغَلَبَ عَلَى سَائِرِ السِّيَاسَةِ وَالتَّدْبِيرِ . وَصَارَ  
 بَعْدَ قُصَارَى مُلُوكِ الطَّوَائِفِ بِالْجَزِيرَةِ نَظْرَةً مِنْ اهْتِبَالِهِ ، وَأَدْنَى خَطَرَةٍ مِنْ بَالِهِ .  
 ١٥ فَأَدْخَلَ عَلَى أَدْفُونَشِ يَوْمئِذٍ مِنْهُمْ جَمَاعَةً فَوَجَدُوهُ يَمْسَحُ الْكَرَى مِنْ عَيْنَيْهِ ، نَائِرَ  
 الرَّأْسِ خَبِيثِ النَّفْسِ ، وَجَعَلُوا يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ وَهُوَ يَضْغُثُ ثَغَامَةً رَأْسِهِ ، فَمَاسُوا  
 ذَفَرَ أَطْمَارِهِ وَدَرَنَ أَظْفَارِهِ . ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِمْ بِوَجْهِهِ كَرِيهٍ ، وَلَحْظٍ لَا يَشْكُونُ أَنْ  
 الشَّرْفِيَّةَ ، وَقَالَ لَهُمْ : إِلَى مَتَى تَتَخَادَعُونَ ، وَبِأَيِّ شَيْءٍ تَطْمَعُونَ ؟ قَالُوا بِنَا بَغْيَةً ،

(١) فِي الْأَصْلِ : وَيَخْدَعُونَهُ .

(٢) فِي الْأَصْلِ : وَتَقْدِيرُهُمْ .

(٣) فِي الْأَصْلِ : تَحْتَلِ .

(٤) فِي الْأَصْلِ : شِرَّة .



[ولنا] في فلان وفلان أمنيّة، وسُمّوا له بعضُ مُلوكِ الطوائف، فصَقَّ بيديه،  
وتَهافت حتى فَصَّ برجلَيْه، ثم قال: أين رُسُلُ ابنِ عباد؟ فجِئ بهم يرفلون  
في ثياب الخنّاعة، وينبسون بالسنّة السمع والطاعة. فقال لهم: مُذْ كَمْ تحومون  
على، وترُمون الوُصولَ إلى؟ ومتى عهدُكم بفلان، وأين ما جِئتم به لا كنتم  
ولا كان؟ فجاءوا بجملةٍ ميرة، وأحضروا بين يديه كلَّ ذخيرةٍ خَطيّة. ثمّ ما زاد  
على أن رَ كلَّ ذلك برجلَيْه، وأمرَ بانهابه كلّه؛ ولم يبقَ ملكٌ من مُلوكِ  
الطوائف إلا أحضرَ يومئذٍ رُسُلَه، وكانت حالُه حالَ مَنْ كان قبلَه. وجعل  
أعلاجه يدفعون في ظهورهم، وأهلُ طليطلةَ يعجبون من ذلِّ مقامِهِمْ ومَصيرِهِمْ،  
فخرجَ مشيه خَتْمًا من عنده وقد سَقَطَ في أيديهِمْ، وطَمِعَ كلُّ شيءٍ فيهِمْ، وخَلَوْا  
بينه وبينَ البلدِ، لثلاثةِ أيامٍ من ذلك للشَّهد. ودخلَ طليطلةَ على حُكْمِهِ،  
وأثبتَ في عَرَصَتِها قَدَمَ ظُلْمِهِ، حَكَمَ مِنَ اللَّهِ، سَبَقَ بِهِ الْقَدَرُ، فلم يَكُنْ مِنْهُ وَزَرًا  
وخرجَ ابنُ ذِي النُّونِ خائبًا مما تَمَنَّاه، شَرِيقًا<sup>(١)</sup> بِعُقْبَى ما جَنَاه، والأرضُ  
تَصْجُجُ من مُقامِهِ، وتَسْتَأذِنُ في انتقامِهِ، والسماءُ تودُّ لو لم تُطْلِعْ نَجْمًا إلا  
كَدَرَتْه عليه حَتْفًا مُبِيدًا، ولم تُنْشِ عَارِضًا إلا طَرَّتْه فيه عَذَابًا شديدًا.  
واستقرَّ بِمَحَلَّةٍ<sup>(٢)</sup> أَدْفُونُش مخفُور الذِّمَّة، مُذال الحُرّة، ليسَ دُونَهُ باب،  
ولا دُونَ حُرْمِهِ سِتْرٌ ولا حِجَاب. حَدَّثَنِي مَنْ رآه يومئذٍ بتلك الحال وبيدهِ  
اصْطِرْلَابٌ يَرصُدُ فيه أيّ وقتٍ يَرَحُل، وعلى أيّ شيءٍ يُعوّل، وأيّ سَبِيلٍ  
يَتَمَثَّل، وقد أَطافَ به النَّصارى والمُسلمون، أولئك يضحكون من فَعْلِهِ، وهؤلاء  
يتعجبون من جَهْلِهِ.

وعَتَا الطاغيةُ أَدْفُونُش — قَصَمَهُ اللَّهُ — حينَ استقرارِهِ بِطليطلةَ واستكْبَرِ،



وَأَخْلَ بِمُلُوكِ الطَّوَائِفِ فِي الْجَزِيرَةِ وَقَصَّرَ ، وَأَخَذَ يَتَجَنَّى وَيَتَعَتَّبُ ، وَطَفِقَ  
يَتَشَوَّفُ إِلَى انْتِزَاعِ سُلْطَانِهِمْ وَالْفِرَاقِ مِنْ شَأْنِهِمْ وَيَتَسَبَّبُ ، وَرَأَى أَنَّهُمْ قَدْ  
وَقَفُوا دُونَ مَدَاهِ ، وَدَخَلُوا بِأَجْمَعِهِمْ تَحْتَ عَصَاهُ .

- وَوَلَّى شِشْنَنْدُ الْمَذْكُورَ تَدْبِيرَ طَلِيْطَلَةَ ، فَهَوَّنَ عَلَيْهِمْ <sup>(١)</sup> الرِّزْيَةَ ، وَحَبَّبَ  
إِلَيْهِمْ إِعْطَاءَ الدَّيْنَةِ ، بِمَا أَرَاهُمْ مِنْ سُهولةٍ مَرَامِهِ ، وَبَسَطَ فِيهِمْ مِنْ عَدَلِ أَحْكَامِهِ ،  
حَتَّى اسْتَمَالَ قُلُوبَ أَعْلَامِهَا ، وَجَنَّبَ النَّظَرَ إِلَى عَامَةِ طَعَامِهَا ، وَفَجَأَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ  
اِخْتِلَافِ أَهْوَائِهِمْ ، وَتَفَضَّرَ سَفَهَائِهِمْ ، مَا ضَاقَتْ عَنْهُ صُدُورُ الْأَيَّامِ ، وَاضْطَرَبَتْ  
لَهُ قَوَاعِدُ الْإِسْلَامِ . وَقَدْ كَانَ مِنْ رَأْيِ شِشْنَنْدِ الْإِبْقَاءِ عَلَى أَهْلِ طَلِيْطَلَةَ ، وَقَالَ  
لَأَدْفُونُش : لَسْتُ تَجِدُ بِمَنْ تَعْمُرُهَا ، وَلَا تَظْفَرُ بِعَامِلٍ أَطْوَعَ مِنْ ابْنِ ذِي الثَّنُونِ  
يُدَبِّرُهَا . فَأَبَى أَدْفُونُش إِلَّا لَجَاجًا فِي سَفْهِهِ ، وَانْحِطَاطًا فِي حَبْلِ شَرِّهِ . فَلَمَّا  
تَهَيَّأَ لَهُ مُلْكُهَا ، وَانْتَثَرَ فِي يَدَيْهِ سِلَاسُهَا ، قَالَ لَهُ شِشْنَنْدُ : اخْفِضْ جَنَاحَكَ  
لَأَهْلِهَا ، وَاسْتَعِجِلْ جَالِيَتَهَا بِمَا تَمُدُّ مِنْ ظِلِّهَا ، وَلَا تُبْلِغْ عَلَى مُلُوكِ الْجَزِيرَةِ  
فَلَسْتَ تَسْتَغْنِي عَنْهُمْ ، وَلَا تَجِدُ عُمَّالًا أَطْوَعَ مِنْهُمْ ، فَإِنَّكَ إِنْ أَيْتَ إِلَّا الْإِلْحَاحَ  
عَلَيْهِمْ ، وَالتَّسَرُّعَ بِالْمَكْرُوهِ إِلَيْهِمْ ، نَفَرْتَهُمْ عَنْ ذِرَاكَ ، وَأَحْوَجْتَهُمْ إِلَى مُدَاخَلَةٍ  
سَوَاكَ . فَكَانَ مِنْ صُنْعِ اللَّهِ أَنْ اتَّهَمَ أَدْفُونُش يَوْمئِذٍ مَنَحَاهُ ، وَخَالَفَهُ إِلَى  
رُكُوبِ هَوَاهُ ، وَشَرَعَ لَوْقَتِهِ فِي تَغْيِيرِ الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ بِهَا ، خَاتَمَةَ النَّوَائِبِ ، وَنَكْبَةَ  
الشَّاهِدِ وَالْغَائِبِ . فَقَالَ لَهُ شِشْنَنْدُ : إِنَّكَ إِنْ فَعَلْتَ أَوْغَرْتَ الصُّدُورَ ، وَابْطَلْتَ  
التَّدْبِيرَ ، وَسَكَنْتَ <sup>(٢)</sup> مَنْ نَشِطَ ، وَقَبِضْتَ مَنْ انْبَسَطَ ، فَشَمَخَ أَدْفُونُش — لَعَنَهُ  
اللَّهُ — بِأَنْفِهِ ، وَثَنَى مِنْ عِطْفِهِ ، وَأَصْفَى إِلَى طَنَانَةِ جُنُونِهِ وَسَخْفِهِ ، وَأَمَرَ

(١) فِي الْأَصْلِ : عَلَيْهِ .

(٢) فِي الْأَصْلِ : سَلَسَكَ .



بتغيير المسجد الجامع يوم [ (١) لربيع الأول سنة ثمان وتسعين وسبعين  
وأربعمائة . وحدثني من شهد طواغيته تبتدیره في يوم أعمى البصائر والأبصار  
منظره ، وليس فيه إلا الشيخ الأستاذ المغامبي آخر من صدر عنه ، واعتمده  
في ذلك اليوم ليتزود منه ، وقد أطاف به مرّة عفاريتيه ، وسرعان طواغيته ،  
وبين يديه أحد التلامذة يقرأ ، فكلموا له عجّل ، أشار هو إلى تلميذه  
بأن أكمل ، ثم قام ما طاش ولا تهيب ، فسجد به واقترّب ، وبكى عليه  
ملياً وانتحب ، والنصارى يعظمون شأنه ، ويهابون مكانه ، لم تمتد إليه يد ،  
ولاعرض له بمكره أحد . وقد حدثت أن شيعة أدفونش — لعنه الله  
وبددها — أشاروا عليه يومئذ بلبس التاج ، وزينوا له زى من ساف بالجزيرة  
قبل فتح المسلمين إياها من أعلاج ، فقال : لا ، حتى أطأ ذرّة الملك ، وأخذ  
قرطبتهم واسطة السلك . وكان أعداء مسجدّها الجامع — حمى الله ساحتهم —  
من الخطوب الروائع — ناقوساً تأنق في إبداعه ، وتجاوز الحد في استنباطه  
واختراعه . فالحمد لله مؤهّن أيده ، ومبطل كيده ، وجزى الله أمير المسلمين ،  
وناصر الدين ، أبا يعقوب يوسف بن تاشفين ، أفضل جزاء الحسين ، بما  
بل من رماق ، ونفس من خناق ، ووصل هذه الجزيرة من حبّل ، وتجشم  
إلى تلبية دعائها واستنقاذ ما بها ، من حزن وسهل ، حتى [ ثل ] (٢) عروش  
المشركين ، وظهر أمر الله وهم كارهُون ، والحمد لله رب العالمين .



فصل في ذكر الأديب الكامل أبي عبد الله محمد بن شرف  
وسياقة جملة وافرة من نظمهِ وثرهِ

- قال ابن بَسَام : كان أبو عبد الله بن شرف القيرواني ، من فرسان هذا  
الشان ، وأحد من نظم قلائد الآداب ، وجمع أشقات الصواب ، وتلاعب  
بالمنظوم والموزون [ تلأعب ] <sup>(١)</sup> الرياح بأعطاف الغصون ، وبينه وبين  
أبي علي ابن رَشِيْق ماج تجرُّ البراعة ودام ، ورجع نجم هذه الصناعة واستقام ،  
وذهباً من المناقضة مذهباً تنازعاه شراً طويلاً ، وخلّاه ذكراً محمّولاً ، واحتملاه  
— إن لم يسمح الله — وزراً ثقيلاً . وكان أبو علي أوسعهما نفساً ، وأقربهما  
ملتَمساً ، ولابن شرف أصالة منزعه ، وجلالة مقطّعه ، ومثانة لفظه ،  
وسعة حفظه ، فتسمعُ شعره ملآن من وعوّة وجفجفة ، ولكن ما أبعد  
ما يرومه وأبدعه ! وسال سَيْلُ فِتْنَةِ الْقَيْرَوَانِ ، اللّاعِبُ بأحرارها ، الْمُعَفَّى  
على آثارها ، فتردّد على ملوك الطوائف بالأندلس ، بعد مقارعة أهوال ،  
ومباشرة خطوب طوال ، وقد نبت شفرته ، وطفئت جمرته . وقد قلت فيما  
تقدّم إنه انتحى منحنى القسطل في شكوى الزمن والحديث عن الفتن .  
كان معه كمن تصدّى الرياح بجناح ، وقابل الصباح بمصباح . واستقر أخيراً  
عند المأمون بن ذي النون ، فعليه خلع آخر لبؤسه ، ونثر بقيّة كيسه .  
وكانت لعبادِ همة في اصطحاب الأحرار ، واستجلاب ذوى الأخطار ، ينصب  
لذلك الحبائل ، ويعمل فيه الحقّ والباطل ، حتّى إذا عشوا إلى سُرجه ، واغترّوا  
بزجره ، سامهم ردّ قبئس <sup>(٢)</sup> على أبيه ، وأخذهم بالسعاية بين الفرق وأخيه ،

(١) سقط بغير بياض في الأصل . (٢) في الأصل : ردّ أبي قبيس على أبيه .



فَمَنْ أَعْيَاهُ مِنْهُمْ رُكُوبُ الصَّعَابِ ، وَعَظَّةُ التَّقَلُّبِ بَيْنَ الْمَضَائِقِ وَالرَّحَابِ ، عَزَّه  
فِي الْخِطَابِ ، وَأَطَاعَ بِهِ سُلْطَانَ الْإِرْتِيَابِ ، « أَيْمِسْكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي  
الْغُرَابِ » ؟ ! وقد ذُكِرْتُ فِي أَخْبَارِ ابْنِ عَبْدِ الْبَرِّ السَّكَاتِبِيِّ أَنَّهُ انْسَلَّ مِنْ يَدِ عِبَادِ  
انْسِلَالِ الطَّيْفِ ، وَنَجَا مِنْهُ وَاسْأَلَهُ كَيْفَ .

وَكَانَ ابْنُ شَرْفٍ هَذَا مِمَّنْ فَهِمَ مَنَاحَهُ ، وَصَمَّ عَنْ رُقَاهُ ، فَلَمْ يَجْتَمِعْ مَعَ  
عِبَادِ فِي صَعِيدٍ ، وَلَا أَهْدَى لَهُ السَّلَامَ إِلَّا مِنْ بَعِيدٍ . وَسَتَأْتِي أَخْبَارُهُ مَعَهُ وَمَعَ  
سِوَاهُ ، مُحَرَّرَةَ النَّقْدِ ، مُقَدَّرَةَ السَّرْدِ . وَلَأَبَى عَبْدُ اللَّهِ عِدَّةُ تَوَالِيْفَ أَفَاضَهَا  
بِحَارًا ، وَأَطْلَعَهَا شُمُوسًا وَأَقْمَارًا ، مِنْهَا كِتَابُهُ الْمَرْسُومُ « بِأَعْلَامِ الْكَلَامِ »  
وَكِتَابُ « أَبْكَارِ الْأَفْكَارِ » وَقَلَبَ لَهُ هَذِهِ التَّرْجُمَةَ بِإِشْبِيلِيَّةٍ بَعْضُ الْوُزَرَاءِ  
الْكُتَّابِ . فَبَاءَ فِي ذَلِكَ بِالْعَجَبِ الْعُجَابِ ، وَقَدْ أَثْبَتُ فِي هَذَا الْفَصْلِ مِنْ كَلَامِ  
ابْنِ شَرْفٍ مَا يَشْهَدُ بِذِكَاثِهِ ، وَيُغْنِي عَنْ إِطْرَائِهِ .

جَمَلَةٌ مِنْ نَثَرِهِ ، مَعَ مَا يَتَشَبَّثُ بِهِ مِنْ شِعْرِهِ :

بَلَّغْنِي أَنَّهُ اسْتَنْهَضَ صَاحِبَهُ ابْنَ رَشِيقٍ — مَعَ مُنَافَرَةٍ كَانَتْ بَيْنَهُمَا — فِي  
أَنْ يَجْتَمِعَ الْعَدَوَانُ بِالطَّرِيقِ ، وَيَجُوزَا مَعًا إِلَى الْأَنْدَلُسِ . فَأَنْشَدَهُ ابْنُ رَشِيقٍ :

مِمَّا يُبْغِضُنِي فِي أَرْضِ أَنْدَلُسٍ      سَمَاعُ مُقْتَدِرٍ فِيهَا وَمُعْتَصِدِ  
أَلْقَابُ مَمْلُوكَةٍ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهَا      كَالْهَرِّ يَحْكِي انْتِفَاحَ صُورَةِ الْأَسَدِ

فَأَنْشَدَ ابْنُ شَرْفٍ :

إِنْ تَرَمِكَ الْغُرَبَةُ فِي مَعْشَرٍ      قَدْ جُبِلَ الطَّبَعُ عَلَى بُغْضِهِمْ  
فَدَارِهِمْ مَا دُمْتَ فِي دَارِهِمْ      وَأَرْضِهِمْ مَا دُمْتَ فِي أَرْضِهِمْ

وَتَصَرَّفَ ابْنُ شَرْفٍ فِي هَذَا الْمَعْنَى فَقَالَ :

يا خائفًا من مَعَشَرٍ لا يُصْطَلَى بنارِهِمْ  
..... (١) .....

أوترَمَ مِنْ أَحْجارِهِمْ وَأَنْتَ فِي أَحْجارِهِمْ  
فما بَقِيَتْ جَارِهِمْ ففِي هَواهِمْ جَارِهِمْ  
وأَرْضِهِمْ فِي أَرْضِهِمْ وَدارِهِمْ فِي دارِهِمْ

وكان أول ما بعث إلى المعتضد بإشبيلية خمس قصائد من شعره مع رقعة خاطب بها وزيره أبا الوليد بن زيدون ، يقول في فصل منها :

الآدابُ — أعزك الله — لأربابها ، كالحارمِ لنوى أنسابها ، تبدى  
البنْتُ زينتها لأبيها ، وترَفُّ الأختُ لأخيها ، ولَمَن كانَ له في المَحْرَمِ شبيها ،  
وكذلك حكمُ ذوى الآدابِ فيها ، يرفعون بينهم حُجُبَ التحفظِ بيد الاسترسال ،  
ويدفعون سِتْرَ التقبُّضِ بأَكْفِ البشرِ والإقبال . وقد رفعتُ إلى حضرته الرفيعة  
خمسَ أبحارٍ عُرب ، تخدمهنَّ وليدةٌ ذاتُ حُسْنٍ وأدب ، خصصتُ بالخص  
الفرائض<sup>(٢)</sup> خيرَ الملوك ، وبالوليدةِ برَّ الحرِّ المملوك . وهُنَّ وإن زِدْنَ على أربعِ  
الشرعِ واحدة ، فليست في دين الشعرِ بزائدة ؛ ولما جازا أكثرُ من أربعِ  
لخيرِ الأنام ، اقتدينا بذلك في خيرِ الكرام .

١٥

ولما كنت — أعزك الله — حسَّانه<sup>(٣)</sup> المُقدَّم رأينا ما رآه صلى الله عليه في  
سيرين . وقد كانت النية ، لو<sup>(٤)</sup> تمت الأُمْنِيَّة ، حُضورى بذاتى ، لزفافِ بُنيَّاتى ،  
فمنعَ من المُراد مانع ، ودفعَ بيدِ الأقدارِ دافع . ولما صار الفِعلُ الماضى مُستقبلا ،

(١) بياض في الأصل بقدر بيت .

(٢) في الأصل : القرائض ، ولعل الصواب ما أثبتناه أو لعلها « الفرائد » .

(٤) في الأصل : لم

(٣) في الأصل : « حساب »



وَبَقِيَتْ لِلْحَاقِ مُؤَمَّلًا ، وَكَلَّتْ بِهِنَّ ذَا مَحْرَمِهِنَّ ، وَامْتَنَتْ عَلَيْهِنَ ابْنُ  
[ بِجَدَّتِهِنَّ ] <sup>(١)</sup> وَهُوَ الشَّيْخُ أَبُو فُلَانٍ . فَلِلْوَزِيرِ الْأَجَلِّ عُلُوُّ الرَّأْيِ فِي قَبُولِ  
مَاعَرَضِهِ وَلَيْثِهِ الْمِدْكُ عَلَى إِكْرَامِهِ وَمَكَارِمِ أَخْلَاقِهِ ، بِمَا يَنْبَغُ عَلَيْهِ مِنْ طَيِّبِ  
أَعْرَاقِهِ ، وَيَقُومُ بِعُذْرِي إِنْ وَهَمْتُ ، وَبِشُكْرِي إِنْ فَهِمْتُ . فَهُوَ بَدْرِي  
إِذَا لَيْلَى عَسْعَسَ ، وَشَمْسِي إِذَا صُبْحِي تَنَفَّسَ . وَأَنَا وَإِنْ بَعَثْتُ بِالْأَقَارِ فِي  
الْأَطَارِ ، وَبِالشُّمُوسِ فِي خَشَنِ الْمَلْبُوسِ ، فَهُوَ بِرَفْقِهِ وَدَقِيقِ حِذْقِهِ يُلَطِّفُ الْمُجَنِّ ،  
وَيُحَسِّنُ الْخُشْنَ ، وَيُقَدِّمُ فِي الْغَيْبَةِ ، مَا يُعِينُ عِنْدَ الْإِقَاءِ عَلَى الْهَيْبَةِ ، بِقَوِيٍّ  
مُنْتَهٍ ، وَعَظِيمٍ مِنْهُ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

فَأَجِيبَ ابْنَ شَرْفٍ بِرَقْعَةٍ مِنْ إِنْشَاءِ الْوَزِيرِ السَّكَاتِبِ أَبِي مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ الْبَرِّ  
قَالَ فِيهَا :

١٠ ٧٨

رُبَّ أُمْنِيَّةٍ شَطَطَ ، قَدْ أَتَا حَهَا قَدَرٌ ، وَنَجِيَّةٍ <sup>(٢)</sup> فَرَطَ ، قَدْ أَرَا حَهَا ظَفَرٌ .  
وَقَدْ تَقَرَّبَ الْأُمَانِي مَا يَظُنُّهُ الْمَرْءُ نَازِعًا بَعِيدًا ، كَمَا تُفَيِّتُ مَا يَعْتَدُّهُ حَاضِرًا  
عَتِيدًا . وَكَانَتْ أَخْبَارُكَ — أَبْقَاكَ اللَّهُ — تَرِدُ عَلَيْنَا أَرْجَةَ النَّسِيمِ ، عَطِرَةَ  
الشَّمِيمِ ، شَهِيَّةَ الْمَسْمُوعِ ، رَفِيعَةَ الْحَمُولِ وَالْمَوْضُوعِ ؛ وَأَشْعَارُكَ تَزُفُ إِلَيْنَا  
عَرَائِسَ الْأَلْبَابِ ، وَنَفَائِسَ الْأَدَابِ ، فَنُفَيْدِيكَ عَلَى الْبُعْدِ بِالْأَنْفُسِ وَالْأَقَارِبِ ،  
وَنَسْتَدْنِيكَ بِالْأُمَانِي وَنَحْسَبُهَا مِنَ السَّكَوَاذِبِ ؛ حَتَّى أَسْمَعَ الْخَبَرَ بِأَغْتِرَابِكَ ،  
وَطَلَعَ الْبَشِيرُ بِارْتِقَابِكَ <sup>(٣)</sup> ، وَوَفَاتَ رُوَادُ خِطَابِكَ ، وَهَقَّتْهُ مُجَالِجِلِ سَحَابِكَ ؛  
وَتَصَدَّرَتْ بِحَارِ الطَّلِبِ لِسْقِيَاكَ ، وَتَمَّتْ رِيَاضُ الْأَدَبِ بِرِيَاكَ ، وَهَزَّ السَّكْرُ  
عِظْفَهُ لِلْقِيَاكَ ، وَوَصَلَ الْمَجْدُ الْأَطْرَفُ طَرَفَهُ بِرُعْيَاكَ ؛ وَجُلِّيتَ عَلَيْكَ <sup>(٤)</sup>

(١) بياض في الأصل بقدر كله

(٢) في الأصل « نجبه » ولعل الصواب ما أثبتناه

(٣) في الأصل : « ارتعابك » (٤) في الأصل : عليه .



- عرائسه الحالية<sup>(١)</sup> في معارض الشدو والإنشاد ، فسعدت من أكرم الأكرام بالقبول والوداد ؛ وحظيت عنده بالترفع والإعزاز ، ووضع ثوبها الأنفس في يدى بزاز . وقد استعملت معك في اسم المعتضد بالله بفضلك — أيده الله — مذهبا من مذاهب رواة الحديث يسمونه بالتدليس ، ويكاد ينسب إلى الإشكال والتليس ، لعلم المحيط أن الكرم من أسمائه وصفاته ، والمجد من ألقابه وسماته . وسترده ، فستقصر وصفي بما تجد . فاقصد قصده ، تحل بطائل الإفادة ، وأمه وحده ، تحظ بنائل الرفاة . ولا تبغ في سوق الكساد فالنفاق<sup>(٢)</sup> أمامك ، ولا تسم ببضاعتك فالشوق قدأمك . واذكر ما أنكره ابن الزيات على حبيب ، وأنت المسكتفى بحالك عن الضمير ، وبما خولك الله عن المشير . فذاتك أنفع شفعاك ، وأدواتك أرجح سفرائك . وقد خاطبك مستقدما ، وجد معتزما ، وجه نحوك شيئا يكون من زادك إليه ، ويعين على مؤنة طريقك في قدومك عليه ، وذلك ثلاثون مثقالا من ضرب السكة قبله ، ولم يرد بها غير ما أعلمك ، حتى توافي إن شاء الله فتستوفي . وعسى أن يكون وصولك إسفار الفجر الذي صدعته إلينا ، وحلولك نهار الصبح الذي أطلعتة علينا . وكان من البر أن أراجع عن الشعر لكن لا أخطو في ميدانك ولو كنت جريرا ، ولا أرجح في ميزانك ولو احتضنت ثيبرا .

قال ابن بسام : والذي ذكر ابن عبد البر مما أنكر ابن الزيات على أبي تمام لما مدحه بقصيدته التي أولها :

\* هان علينا أن نقول وتفعلنا \*

- وهي من أحسن شعره ، وقع له على ظهرها :

(١) في الأصل : الجالية . (٢) في الأصل : فالنفاق .



رَأَيْتُكَ سَهْلَ الْبَيْعِ سَمَحًا وَإِنَّمَا يُغَالِي إِذَا مَا ضَنَّ بِالشَّيْءِ بَائِعُهُ  
فَأَمَّا إِذَا هَانَتْ بَضَائِعُ بَيْعِهِ فَيُوشِكُ أَنْ تَبْقَى عَلَيْهِ بَضَائِعُهُ  
هُوَ الْمَاءُ إِنْ أَجْمَمْتَهُ طَابَ وَرَدُّهُ وَيُفْسِدُ مِنْهُ أَنْ تُبَاحَ شَرَائِعُهُ

فَاعْتَذَرَ إِلَيْهِ أَبُو تَمَّامٍ فِي قَصِيدَتِهِ الَّتِي يَقُولُ فِيهَا :

أَمَّا الْقَوَافِي فَقَدْ حَصَّنَتْ عِذْرَتَهَا ٥  
وَلَوْ عَضَلَتْ عَنِ الْإِكْفَاءِ أَيْمَهَا  
كَانَتْ بَنَاتٍ نُصِيبُ حِينَ ضَنَّ بِهَا  
عَلَى الْمَوَالِي وَلَمْ تَحْفَلْ بِهَا الْعَرَبُ

وَقَدْ قِيلَ إِنَّ أَبَا تَمَّامٍ أَجَابَهُ بِقَوْلِهِ :

أَبَا جَعْفَرٍ إِنْ كُنْتُ أَصْبَحْتُ شَاعِرًا  
فَقَدْ كُنْتُ قَبْلِي شَاعِرًا تَاجِرًا بِهِ ١٠  
فَصُرْتُ وَزِيرًا وَالْوَزَارَةُ مَكْرَعٌ  
وَكَمْ مِنْ وَزِيرٍ قَدْ رَأَيْنَا مُسَلِّطًا  
وَلِلَّهِ قَوْسٌ لَا تَطِيشُ سِهَامُهَا  
فَعَادَ<sup>(١)</sup> وَقَدْ سُدَّتْ عَلَيْهِ مَطَالِعُهُ

وَقِيلَ إِنَّ هَذِهِ الْأَبْيَاتَ مَنْجُولَةً لِحَبِيبٍ ، وَقِيلَ قَالَهَا وَلَمْ تَظْهَرْ إِلَّا بَعْدَ مَوْتِهِ .

١٥ رَجَعَ . فَتَوَقَّفَ ابْنُ شَرَفٍ عَنِ الْقُدُومِ بِقَدَمِهِ ، وَكَلَّفَ ذَلِكَ سِنَّ قَلَمِهِ .  
وَطَرَّزَ تَأْلِيفَهُ « أَبْكَارَ الْأَفْكَارِ » بِاسْمِ عِبَادٍ ، وَبَعَثَ بِهِ إِلَيْهِ عَلَى الْبِعَادِ . وَقَدْ  
كَانَ وَسَمَهُ قَبْلُ بِاسْمِ بَادِيسَ بْنِ حَبْؤُسٍ فِي خُطْبَةٍ طَوِيلَةٍ قَالَ فِيهَا : مَا ظَنَنْتُ  
الْإِبْتِدَاعَ إِلَّا بَلْغًا ، وَلَا حَسِبْتُ الْإِخْتِرَاعَ إِلَّا فَرَاغًا ، حَتَّى إِذَا اسْتَأْثَرْتُ بُنْيَاتُ  
صَدْرِي ، وَلَطَائِفُ فِكْرِي ، بِبَيْتٍ وَاحِدٍ الْجِنْسِيَّةِ ، وَمَعْنَى غَرِيبِ الْأَبْنِيَّةِ ، قُلْتُ  
لِنَفْسِي هَيْهَاتَ ! لَاشْكَ أَنَّكَ سُبِقْتَ إِلَى هَذِهِ الْغَايَةِ ، وَعِلَّتْكَ قَلَّةُ الرِّوَايَةِ . وَكَثُرَ ٢٠  
سُبُاقُ الرُّوَادِ ، وَفُرَاطُ الْوُرَادِ ، فَمَا تَرَكَوْا لِّلْمُتَأَخِّرِينَ مِنَ الرِّيَاضِ زَهْرَةً ، وَلَا مِنْ

الحياضِ قَطْرَةً ؛ كما أَنَّ جَيْشَ السَّكْرَمِ قد انْهَزَمَ ، وزائِرَ الشَّرَفِ قد انصَرَفَ ،  
ومَرَّ كُوبَ المَجْدِ قد نَدَّ ، فَعِشْتُ أَظُنُّ هَذَا الظَّنَّ ، حتى سافَرْتُ إلينا رفاقُ الأخبارِ  
بشَهَادَاتٍ زَكَّاهَا مُرُورُ الأيامِ ، ودُؤُوبُ الدَّوامِ ، تَشْهَدُ بِسُودٍ بَانَ عَنِ السُّودِ  
العِصَامِيَّ ، وحَزَمٍ فاقَ الحَزَمَ المِشَامِيَّ ، وجُودٍ جاوزَ الجُودَ السَّكَمِيَّ<sup>(١)</sup> ، وبأسِ  
أَنسى البأسَ المِصْبِيَّ . ثم سَفَرُ لي الدهرُ عن سَفَرٍ إلى مَغْرِبِ الدُّنْيَا وَمَشْرِقِ  
الْعُلْيَا ، والبُقْعَةِ المَبَارَكَةِ البادِيسِيَّةِ ، والدَوْلَةِ المُظَفَّرِيَّةِ ، والمَمْلَكَةِ الشَّامِخَةِ  
الحَمِيرِيَّةِ ، والحَضْرَةِ الشَّرِيفَةِ المُنِيفَةِ الغَرْنَاطِيَّةِ . فعايَنْتُ عَالَمًا في عَالَمٍ ، قد  
شَرَّكَوه في النِّسْبَةِ إلى آدَمَ ، وانفَرَدَ مِنْ مُناسَبَتِهِمْ ، وشَدَّ عَنْ مُجَانَسَتِهِمْ ، بِجَمِيلِ  
طَرَائِقٍ ، وَحَمِيدِ خَلَائِقٍ ، انفَرَدَتْ انْفِرَادَ سُهِيلٍ ، وَجَمَعَتْ في المَرَأَى والمَسْمَعِ  
ما زَادَ على زَيْدِ الخَيْلِ . مُغَرَّمِي بِالْأَدَبِ المَهْجُورِ بِلِ المَطْرُودِ ، سَالِيًا عَنِ المَالِ  
المَعشُوقِ بِلِ المَعْبُودِ ، مُنْفَعًا لِحَمْدِ الدِّينِ<sup>(٢)</sup> المَرْسُوسِ ، إلى صُنُوفٍ مِنَ  
الْفَضَائِلِ ، وَأَنْواعٍ مِنَ الجَلَائِلِ ، لا يُحِيطُ بِهَا الوَصْفُ ، ولا يَجْمَعُهَا الرِّصْفُ .  
يُغْنِي النُّقْلُ الكافي والتَّوَاتُرُ الإجماعي عَنْ تَأْتِيَتِهَا على ألسِنَةِ الأَقْلَامِ إلى  
أَفْهامِ الأَنامِ . وقد قَدَحْتُ زَنْدَ الفِكرِ فَأَوْرَى شَرَرًا ، وامْتَحَنْتُ<sup>(٣)</sup> قَلِيبَ  
الْقَلْبِ فَأَجْرَى نَهْرًا ، فَرَقْتُ في هَذَا المَجْمُوعِ مِنَ الكَلَامِ المَنْشُورِ المَسْجَعِ  
الأَوْسَاطِ والأَطْرَافِ ، والمَنْظُومِ المُكَلَّلِ بَتِيْجَانِ القَوَافِ ، ما اسْتَنْبَطْتُهُ مِنْ  
ذَوَاتِ صَدْرِي ، واستَنْتَجَيْتُهُ مِنْ بَنَاتِ فِكْرِي . فَغُرَّرًا ابْتَدَعْتُهَا وَسَجَّعْتُهَا ،  
ومَعَانِي حِكَايَاتٍ اخْتَرَعْتُهَا ، تُطَرِّزُهَا الأَقْلَامُ ، وَتُرَقِّمُ بِهَا أُرْدِيَةَ الكَلَامِ ،  
وَأَنَا أَسْتَغْنِي بِقِرَاءَةِ القَارِئِ أَصْنَافَهَا ، عَنْ أَنْ أَقْدِمَ أَوْصَافَهَا . وَهِيَ بَنَاتُ  
مُؤَلَّفِهَا ، وَأَسْجَاعُ مُصَنِّفِهَا ، وَلَيْسَتْ كَالْأَسْجَاعِ المَنْسُوبَةِ لابْنِ أَبِي الزَّلَازِلِ ،

(١) في الأصل : العكبي . (٢) في الأصل : منقعا للحمد الدقيق .

(٣) في الأصل : امتحنت .



وهي بَنَاتُ شَتَّى قَبَائِلَ ، لم يَزِدْ على أن بَتَرَ حكاياتِها ، وطَمَسَ معالمَ آياتِها ،  
لِيَصِحَّ له ما شَرَطَ في السَّجْعِ من الأعداد ، فأَضَاعَ ما يُرَادُ لِصَدَقِ الإِيرادِ .  
وقد تَجَمَّلَ بغيرِ ثِيَابِهِ ، وأنْفَقَ من غيرِ اكتسابِهِ ، وأنا أنشِدَ قولَ أبي النجم :  
\* أنا أبو النجمِ وشِعْرى شِعْرى \*

٥ وعلى أَىِّ حالٍ كانَ مجموعُنا هذا ، فَيَشْرَفُهُ شَرَفُ مَنْ له يُجْمَعُ ، وإلى يَدِهِ  
العلِيَّةُ يُرْفَعُ ، فَمَسَّتْهُ يُمْنَاهُ ، وَلَحَظَتْهُ عَيْنَاهُ . فلو كانَ صَمُصَامَ عَمْرٍو لِسِوَاهُ ،  
ما انْتَهَى مِنَ الذِّكْرِ مُنْتَهَاهُ ؛ ولولا حاجِبُ بنِ زُرَّارَةَ ما ذُكِرَتْ قَوْسُهُ ، ولولا  
حَبِيبُ ما عُرِفَ أَوْسُهُ ، وإِنما عُرِفَ الطُّورُ بِالْكَلِيمِ ، وشَرُفَ المَقَامُ بِإِبْرَاهِيمِ .  
وَمِنْ كَلَامِهِ في صَدْرِ كِتَابِهِ المُتَرَجِمِ بـ « أعلام الكلام » فَصَّلَ يَقُولُ فِيهِ :  
١٠ قد أَطْلُتُ<sup>(١)</sup> الوقوفَ بِالْعُسْكَوفِ ، على غيرِ ما تَصْنِيفُ ، في شَتَّى الأنواعِ ، فلم أَرَهَا  
إِلَّا وَلَدًا عَنِ وَالِدٍ ، وطَارِفًا عَنِ تَالِدٍ ، فلا تَكْدَادُ ثَرِيكَ غَرِيبَةٍ وَلَا شَارِدَةَ إِلَّا  
مَنْقُولَةٌ : « يَحْدِثُنِي فُلَانٌ ، وَسمعتُ عَنْ فُلَانٍ » ، والمؤَلَّفونَ قُصَّاصٌ بِأَقْلَامِهِمْ ،  
وإن لم يَقْصُوا بِكَلَامِهِمْ ، وقد تَكَرَّرَتْ تَوَالِيْفُهُمْ على الأبصارِ والأَسْمَاعِ ، والمُكْرَرُ  
مَمْلُوكٌ بِالْإِجْمَاعِ ، وَلِلنَّفْسِ صَبَابَةٌ بِالْفَرَاثِبِ ، وإن لم تَكُنْ مِنَ الأطْيَابِ ،  
١٥ لا نَفَرَادِهَا عَمَّا سَمَّيْتَهُ الْقُلُوبَ ، وَتَجَافَتْ بِهِ الْجُنُوبُ ؛ إِلَّا أنِ الْإِبْتِدَاعَ وَالْإِخْتِرَاعَ  
بَيْنَهُمَا<sup>(٢)</sup> وَبَيْنَ الْإِسْتِطَاعَةِ حِجَابٌ . وقد كُنْتُ حَاوِلْتُ مِنْهُ ما لم أُسَبِّقْ  
إِلَيْهِ ، ولم أَجْعَلْ سِوَى نَظَرِي مُعِينِي عَلَيْهِ ، فَصَنَفْتُ الْكِتَابَ الْمُلقَّبَ  
بـ « أَبْكَارِ الْأَفْكَارِ » ، يَشْتَمِلُ على مائَةِ نَوْعٍ مِنْ مَوَاعِظَ وَأَمْثالٍ ، وَحكاياتٍ  
قِصَارٍ وَطَوَالٍ ، عَمَّا عَزَوْتُهَا إِلَى مَنْ لَمْ يَحْكِكْهَا ، وَأَضَفْتُ نَسْجَهَا إِلَى مَنْ لَمْ يَحْكِكْهَا ،

(١) في الأصل : أطلب . (٢) في الأصل : عليهما بينه وبين ... ، ولعلها :  
والإختراع باب ، بينه وبين الإستطاعة حجاب .



قد طُرِّزَتْ بِلمَحِ الجَدِّ والهَزْلِ ، وحُسِّنَتْ بِمُقَابَلَةِ الضَّدِّ للمِثْلِ ، ليسَ في ذلكَ كُلُّهُ [روايةٌ] رَوَيْتُهَا عَنْ قَدِيمٍ وَلَا جَدِيدٍ ، وَلَا حَدَّثْتُ بِهَا عَنْ قَرِيبٍ وَلَا بَعِيدٍ . وَقَدْ رَفَعْتُ إِلَيْهِ الْبِكْرَ ، ابْنَةَ الْفِكْرِ ، فِي هَوْدَجِهَا الْفَرَجَ ، وَجِلْبَابِهَا الْأَرْجَ ، وَأَنْتَ الْكُفُوُ الْكَرِيمُ ، وَأَشْرَفُ مَنْ أُهْدِيَ إِلَيْهِ الْحَرِيمُ ، الَّذِي لَا يَشُوبُهُ التَّحْرِيمُ ، وَعَلَى كَرَمِكَ الْقَبُولُ ، وَمَا أَهْدَاهُ الْوُدُّ فَمَقْبُولُ .

- فَلَمَّا وَصَلَ الْكِتَابُ وَالْحِطَابُ إِلَى الْمُعْتَصِدِ لَمْ يَجِدْ بُدًّا مِنْ إِنْفَازِ صَلَاتِهِ إِلَيْهِ عَلَى <sup>(١)</sup> الْبُعْدِ . وَرَاجَعَ ابْنَ شَرْفٍ بِرُقْعَةٍ مِنْ إِنْشَاءِ ابْنِ عَبْدِ الْبَرِّ أَيْضًا ، قَالَ فِيهَا : « وَرَدَ كِتَابُكَ الْأَثِيرُ ، فَاقْتَضَبْتَ مِنَ النَّثْرِ الْبَدِيعَ ، وَالنَّظْمِ الرَّفِيعَ ، مَا يَهْزُ أَعْطَافَ الضَّمَاثِرِ ، وَيَسْرِي فِي حَوَاشِي الْخَوَاطِرِ ، وَتَتَلَقَّاهُ النَّفُوسُ تَلَقِّيَ ارْتِيَاكِ إِلَى بَدَائِعِهِ ، وَفِتْنَةِ بَمَبَادِيهِ وَمَقَاطِعِهِ وَلَا غَرَوُ ، فَإِنَّكَ عِلْمُ الْعِلْمِ الَّذِي لَمْ يَزَلْ يَحْوِي قَصَبَ السَّبْقِ فِي مَيَادِينِهِ ، وَيُهْدِي الْيَانِعَ الْغَضَّ مِنْ رِيَاحِينِهِ .
- وَقَدْ كَانَ لِي نِزَاعٌ إِلَيْكَ ، وَحِرْصٌ عَلَيْكَ ، وَتَصَوُّرٌ لِلْأَنْسِ بِكَ ، لَوْلَا مَنْ جَلَا لَكَ الْغِشُّ فِي بَعْضِ النَّصِيحَةِ إِذْ حَسَدَ ، وَلَمْ يَشْكُ فِيمَا تَرَدُّ عَلَيْهِ مِنْ صَلَاحِ الْحَالِ فَلَمْ يَأْلُ أَنْ أَفْسَدَ . وَلَا بَدَّ لِعَقَارِبِ الْحَسَدَةِ مِنْ دَيْبٍ ، وَمَا كُلُّ مُوْتٍ نَصَحَهُ بَلْبِيبٍ — وَلَكَ مَعَ تَوْقُفِكَ وَأَنْتَى سَلَكَتْ بِكَ مَقَاصِدُ تَصَرُّفِكَ — لَدَى الْمُحَلِّ الْكَرِيمِ ، فَذِكْرُكَ فِي نَفْسِي الشَّاهِدُ الْمُقِيمُ . وَتَأْدَى مِنْ قِبَلِ الْوَزِيرِ الْكَاتِبِ التَّأْلِيفُ الرَّائِقُ ، وَالتَّصْنِيفُ الْفَائِقُ ، فَأَجَابَتْ نَظْرِي مِنْهُ فِي سِحْرِ إِلَّا أَنَّهُ خَلَالَ ، وَفَتَقَتْ بِهِ ثَبَجَ بَحْرِ إِلَّا أَنَّهُ زُلَالٌ . وَرَأَيْتُ كَيْفَ تَزَحَّمُ <sup>(٢)</sup> فِي الْعِلْمِ بِالْمَنْكِبِ الْعَمَمِ ، وَتَأْخُذُ مِنَ الْبَلَاغَةِ فِي الْمَذْهَبِ الْأَمَمِ . فَمَا شِئْتُ مِنْ مَثَلِ سَائِرٍ ، وَبَيْتٍ نَادِرٍ ، وَفَقِيرٍ مَحْدُودٍ بِأَمْثَالِهَا ، وَنُكْتَةٍ غَرِيبَةٍ مُضَافَةٍ إِلَى أَشْكَالِهَا ،

(١) فِي الْأَصْلِ : عَنْ . (٢) فِي الْأَصْلِ : تَزَحَّمُ .



تَمَا انصَافَتْ بِهِ يَدُ الإِحَاطَةِ بِصِحَّةِ الْبَرَاءَةِ ، وَتَزَيَّنَتْ دِيْبَاجُهُ الطَّبَعُ بِرَقْمِ الصَّنَاعَةِ .  
فَهُوَ مُؤَنِّسِي ، وَشُغْلُ مَجْلِسِي . وَقَدْ وَجَّهْتُ إِلَيْكَ مَعَ الْوَزِيرِ الْمُتَقَدِّمِ الذِّكْرُ ،  
مَا أَحَبُّ أَنْ تَضَعَ عَلَيْهِ يَدَ السُّتْرِ ، مَكَانَ لِسَانِ الشُّكْرِ ، فَإِنِّي أَعْلَمُ أَنَّهُ عَدَدٌ  
يَقْصُرُ عَنْ قَدْرِكَ ، وَيَقِلُّ فِي جَنْبِ الْإِلَازِمِ لَكَ ، وَذَلِكَ مَائَةٌ مُثْقَالٍ مِنْ ضَرْبِ  
السَّكَّةِ قَبْلِي . فَتَفَضَّلْ بِقَبُولِهَا ، وَالْإِعْلَامِ بِوَصُولِهَا .

قَالَ ابْنُ بَسَّامٍ : وَمَعَ وَصُولِ هَذِهِ الصَّلَاةِ إِلَى ابْنِ شَرَفٍ ، لَمْ يَزَلْ عَلَى  
مُلُوكِ الطَّوَائِفِ يَوْمَئِذٍ يَتَطَوَّفُ ، وَيَتَنَقَّلُ فِي الدُّوَلِ مِنْ مَنْزِلٍ إِلَى مَنْزِلٍ ، وَمِنْ  
بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ ، إِلَّا حَضْرَةَ الْمُعْتَصِدِ فَإِنَّهُ كَانَ يُخَاطِبُهُ وَيُنْشِدُهُ :

أُحِبُّكَ فِي الْبُتُولِ وَفِي أَيْبِهَا      وَلَسَكُنِّي أُحِبُّكَ مِنْ بَعِيدٍ

وَتَوْهَمُ جَمَلَةً<sup>(١)</sup> أَنْ بَوَادِي إِشْبِيلِيَّةٍ تَمْسَحًا مِنْ تَمَاسِيحِ النِّيلِ ، وَجَعَلَ هِجْرَاهُ  
يَبْقَى أَبِي نَوَاسٍ حَيْثُ يَقُولُ :

أَضْمَرْتُ لِلنِّيلِ هِجْرَانًا وَمَقْلِيَّةً      إِذْ قِيلَ لِي إِنَّهَا التَّمْسَاحُ بِالنِّيلِ  
فَمَنْ رَأَى النِّيلَ رَأَى الْعَيْنَ مِنْ كَثَبٍ      فَلَا أَرَى النِّيلَ إِلَّا فِي الْبَوَاقِيلِ

وَقَدْ حَدَّثْتُ أَيْضًا أَنَّهُ خَاطَبَ الْمُعْتَصِدَ بِهَذِهِ الْأَبْيَاتِ :

أَنْ تَصَيَّدْتَ غَيْرِي صَيْدَ طَائِرَةٍ      أَوْسَعْتَهَا<sup>(٢)</sup> الْحَبَّ حَتَّى ضَمَّهَا الْقَفَصُ  
حَسِبْتَنِي فُرْصَةً أُخْرَى ظَفِرْتَ بِهَا      هَيْهَاتَ مَا كُلُّ حِينٍ تُمْكِنُ الْفُرْصُ  
وظَاهِرٌ حَسَنٌ أَيْضًا لِقَصَّتِهَا      لَكِنْ لَهَا بَاطِنٌ فِي طَيِّهِ قِصَصُ  
لَكَ الْمَوَائِدُ لِلْقَصَادِ مُتَرَعَّةً      تُرَوِّى وَتُشْبِعُ لَكِنْ بَعْدَهَا غُصَصُ  
وَلَسْتُ أَعْجَبُ مِنْ قَوْمٍ بِهَا انْتَشَبُوا      لَكِنَّمَا عَجَبِي مِنْ مَعْشَرٍ خَلَصُوا  
وَلَمْ يَطِبْ قَطُّ لِي مَنْ يَلْدُ وَلَا      سَلَوَى إِذَا كَانَ فِي عُقْبَاهَا مَغْصُ

قال هذا لتواتر الخبر عن المعتضد بازورار رُكْنِهِ ، وخُشُونَةِ حَزْنِهِ ،  
فأضربَ عن ضَرْبِهِ ، ولم يتعرَّضْ للنُشْبَةِ في حَبَائِلِ نَشْبِهِ ، خوفاً أن يُورِّطَهُ  
الهَوَى في هَوَانٍ ، ويسْقُطَ العِشَاءُ به على سِرْحَانٍ ، ويَطْيَحَ في جُمْلَةٍ مَن طاحَ  
على يديه من الخُلَطَاء والنَّدَمَاء .

### فصول من نثره في أوصافِ شتى

فصل : جَرَى بكَوْدَنِهِ إلى غَايَةِ تَتَبَاطُأِهَا السَّوَابِقُ ، وَتَتَطَاطُأُ عَنْ  
سُمُومِهَا السَّوَامِقُ ، فلم يُحِطْ بوصفِهَا <sup>(١)</sup> ابنُ صَفْوَانَ ، ولا سَحَبَ فِيهَا لِسَانَهُ <sup>(٢)</sup>  
سَحْبَانٍ . وأينَ لِسَانُ بَاقِلٍ مِنْ سَحْبَانٍ وَائِلٍ ؟ ! فالْفُصْحَاءُ فِي الْعَجْزِ عَنْهَا  
مَعْدُورُونَ ، فكيفَ الْمُعْذَرُونَ ؟ !

فصل : كم <sup>(٣)</sup> حاولَ دَفْنَ الشَّمْسِ فِي الرَّمْسِ ، وَرَدَّ الأَمْسِ بِالْخَمْسِ ،  
وَنَبَّلَ النِّجْمَ بِاللَّمْسِ !

فصل : أَوْضَحُ مِنْ جِبَالِ تِهَامَةٍ ، لِعَيْنِي زَرْقَاءُ الْيَمَامَةِ . أَشْهُرُ مِنَ النَّارِ  
عَلَى الْمَنَارِ ، وَاللَّيْلُ كَالْقَمَارِ . أَبْيَنُ مِنَ الْكَعْبَةِ لِلطَّائِفِينَ ، وَمِنْ الْمَسَاجِدِ لِلْعَاكِفِينَ .  
أَشْهُرُ مِنَ الزَّبْرِقَانِ عِنْدَ جَرُؤُلٍ ، وَمِنْ الْأَبْلَقِ الْفَرْدِ عِنْدَ السَّمَوَالِ . أَظْهَرُ فِي  
الْعَيْنَيْنِ مِنَ الْهَرَمَيْنِ . أَشْهُرُ فِي الْعَطَاءِ مِنَ الطَّائِي ، وَفِي الْإِيَادِي مِنَ الْإِيَادِي .  
أَشْهُرُ مِنَ الْآسِ فِي الْأَعْرَاسِ . أَوْضَحُ مِنَ النُّجُومِ لِبَطْلِيهِمُوسَ ، وَالطَّبُّ  
لِجَالِيْنُوسَ ، وَالْعَاجُ فِي الْآبَنُوسِ .

فصل في ضِدِّهِ : هُوَ أَخْفَى مِنْ نَقْطَةِ الْجِيمِ ، وَمِنْ بَيَاضِ الْمِيمِ . أَخْفَى مِنَ  
الْأَسْرَارِ عِنْدَ الْأَحْرَارِ . أَخْفَى مِنَ الشُّهُبِ ، وَمِنْ دِيلِ الرُّهَا . (الرُّهَا مَدِينَةُ بِالشَّامِ  
وَكَانَ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ يُخَفُّونَ هَذَا الْمَنْدِيلَ فِي كَنِيْسَتِهَا وَيَزْعُمُونَ أَنَّهُ مَنْدِيلُ عِيسَى

(١) فِي الْأَصْلِ : بِصَفْوَاهَا . (٢) فِي الْأَصْلِ : لِسَانُ . (٣) فِي الْأَصْلِ : كَمَا



ثُمَّ سُرِقَ وَاشْتَرِيَ فُعِدِمَتْ بَرَكَتُهُ). أَخْفَى مِنْ نَفْسِ الْجَبَّانِ [إِذَا التَّقَتْ] <sup>(١)</sup>  
حَلَقَتَا الْبِطَانَ . أَخْفَى مِنْ بَيْضَتِي الْخَائِفِ ، وَقَدْ أَحَسَّ بِالطَّائِفِ . أَخْفَى مِنْ  
تَفْسِيرِ شَعْرِ لَبِيدَ ، عَلَى فَهْمِ الْبَلِيدِ . أَخْفَى مِنْ عُطَارِدٍ عَلَى الْمَطَارِدِ . أَخْفَى مِنْ  
الشُّوسَةِ فِي الْعُودِ ، وَمِنْ السَّرِّ فِي الرُّعُودِ .

فصل : قَدْ حُهُ <sup>(٢)</sup> مُعَلَّى ، وَسَيْفُهُ مُجَلَّى ، وَرِيَاضُهُ أَرْجَهُ ، وَحُلَّاهُ مُدَبَّجَةٌ ؛  
وَطِبَاعُهُ مُهَذَّبَةٌ ، وَخِلَاقُهُ مُؤَدَّبَةٌ ، وَعُقْدُهُ مُؤَرَّبَةٌ ، وَأَرْضُهُ مُعْشَبَةٌ ، وَأَلْفَاظُهُ  
رَائِقَةٌ مُعْجَبَةٌ . لَا يَمَلُّهُ جَلِيسُهُ ، وَلَا يَجْفُوهُ أُنَيْسُهُ . عَقْلُهُ أَحْنَفِي ، وَعِلْمُهُ سُرَيْجِي ،  
وَذِكَاؤُهُ إِيَّاسِي ، وَأَدَبُهُ خَلِيلِي .

فصل : يُقَدِّمُ الْحَزْمَ ، وَيُثْنِي بِالْعَزْمِ . يُوَاكِبُ الْكَوَاكِبَ ، وَيَتَعَقَّبُ  
الْعَوَاقِبَ . يُشَاوِرُ ذَوِي الْأَلْبَابِ ، عَلَى أَنْ رَأَيْهِ لُبَّابَ . يَثْبُتُ وَثُوبَ اللَّيْثِ ،  
وَيَتَدَفَّقُ دُفُوقَ <sup>(٣)</sup> الْغَيْثِ ، وَيُرَاوِثُ <sup>(٤)</sup> بَيْنَ الْعَجَلِ وَالرَّيْثِ . نَوْمُهُ غِرَارُ  
وَاضْطِرَارِ ، وَحَاجَاتُهُ سِرَارٌ ثُمَّ اقْتِدَارُ . لَا تُثَبِّطُهُ الظُّلُمُ وَلَا الظَّلَالُ ، وَلَا تَطْبِيهَ  
السَّكَلُ وَلَا يَتْنِيهِ السَّكَلَالُ . عَزَمَاتُهُ شَهَابِيَّةٌ ، وَإِضْبَابَاتُهُ عَقَابِيَّةٌ . رَأْيُهُ قَبَسُهُ ،  
وَعَزْمُهُ فَرَسُهُ . بَصِيرَتُهُ بَصَرُهُ ، وَصَدْرُهُ وَرْدُهُ وَصَدْرُهُ .

فصل : هَرِمُ الْجُودِ ، عَلَى الْعِلَاتِ وَالْوُجُودِ . كَفَّهُ غَيْثُ ، لَا يُبَالِي مِنْ  
حَيْثُ . <sup>(٥)</sup> مَالُهُ أَكْثَرُ جُودِهِ ، عَلَى جُمْوَدِهِ . أَغْنَى جَيْشُهُ <sup>(٥)</sup> . لَذَاتُهُ فِي الْإِكْثَارِ  
وَالْإِثَارِ ، وَالْأَخْذِ بِالثَّارِ . يَزِيحُ الْأَغْلَالُ ، وَيُبْلَغُ الْأَمَالُ . يُحَدِّثُ بِمَكَارِمِهِ  
الرَّكْبَ ، وَيُنَسِّي بِفَرْطِ سَمَاحِهِ حَاتِمٌ وَكَعْبُ .

(١) بياض بالأصل : ورسم الجبان في الأصل الجنان .

(٢) في الأصل : قد حمل . (٣) في الأصل : ويتوقف وقوف .

(٤) كذا ، ولعلها : يراوح .

(٥ - ٥) كذا بالأصل ولعل بالعبرة سقطا .



٨١

فصل : أَسَدٌ وَحْدَهُ ، وَدَعَّ جُنْدَهُ . قَلْبُهُ يُخْرِجُهُ عَنِ الْقَلْبِ ، وَضَرَائِبُهُ تَقْتَادُهُ إِلَى مَكَانِ الطَّغْنِ وَالضَّرْبِ . يَحْمِلُ إِذَا مَالُوا ، وَيَثْبُتُ إِذَا جَالُوا . تَارَةً هُوَ لِلْمَيْسَرَةِ يَمِينٌ ، وَتَارَةً لِلْمَيْمَنَةِ كَمِينٌ ، وَتَارَةً لِلْقَلْبِ حِصْنٌ حَصِينٌ . تَسْتَأْسِدُ بِهِ الذُّؤَبَانُ ، وَيَشْجُعُ بِقُرْبِهِ الْجَبَانُ . عُيُونُ عَسْكَرِهِ ، إِلَى مِغْفَرِهِ . تُعْلَى<sup>(١)</sup> السَّهَامُ ، عَبَسَى الْإِقْدَامُ ، بِسَطَامَى الْمِرْبَاعُ ، عَامِرَى الطَّبَاعُ ، عِصَامَى السِّيَادَةِ ، مُصْعَبَى الْجِلَادَةِ .

فصل : عَادِلٌ وَلَا مُجَادِلٌ . مُنْصِفٌ مُنْتَصِفٌ . سُلْطَانُهُ رَحْمَةٌ ، وَسِيرَتُهُ نِعْمَةٌ . يَأْخُذُ الْحَقَّ وَيُعْطِيهِ ، وَيَرْمِي الْفَرَضَ فَلَا يُخْطِيهِ . يُنْصِفُ الْمَمْلُوكَ مِنَ الْمَمْلُوكِ ، وَيَأْخُذُ لِلرَّئِيسِ مِنَ الصُّعْلُوكِ . مَرْفُوعُ الْحِجَابِ ، مَنْزُوعُ رِذَاءِ الْإِعْجَابِ . يُقِيمُ الْحَقَّ عَلَى شَقِيقِهِ ، وَيَحْكُمُ بِالْعَدْلِ لِعَدُوِّهِ عَلَى صَدِيقِهِ ، سَوَاءً عِنْدَهُ الْبَعِيدُ وَالذَّانِي ، وَالْقَحْطَانِيُّ وَالْعَدْنَانِيُّ ، سَيَّانٍ عِنْدَهُ الْقُرْشِيُّ فِي الْحَقِّ وَالْعُسْكَالِيُّ ، وَالْعَنْسِيُّ وَالسَّلُولِيُّ ؛ لَا فَرْقَ عِنْدَهُ بَيْنَ مُضَرٍّ فِي الْحَقِّ ، وَحَمِيرٍ وَسَائِرِ الْخَلْقِ . الْغُرْبَةُ عِنْدَهُ قُرْبَةٌ قَرِيبَةٌ ، مَا لَمْ تَصْحَبْهَا رَيْبَةٌ . لَا يَغْلُو فِي الْهَاشِمِيَّةِ ، وَلَا يَعْدُو عَلَى الْأُمَوِيَّةِ ، وَلَا يَلْتَفِتُ إِلَى الْأَهَاجِي الْبَاهِلِيَّةِ . (سَلُولٌ وَعَنْسٌ وَعُكْلٌ وَبَاهِلَةٌ الْأُمُّ قِبَائِلُ الْعَرَبِ . وَقِيلَ إِنَّ سَبَبَ ذَلِكَ أَنَّ الشُّعْرَاءَ هَجَّتْهَا وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُعْرَاءُ يَذُبُّونَ عَنْهَا فَلَبِسَهُمُ الذَّمُّ وَأَكَلَهُمُ الْهَجَاءُ) .

فصل : أَمِيرٌ يَأْمُرُهُ حِلْمُهُ فَيُطِيعُ ، وَيُحْمَلُهُ مَا لَا يُسْتَطَاعُ فَيَسْتَطِيعُ . كَمْ أُعْطِيَ الظُّفَرَ فَغَفَرَ ، وَجُرَّعَ الصَّبْرَ فَصَبَرَ . لَهُ حِلْمٌ مُعَاوِيَّةٌ ، عَلَى الْأَعْدَاءِ الْعَادِيَّةِ . لَهُ ثَبَاتٌ يَلْمَلَمُ ، وَتَحَنُّنٌ الْجَذَعُ الْأَزْلَمُ<sup>(٢)</sup> . قَلْبُهُ قَلِيْبٌ وَاسِعٌ ، وَغَوْرُهُ بَعِيدٌ شَاسِعٌ .

(١) فِي الْأَصْلِ : تَعْلَى .

(٢) فِي الْأَصْلِ : الْأَزْلَمُ .



فصل : وزيرٌ يُنْزِمُ أميرَه ، مُسْتَوِطِنًا سَرِيرَه . مُتَحَوِّلٌ <sup>(١)</sup> وهو قارٌ ،  
وَيُرَى جَالِسًا وهو مارٌ ، كَالنَّجْمِ يُرَى وهو سَاكِنٌ ، وقد تَحَرَّكَتْ بِهِ أَمَاكِنُ .  
فصل : كَاتِبٌ ، فَضْلُهُ رَاتِبٌ ، وَحَقُّهُ وَاجِبٌ . أَقْلَامُهُ رِمَاحٌ ، وَرِسَالُهُ  
فِصَاحٌ ، وَأَخْلَاقُهُ فِصَاحٌ . إِنْ قَرِطَسَ أَصَابَ ، وَإِنْ سُوِّلَ أَجَابَ ، وَأَصَابَ عَيْنَ  
الصَّوَابِ . لِسَانُهُ لِسَانُ الْمَلِكِ ، وَمَكَانُهُ وَاسِطَةُ السَّلَاكِ .

٥

فصل : قَائِدٌ عَلَيْهِ عِبءُ التَّعْوِيلِ ، فِي أَوَّلِ الرَّعِيلِ ، إِذَا الصَّبْرُ عِيلٌ .  
لَا يُبَاحُ مَا حَمَى ، وَلَا يُشَوَّى إِذَا رَمَى . عَوْدٌ إِذَا زَحَفَ ، وَطَوْدٌ إِذَا وَقَفَ ،  
وَسَيْلٌ إِذَا حَمَلَ ، وَكِتَابَةٌ إِذَا اعْتَزَلَ . حُسَامُهُ إِمَامٌ <sup>(٢)</sup> ، يَهْدِي فِي ظُلْمَةِ الْقَتَامِ ،  
وَيَهْتَدِي إِلَى مَسَالِكِ الْحِمَامِ . لَا تَرَدُّعُهُ لَامِعَةُ السُّيُوفِ ، وَلَا تُفْزِعُهُ مُصَارَعَةُ  
الْحُثُوفِ . رِمَاحُهُ نُجُومٌ ظَلَامِ الْقَتَامِ ، وَنُجُومُهُ رُجُومٌ شَيَاطِينِ الْأَنَامِ . لَا تُرَدُّ  
حَاجَاتُ مَوَاضِيهِ ، وَلَا تَمُطُّهُ عِنْدَ تَقَاضِيهِ الْمَغَافِرُ الْمُتَيِّنَةُ ، وَلَا الدُّرُوعُ الْمَوْضُونَةُ .

١٤

فصل : قَاضٍ يَشْهَدُ لَهُ عَدْلُهُ ، أَنْ غَلَّه سَرِيعُ حَلِّهِ . يَقْسِمُ نَظْرَهُ بِالْقِسْطِ ،  
بَيْنَ جَمِيعِ النَّاسِ . حَفِظَ رِسَالَةَ عُمَرَ ، وَعَمِلَ فِيهَا بِمَا نَهَى وَأَمَرَ . لَا يَبِيعُ الْقَضَايَا  
بِالْهَدَايَا ، بِهِ عَشَى ، عَنِ الرَّشَى . يَنَامُ الْخَصْمَانِ ، وَهُوَ يَقْظَانِ . إِنْ عَجَلَ فَعَنْ  
اسْتِدْلَالٍ ، وَإِنْ عَجَزَ فَلِتَأْمُلِ إِشْكَالٍ . سُرِيحِي الإِجَابَةِ ، عِمْرَانِي الإِصَابَةِ .

١٥

فصل : زُهَادٌ تَرَكَوا الْعَرَضَ ، وَأَصَابُوا الْغَرَضَ . اقْتَرَحُوا الْقَنَاءَ ، وَاطَّرَحُوا  
الْغِنَى . رَفَضُوا الْمَزَايِلَ ، وَطَلَبُوا الطَّائِلَ ، وَأَعْرَضُوا عَمَّا يَبِيدُ ، وَأَقْبَلُوا عَلَى  
مَا يُفِيدُ <sup>(٣)</sup> . لَمْ يُزَاحِمُوا عَلَى الْجَنَيفِ ، وَلَا اسْتَخْدَمُوا بَطُونَهُمْ فِي تَعْمِيرِ  
الْكُنُفِ . تَرَكَوا ذَلِكَ لِمَنْ تَرَكَوا ، وَقَنَعُوا بِأَقْلٍ مَا مَلَكَوا ، وَجَعَلُوا الزَّادَ

(١) هذه الكلمة غير واضحة بالأصل تماما ، وما أثبتنا أقرب الاحتمالات

(٢) في الأصل : أَمَامَهُ . (٣) بالأصل : يَعِيدُ .

إلى الجنة ، الأنة بعد الأنة ، وظلما الهواجر ، في شهر ناجر . فكروا فبكروا .  
علموا فسالموا من العقال ، وتركوا أعناقاً لحمل الأثقال . رجوا فنجوا ، وبنوا  
فعلوا ، ومهدوا فرقدوا ، وعملوا فوجدوا .

وذكرت بهذا الفصل حديث أبي هريرة قال : قال لي رسول الله عليه  
السلام : « يا أبا هريرة ألا أريك الدنيا جمعاء بما فيها ؟ قلت بلى يا رسول الله .  
فأخذ بيدي ، وأتى وادياً من أودية المدينة ، فإذا منبلة فيها رؤوس وعذرات  
في خرق وعظام ، ثم قال : يا أبا هريرة ، هذه الرؤوس كانت تحرصن كحريصكم ،  
وتأمل آمالكم ، ثم هي اليوم عظام بلا جلد ، ثم هي صائرة رماداً . وهذه  
العذرات ألوان أطعمتهم اكتسبوها من حيث اكتسبوها ، ثم قذفوها من  
بطونهم ، فأضحت والناس يتحامونها . وهذه الخرق البالية كانت ريشهم  
ولباسهم ، أصبحت والرياح تصفقها . وهذه العظام عظام دوابهم التي كانوا  
ينتجعون عليها أطراف البلاد . فمن كان باكياً على الدنيا فليبك ! » قال :  
فما برحنا حتى اشتد بكأؤنا .

ووقف سقراط على كساح وقد خرج من الحش بكساحة<sup>(١)</sup> فقال : يا أهل  
أثينا ، هذا الذي كنتم تغلقون عليه الأبواب ، وتقيمون لحفظه الخزان ،  
وكانت شهواتكم تستخدم عقولكم في إعداده ، واليوم نفوسكم آفة منه ،  
وطبائعكم نافرة عنه !

### فصول له في الذم وبعض ما تقدم

فصل : فلان غوره أقرب قريب ، وقلبه مؤرود القليب ؛ فسراؤه

(١) في الأصل : من الجسر بكساد .



مَكْشُوفَةً ، وَدَخِيلَتُهُ مَعْرُوفَةٌ ؛ كِتْمَانُهُ إِخْبَارٌ ، وَتَذْبِيرُهُ إِدْبَارٌ ، رَأْيُهُ وَرَاءٌ ،  
وَسَاحَتُهُ عَرَاءٌ <sup>(١)</sup> . حِسَّهُ هَامِدٌ ، وَفَعْلُهُ جَامِدٌ . لَا يَعْرِفُ الرُّشْدَ مِنَ الْغَى ،  
وَلَا يُفَرِّقُ بَيْنَ التَّقْبِيلِ وَالسَّكْيِ . طَلَلٌ بَالٌ ، لَا يَنْخَطِرُ عَلَى بَالٍ . الشَّمْسُ عِنْدَهُ  
سُهَيٌّ ، وَالْحُمُقُ نَهْيٌ . لَا يَعْلَمُ رَأْسُهُ ، مِنْ أَيْنَ أَنْفَاسُهُ ؛ وَلَا يَدْرِي دِمَاغُهُ ،  
أَيْنَ أَصْدَاغُهُ .

فصل : هُمُّهُ جَوَازُ يَوْمِهِ ، وَحَلَاوَةُ نَوْمِهِ . أَعْلَى هِمَّتِهِ ، إِرْجَالُ حُجَّتِهِ ،  
وَاعْتِدَالُ عِمَّتِهِ ؛ وَأَسْرُ سُرُورِهِ ، تَنَاضِي قُدُورِهِ ، وَتَرْوِيقُ خُمُورِهِ . أَعْدَاؤُهُ  
سِمَانٌ ، فِي أَمَانٍ ؛ وَأَوْلِيَاؤُهُ فِي هَزَالٍ ، وَانْتِظَارِ النَّكَالِ . حَسَنُ الظَّنِّ بِالزَّمَانِ ،  
وَضُرُوبُ الْحَدَثَانِ . رَاحِيَةُ الْقَرَائِحِ ، سَاكِنُ الْجَوَارِحِ . مَسْرُورٌ مَغْرُورٌ . ثَانِي  
الْعُطْفِ عَنِ النَّاصِحِ ، مُتَعَمِّمٌ عَنِ الْأَمْرِ الْوَاضِحِ . مُسْتَعْفِنٌ بِعَبْدِهِ ، عَنِ جُنْدِهِ .  
مُتَشَاغِلٌ بِالْأَنْيَابِ الطَّاحِنَةِ فِي قَمِهِ ، عَنِ الْأَنْيَابِ الْوَالِغَةِ فِي دَمِهِ . يَنَامُ عَنِ  
مُسْهِرَاتِ الْأَنَامِ ، وَعَنِ جَبِّ الْغَارِبِ وَالسَّنَامِ . فِكْرَتُهُ سَاهِيَةٌ ، وَخَوَاطِرُهُ  
لَاهِيَةٌ ، وَقَوَاعِدُهُ وَاهِيَةٌ ، حَتَّى تَبْغَتْهُ الدَّاهِيَةُ .

فصل : يَجُودُ الْجُلُودُ ، وَلَا يَجُودُ ، وَيَعُودُ إِلَى إِثْمَارِهِ يَابِسُ الْعُودُ ، وَهُوَ  
لَا يُبْدِي وَلَا يُعِيدُ . كَيْسُهُ مُغْلَقٌ ، وَبَنَانُهُ مُطَبَّقٌ ، وَدَارُهُ سَمْلَقٌ ، وَجَيْشُهُ  
مُمْلَقٌ ، وَمِيزَانُهُ حَبِيسٌ لَا يُطْلَقُ . كِفَّتَاهُ <sup>(٢)</sup> كَكَفَّتَيْهِ لَا تَذِيهُمَا <sup>(٣)</sup> النَّارُ ،  
وَلَا يَعْرِفَانِ الدَّرْهَمَ وَلَا الدِّينَارَ . وَأَكْيَاسُهُ كَالنَّقَدِ ، قَدْ خَنَقَتْهَا الْعُقَدُ . يَدُهُ حَافِرٌ  
وَقَاحٌ ، وَقَفْلُهُ لَيْسَ لَهُ مِفْتَاحٌ . تَمَرُّ الْأَيَّامِ ، وَلَا يُشْمُ لَهُ طَعَامٌ . لَوْ مَلَكَ طُوفَانٌ  
نُوحٌ ، لَمْ يَسْمَحْ مِنْهُ بِشَرْبَةٍ لَظْمَانَ مَجْرُوحٍ .

(١) رسم الجملة في الأصل : وشاهه غراء .

(٢) في الأصل : كفتيه . (٣) في الأصل : تذيبها .



فصل : هو يوم المطاعنة ، ولد الملائنة . لا حسب يُقاتل عنه ، ولا نسب يستحي منه . يراعة ترعد ، وتقوم وتقمعد . إذا الحرب دعت أبطالها ، وزلزلت الأحشاء زازالها ، نخب ما بين جنبتيه ، وغاب السودان<sup>(١)</sup> من عينيه . مهزمة الجنوده ؛ ومهدة لعدته وعديده . يوسع أعمار الفرار ، ولا يرى على الجبماء من عار . يبدناه<sup>(٢)</sup> في أول الرعيل ضارب<sup>(٣)</sup> ، إذا به وراء الساقة هارب . يزحف عند الزحف ، إلى خلف ، ويرؤه الواحد وهو في ألف . لو كان سور مدينة لसार ، ولوربط إليه الطور لطار . إن هذا في الحرب من بني العنبر ، وأدهش من مستطعم الماء على المنبر . إذا ثار القتام ، سقط من كفه الحسام .

١٠ (وخبر بني العنبر ، أشهر من أن يذكر ، وقرئ منهم ، ولما استنجدهم فلم ينجدوه قال :

لكن قومي وإن كانوا ذوي عدد  
ليسوا من الشر في شيء وإن هانا  
يجزون من ظلم أهل الظلم مغفرة  
ومن إساءة أهل السوء إحسانا  
كان ربك لم يخلق لخشيتيه  
سواهم من جميع الناس إنسانا

١٥ ومُستطعم الماء على المنبر خالد القسري عامل هشام بن عبد الملك على العراق . دهش يوم الجمعة في حرب الخوارج وهو على المنبر ، فقال : أطعموني ماء ! فقيل فيه :

هتفت بكل صوتك أطعموني شراباً ثم بليت على السرير

فصل : أضرمها<sup>(٤)</sup> على الأنام ، على قديم الأيام ، العصبية في الجاهلية

(١) في الأصل : السودان . (٢) كذا ولعلها : بينا هو .

(٣) في الأصل : يضرب . (٤) في الأصل : أضرمها .



والإسلام . فما لهذا السلطان ، وخراب الأوطان ! والعصبية تُفسد بين الأولياء ،  
وتكثر في الأعداء . وأبو نؤاس كان أشدهم فيها قولاً ، وهو قن مؤلى ،  
تعصب لليمن على مضر لسكون سعد العشيرة من اليمن وهم من مواليه ، فهجأ  
قبائل مضر ، وغض من قريش ، هذا وهو مؤلى ملصق ، وليست سعد العشيرة  
له بعشيرة ، بل لها منه الجريرة .

٥

سلطان يشتري بدينه ودمه ، رضا ابن عمه . خاسر التبر ، محروم الأجر .  
لا يساوى بين أهل القبلة وهم سواء ، ولا يتكافأ عنده المسلمون وهم عند [ الله ]  
أكفاء . وجبلة التفاوت أفادت جبلة الرشد ، وحميته أحمت عليه دار الخلد .  
تعصب جاشت له صدور الجيش ، وتكدر به صفاء العيش . وله مساعدة في  
العصبية طارت الرؤوس والسواعد ، وتهدمت الذرى والقواعد ، وحالفت  
ربيعة الأبعاد .

١٠

فصل : قد يتسمى بوزير من شغله الهم والوزير . يعجبه اللهو ، ويعليه  
السهر . دمار من [ سكن ] إليه ، وبوار من عول عليه . إن دبر أدبر ، وإن  
ترك هلك . خذن لواعب ، وزير كواعب . كيله ناعس ، ونهاره باليس . لم  
يعلق به من الوزارة إلا <sup>(١)</sup> حسن الشارة ، وركوب المهاليج <sup>(٢)</sup> المسيرة ،  
وشدة الإعجاب ، والدخول على سلطان به حجاب ، والأكل بملء فيه ، هذا  
جميع ما فيه ، حتى إذا طرقت السرايا ، وسيمت السبايا ، ونفر النافر ،  
وضج البادية والحاضر ، وزرع ثبات <sup>(٣)</sup> الأجناد ، فتفرقوا في البلاد ، فزع  
إلى الوزير ، في وجه التدبير ، فكان جوابه دموعه ، وصوابه هلوعه ، فحينئذ

١٥

٨٣

(١) في الأصل : إلى .

(٢) في الأصل : المهاليج .

(٣) في الأصل : تقاب .

دَارَتْ الدَّائِرَةُ ، واضْطَرَمَّتْ النَّائِرَةُ ، وانصَرَمَّتْ الدُّوَلُ ، وتَبَدَّلَتْ الحُلُمَالُ .

فصل : كَاتِبٌ مَا عَرَفَ قَطَّ ، كَيْفَ الْبَرِيَّةُ وَالْقَطُّ ، وَلَا نَسَخَ قَطُّ سَطْرًا ، إِلَّا مَسَخَ مِنْهُ سَطْرًا . أَلْفَاظُهُ مَلْحُونَةٌ ، وَمَعَانِيهِ مَلْقُونَةٌ ، وَمَقَاصِدُهُ خَفِيَّةٌ مَسْكُونَةٌ ، وَخُرُوفُهُ مَطْمُونَةٌ . إِنْ تَهَجَّيْ هَجَاً ، وَإِنْ تَكَلَّمْ شَجَّ وَشَجَى . أَلِفَاتُهُ سُجُودٌ ، وَلَا مَاتُهُ رُقُودٌ ، وَمِيمَاتُهُ عُقْدٌ لَا عُقُودٌ ، وَقَافَاتُهُ وَاوَتْ ، وَنُونَاتُهُ رَأَاتُ . يَرْفَعُ بِالنَّوَاصِبِ ، وَيُكْثِرُ<sup>(١)</sup> النُّقْطَ الْكَوَاذِبِ ، وَيُعْمِي عَيْنَ الْمَعْنَى الْجَلِيَّ ، وَيُخَاطِبُ الْعَدُوَّ مُخَاطَبَةَ الْوَلِيِّ . وَتَقِرُّ كُتُبُهُ بِمَا فِيهَا مِنَ الْفَسَادِ ، بَأَنَّهُ قُرَّةُ عُيُونِ الْأَعْدَاءِ وَالْحُسَّادِ .

فصل : وَلَا يَبْتُهُ الْقَضَاءُ ، مِنْ سُوءِ الْقَضَاءِ . جَائِرٌ حَائِرٌ . إِنْ جَارَ فَعَنْ تَعَمُّدٍ ، وَإِنْ حَارَ<sup>(٢)</sup> فَعَنْ قِلَّةٍ تَعَهَّدَ . لَيْلُهُ مُنْتَشٍ ، وَنَهَارُهُ مُرْتَشٍ . تَعْجِبُهُ الْعَيْنُ فِي النَّقَابِ ، وَلَا يُفَكِّرُ فِي الْعِقَابِ . إِذَا رَأَى الْأَمْرَ دَ تَمَرَّدَ عَلَى خَصْمِهِ ، وَمَالَ عَلَيْهِ بِحُكْمِهِ . يُزْرَى بِاخْتِيَارِ سُلْطَانِهِ ، وَيَسْتَخِفُّ بِفُقَهَاءِ زَمَانِهِ . يَجُورُ فِي نَظَرِهِ الْمَقْسُومُ ، وَيَبْصُقُ فِي وَجْهِ الْخُصُومِ ، وَيَرَى كُلَّهُمْ بِرِجْلِهِ ، وَيَلْطِمُهُمْ بِنَعْلِهِ .

فصل : إِخْوَانٌ أَخُونُ مِنَ السَّرَابِ لِلْعَيْنِ ، وَمِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ لِلْحُسَيْنِ ، وَأَشَدُّ مِنْ طَالِبِ دَيْنٍ ، عَلَى صِفْرِ الْيَدَيْنِ . لَيْسَ فِيهِمْ نَفْعٌ وَلَا دَفْعٌ ، إِنْ اسْتَنْصَرْتَهُمْ خَذَلُوكَ ، وَإِنْ سَأَلْتَهُمْ إِسْلَمَكَ بَذَلُوكَ .

فصل : تَبَسَّمَ لِلْعَدُوِّ الْعَابِسِ ، وَلِنْ لِمُتَخَلِّقِ الْيَابِسِ . عَامِلٌ ظَالِمٌ بِالصَّبْرِ ، وَاجْعَلْ صَدْرَكَ كَالْقَبْرِ ، لَا يَذَرِي مَا فِيهِ رَحْمَةً أَمْ نِقْمَةً ، وَبَلَاءَ أَمْ نِعْمَةً ، حَتَّى تُمْسِكَكَ الْوُثْبَةُ عَلَيْهِ ، فَتَلَّهُ لِجَبِينِهِ وَيَدِيهِ .

(١) بعد كلمة « يكثر » بياض بقدر كلمة لعلها « من » .

(٢) في الأصل : خَان .



## وَمِنْ تَرْسِيلِهِ

فَصَلِّ لَهُ مِنْ رُقْعَةٍ خَاطَبَ بِهَا الْمُظْفَرُ بْنُ الْأَفْطَسِ

كُتِبَتْ وَشَوَّقِي إِلَى شَرَفِ لُقْيَاهُ ، وَشَيْمٌ <sup>(١)</sup> سُقْيَاهُ ، شَوْقُ الْقَارِظَيْنِ إِلَى سَكُونِ  
وَسُكْنَى ، وَالْقَدِيسَيْنِ إِلَى كَيْلَى وَلُبْنَى وَاعْتِلَاقِي بِذِكْرِهِ اعْتِلَاقُ مَالِكٍ بِعَقِيلِ ،  
وَقِفَانَبِكِ بِالْمَلِكِ الضَّلِيلِ ، وَبِلَالُ بِشَامَةِ وَطَفِيلِ ، وَاللَّهُ بُبُلُوغِ الْأَمَلِ خَيْرُ  
كَفِيلِ . وَحَالُ وَلِيِّهِ بِالنَّاحِيَةِ الَّتِي اسْتَقْدَرْتُهَا حَالُ مَنْ ذَهَبَتْ مِنْهُ اللَّذَازَةُ  
وَالْفُتَاءُ ، وَالشَّيْخُ يَهْدِيهِ الشِّتَاءُ . وَقَدْ رَأَيْتُ طُوفَانَ قُرْطَبَةَ يُقِيمُ دَهْرًا ، وَإِنَّمَا  
أَقَامَ طُوفَانُ نُوحٍ شَهْرًا . وَأَمَّا صَيْفُهَا فَكَمَا قَالَ :

لَمْ أَسْتَمِمْ عِنَاقَهُ لِقُدُومِهِ حَتَّى ابْتَدَأَتْ عِنَاقَهُ لَوَدَاعِهِ

وَلَهُ مِنْ أُخْرَى :

لِي رَغْبَةٌ إِلَى مَفَاخِرِهِ ، وَتَطَارُحٌ بَيْنَ يَدَيْ مَآثِرِهِ ، وَإِدْلَالٌ عَلَى سَمَاحَةِ  
سَجَايَاهُ ، وَتَحَامُلٌ عَلَى احْتِمَالِ عُلْيَاهُ . وَذَلِكَ أَنَّ شَيْخًا يَفْنَأُ تَصَدَّقِبَائِي ، فَبِكَايَ  
حَتَّى بَلَّ بِفَضْلِ دُمُوعِهِ رِدَائِي ، وَمَنْعَهُ الشَّوْقُ بِشَجَاهِ ، مِنْ الْكَلَامِ عَلَى  
مَا ارْتَجَاهُ . ثُمَّ ذَكَرَ أَنَّهُ كَلَسِبُ نُسَيَّاتِ ، وَأَبُو بَنِينَ وَبُنَيَّاتِ ، فَنَسَبَتْهُ فَقَالَ :  
أَنَا أَبُو جَعْدَةَ نَهْشَلِ ، وَذَكَرَ مَوْلَانَا الْمُظْفَرَ فَوَصَفَ خَيْرًا كَثِيرًا هُوَ أَكْثَرُ  
مِنْهُ ، وَدَعَا بِخَيْرِ أَجَابَةِ اللَّهِ عَنْهُ ، وَوَصَفَ أَنَّ بُغَاةَ بَغَوْهُ ، وَحَسَدَةَ آذَوْهُ ،  
وَتَفَصَّلَ مِنْ ذُنُوبٍ قَرَفُوهُ بِهَا ، وَمَوْلَايَ أَعْلَمُ بِصِدْقِهَا مِنْ كَذِبِهَا . وَلَمْ يُظْهِرْ  
حِرْصًا إِلَّا فِي الْمِيْتَةِ الْأَهْلِيَّةِ ، وَالثَّرْبَةِ الْوَطَنِيَّةِ . فَبِكَايَ — عِلْمَ اللَّهِ — مَعَ  
بَاكَ ، وَشَكَا مَنِّي إِلَى شَاكَ ؛ وَذُو الشَّكْوَى يَرْحَمُ الشَّكْوَى ، لَعَلَّهُ بِمَرَارَةِ



البَلَوَى . ولا شكَّ أنه سَيَبْلُغُهُ تَفَضُّلُ الْمُظْفَرِ بِالِاتِّفَاتِ إِلَى ذِكْرِى ، والعناية  
ببعضِ أُمْرِى ؛ فلا يَظُنُّ أَنَّ ذَلِكَ باستحقاقى ، وَإِنْ رَقَانِى مِنَ الشَّرَفِ هَذِهِ  
الْمَرَاتِى ، وَمَنْ يَسْمَعُ يَحُلْ ، وما كُلُّ ذِى سِلَاحٍ بَطَل . وقد تَلَطَّفْتُ لَهُ بِإِذْنِ  
اللهِ فى القَوْلِ ، وَبَرِئْتُ إِلَيْهِ تَعَالَى مِنَ الْقُوَّةِ وَالْحَوْلِ ، وَوَقَفْتُ عَلَى رَأْيِ  
الْمُظْفَرِ الْمُوقِّقِ ، وَحُكْمِهِ الْعَدْلِ الْمُحَقِّقِ . وَبُودِّى لَوْ تَكَفَّلْتُ <sup>(١)</sup> بِأَمَالِهِ ؛ وَجَمَعْتُ  
بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَطْفَالِهِ ، فَهُوَ فى عُقُودٍ <sup>(٢)</sup> لَبَدَّ ، وَهَامَةُ الْيَوْمِ أَوِ الْغَدِ ؛ إِلَّا أُنِّى — أَيْدِهِ  
الله — لا أُوثِرُ مُرَادِى عَلَى مُرَادِهِ ، ولا أُشَارِكُهُ فى الْعِلْمِ بِأَهْلِ بِلَادِهِ ؛ إِلَّا أَنَّ  
يَتَفَضَّلُ بِالْأَحْسَنِ الْأَجْمَلِ ، عَلَى وَعَلَى أَبِي جَعْدَةَ نَهْشَلِ ، فَيَعُودُ — أَيْدِهِ اللهُ —  
بِفَضِيلَةِ الْإِيشَارِ ، وَيَسْكَتَسِى <sup>(٣)</sup> فى النَّاسِ أَطْيَبَ الْأَخْبَارِ وَالْآثَارِ . وَلَقَدْ هَجَمْتُ  
فى الْعِنَايَةِ بِمَا لَا أَعْلَمُ ثِقَةً بِمَا أَعْلَمُ ؛ وَهُوَ الْمُتَطَوَّلُ إِنْ شَفَعَ ، وَالْمَعْدُورُ إِنْ دَفَعَ .  
وَالْجَوَابُ عَلَى هَذِهِ السُّطُورِ ؛ الْمُحْتَوِيَّةِ <sup>(٤)</sup> عَلَى هَذِهِ الْأُمُورِ ، بِالْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ ،  
مِنْ كَمَالِ الْإِحْسَانِ وَالْإِفْضَالِ .

فَأَجَابَهُ الْمُظْفَرُ بِرُقْعَةٍ مِنْ إِنْشَاءِ الْوَزِيرِ أَبِي مَرْوَانَ بْنِ قُزْمَانَ ، قَالَ فِيهَا :  
وَرَدَ كِتَابُكَ الْمُبْتَدَأُ خِطَابُهُ مِنَ الشَّعْرِ بِمَا هُوَ السَّحْرُ الْحَلَالُ ، وَالْمُصَدَّرُ  
مِنْ الْقَرِيبِ بِمَا شَهِدَ لَكَ بِالْجَلَالِ . لَوْ قَصَدَ الطَّائِفَانِ قَصْدَهُ لِأَجْبَلَا ، أَوْ حَذَا  
الْحَمَّادَانِ حَذْوَهُ لِأَدْبَرَا فِيهِ وَمَا أَقْبَلَا . لَمْ تَدْعُ فِيهِ فَنًّا مِنَ الْحِكْمَةِ إِلَّا أَهْدَيْتَهُ ،  
وَلَا مَعْنَى لَطِيفًا إِلَّا أَبْدَيْتَهُ ، وَلَا نَوْعًا مِنَ الْأَدَبِ إِلَّا جَلَبَيْتَهُ ؛ وَلَا غَرِيبًا مِنَ  
الْمَثَلِ إِلَّا ضَرَبْتَهُ . فَلِلَّهِ بِلَادُ غَذَاكَ هَوَاؤُهَا ، وَرُؤُوسَاءُ تَطَابَقَتْ عَلَيْكَ أَهْوَاؤُهَا .

(١) فى الأصل : تكلفت .

(٢) رسم الكلمة فى الأصل : عقدد ولعلها ما أثبتناه .

(٣) فى الأصل : ويكسى . (٤) فى الأصل : المحوية .



لقد بانَ فضلهم على أهل الزمان ، كما ظهرَ تَبَرُّزُكَ في هذا الميْدان . ومن<sup>(١)</sup>  
انتحلَ الأبيات ؛ فبمثلِ شعركَ فليأت ، وهيهات ! ما أبعدَ الأرضَ مِنَ السماء !  
ورأيتُكَ قد شَفَعْتَ القريضَ بِشَفَاعَةٍ ؛ وقرَفَتَه برَغْبَةٍ أعطتكَ مَقاليدَ  
البلاغَةِ والبراعة . وأسعفتُكَ في الشَّيخِ اليَفَن ، والأشيبِ البدَن نهشل .  
فليُسرعْ بالإقبالِ إلى بَلَدِهِ ، وليلحقْ بأهْلِهِ وولَدِهِ ، وليأتِ إليهم ذَا لَنَا ،  
وليسْكرْنا سِرًّا وإعلانًا . واللهُ المَانُّ بكَ برَدِّهِ إلى وطنِهِ وأهْلِهِ ، يبلُغكَ  
ما تَرْتجيه ، ويعيدُ حالَكَ إلى عهدِها ، والجمعَ بينَكَ وبينَ الطبقةِ التي كنتَ  
واسِطةَ عِقدِها .

ولابنِ شَرَفٍ مَقاماتٌ عارِضَ بها البديع في بابِهِ<sup>(٢)</sup> ،

وصَبَّ فيها على قَالِبِهِ

مِنْهَا مَقامَةٌ فيها بَعْضُ طُول ، لَكِنَّهُ غيرُ مَمْلُول ، آخِذَةٌ بِطَرْفٍ مُسْتَطَرَفٍ  
مِنْ أَخبارِ الأدباء ، وذكرِ الشُّعْرِ والشُّعراء .

قال<sup>(٣)</sup> : جَارَيْتُ أبا الرِّيَّانِ في ذِكْرِ أَهْلِ النِّظام ، وَمَنَازِلِهِم في الجاهليَّةِ  
والإسلام ، فَقَالَ عَدَدُ الشُّعراءِ أَكْثَرُ مِنَ الإحصاء ، وَأَشعارُهُم أَبْعَدُ مِنْ شُقَّةِ  
الاستقصاء . قلت : لا أُعْنِيكَ بِأَكْثَرِ مِنَ المشهورينَ مِثْلِ الضَّلِيلِ والقَتِيلِ ،  
وَلَبِيدٍ وَعَبِيدٍ ، والنَّوَابِغِ والعُشَى ، والأَسودِ بنِ يَعْفَرَ وَمَنْ سِوَاهُ مِنَ العُمى ،  
وَابْنِ الصَّمَّةِ دُرَيْدٍ ، والرَّاعِي عُمَيْدٍ ، وزَيْدِ الخَيْلِ ، وعاصِرِ بنِ الطُّفَيْلِ ،

(١) في الأصل : وما . (٢) في الأصل : باله .

(٣) نشر هذه المقامة حسن حسني عبد الوهاب باشا وهي ضمن « رسائل البلغاء »  
التي جمعها الأستاذ محمد كرد علي (طبع مصر سنة ١٩١٣) ، كذلك نشرها الخانجي (مصر  
سنة ١٩٢٦) .

والقرزدي وجريز ، وجميل وكثير ، وابن جندل وابن مقبل ، وجزول  
والأخطل ، وحسان في أهاجيه ومدحه ، وغيلان في مئته وصيده ، والهدلي  
أبي ذؤيب ، وسحيم ونصيب ، وابن حنزة الوائلي ، وابن الرقاع العاملي ،  
وعنزة العبسي ، وزهير المزي ، وشعراء فزارة ، ومعلق بني زرارة ، وشعراء  
تغلب ويثرب ، وأمثال هذا النمط الأوسط ، كالرماح والطرماح ، والطثري  
والدميني ، والسكيت الأسدي ، وصريع الأنصاري ، ودغبل الخزاعي ، وابن  
الجهم القرشي ، وحبيب الطائي ، والوليد البختري ، وابن المعتز العباسي ،  
وأبي نواس وابن الرومي .

ومن الطبقة المتأخرة في الزمان : المتقدم في الإحسان ، كأبي فراس بن  
حمدان ، والمتنبى بن عبدان ، وابن حنبل المصري ، وابن الأحنف الحنفي ،  
وكشاجم الفارسي ، والصنوبري الحلبي ، ونضر الخبزري ، وابن عبد ربه  
القرطبي ، وابن هاني الأندلسي ، وعلي بن العباس الأيادي التونسي ، والقسطلي .  
قال أبو الريان : لقد سميت المشاهير ، وأبقيت الكثير ؛ قلت : بلى ،  
ولكن ما عندك فيمن ذكرت ؟

قال : الضليل مؤسس الأساس ؛ وبنيانه عليه الناس . كانوا يقولون  
« أسيلة الخد » حتى قال « أسيلة تجري الدمع » . وكانوا يقولون « تامة القامة  
وطويلة القامة ، وجيداء وتامة العنق » ، حتى قال « بعيدة مهوى القرط » .  
وكانوا يقولون في الفرس السابق « يلحق الغزال والظليم » وشبهه ، حتى قال  
« قيّد الأوابد » . ولم يكن قبله من فطن لهذه الإشارات والاستعارات غيره  
فامتثلوه بعده . وكانت الأشعار قبل سواذج ، فبقيت هذه جُددًا وتلك نواهج<sup>(١)</sup> ؛

(١) في الأصل : جذذا ... نهراج .



وكلُّ شَعْرٍ بَعْدُ مَا خَلَاها فغَيْرُ رَاقٍ الذَّسَجُ ، وإنْ كَانَ مُسْتَقِيمَ النَّهْجِ .  
وَأَمَّا طَرَفَةٌ فَلَوْ طَالَ عَمْرُهُ ، لَطَالَ شِعْرُهُ ، وَعَلَا ذِكْرُهُ . وَلَقَدْ خُصَّ بِأَوْفَرِ  
نَصِيبٍ مِنَ الشَّعْرِ ، عَلَى أَيْسَرِ نَصِيبٍ مِنَ الْعُمَرِ ، فَمَلَأَ أَرْجَاءَ ذَلِكَ النَّصِيبِ  
بِصُنُوفٍ مِنَ الْحِكْمَةِ ، وَأَوْصَافٍ مِنْ عُلُوِّ الْهِمَّةِ ، وَالطَّبْعِ مُعَلِّمٌ صَادِقٌ ،  
وَجَوَادٌ سَابِقٌ .

وَأَمَّا الشَّيْخُ أَبُو عَقِيلٍ فَشِعْرُهُ يَنْطِقُ بِلِسَانِ الْجَزَالَةِ ، عَنْ جَنَانِ الْأَصَالَةِ ،  
فَلَا تَسْمَعُ لَهُ إِلَّا كَلَامًا فَصِيحًا ؛ وَمَعْنَى مُبِينًا صَرِيحًا ؛ وَإِنْ كَانَ الشَّيْخُ وَالْوَقَارُ ،  
وَالشَّرَفُ وَالْفَخَارُ ؛ لِهَادِيَاتٍ فِي شِعْرِهِ ؛ وَهِيَ دَلَالُهُ ؛ قَبْلَ أَنْ يُعْلَمَ قَائِلُهُ .  
وَأَمَّا الْعَبَّاسِيُّ فَمُجِيدٌ فِي أَشْعَارِهِ ؛ وَلَا كُمُعَلَّقَتِهِ ، فَقَدْ انْفَرَدَ بِهَا انْفِرَادَ  
سُهَيْلٍ ، وَغَبَّرَ فِي وَجْهِهِ الْخَيْلَ ، وَجَمَعَ فِيهَا بَيْنَ الْحَلَاوَةِ وَالْجَزَالَةِ ، وَرِقَّةِ الْغَزَلِ  
وَعِلَظَةِ الْبَسَالَةِ ، وَأَطَالَ وَاسْتَطَالَ ، وَأَمِنَ السَّامَةَ وَالْكَلَالَ .

وَأَمَّا زُهَيْرٌ : فَأَيُّ زُهْرٍ بَيْنَ لَهَوَاتِ زُهَيْرٍ ، حِكْمُ فَارِسٍ ، وَمَقَامَاتُ الْفَوَارِسِ ،  
وَمَوَاعِظُ الزُّهَادِ ، وَمُعْتَبَرَاتُ الْعِبَادِ ، وَمِدَحُ تَكْسِبِ الْفَخَارِ ، وَتَبَقُّ بَقَاءِ  
الْأَعْصَارِ ، وَمُعَانَبَاتُ مَرَّةٍ تَعْسُنُ ، وَمَرَّةٍ تَخْشُنُ ، وَتَارَةً تَكُونُ هَاجُوا ،  
وَطَوْرًا تَكَادُ تَعُودُ شَكْوَى .

وَأَمَّا ابْنُ حِلْزَةِ : فَسُهَيْلُ الْحَزُونِ ، قَامَ خَطِيبًا بِالْمَوْزُونِ ، وَالْعَادَةُ أَنْ  
يَسُهِّلَ شَرْحُ الشَّعْرِ بِالنَّثَرِ ، وَهَذَا سَهِّلَ السَّهْلَ بِالْوَعْرِ ، وَذَلِكَ مِثْلُ قَوْلِهِ :  
أَبْرَمُوا أَسْرَهُمْ عِشَاءَ فَلَمَّا أَصْبَحُوا أَصْبَحَتْ لَهُمْ ضَوْضَاءُ  
مِنْ مُنَادٍ وَمِنْ مُجِيبٍ وَمِنْ تَضَهَّلِ خَيْلٍ خِلَالَ ذَاكَ رُغَاةِ  
فَلَوْ<sup>(١)</sup> اجْتَمَعَ كُلُّ خَطِيبٍ نَائِرٍ ، مِنْ أَوَّلٍ وَآخِرٍ ، يَصِفُونَ سَفَرًا نَهَضُوا

(١) فِي الْأَصْلِ : فَلَمَّا .



بالأسحار ، وعسكرًا تُفَادِي بالنُّهوضِ إلى طَلَبِ الثَّارِ ، ما زادوا على هذا إن لم يَنْقُصُوا مِنْهُ ، ولم يُقْصِرُوا عَنْهُ . وسائرُ قصيدته في هذا السُّلُكِ ؛ شِكَايَةُ وَطِلَابِ نَصْفَةِ ، وَهَيْتَابٍ فِي عِزَّةٍ وَأَنْفَةِ ، وَهُوَ مِنْ شُعْرَاءِ وَائِلٍ ، وَأَحَدُ أُسْنَةِ هَاتِيكَ الْقَبَائِلِ .

- ٥ وأما ابنُ كُلْثُومٍ : فصاحبُ وَاحِدَةٍ ، فلا زائِدَةٍ ، أنطقه بها عِزُّ الظَّفَرِ ، وَهَزَرُهُ فِيهَا جِنُّ الْأَشْرِ ، قَعَقَعَتْ رُغُودُهُ فِي أَرْجَائِهَا ، وَجَمَعَتْ رَحَاهُ فِي أَثْنَائِهَا ، وَجَعَلَتْهَا تَغْلِبُ قِبَلَتَهَا الَّتِي تُصَلِّي إِلَيْهَا ، وَمِلَّتَهَا الَّتِي تَعْتَمِدُ عَلَيْهَا ، فَلَمْ يَتْرَكُوا إِعَادَتَهَا ، وَلَا خَلَعُوا عِبَادَتَهَا ، إِلَّا بَعْدَ قَوْلِ الْقَائِلِ :

أَلْهَى بَنَى تَغْلِبٍ عَنْ كُلِّ مَكْرَمَةٍ قَصِيدَةً قَالَهَا عَمْرُو بْنُ كُلْثُومٍ

- ١٠ على أَنَّهَا مِنَ الْقَصَائِدِ الْمُحَقَّقَاتِ ، وَإِحْدَى الْمُعْلَقَاتِ .

وأما النَّابِغَةُ زِيَادُ : فأشعارُهُ الْجِيَادُ لم تَخْرُجْ عَنْ نَارِ جَوَانِحِهِ حَتَّى تَنْهَى نُضْجُهَا ، وَلَا قُطِعَتْ مِنْ مَنَوَالِ خَوَاطِرِهِ حَتَّى تَكَاثَفَ نَسْجُهَا ، لم تُهْلِكْهَا مِيعَةُ الشَّيْبِ ، وَلَا وَهَاءُ الْأَسْبَابِ ، وَلَا لُؤْمُ الْاِكْتِسَابِ ؛ فَشِعْرُهُ وَسَائِطُ سُلُوكِ ، وَتِيْجَانُ مُلُوكِ .

- ١٥ وأما النَّابِغَةُ الْجَعْدِي : فَفَنِيُّ الْكَلَامِ ، شَاعِرُ الْجَاهِلِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ ، وَاسْتَحْسَنَ شِعْرَهُ أَفْصَحُ النَّاطِقِينَ ، وَدَعَا لَهُ أَصْدَقُ الصَّادِقِينَ ؛ وَكَانَ شَاعِرًا فِي الْاِفْتِخَارِ وَالثَّنَاءِ ، قَصِيرَ الْبَاعِ ، لِشَرَفِهِ ، عَنْ تَنَاوُلِ الْمِجَاءِ . وَكَانَ مَغْلُوبًا فِيهِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، وَطَرِيدًا لَيْلَى الْأَخْيَلِيَّةِ .

- وأما الْعُشِيُّ بِأَجْمَعِهِمْ : فَكُلُّهُمْ شَاعِرٌ ، وَلَا كَيْمُونُ بْنُ قَيْسٍ ، شَاعِرُ الْمَدْحِ وَالْمِجَاءِ ، وَالْبَأْسِ وَالرَّخَاءِ ، وَالتَّصَرُّفِ فِي الْفُنُونِ ، وَالسَّعْيِ فِي الشُّهُولِ
- ٢٠



والحزُون . نَفَقَ مَدْحُهُ بَنَاتِ الْمُحَلَّقِ ، وَكَانَ فِي فَقْرِ ابْنِ الْمُذَلَّقِ ، وَأَبْكَى  
هَجْوُهُ عُلُقَمَةَ ، كَمَا تَبْكِ الْأُمَّةَ .

وَأَمَّا الْأَسْوَدُ بْنُ يَغْفَرُ : فَأَشْعَرُ النَّاسِ إِذَا نَدَبَ دَوْلَةَ زَالَتْ ، أَوْ بَكَى  
حَالَةَ حَالَتْ ، أَوْ وَصَفَ رَبْعًا خَلَا بَعْدَ عُمَرَانَ ، أَوْ دَارًا دَرَسَتْ بَدَسُكَانَ ،  
فَإِذَا سَلَكَ [ غَيْرَ ] <sup>(١)</sup> هَذِهِ السَّبِيلِ ، فَهُوَ مِنْ حَشْوِ هَذَا الْقَبِيلِ ، كَعَمْرٍو وَزَيْدٍ ،  
وَسَعِيدٍ وَسَعْدٍ .

وَأَمَّا حَسَّانُ : فَقَدْ اجْتَثَّ <sup>(٢)</sup> بَوَاكِيرَ غَسَّانَ ، ثُمَّ جَاءَ الْإِسْلَامَ ، وَانْكَشَفَ  
الْإِظْلَامَ ، فَجَاحَشَ عَنِ الدِّينِ ، وَنَاضَلَ عَنْ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ ، فَشَعَرَ وَزَادَ ، وَحَسَّنَ  
وَأَجَادَ ، إِلَّا أَنَّ الْفَضْلَ فِي ذَلِكَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ، وَتَسْدِيدِ الرُّوحِ الْأَمِينِ .  
وَأَمَّا دُرَيْدُ بْنُ الصَّمَّةِ : فَصِمَّةٌ صِمَمَ ، وَشَاعِرُ جُشَمَ ، وَغَزَلُ <sup>(٣)</sup> هَرَمَ ، وَأَوَّلُ  
مَنْ تَغَزَّلَ فِي رِثَاءِ ، وَهَزَلَ فِي حُزْنٍ وَبُكَاءِ ، فَقَالَ فِي مَعْبَدٍ أَخِيهِ ؛ قَصِيدَتَهُ  
الْمَشْهُورَةَ يَرْتِيهِ :

« أَرَثَ جَدِيدُ الْحَبْلِ مِنْ أُمِّ مَعْبَدٍ »

وَهِيَ مِنْ شَاجِيَّاتِ النَّوَائِحِ ، وَبَاقِيَّاتِ الْمَدَائِحِ .

وَأَمَّا الرَّاعِي عُبَيْدُ : فَجَبِلَ عَلَى وَصْفِ الْإِبِلِ ، فَصَارَ بِالرَّاعِي يُعْرِفُ ،  
وَنُسِيَ مَالَهُ مِنَ الشَّرَفِ .

وَأَمَّا زَيْدُ الْخَيْلِ : فَخَطِيبٌ سَجَّاعَةٌ ، وَفَارِسٌ شُجَّاعَةٌ ، مَشْفُوعٌ بِذَلِكَ ،  
عَمَّا سِوَاهُ مِنَ الْمَسَالِكِ .

وَأَمَّا عَامِرُ بْنُ الطَّقَمِيلِ : فَشَاعِرُهُمْ فِي الْفَخَارِ ، وَفِي حَيَاةِ الْجَارِ ، وَأَوْصَفَهُمْ  
لِكَرِيمَةٍ ، وَأَنْعَمَهُمْ لِحَمِيدٍ شِيمَةٍ .

(٢) كَذَا وَلَعَلَّهَا : اجْتَنَى .

(١) هَذِهِ الزِّيَادَةُ تَقْتَضِيهَا صِحَّةُ السِّيَاقِ

(٣) فِي الْأَصْلِ : غَزَلَ .

وأما ابن مُقْبِل : فَقَدِيمُ شِعْرُهُ ، وَصَلِيبُ نَجْرُهُ ، وَمُغْلَى مَدْحُهُ ،  
وَمُغْلَى قَدْحُهُ .

وأما جَرْوَل : فَخَبِيثُ هِجَاؤُهُ ، شَرِيفُ ثَنَاؤُهُ ، صَحِيحُ بِنَاؤُهُ ، رَفَعَ  
شِعْرُهُ مِنَ الثَّرَى ، وَحَطَّ مِنَ الثَّرِيَّا ، وَأَعَادَ بِلَطَافَةِ فِكْرِهِ ، وَمَتَانَةَ شِعْرِهِ ،  
قَبِيحَ الْأَلْقَابِ ، فَخَرًّا يَبْقَى عَلَى الْأَحْقَابِ ، وَيُتَوَارَثُ فِي الْأَعْقَابِ .

وأما أَبُو ذُوَيْب : فَشَدِيدُ أَسْرِ الشَّعْرِ حَكِيمُهُ ، شَفْلُهُ فِيهِ التَّجْرِبُ  
حَدِيثُهُ وَقَدِيمُهُ ، وَلَهُ الْمَرَثِيَّةُ النَّقِيَّةُ السَّبْكُ ، الْمَتِينَةُ الْحَبْكُ ، بَكَى فِيهَا بَنِيهِ<sup>(١)</sup>  
السَّبْعَةَ ، وَوَصَفَ الْحِمَارَ فَطَوَّلَ ، وَهِيَ الَّتِي أَوْهَاهَا :

« أَمِنَ الْمُنُونِ وَرَيْبِهِ تَتَوَجَّعُ »

وأما الْأَخْطَلُ : فَسَعْدٌ مِنْ سَعُودِ بَنِي مَرْوَانَ ، صَفَتْ لَهُمُ مِرَاةُ فِكْرِهِ ،  
وظَفِرُوا بِالْبَدِيعِ مِنْ شِعْرِهِ ، وَكَانَ بَاقِعَةً مَنْ هَاجَاهُ ، وَصَاعِقَةً مَنْ حَاجَاهُ<sup>(٢)</sup> .

وأما الدَّارِمِيُّ هَمَامٌ : فَجَوْهَرُ كَلَامِهِ ، وَأَغْرَاضُ سَهَامِهِ ، إِذَا افْتَخَرَ بِمَا لَكَ  
ابْنِ حَنْظَلَةَ ، وَبِدَارِمٍ<sup>(٣)</sup> فِي شَرَفِ الْمَنْزِلَةِ ، وَأَطْوَلُ مَا يَكُونُ مَدًى إِذَا تَطَاوَلَ  
اِخْتِيَالُ<sup>(٤)</sup> جَرِيرٍ عَلَيْهِ بِقَلِيلِهِ عَلَى كَثِيرِهِ ، وَبَصَغِيرِهِ عَلَى كَبِيرِهِ ، فَإِنَّهُ يُصَادِمُهُ  
حِينَئِذٍ بِبَحْرِ مَادٍّ ، وَيُقَاوِمُهُ بِسَيْفٍ حَادٍّ .

وأما ابْنُ الْخَطَفِيِّ : فَزُهْدٌ فِي غَزَلٍ ، وَحِجْرٌ فِي جَذَلٍ<sup>(٥)</sup> ، يَسْبَحُ أَوَّلًا فِي مَاءِ  
عَذْبٍ ، وَيَطِيحُ آخِرًا فِي صَخْرٍ صُلْبٍ . كَلْبٌ مُنَابِحَةٌ ، وَكَبْشٌ مُنَاطِحَةٌ ،  
لَا تَقُلْ غَرْبَ لِسَانِهِ مُطَاوَلَةَ الْكِفَاحِ ، وَلَا تُدْمِي هَادِيَهُ مُدَاوَمَةَ النَّطَاحِ ،

(١) فِي الْأَصْلِ : بَنُوهُ (٢) فِي الْأَصْلِ مَا جَاهُ .

(٣) رَسَمَهَا فِي الْأَصْلِ : بِدَوَامٍ .

(٤) فِي الْأَصْلِ : اخْتِيَارٌ ، وَلَعَلَّ الصُّوَابَ مَا أَثْبَتْنَاهُ .

(٥) رَسَمَ الْكَلِمَةَ حَذَلَ ، وَلَعَلَّهَا مَا أَثْبَتْنَاهُ .



جَارَى السَّوَابِقَ بِمَطِيَّةٍ ، وَفَاخَرَ غَالِبًا بِعَطِيَّةٍ ، وَبَلَغَتْهُ بِلَاغَتُهُ إِلَى الْمُسَاوَاةِ ،  
وَحَمَلَتْهُ جُرَّاتُهُ عَلَى الْمُجَارَاةِ<sup>(١)</sup> . وَالنَّاسُ فِيهِمَا فَرِيقَانِ ، وَبَيْنَهُمَا عِنْدَ قَوْمٍ فَرْقَانِ .  
وَأَمَّا الْقَيْسَانِ وَطَبَقَتُهُمَا : فَطَبَقَةُ عَشِيقَةٍ تَوَقَّةٌ ، اسْتَحْوَذَتْ الصَّبَابَةَ عَلَى  
أَفْكَارِهِمْ ، وَاسْتَفْرَغَتْ دَوَاعِيَ الْحُبِّ مَعَانِيَ أَشْعَارِهِمْ : فَكُلُّهُمْ مَشْغُولٌ بِهَوَاهُ ،  
لَا يَتَعَدَّاهُ إِلَى سِوَاهُ .

وَأَمَّا كَثِيرٌ : فَحَسَنُ النَّسِيبِ فَصِيحُهُ ، أَطِيفُ الْعِتَابِ مَلِيحُهُ ، شَجِيءُ  
الْإِغْتِرَابِ قَرِيحُهُ ؛ جَامِعٌ إِلَى ذَلِكَ رَفَائِقُ الظُّرَفَاءِ ، وَجَزَالَةُ مِدَحِ الْخُلَفَاءِ .  
وَأَمَّا الْكُمَيْتُ وَالرَّمَّاحُ ، وَنُصَيْبُ وَالطَّرِمَّاحُ ، فَشُعْرَاءُ مُعَاَصِرَةِ ،  
وَمُنَاقِضَاتٍ وَمُفَاخِرَةِ ، فَنُصَيْبُ أَمَدَحُ الْقَوْمِ ، وَالطَّرِمَّاحُ أَهْجَاهُمْ ؛ وَالرَّمَّاحُ  
أَنَسِبُهُمْ نَسِيبًا ، وَالْكُمَيْتُ أَمَشَهُمْ تَشْبِيهًا .

وَأَمَّا بَشَّارُ بْنُ بُرْدٍ : فَأَوَّلُ الْمُحَدِّثِينَ ؛ وَآخِرُ<sup>(٢)</sup> الْمُخَضَّرِمِينَ ؛ وَمِمَّنْ  
لَحِقَ الدَّوْلَتَيْنِ ، عَاشِقُ سَمْعٍ ، وَشَاعِرُ جَمْعٍ ، شِعْرُهُ يَنْفُقُ عِنْدَ رَبَّاتِ الْحِجَالِ ،  
وَعِنْدَ فُحُولِ الرُّجَالِ ، فَهُوَ يَلِينُ حَتَّى يَسْتَعْطِفَ ، وَيَقْوَى حَتَّى يَسْتَكْثِفَ<sup>(٣)</sup> ،  
وَقَدْ طَالَ عُمرُهُ ، وَكَثُرَ شِعْرُهُ ، وَطَمَأَ بِحَمْرِهِ ، وَنَقَبَ فِي الْبِلَادِ ذِكْرُهُ .

وَأَمَّا ابْنُ أَبِي حَفْصَةَ ، فَمِنْ شُعْرَاءِ الدَّوْلَتَيْنِ ، وَمِمَّنْ حَظِيَ بِالنِّعْمَتَيْنِ ،  
وَوَصَلَ إِلَى الْغِنَى بِالصِّلَتَيْنِ ، وَكَانَ دَرَبَ الْمِعْوَلِ ، ذَرِبَ الْمِقْوَلِ ، وَالِدَ شُعْرَاءَ ،  
وَمُنْجِبَ فُصَحَاءَ .

وَأَمَّا أَبُو نُوَّاسٍ : فَأَوَّلُ النَّاسِ فِي خَرْمِ الْقِيَّاسِ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ تَرَكَ السَّيْرَةَ  
الْأُولَى ، وَنَسَكَبَ عَنِ الطَّرِيقَةِ الْمُثْلَى ، وَجَعَلَ الْجِدَّ هَزْلًا ، وَالصَّغْبَ سَهْلًا ،

(١) فِي الْأَصْلِ . الْمُجَارَاةُ

(٢) فِي الْأَصْلِ : وَأَحَدُ

(٣) فِي الْأَصْلِ : يَنْكَسِفُ ، وَالتَّصْبِيحُ عَنْ نَشْرَةِ الْخَانِجِيِّ .



فَهَلْهَلِ الْمُسَرَّدُ ، وَبَلْبَلِ الْمُنْضَدُ ، وَخَلْخَلَ الْمُنْجَدُ ؛ وَتَرَكَ الدَّعَائِمُ ، وَبَنَى عَلَى  
 الطَّامِي وَالْعَائِمِ<sup>(١)</sup> ، وَصَادَفَ الْأَفْهَامَ قَدْ نَكَلَتْ ، وَأَسْبَابَ الْعَرَبِيَّةِ قَدْ تَخَلَّخَلَتْ  
 وَانْحَلَّتْ ، وَالْفَصَاحَاتِ الصَّحِيحَةِ قَدْ سُمْتُ وَمُلَّتْ ، فَمَالَ النَّاسُ إِلَى مَا عَرَفُوهُ ،  
 وَعَلِقَتْ نَفُوسُهُمْ بِمَا أَلْفَوْهُ . فَتَهَادَوْا شِعْرَهُ ، وَأَغْلَوْا سِعْرَهُ ، وَشَغَفُوا بِأَسْخَفِهِ ،  
 وَكَلَفُوا بِأَضْعَفِهِ . وَكَانَ سَاعِدُهُ أَقْوَى ، وَسِرَاجُهُ أَضْوَى ، لَسَكَنَهُ عَرْضَ  
 الْأَنْفَقِ ، وَأَهْدَى الْأَوْفَقِ ، وَخَالَفَ فَشْهَرَ وَعُزِفَ ، وَأَغْرَبَ<sup>(٢)</sup> فَذَكَرَ  
 وَاسْتَطَرَفَ . وَالْعَوَامُّ تَخْتَارُ هَذِهِ الْأَعْلَاقَ ، وَأَسْوَاقُهُمْ أَوْسَعُ الْأَسْوَاقِ ، فَشِعْرُ  
 أَبِي نُوَّاسٍ ، نَافِقٌ عِنْدَ هَذِهِ الْأَجْنَاسِ ، كَاسِدٌ عِنْدَ أَنْقَدِ النَّاسِ . وَقَدْ فَطِنَ إِلَى  
 اسْتِزْعَافِهِ ، وَخَافَ مِنْ اسْتِخْفَافِهِ ، فَاسْتَدْرَكَ بِفَصِيحِ طَرْدِهِ ،<sup>(٣)</sup> طَرَفًا [ مِنْ ]  
 جَذِّ اللِّسَانِ الْأَوَّلِ وَجَدَدِهِ<sup>(٤)</sup> . وَهُوَ مَجْدُودٌ فِي كَثْرَةِ التَّظَاهُرِ ، عَلَى مَنْ غَضَّ مِنْهُ  
 بِالْحَقِّ الظَّاهِرِ ، لَيْسَ إِلَّا لَخْفَةِ رُوحِ الْمَجُونِ ، وَسُهُولَةِ الْكَلَامِ الضَّعِيفِ  
 الْمَلْحُونِ ، عَلَى جُمْهُورِ الْعَوَامِ ، لَا عَلَى خِصَائِصِ الْأَنَامِ .

وَأَمَّا صَرِيحٌ : فَكَلَامُهُ مُرْصَعٌ ، وَنِظَامُهُ مُصَنَّعٌ ؛ وَجُمْلَةُ شِعْرِهِ صَحِيحَةٌ  
 الْأَصُولُ ، مُصَنَّعَةُ الْفُصُولِ ، قَلِيلَةُ الْفُضُولِ .

وَأَمَّا الْعَبَّاسُ بْنُ الْأَحْنَفِ فَمُعْتَزِلٌ بِهَوَاهُ ، وَبِمُعْزِلِ عَمَّا سِوَاهُ . رَفَعَ نَفْسَهُ  
 عَنِ الْمَدْحِ وَالْمِجَازِ ، وَوَضَعَهَا بَيْنَ يَدَيْ هَوَاهُ مِنَ الذَّنَاءِ . قَدْ رَقَّقَ الشَّغْفُ  
 كَلَامَهُ ، وَثَقَّقَتْ قُوَّةُ الطَّبْعِ نِظَامَهُ ، فَلَهُ رِقَّةُ الْعُشَّاقِ ، وَحَوْلُكُ الْحُذَّاقِ .  
 وَأَمَّا دُعْبِلُ : فَمُذَبَّرٌ مُقْبِلٌ ، الْيَوْمَ مَذْحٌ ، وَغَدًا قَذْحٌ ، يُجِيدُ فِي

(١) فِي الْأَصْلِ : وَالْقَائِمُ . (٢) فِي الْأَصْلِ : فَأَعْرَبَ .

(٣-٣) رَسَمَ هَذِهِ الْعِبَارَةَ فِي الْأَصْلِ : طَرَفًا حَدَّ اللِّسَانِ وَحَدَهُ ، وَفِي رِسَائِلِ الْبُلْغَاءِ

« حُدُودُهُ » بَدَلَ « حَدَهُ » ، وَفِي نَشْرَةِ الْخَانِجِيِّ : طَرَفًا جَذَّ اللِّسَانِ الْأَوَّلِ وَحَدَهُ .



الطريقتين ، ويسمى في الخليقتين ، وله أشعار في العصبية . وكان شاعراً علماء ، وعالم شعراء .

وأما علي بن الجهم : فرشيق الفهم ، راشيق السهم ، استوصل شعره الشرفاء ، ونادم الخلفاء ، وله في الغزل الرصافية ، وفي العتاب الدالية ، ولولم يكن له سواهما ، لكان أشعر الناس بهما .

وأما الطائي حبيب : فمتكلف إلا أنه يصيب ، ومتعب لكن له من الراحة نصيب . وشغله المطابقة والتجنيس ، جيد ذلك أو بيس ، جزل المعاني ، مرصوص المباني <sup>(١)</sup> . مدحه ورنائوه ، لا غزله وهجائوه ، طرفاً نقيض ، وخطباً <sup>(٢)</sup> سماء وحضيض . وفي شعره علم جم من النسب ، وجمله وافية من أيتام العرب . وطارت له أمثال ، وحفظت له أقوال ، وديوانه مرقوم ، وشعره متلو .

قال ابن بسام : أما صفة هذه لأبي تمام : فصفة لم يثن عطفها حمية ، ولا تعلقت بذيلها عصبية ، حتى لو سمعها حبيب لاتخذها قبلة ، واعتمدها ملة . فما آلم <sup>(٣)</sup> من أدب وإن أوجع ، ولا سب من صدق وإن أقذع .

رجع .

وأما البحتري : فلفظه ملاء شجاج ، ودُرُّ رَجَرَج ، ومعناه سراج وهاج ، على أهدي منهاج . يسبقه شعره ، إلى ما يجيش به صدره ، يُسرُّ مُراد ، ولين قياد . إن شربته أرواك ، وإن قدحتَه أوزاك . طبع لا تكلف يُعِيهِ <sup>(٤)</sup> ، ولا العناد يثنيه ، لا يمل كثيره ، ولا يستكف غزيره ، لم يهف أيتام الحلم ، ولم يصف زمن الهرم .

(١) في الأصل : « الهاني » . (٢) في الأصل : خطبا .

(٣) في الأصل : ألام ، وفي رسائل البلغاء والحنجى : لام . (٤) في الأصل : يعثيه



وَأَمَّا ابْنُ الْمُعْتَزِّ : فَلِكُ النَّظَامِ ، كَمَا هُوَ مَلِكُ الْأَنَامِ ، لَهُ التَّشْبِيهَاتُ الْمَثَلِيَّةُ ،  
وَالِاسْتِعَارَاتُ الشَّكْلِيَّةُ ، وَالْإِشَارَاتُ السَّحَرِيَّةُ ، وَالْعِبَارَاتُ الْجَهْرِيَّةُ ،  
وَالْتَّصَارِفُ الصَّنُوفِيَّةُ ، وَالطَّرَائِقُ الْفَنُونِيَّةُ ، وَالِافْتِخَارَاتُ الْمُلُوكِيَّةُ ، وَالْهِمَمَاتُ  
الْعُلُويَّةُ ؛ وَالْغَزَلُ الرَّائِقُ ، وَالْعِتَابُ الشَّائِقُ ، وَوَصَفُ الْحُسْنِ الْفَائِقُ .

وَحَيْرُ الشُّعْرِ أَكْرَمُهُ رِجَالًا وَشَرُّ الشُّعْرِ مَا قَالِ الْعَبِيدُ ٥

وَأَمَّا ابْنُ الرَّوْمِيِّ : فَشَجَرَةُ الْاِخْتِرَاعِ ، وَثَمَرَةُ الْاِبْتِدَاعِ . وَلَهُ فِي الْهِجَاءِ ،  
مَا لَيْسَ لَهُ فِي الْإِطْرَاءِ ، فَتَحَّ فِيهِ أَبْوَابُ ، وَوَصَلَ فِيهِ أَسْبَابُ ، وَخَلَعَ مِنْهُ أَثْوَابُ ،  
وَطَوَّقَ فِيهِ رِقَابُ ، تَبَقَّى أَعْمَارًا وَأَحْقَابُ ، يَطُولُ عَلَيْهَا حِسَابُ ، وَيُمْنَحَقُ بِهَا  
ثَوَابُ . وَلَقَدْ كَانَ وَاسِعَ الْعَطَنِ ، لَطِيفَ الْفِطَنِ ، إِلَّا أَنَّ الْغَالِبَ عَلَيْهِ ضَعْفُ  
الْمَرِيرَةِ وَقُوَّةُ الْمِرَّةِ .

وَأَمَّا كُشَاجِمُ : فَحَكِيمٌ شَاعِرٌ ، وَكَاتِبٌ مَاهِرٌ ، لَهُ فِي التَّشْبِيهَاتِ غَرَائِبُ ،  
وَفِي التَّأَلِيفَاتِ عَجَائِبُ ، يُجِيدُ الْوَصْفَ وَيُحَقِّقُهُ ، وَيَسْبِكُ الْمَعْنَى فَيُرَقِّقُهُ وَيُرَوِّقُهُ .

وَأَمَّا الصَّنُوبَرِيُّ : فَفَصِيحُ الْكَلَامِ غَرِيبُهُ ، مَلِيحُ التَّشْبِيهِ عَجِيبُهُ ،  
مُسْتَعْمِلُ لَشَوَازِ الْقَوَافِي ، يَغْسِلُ كُدْرَتَهَا بِمِيَاهِ فَهْمِهِ الصَّوَافِي . فَيَجِلُّ

وَيَدِيقُ ، وَيَعْذِبُ وَيَرِيقُ . وَهُوَ وَحِيدُ جِنْسِهِ فِي صِفَةِ الْأَزْهَارِ ، وَأَنْوَاعِ  
الْأَنْوَارِ . وَكَانَ فِي بَعْضِ أَشْعَارِهِ يَتَخَالَعُ ، وَفِي بَعْضِهَا يَتَشَاجَعُ . وَقَدْ مَدَحَ وَهَجَا ،

وَسَرَّ وَشَجَا ، وَأَعْجَبَ شِعْرُهُ وَأَطْرَبَ ، وَشَرَّقَ وَغَرَّبَ . وَمَدَحَ مِنْ أَهْلِ  
إِفْرِيقِيَّةِ أَمِيرَ الزَّابِ جَعْفَرَ بْنَ عَلِيٍّ ، مُنْفَقَ سِلْعِ الْأَدَبِ ، فَوَصَلَهُ بِأَلْفِ دِينَارٍ .

وَأَمَّا الْخُبَزَرُزِّيُّ : فَخَلِيعُ الشُّعْرِ مَا جِنَهُ ، رَائِقُ اللَّفْظِ بَائِنُهُ ، كَثِيرَةُ

مَحَاسِنُهُ ، صَحِيحَةُ أَصُولِهِ وَمَعَادِنُهُ ، رَائِقَةُ الْبَزَةِ ، مَائِلَةٌ <sup>(١)</sup> إِلَى الْعِزَّةِ ، تُسَلِّيهِ عَنْ

(١) غير موجودة بالأصل وهي في الرسائل والخانجي .



الحبِّ الخيانة ، ويرُبُّه<sup>(١)</sup> الوفاء والصيانة . وله على خُسُونَةِ خَلْقِهِ ، وصُعُوبَةِ خَلْقِهِ ، اختراعاتٌ لطيفة ، وابتداعاتٌ طريفة ، في ألفاظٍ كثيفة ، وفُصُولٍ قليلةُ الفُصُولِ نَظِيفَةٌ<sup>(٢)</sup> . حتَّى إنَّ بعضَ كُتُبِ الشُّعْرَاءِ اِهْتَدَمَ أَشْيَاءٌ مِنْ مَبَانِيهِ ، واهْتَضَمَ طَرَفًا<sup>(٣)</sup> مِنْ مَعَانِيهِ ، وهو مِنْ مُعَاَصِرِيهِ ، فَقَلَّ مَنْ فَطِنَ لِعَرَامِيهِ .

وأما أَبُو فِرَاسٍ بْنُ حَمْدَانَ : ففَارِسُ هَذَا الْمِيدَانِ ، إِنْ شئتَ ضَرْبًا وَطَعْنَا ، وَلَفْظًا وَمَعْنَى ، مَلَكٌ زَمَانًا ، وَمُلْكٌ أَوَانًا ، أَشْعَرُ النَّاسِ فِي الْمَمْلَكَةِ ، وَأَشْعَرُهُمْ فِي ذُلِّ الْمَلَكَةِ<sup>(٤)</sup> . وله الْفَخْرِيَّاتُ الَّتِي لَا تُعَارِضُ ، وَالْأَسْرِيَّاتُ الَّتِي لَا تُتَنَاهَضُ .

وأما الْمُتَنَبِّيُّ : فَقَدْ شَغِلَتْ بِهِ الْأَلْسُنُ ، وَسَهَرَتْ فِي أَشْعَارِهِ الْأَعْيُنُ ، وَكَثُرَ النَّاسِخُ لِشِعْرِهِ ، وَالْأَخِذُ لِدِكْرِهِ ، وَالْغَائِصُ فِي بَحْرِهِ ، وَالْمُفْتَشُّ فِي قَعْرِهِ ، عَنْ جَمَانِهِ وَدُرِّهِ . وَقَدْ طَالَ فِيهِ الْخُلْفُ ، وَكَثُرَ عَنْهُ الْكُشْفُ ، وَلَهُ شَيْعَةٌ تُغْلُو

فِي مَدْحِهِ ، وَعَلَيْهِ خَوَارِجُ تَتَغَايَا فِي جَرِّهِ . وَالَّذِي أَقُولُ إِنَّ لَهُ حَسَنَاتٍ وَسَيِّئَاتٍ ، وَحَسَنَاتُهُ أَكْثَرُ عَدَدًا ، وَأَقْوَى مَدَدًا . وَغَرَائِبُهُ طَائِرَةٌ ، وَأَمْثَالُهُ سَائِرَةٌ ، وَعِلْمُهُ فَسِيحٌ ، وَمِيزُهُ صَحِيحٌ ، يَرُومُ فَيَقْدِرُ ، وَيَدْرِي مَا يُورِدُ وَيُضِدِرُ .

وأما ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ الْقُرْطُبِيُّ : وَإِنْ بَعُدَتْ عَنَّا دِيَارُهُ ، فَقَدْ صَاقَبْتَنَا أَشْعَارُهُ ، وَوَقَفْنَا عَلَى أَشْعَارِ صَبُوتِهِ الْأَنِيقَةِ ، وَمُكْفَرَاتِ<sup>(٥)</sup> تَوْبَتِهِ الصَّدُوقَةِ ، وَمَدَائِحِهِ

الْمَرْوَانِيَّةِ ، وَمَطَاعِنِهِ فِي الْعَبَّاسِيَّةِ . وَهُوَ فِي كُلِّ ذَلِكَ فَارِسٌ مُمَارِسٌ ، وَطَاعِنٌ مُدَاعِسٌ . وَأَطْلَعْنَا فِي شِعْرِهِ عَلَى عِلْمٍ وَاسِعٍ ، وَمَادَّةٍ فَهْمٍ مُضِيءٍ نَاصِعٍ . وَمِنْ تِلْكَ الْجَوَاهِرِ نَظْمَ عِقْدِهِ ، وَتَرَكَهُ لِمَنْ تَجَمَّلَ بَعْدَهُ .

وأما ابْنُ هَانِيٍّ مُحَمَّدُ الْأَنْدَلُسِيُّ وَلَادَةُ ، الْقَيْرَوَانِيُّ وَفَادَةُ وَإِفَادَةُ :

(١) فِي الْأَصْلِ : يَرْبُّهُ . (٢) فِي الْأَصْلِ : نَضِيفَةٌ .

(٣) فِي الْأَصْلِ : نَطْرَفًا . (٤) فِي الْأَصْلِ : الْمَلِكُ .

(٥) فِي الْأَصْلِ : تَكْفِرَاتُ ، وَفِي النُّسخَتَيْنِ السَّابِقَتَيْنِ الذِّكْرُ : تَكْفِيرَاتُ .



فرَعْدِيَّ الكلام ، سَرْدِيَّ النِّظَام ، إِلَّا أَنَّهُ إِذَا ظَهَرَتْ مَعَانِيهِ ، فِي جَزَالَةِ مَبَانِيهِ ، رَمَى عَنْ مَنَاجِنِيْق ، يُؤَثَّرُ فِي التَّمِيْق . وَلَهُ غَزَلٌ قَفَرِيٌّ لَا عُذْرِيٌّ ، لَا يَقْنَعُ فِيهِ بِالطَّيْف ، وَلَا يَشْفَعُ بِغَيْرِ السَّيْف . وَقَدْ نَوَّهَ بِهِ مَلَأُ الزَّأَب ، وَعَظَّمَ شَأْنَهُ بِأَجْزَلِ الثَّوَاب ، وَكَانَ سَيْفَ دَوْلَتِهِ ، فِي إِعْلَاءِ مَنَزَلَتِهِ . مِنْ رَجُلٍ يَسْتَعِينُ عَلَى صَلَاحِ دُنْيَاهُ بِفَسَادِ أُخْرَاهُ ، لِرَدَاءَةِ عَقْلِهِ ، وَرِقَّةِ دِينِهِ ، وَضَعْفِ يَقِيْنِهِ ، وَلَوْ عَقَلَ لَمْ تَضِقْ عَلَيْهِ مَعَانِي الشُّعْرِ ، حَتَّى يَسْتَعِينَ عَلَيْهَا بِالْكَفْرِ .

وَأَمَّا الْقَسْطَلِيُّ : فَشَاعِرٌ مَاهِرٌ عَالِمٌ بِمَا يَقُول ، تَشْهَدُ لَهُ الْعُقُول ، بِأَنَّهُ الْمُوَخَّرُ بِالْعَصْرِ ، الْمُتَقَدِّمُ فِي الشُّعْرِ . حَازِقٌ بِوَضْعِ الْكَلَامِ فِي مَوَاضِعِهِ ، لَا مِثْلًا إِذَا ذَكَرَ مَا أَصَابَهُ فِي الْفِتْنَةِ ، وَشَكَاهُ مَا دَهَاهُ فِي أَيَّامِ الْمِحْنَةِ . وَبِالْجُمْلَةِ فَهُوَ أَشْعَرُ أَهْلِ مَغْرِبِهِ ، فِي أَعْدِ الزَّمَانِ وَأَقْرَبِهِ .

وَأَمَّا عَلِيُّ الثُّونَسِيُّ : فَشِعْرُهُ الْمَوْرِدُ <sup>(١)</sup> الْعَذْبُ ، وَلَفْظُهُ اللَّوْلُؤُ الرَّطْبُ ، وَهُوَ يُحْتَرَى الْغَرْبُ . يَصِفُ الْحَمَامَ ، فَيَرَوْقُ الْأَنَامَ ، وَيُسَبِّبُ ، فَيُعَشِّقُ وَيُحِبُّ ، وَيَمْدَحُ ، فَيَمْنَحُ <sup>(٢)</sup> أَكْثَرَ مِمَّا يُمْنَحُ .

هَذَا مَا عِنْدِي فِي الْمُتَقَدِّمِينَ وَالْمُتَأَخِّرِينَ ، عَلَى احْتِقَارِ الْمُعَاصِرِ ، وَاسْتِصْغَارِ الْمُجَاوِرِ ، فَخَاشَ لِلَّهِ مِنَ الْإِنْصَافِ <sup>(٣)</sup> بِقَلَّةِ الْإِنْصَافِ ، لِلْبَعِيدِ وَالْقَرِيبِ ، وَالْعَدُوِّ وَالْحَبِيبِ .

قُلْتُ يَا أَبَا الرَّيَّانِ ، وَقِيَمْتَ مَرُورَ الْحَدَثَانِ ، فَلَقَدْ سُبِّكَتَ فَهَمَا ، وَحُشِيَتَ عِلْمَا .

### مَقَامَةٌ لَهُ أُخْرَى

حَدَّثَنِي الْجُرْجَانِيُّ قَالَ : كَانَ فَتًى بُجْرَجَانَ مِنْ أَبْنَاءِ الْأَقْيَالِ ، قَدْ جَمَعَ إِلَى النَّهَائَةِ فِي الْمَالِ الْغَايَةَ فِي الْجَمَالِ . وَكَانَ مَالِفًا لِلْأَدْبَاءِ ، وَمَأْوًى لِلْغُرَبَاءِ ، وَرِزْقًا

(١) فِي الْأَصْلِ : الْمَوْرُود (٢) فِي الْأَصْلِ : فَنَمْنَحُ (٣) فِي الْأَصْلِ : الْأَوْصَافُ



للفُقراء ، فلا يَخْلُو مَنْزِلُهُ مِنْ أَهْلِ الإِعْدَامِ . فَإِنِّي لَعِنْدَهُ فِي بَعْضِ اللَّيَالِي إِذْ اسْتُؤْذِنَ عَلَيْهِ لِضَرِيرٍ فَقِيرٍ فَأَمَرَ بِأَكْرَامِهِ وَإِطْعَامِهِ . فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ شَانِهِ ، اسْتَدْعَاهُ إِلَى إِيوانِهِ ؛ فَدْخَلَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَيْخٌ وَافِرُ السَّبَالِ ، قَدَّعَمَهُ الْبَيَاضُ بِالْكَمَلِ ، مَطْمُوسُ الْعَيْنَيْنِ ، مُسْتَرْخِي الْحَاجِبَيْنِ ، قَدْ صَلَّعَتْ هَامَتُهُ ، وَرَكَعَتْ قَامَتُهُ ، وَقَصُرَتْ مَسَافَةُ خُطَاهُ ، وَثَقُلَ جِسْمُهُ عَلَى عَصَاهُ . فَسَلَّمَ بِصَوْتٍ ضَعِيفٍ ، وَدَعَا بِلِسَانٍ ثَقِيلٍ . وَأَقْبَلَ يَذْكُرُ شَبَابَهُ ، وَيَتَذَكَّرُ أَحْبَابَهُ ، وَيَنْوَحُ عَلَى سَالِفِ زَمَانِهِ ، وَيَنْدُبُ ثِقَاتِ إِخْوَانِهِ . فَرَقَّ لَهُ الْفَتَى فَأَدْنَاهُ ، حَتَّى أَجْلَسَهُ عَلَى يُمْنَاهُ ، وَصَبَّرَهُ وَسَلَّاهُ . ثُمَّ سَمَرْنَا إِلَى وَقْتِ النَّوْمِ ، فَرَقَدَ سَائِرُ الْقَوْمِ ، وَنَامَ الْفَتَى فِي مَكَانِهِ ، مُرَاعَاةً لِحَقِّ ضَيْفَانِهِ . وَكَنتُ أَدْنَى مِنَ الْفَتَى مَرَقْدًا ، كَمَا كُنْتُ أَدْنَى مِنْهُ مَقْعَدًا ، وَلِي عَيْنٌ أُخْفُ الْعُيُونِ هَجْمَةً ، وَأَقْرَبُهَا إِلَى الْإِنْتِبَاهِ رَجْعَةً . فَأَيَقَظَتْنِي نَهْرَةٌ لَمْ أَكُنْ عَهْدْتُ مِنْ الْفَتَى مِثْلَهَا ، وَلَا أَجْرَاهَا مَعَ ضَيْفٍ قَبْلَهَا . فَعَجِبْتُ مِنْ خَرْقِ الْعَادَةِ ، وَأَصْغَيْتُ أَلْتَمِسُ [ الْإِفَادَةَ ] . فَسَمِعْتُ الْأَعْمَى يَقُولُ : يَا سَيِّدِي أَنَا صَرُورَةٌ ، وَتَمَّ صَرُورَةٌ ، وَقَدْ طَالَتِ الْعُرْبَةُ ، وَاضْطَرَّتْنِي الْعُرْبَةُ . فَقَالَ لَهُ الْفَتَى : فَمَا وَجَدْتَ لَصَرُورَتِكَ سِوَايَ ، وَلَا لِعُرْبَتِكَ حَاشَايَ ؟ قَالَ لَهُ : فَإِنْ أُبَيَّتَ إِلَّا أَنْ تَمْنَعَ ، فَدَلَّنِي عَلَى مَا أَصْنَعُ . قَالَ لَهُ الْفَتَى : أَرَى لَكَ أَنْ تَتَسَرَّيَ . قَالَ : وَمَنْ لِلصُّعْلُوكِ بِالْمَمْلُوكِ ؟ قَالَ : فَتَتَزَوَّجَ . قَالَ : وَالْمُخَوِّجُ كَيْفَ يَتَزَوَّجُ ؟ قَالَ لَهُ الْفَتَى : فَإِنَّكَ لَوْ خَضَخَضْتَ ، لَكَانَ أَشْبَهَ مِمَّا إِلَيْهِ تَعَرَّضْتَ . قَالَ الْأَعْمَى : وَاللَّهِ يَا مَوْلَايَ لَا يَسْمَعُهُ خُفِّي ، فَكَيْفَ كَفِّي ؟ فَصَاحَ الْفَتَى : السَّلَاحُ السَّلَاحُ : « أَلَا أَيُّهَا النَّوَامُ وَيَحْكُمُ هُبُّوَا » قَالَ الْجُرْجَانِيُّ فَقُلْتُ : « فَلِلشَيْخِ زُبٌّ لَيْسَ يُشَبِّهُ زُبَّ » . فَقَالَ الْفَتَى : أَسَمِعْتَ الْعَجَبَ الْعَجَابَ ؟ قُلْتُ نَعَمْ ، وَحَفِظْتُ الْعِتَابَ . وَجَعَلْتُ أَقُولُ : مَا سَأَلَكَ الشَّيْخُ فِي عَسِيرٍ ، وَلَا حَمَلًا عَلَى خَطِيرٍ ، فَهَلَّا قَضَيْتَهُ فَأَرْضَيْتَهُ ! ؟

٥

١٠

١٥

٢٠



قال : فحسب الأعمى كلامي ردًا ، وظنّه جدًا ، فقال : فديتُك أيُّها الناصِر ،  
حينَ خَذَلَنِي الأَواصِر ، واحتَقَدَنِي المُعاصِر ، ثم تَنَهَّدَ وقال : آه واهرَمَاه ! بَقِينَا  
حَتَّى شَقِينَا ، آه . طاحَ أَهْلُ البَذْلِ والسَّمَّاح ، وَبَقِيَ أَهْلُ البُخْلِ والجِمَّاح .  
أَنْظِرْ أَيُّ أَجْناس ، بَعْدَ أَيِّ نَاس ، لَكِنَّ الفَقِيرَ حَقِير ، قَلَّ المَال ، وَذَهَبَ  
الرجال . سَمِعْنَا فَطَمَعْنَا ، يَا فَتَى ، أَخْبِرْنَا عَنْكَ خَبْرًا ، مَا رَأَيْنَاهُ أَثَرًا ، وَرَبَّ  
مَنْسُوبٍ إِلَى حَال ، مَرْجُوعُهَا إِلَى مُحَال ! أَيْنَ السَّكْرَمُ الَّذِي ذُكِر ، وَالخُلُقُ الَّذِي  
شُكِر ؟ ! هَبْ مَا سَأَلْنَاكَ يَشُقُّ ، أَيْنَ الْحَقُّ الَّذِي يَحَقُّ ؟ كَذَبَ رَأَيْنَا ، وَقَلَّتْ  
فَوَائِدُنَا . فَقَالَ لَهُ الْفَتَى : وَيَحْكُ ! اتَّقِ اللَّهَ خَالَفَكَ ، فَقَدْ آنَ أَنْ تَتْرَكَ خِلَافَكَ .  
فقال : يَا مَوْلاي ! لَوْ تَرَ كُنْتُ الشَّهْوَةَ لَتَرَكْتُ ، لَكِنْ حَرًّا كُنْتُ فَتَحَرَّرْتُ .  
إِنِّي وَإِنْ سَبَقَنِي جُهورُ الأَترابِ إِلَى التُّرابِ ، فلي قَلْبٌ <sup>(١)</sup> لَهَبِي ، وَجِسْمٌ ذَهَبِي ،  
لا يَغَيِّرُهُمَا إِدْمَانُ الزَّمانِ ، ولا يَوُدُّهُمَا حَدِيثُ الحَدَثَانِ . وَلَوْ عَادَتْ إِلَى سَاعَةِ  
مِنْ أَيَّامِي ، أَوْ حَصَلَتْ فِي يَدِي إِبْرَةٌ مِنْ حُسَامِي ، لَسَبَقْتُ كُلَّ مَوْفِي كَلَامِي .  
وَسَأَجْهَدُ بِهِذِهِ الْعَصَا ، فَأَجَاهِدُ مَنْ عَصَا . ثُمَّ اهْتَزَّ كَأَنَّهُ نَسْرٌ مَقْصُوص ، أَوْ حِمَارٌ  
مَرَّ هُوَوص ، فَقُمْنَا وَتَرَكَنَا جَانِبَهُ ، وَجَعَلَ يَضْرِبُ بِعَصَاهُ مَا قَارَبَهُ . فَتَرَكَنَاهُ  
وَشَانَهُ ، وَأَدْمَنَّا عِيَانَهُ ، نُصْعِدُ فِيهِ وَنُصَوِّبُ ، وَنَعْجَبُ وَنُعْجَبُ . فَلَمْ تَزَلْ شِقْشِقْتُهُ  
تَهْدِيرًا ، وَعَصَاهُ تَتَكَسَّرُ ، حَتَّى كَلَّتْ يَدَاهُ ، وَانْحَلَّتْ قُؤَاهُ . وَلاحَ وَجْهُ الصَّبَاحِ ،  
وَجِئْنَا إِلَيْهِ بِالمِصْبَاحِ ، فَإِذَا هُوَ كَالْجِدَارِ المَهْدُومِ ، وَالْخِذْرِ المَهْشُومِ ؛ قَدْ فَارَقَ  
النَّفْسَ النَّمْرُودِيَّةَ ، وَمَاتَ المِيتَةَ الجَاهِلِيَّةَ . فَدَفَنَهُ الْفَتَى فِي أَطْلَاهِ ، وَسَأَلْنَا  
كِتْمَانَ أَخْبَارِهِ . وَأَفْنَى لَعَمْرِي أَيُّ أَفْنٍ ، أَنْ يُطْمَعَ لِخَبَرِ هَذَا فِي دَفْنٍ ، بَلْ هُوَ  
مَنْشُورٌ ، إِلَى يَوْمِ النُّشُورِ .

(١) فِي الْأَصْل : قَلْبِي .



ما أخرجته من شعر ابن شرف في أوصاف شتى

النسيب وما يناسبه :

قد كنت في وعد العذار فأنجزا      وقضى لحسنك بالكمال فأوجزا  
وأنتي لنصر الحسن إلا أنه      ولى إلى فئة الهوى متحيزا  
عطفت تعلم منك عطفتك عطفه      وجد الفؤاد به السبيل إلى العزا  
لم يكف وجهك حسنه وبهاؤه      حتى اكتسى ثوب الجمال مطرزا  
سبحان من أعطاك حسنا ثانيا      وبثالث من فعل حسنك عززا

وقال :

تصدق نفسك لا صعود تنفس      وتريد روح في حشاشه مكروب  
فلا القرب يخميني ولا البعد قاتلي      ولا الهجر يسليني ولا الصبر يلوي بي  
وأصبحت ذا ضرر ولقياك مبري      لضرري ولكن أين عسى من أيوب ؟

وقال :

بين أجنانك سحر      وعلى غصنك بدر  
جردت عيناك سيفين (م)      لذا أمرك أمر  
فعلى خدك من نثر (م)      دم العشاق أثر  
ومن الكتبان شطر      لك<sup>(١)</sup> والأغصان شطر  
وسواء قلت در      ما أرى أو قلت ثغر  
وبماذا أصف الخضر      وما إن لك خضر  
بك شغلي واشتغالي      ومضى زيد وعمرو

(١) في الأصل : لك وعلى الأغصان ..



وقال :

وَشَمْسٍ تَرَأَخَتْ أَنْ تَغِيبَ لِقِبْلَتِي      كَمَا مَسَكَتْ فِيمَا مَضَى شَمْسُ يُوشَعِ  
فِيمَا قَاطِعًا وَصَلَى وَيَا وَاصِلًا غَدَى      بِأَمْسِي وَيَوْمِي فِي الْعَذَابِ الْمُمْتَعِ  
صَرَفَتْ رَجَائِي عَنْ لَعَلٍّ وَعَنْ عَسَى      وَأَبْعَدَتْنِي بِالْيَأْسِ مِنْ كُلِّ مَطْمَعِ  
أَعْنَى بِإِطْمَاعِ الْوِصَالِ عَلَى النَّوَى <sup>(١)</sup>      إِذَا لَمْ تُقَاتِلْ يَا جَبَانَ فُشِجَّعِ  
لَدَيْكَ فَوَادٌ مَالَهُ مِنْ مُطَالِبِ      أَلْطَلْبُ فِي بَعْضِي وَقَدْ بَانَ أَجْمَعِي ؟  
وَدِيعَةٌ مَيِّتٍ أَنْتَ فِيهَا مُحْكَمٌ      وَإِنْ شِئْتَ فَاحْفَظْهَا وَإِنْ شِئْتَ ضَمِّعِ  
أَرَى مُهْجَاتِي فِي يَدَيْكَ فَمَا تَرَى      بَمَنْ شِئْتَ أَوْ قَعِ أَوْ بِمَا شِئْتَ وَقَعِ  
قوله « إِذَا لَمْ تُقَاتِلْ يَا جَبَانَ فُشِجَّعِ »      مَثَلٌ مِنْ أَمْثَلِهِمْ ، وَإِلَيْهِ أَشَارَ أَبُو نُوَّاسٍ  
بقوله : فَسَكَتْنِي وَمَا أَزِينُ مِنْهَا      قَعْدِي يُزِينُ التَّحْكِيمَا

وقال :

وَإِذْ كُرُ لِيَا لَيْكَ الَّتِي ذَهَبَتْ لَنَا      نَهَبًا وَعَيْشًا كَانَ كَالْتِهْـوِيمِ  
يُسْعِدُكَ وَابِلُ أَدْمَعٍ فِي أَرْبُعِ      شَرِبْتَ مِيَاهَ الدَّمْعِ شَرِبَ الْهِيمِ  
أَيَّامَ شَمْسِ الْمَشْرِقَيْنِ ضَجِيعَتِي      فِيهَا وَبَدْرُ الْمَغْرِبَيْنِ نَدِيمِي  
وَنَجُومُ كَاسَاتِي طَوَالِغُ بِالْمُنَى      وَالسَّعْدُ يَسْتَغْنِي عَنِ التَّقْوِيمِ  
مَحْمُودُ عَيْشٍ جَادَ لِي دَهْرِي بِهِ      ثُمَّ اسْتَرَدَّ فَكَانَ فِيهِ خَصِيمِي  
وَلَى وَخَلَى جَمْرَةً مَشْبُوبَةً      تَذْكِي عَلَى الْأَحْشَاءِ نَارَ سَمُومِ  
فَإِذَا رَأَيْتَ لَهَيْبَهَا وَسَلَامَتِي      فَازْكُرْ بِذَلِكَ نَارَ إِبْرَاهِيمِ

يَنْظُرُ مَعْنَى الْبَيْتِ الرَّابِعِ مِنْ هَذِهِ إِلَى قَوْلِ أَبِي الطَّيِّبِ :

يُقَرَّرُ لَهُ بِالْفَضْلِ مَنْ لَا يُوَدُّهُ      وَيَقْضَى لَهُ بِالسَّعْدِ مَنْ لَا يُنْجِمُ

(١) فِي الْأَصْلِ : النَّوَى .



ولأبي أحمد البصري من أناشيد الثعالب :

كنت إذا ما سرت في حاجة أطالع التقويم والزيج  
فصار لي الزيج كتحصيفه وعاد لي التقويم تعويجا  
وقال بعض أهل عصرنا وهو أبو بكر الداني :

وبمهجتي نجم له في مهجتي مَسْرَى وَلِي في نُورِهِ تَعْدِيلُ  
حوَلْتُ عَهْدَ مُنَاخِهِ بِمُنَاخِهِ فَقَضَى بِتَحْوِيلِي لَهُ التَّحْوِيلُ  
وقوله : « محمود عيش جاد لي دهرى به » من مُتداولات المعاني ، منها قول  
محمد بن هاني :

وَهَبَ الدَّهْرُ نَفِيسًا فَاسْتَرَدَّ رُبَّمَا جَادَ<sup>(١)</sup> لَيْمٌ فَحَسَدُ  
وأخذه بعض أهل عصره فقال :

يَهَبُ الْقَلِيلَ وَقَدْ يَرَى اسْتِرْجَاعَهُ هِبَةُ اللَّيْمِ أَقْلٌ مِنْهُ وَأَنْزَرُ

ومن قصائده المطوّلة في المدح وما يتشبت به

من سائر الأوصاف

قال في المنصور حفيد ابن أبي عامر :

مَرَّ بِي غُضْنٌ عَلَيْهِ قَمَرٌ مُتَجَلِّ نُورُهُ لَا يَنْجَلِي  
هَزَّ عِطْفِيهِ فَقُلْنَا إِنَّهُ ذُو الْفَقَارِ اهْتَزَّ فِي كَفِّ عَلِي  
ورأيت الناس صرعى حوله فَكَأَنَّ الْيَوْمَ يَوْمُ الْجَمَلِ  
تلك أخبار زمان قد مَضَى وَأُمُورٌ فِي السَّنِينَ الْأَوَّلِ  
زَمَنُ الْمَنْصُورِ قَوَّى مُنْتَى وَسَرًا هَمِّي وَأُخْيَا جَذَلِي

(١) رسم الكلمة في الأصل « داد » ، والتصحيح عن الديوان ص ٢٤٥



وَسُرُورُ النَّفْسِ مِنْ بَعْدِ الصَّبَا      نَاشِرُهُ عَصْرَ الصَّبَا وَالْغَزَلِ  
فَاسْتُطِيبَ الْعَيْشُ فِي بَلَدِهِ      فَكَانَ النَّاسَ فِي قُطْرُبُلِ  
وَكَانَ الشَّمْسُ مِنْ بَهْجَتِهَا      أَبَدًا فِيهَا يُبْرِجُ الْحَمَلِ

ولَهُ مِنْ أُخْرَى فِي عِبَاد :

فَمَا جَشَّاتُ نَفْسِي عَشِيَّةً مُشْرِفِ      وَلَا احْتَلَبْتُ عَيْنِي حُزْوَى وَفَيْفَاءَ  
وَلَا لُغْرَابِي دِمْنَةَ الدَّارِ<sup>(١)</sup> ظَلَّتْ ذَا      سُؤَالَ وَمَا عِنْدَ الْغُرَابِينَ أَنْبَاءَ  
مَقَامُ زَمَانٍ مَاتَ عُرْوَةُ حَسْرَةٍ      عَلَيْهِ وَظَلَّتْ تَسْفَحُ الدَّمْعَ عَفْرَاءَ  
فَلَوْ نَالَ حَظًّا مِنْهُ غَيْلَانُ لَا لَتَقَّتْ      لَهُ صَيْدَحٌ فِيهِ وَمَيٌّ وَدَهْنَاءَ

ومنها في ذِكْرِ طِفْلَيْنِ لَهُ :

أَجَشَّمَهُمْ لَيْلَ الْقِفَارِ وَظُلْمَةِ الدَّ      بِحَارٍ وَكَمْ رِيْعُوا وَالسَّيْرِ إِرْخَاءَ  
وَلِي مِنْهُمَا سَهْمَانِ هَذَا ابْنُ أَرْبَعِ      وَهَذَا ابْنُ سِتٍّ كُلُّمَا كَانَ إِغْفَاءَ  
أَضْمُهُمَا وَاللَّيْلُ دَاجٍ كَأَنَّمَا      هُمَا نَقَطَتَا يَاءٍ وَجِسْمِي هُوَ الْيَاءُ  
فَطَوَّرَا يُغَشِّيهِمْ عَلَى ذِكْرِكَ الْكَرَى      فَتُصْبِحُ أَضْوَاءُ عَلَيْهِمُ وَلَا لَاءَ  
وَطَوَّرَا يَمْجُجُونَ الدُّجَى وَمِطَالَهُ      وَمَا كَانَ لِلْغَايَاتِ مَطْلٌ وَإِرْجَاءَ  
فَتَضَجَّرُ مِنْهُمْ أَنْفُسُ رَبِّمَا بِكَتْ      بُكْى هُوَ لِلصَّمِّ الْجَلَامِيدِ إِبْكَاءَ

ومنها :

فَإِنْ أَخْمَتْنَا هَيْبَةً عُمَرِيَّةً      لَدَيْكَ لَهَا فِي الشَّعْرِ كَسْرٌ وَإِقْوَاءُ  
بَذَلَتْ أَنْبَسَاطًا لَنَا عَلَوِيَّةً      لَهَا بَعْدَ مُوَمَاتِ الْمَهَامَةِ أَفْيَاءُ<sup>(٢)</sup>  
صَيْدَحَ الَّتِي ذَكَرَهَا نَاقَةُ غَيْلَانَ ،      وَالدَّهْنَاءَ وَطَنُهُ ، وَمَيُّ صَاحِبَتِهِ ، وَكَانَ

(١) في الأصل : وَلَا لُغْرَابِ الدَّارِ . . .

(٢) في الأصل : أَمْنَاءُ ، وَلَعَلَّ الصَّوَابَ مَا أَثْبَتْنَاهُ .

٩٠

ذو الرِّمَّة يُلْهَجُ بِذِكْرِ هَذِهِ الثَّلَاثَةِ فِي شِعْرِهِ . وَقَوْلُهُ « وَلَا لِعُرَابِي دِمْنَةَ الدَّارِ »  
الْبَيْت ، أَشَارَ إِلَى قَوْلِ عُرْوَةَ بْنِ حِزَامٍ الْعُدْرِيُّ فِي عَفْرَاءِ بِنْتِ مَالِكِ الْعُدْرِيِّ ،  
وَتُنَشَّدُ الْأَبْيَاتُ لِحُسْنِهَا ، وَلِكُونَ الْمَعْنَى فَرَعًا مِنْ غُضْنِهَا .

أَلَا يَا غُرَابِي دِمْنَةَ الدَّارِ خَبَرًا      أَبَاهُجِرٍ مِنْ عَفْرَاءِ تَنْتَحِبَانِ ؟  
فَإِنْ كَانَ حَقًّا مَا تَقُولَانِ فَانْهَضَا      بِلَحْمِي إِلَى وَكْرَيْكَمَا فَكَلَانِي  
وَلَا يَعْلَمَنَّ النَّاسُ مَا كَانَ مِيتَتِي      وَلَا يَا كُلْنَ الطَّيْرُ مَا تَذَرَانِ  
جَعَلْتُ لِعَرَافِ الْيَمَامَةِ حُكْمَهُ      وَعَرَافِ حُجْرٍ<sup>(١)</sup> إِنَّهُمَا شَفَقَانِي  
فَقَالَا : شَفَاكَ اللَّهُ ، وَاللَّهِ مَا لَنَا      بِمَا ضُمْنَتْ مِنْكَ الضُّلُوعُ يَدَانِ

وَضَرَبَ الْمَثَلَ بِهِيْبَةَ عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ ، وَكَانَ مَشْهُورًا بِهَا ، وَبَانْبِسَاطِ عَلِيِّ بْنِ  
أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .

وله من أخرى في ابن طاهر أمير مُرْسِيَّةَ وَقْتَهُ :

وَعَاجُوا عَلَى عُسْفَانَ وَاللَّيْلِ الْبَيْلُ      وَهَزُّوا بِذَاتِ الْبَيْنِ وَالصُّبْحُ مُسْفِرُ  
وَحَازَتْهُمْ حُزْوَى ضُحَى وَتَرَوْحُوا      بِمَنْعِجٍ وَاسْتَعْلَوْا أَبَانًا فَنَوَّرُوا  
وَلَمَّا تَوَاقَفْنَا بِذِي سَلَمٍ بَدَا      سَلَامٌ لِسَلَمَى ظَلَّ يَخْفَى وَيَظْهَرُ  
شَعَرْتُ لَهُ وَالرَّكْبُ حَيْرَانُ غَافِلُ      وَمَا شَاعِرُهُ أَمْرًا كَمَنْ لَيْسَ يَشْعُرُ  
رَأَتْ ظُبِيَّةَ الْوَعَسَاءِ عَيْنِي فَهَيَّجَتْ      لَهَا ذِكْرَهُمُ وَالشَّيْءُ بِالشَّيْءِ يُذَكِّرُ  
سَأَبِكِي طُولًا كُنْتُ فِيهَا مُطَلَّةً      عَلَيْهَا وَكُلُّ اللَّيْلِ تَحْتِكَ مُقْمَرُ  
تَصَرَّمْ ذَاكَ الْعَيْشُ إِلَّا اذْكَارَهُ      وَإِلَّا كَذُوبًا فِي الْعَنَامِ تَزُورُ  
فَتَى طَاهِرِي طَاهِرُ الثَّوْبِ ذِكْرُهُ      مِنَ الْمِسْكِ أَذْكَى أَوْ مِنَ الْمَاءِ أَطْهَرُ



وله من أخرى في المعتضد :

لولا هم لحججت أول حجة  
ولزئت حمص العرب أعرب زائر  
وزحت واديها بمثل عبايه  
وأريته بحرا يفاخر قعره  
و منها في مدحه :

يا حاسديه على على خطت له  
يخلي الديار من الجسوم ويجتنى  
فكأنما (٢) الأجسام بعد رؤوسها  
أبيات شعر ما لهن قواف  
قال ابن بسام : أظن ابن شرف ، فيما وصف ، شبه الأجسام دون رؤوسها  
بأبيات شعره في هذه القصيدة ! فليست لها مبادي ولا قواف ، وما أمتري أن  
الغربة فلت غرب طبعه ، وغسلت عن (٣) جوانحه ، وأطفأت نار قرائحه .  
ومن أشبه مدائحه قوله في علي بن أبي الرحال بعض أمراء القيروان  
من قصيدة :

جاور عليا ولا تحفل بحادثة  
امنم حكاة المسمى في الفعال فقد  
فالماجد السيد الحر الكريم له  
زان العلا وسواه شأنها وكذا  
وربما عابه ما يفخرون به  
إذا أدرعت فلا تسأل عن الأسلي  
حاز العليين من قول ومن عمل  
كالنعت والعطف والتوكيد والبدل  
للشمس حالان في الميزان والحمل  
يُسنا من الخضر ما هو من الكفل

(١) في الأصل : القضاء النون . (٢) في الأصل : كأنها .

(٣) كذا بالأصل ولعلها : « حر جوانحه » .

سَلْ عَنْهُ وَانْطِقْ بِهِ وَانْظُرْ إِلَيْهِ تَجِدْ  
مِلَّ الْمَسَامِعِ وَالْأَفْوَاهِ وَالْمُعْقِلِ  
وَلَهُ مِنْ أُخْرَى :

مَا لِي كَذَا كُلُّ مَا طَلَبْتُهُ عَسِرَ  
وَقَدْ أَخَذْتُ بِحُبِّ الْمَطْلَبِ الْعَسِيرِ !  
مَا لِي أَجَاذِبُ ذِي الدُّنْيَا مُوَلِّيَةً  
فَكُلُّ ثَوْبٍ عَلَيْهَا قَدْ مِنْ دُبُرٍ !  
ومنها :

يُعْطَى الْجَزِيلَ مِنَ التَّنْوِيلِ مُعْتَذِرًا  
وَرُبَّ مُعْطَى قَلِيلٍ غَيْرِ مُعْتَذِرٍ  
أَتَى الزَّمَانَ عَلَى يَأْسٍ بِهِ لِابْنِ الدُّ  
نِيَا كَبُشْرَى بِمَوْلُودٍ عَلَى الْكِبَرِ  
إِنِّي وَجَدْتُكَ صَيَّرْتُ الْوَرَى نَهْرًا  
وَقُلْتُ مَا قَالَهُ طَالُوتُ فِي النَّهْرِ  
فَأَنْتَ عِنْدِي مِنْهُمْ غُرْفَةٌ بِيَدِي  
حَلَّتْ وَحُرِّمَ بَاقِي النَّهْرِ فِي الزُّبُرِ

ومعنى البيت الرابع من هذه كقول أبي تمام ، ونقص فيه عن التمام :

بُشْرَى الْغَنَى أَبِي الْبَنَاتِ تَقَابَعَتْ  
بُشْرَاوَهُ بِالْفَارِسِ الْمَوْلُودِ

وذكرت بقوله : \* فكلُّ ثَوْبٍ عَلَيْهَا قَدْ مِنْ دُبُرٍ \* قول القائل :

قَمِيصُ يُوسُفَ لَمَّا قَدْ مِنْ دُبُرٍ  
كَانَتْ بَرَاءَتُهُ فِيهَا مِنَ الْكَذِبِ  
وَفِي قَمِيصِكَ لَمَّا قَدْ مِنْ دُبُرٍ  
تَمَّا يَدُلُّ عَلَى الْفَحْشَاءِ وَالرَّيْبِ

وفي الحسن بن وهب يقول القائل :

إِذَا لَقِيتَ ابْنَ وَهْبٍ بِمَنْزِلَةٍ  
لَمْ تَذَرِ أَيُّهُمَا الْأُنْثَى مِنَ الذَّكَرِ  
مُؤَدَّبُونَ عَلَى الْفَحْشَاءِ مِنْ صِغَرٍ  
مُدْرَبُونَ عَلَى النَّسْكَاءِ فِي الْكِبَرِ  
يُحْنَكُونَ وَلَمْ تُقَطَّعْ سَرَائِرُهُمْ  
بَيْنَ الْحَوَاضِ وَالذَّايَاتِ بِالْكَمَرِ  
قَمِيصُ أَنْثَاهُمْ يَنْشَقُّ مِنْ قُبُلٍ  
وَقُمُصُ ذُكْرَانِهِمْ تَنْقَعُ مِنْ دُبُرٍ



٩١

# سائر مقطوعات له في أوصاف شتى

قال :

لعلَّ الله يَفْتَكُ الْمُعْنَى الْأَسِيرَ فيغْتَدِي وهو الطَّلِيْقُ  
وإنْ أَرْجُو التَّخْلَصَ مِنْ عَظِيمٍ فقد يَنْجُو مِنَ اللَّجَجِ الْغَرِيقُ  
لقدْ أَنْفَذْتُ مِنْ جَلْدِي دُرُوعًا زَرَيْنَ عَلَى الذِي نَسَجْتُ سَلُوقُ  
وصبرًا لو تَجَسَّم لِي مَجْنَنًا كَفَانِي مَا رَمْتَهُ الْمُنْجَنِيْقُ  
وَأَفْقَدُ مَا طَلَبْتُ فلمْ أَجِدْهُ (١) رَفِيقُ فِي صَحَابَتِهِ رَفِيقُ  
فَأَصْبَحَ وهو لِلْعَنْقَاءِ ثَانٍ وثَاوٍ حَيْثُ فَرَّخْتُ الْأَنْوَقُ  
صَحِبْتُ بِهِ الدُّنْيَا أَنْسَا إِذَا غَدَرُوا فَعَدْرُهُمْ (٢) وَثِيقُ  
ولمْ أَصْحَبْهُمْ وَدًّا وَلَكِنْ كَمَا جَمَعَ الْعَدُوِّينَ الطَّرِيقُ

لعله ذهب في هذا إلى قول أبي الطيب :

وَمِنْ نَسَكَدِ الدُّنْيَا عَلَى الْحَرِّ أَنْ يَرَى عَدُوًّا لَهُ مَا مِنْ صَدَاقَتِهِ بُدْ

وقال :

بَعِثِكَ نَادٍ أَيَامِي وَقُلْ هَلْ لَدَيْكَ إِلَى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ ؟  
أَرَأَيْكَ كَمَا يَرَى الْمُحْتَاجُ مَا لَا وَقَدْ مَلَكَتْ عَلَيْهِ يَدُ الْبَخِيلِ  
أَرَأَيْكَ لَمَّا وَمَا أَبْقَيْتَ مِنِّي سِوَى لِحْظٍ يُتَرَجَّمُ عَنْ قَتِيلٍ ؟  
وَقَدْ عَاقَبْتُ بِالْعِبَرَاتِ عَيْنِي بَلَا ذَنْبٍ وَمَا ذَنْبُ الرَّسُولِ ؟  
وَجَدْتُ النَّاسَ كُلَّهُمْ طُلُولًا فَلَمْ أُطِلِ الْوُقُوفَ عَلَى الطُّلُولِ  
وَتَسَمَعُ مِنْهُمْ مَا لَا تَرَاهُ كَسَامِعِ ضَرْبَةِ السِّيفِ الصَّقِيلِ

(٢) في الأصل : عذروا . . فعذرهم .

(١) في الأصل : أحد لي رفيق .

فَمَنْ بِسِوَاكَ بَاعَكَ فَاغْنِ عَنْهُ كَمَا اسْتَغْنَى عَلِيٌّ عَنْ عَقِيلٍ  
عَقِيلُ أَخُو عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ كَانَ وَلَدَ مَعَهُ تَوَاضَعًا ، وَلِذَلِكَ قَالَ : زَوْجَتُ  
حَتَّى فِي الرَّحِمِ . وَلَمَّا كَانَ يَوْمُ صِفِّينَ هَرَبَ إِلَى مَعَاوِيَةَ وَفَارَقَ أَخَاهُ عَلِيًّا .  
وَقَوْلُهُ : « أَرَأَيْكَ كَمَا يَرَى الْمَحْتَاجُ مَالًا » الْبَيْتُ ، أَرَاهُ تَوَارَدَ فِيهِ مَعَ لِدَتِهِ  
وَابْنِ بَلَدَتِهِ أَبِي عَلِيٍّ بْنِ رَشِيْقٍ حَيْثُ يَقُولُ :

وَالصَّبْحُ قَدْ مَطَّلَ اللَّيْلُ الْعُمُيُونَ بِهِ كَأَنَّهُ حَاجَةٌ فِي يَدِّ ضَنِّينِ  
وَقَالَ ابْنُ شَرْفٍ :

وَمَا بُلُوغُ الْأَمَانِي فِي مَوَاعِدِهَا إِلَّا كَأَشْعَبَ يَرْجُو وَعَدَ عُرْقُوبٍ  
وَقَدْ يُخَالِفُ مَكْتُوبُ الْقَضَاءِ يَدِي فَكَيْفَ يَقْضِي [بِأَمْرِ] غَيْرِ مَكْتُوبٍ ؟  
وَقَالَ :

سَلُّ عَنْ رِضَايَ عَنِ الزَّمَانِ فَإِنَّهُ كَرِضَى الْفَرَزْدَقِ عَنِ بَنِي يَرْبُوعٍ  
لِلَّهِ حَالٌ قَدْ تَنَقَّلَ عَنْهَا بِخِلَافٍ نَقَلَ الدَّهْرُ حَالَ صَرِيْعٍ  
دَارَتْ دَرَارِي الْخُطُوبِ قَوَاصِدًا حَتَّى نَظَرْنَا إِلَى مِنْ تَرْبِيعٍ  
كَانَ صَرِيْعُ الْغَوَانِي خَامِلًا فَوَلَّاهُ بَنُو سَهْلٍ جُرْجَانَ فَشَرُفَ .  
وَقَالَ :

أَهْلَ الصَّفَاءِ نَأَيْتُمْ بَعْدَ قُرْبِكُمْ فَمَا انْتَفَعْتُ بِعَيْشٍ بَعْدَكُمْ صَافِرٍ  
وَقَدْ قَصَدْتُ نَدَى مَنْ لَا يُوَافِقُنِي فَكَانَ سَهْمِي عَنْهُ الطَّائِشَ الْهَافِي  
أُرِدْتُ عَمْرًا وَشَاءَ اللَّهُ خَارِجَةً أَمَا كُنِي الدَّهْرَ مِنْ خُلْفِي وَإِخْلَافِي ؟

وَقَالَ :

يَقُولُونَ سَادَ الْأَرْدَلُونَ بَعْصَرَنَا وَصَارَ لَهُمْ قَدَرٌ وَخَيْلٌ سَوَابِقُ  
فَقُلْتُ لَهُمْ وَلِيَ الزَّمَانُ وَلَمْ تَزَلْ تُفَرِّزُنِي فِي أُخْرَى الْبُيُوتِ الْبَيَادِقُ

١٠

١٥

٢٠



وقال : قالوا تصاهلت الحـمـيرُ فقلتُ إذْ عُدِمَ السَّوَابِقُ

خَلَّتِ البيوتُ مِنَ الرِّخَا خِ ففَرَزَنْتُ فِيهَا البَيَادِقُ

وقال :

شَكَوتُ حُزْنِي وَبَشَى إِلَى الْقَرِيبِ الْمُجِيبِ

فَكَانَ عُقْبَايَ عُقْبَى نَبِيٍّ بِهِ يَعْقُوبِ

وقال :

لَاكَ مَنَزِلٌ كَمَلْتَ سِتَارَتَهُ لَنَا لِلَّهِوَ لَكِنْ تَحْتَ ذَاكَ حَدِيثُ

غَنَى الذَّبَابُ وَظَلَّ يَزْمُرُ حَوْلَهُ فِيهِ الْبَعُوضُ وَيَرْقُصُ الْبُرْغُوثُ

وهذا كقول الشُّمَيْسِرِ :

ضَاقَتْ بِلَنَسِيَّةٍ بِي وَذَاكَ عَنِّي غُمُوضِي

رَقِصْتُ الْبَرَاغِيثَ فِيهَا عَلَى غِنَاءِ الْبَعُوضِ

ما أَخْرَجْتُهُ مِنْ مَرَاثِيهِ لِأَهْلِ الْقَيْرَوَانِ بَلَدِهِ

قال من قصيدة وصف فيها إذلال أهل سُوسَةَ جالية القيروان ، وهى طويلة

قطفتُ عِيُونَهَا :

أَهْ لِلْقَيْرَوَانِ أَنَّهُ شَجَوِ عَنْ فَوَادٍ بِجَا حِمِ الْحُزَنِ يَصَلَى

حِينَ عَادَتْ بِهِ الدِّيَارُ قُبُوراً بَلْ أَقُولُ الدِّيَارُ مِنْهُمْ أَخَلَى

ثُمَّ لَا شَمْعَةً سِوَى أَنْجُمٍ تَخْطُو عَلَى أَفْقِهَا نَوَاعِسَ كَسَلَى

بَعْدَ زُهْرِ الشَّمَاعِ تُوَقَّدُ وَقَدْ وَتَمَّانِ الذُّبَالِ تُفَقِّلُ فَتَلَا

وَالْوَجُوهِ الْحَسَنِ أَشْرَقَ مِنْهُمْ (م) وَيَفْضُلُنَّ مَعْنَى وَشَكَلَا

لَوْ رَأَيْتَ الَّذِينَ كَانَ لَهُمْ سَهْلُكَ وَغَرًّا قَدْ صَيَّرُوا الْوَعَرَ سَهْلاً

ومنها :

بعدَ يومٍ كأنما حُشِرَ الخَدَّاءُ  
ولهم زحمةٌ هنالك تحكى  
وعجيجٌ وضجةٌ كضجيجِ الـ  
من أياى وراءهن<sup>(١)</sup> يتامى  
وشكالى أراملاً حاملاتٍ  
وحصان كأنها الشمسُ حُسِنَا  
فات كرسيتها الجلاء فأضحت  
جارَ فيهم زمانهم وأولو الأُمّةِ  
ترَكُوا الربعَ والأثاثَ<sup>(٢)</sup> وَمَا يَتَى  
لَبِسُوا البَالِيَاتِ مِنْ خَشَنِ الصُّو  
نادباتٍ ، عَفْرَاءَ تُسَعِدُ سَعْدَى  
لَيْسَ مِنْهُمْ مَنْ يُودَّعُ جَارًا  
كلُّهُمْ اعْتَدَى الْفِرَاقُ عَلَيْهِ  
فَإِذَا الْقَفَرُ ضَمَّهُمْ فَوْقَ<sup>(٣)</sup> الدَّهْرِ  
لَهُمْ غَيْرَ ذَلِكَ النَّبْلِ تَبْلَا  
مِنْ ثَعَابٍ بَيْنَ حَامِلِينَ نِيوبًا<sup>(٤)</sup>  
عُصَلًا : ذَابِلًا وَنَبِلًا وَنَصَلًا  
وَشَيَاطِينَ رَاحِـينَ يُبْلَاقُو  
نَ بَجُونِ الْفَلَا مَسَاكِينَ عَزَلَا  
فَتَرَى لِلظُّهُورِ<sup>(٥)</sup> تَعْتَلُ عَقَلَا  
وَتُشَقُّ الْبَطُونُ تُغَسَلُ غَسَلَا

٩٢ | ٥

١٠

١٥

(١) فى الأصل : وراءهم . (٢) فى الأصل : والإناث .

(٣) رسم الشطر فى الأصل : لنعُدوا البنية فى الناس عقلا . (٤) فى الأصل : ليوثا

(٥) فى الأصل « فرق » . (٦) فى الأصل : فترى الظهور .



فإذا مَطَمَعُ أَصْبَحَ أَبْوَهُ فِي أَحَدٍ      شَاءَ (١) قَوْمٌ عَمَّوْا بِذَلِكَ كَلَامًا  
فإذا نَجَّتِ الْمُقَادِيرُ مِنْهُمْ      رَاحِلًا بِالْخِلَاصِ يَحْمِلُ رَحْلًا  
لَقِيَ الْهُنُونَ فِي الْمَذَلَّةِ أُنًى      كَانَ مِنْ سَائِرِ الْبِلَادِ وَحَلَا  
لَيْسَ يَلْقَى إِلَّا امْرَأً مُسْتَطِيلًا      طَالِبًا عَنْدَهُ حُقُودًا وَذَحَلًا  
فَتَرَى أَشْرَفَ الْبَرِيَّةِ نَفْسًا      نَاكِسًا رَأْسَهُ يُبَلِّغُ نَذْلًا  
فَهُمْ كَلَّمَا نَبَتْ بِهِمْ أَرْزُ      ضُ مَطَايَا الْفِرَاقِ خَيْلًا وَرَجُلًا  
مَزُقُوا فِي الْبِلَادِ شَرْقًا وَغَرْبًا      يَسْكُبُونَ الدُّمُوعَ هَطَلًا وَوَبَلًا  
لَا يُبَلِّغُ النَّسِيبُ مِنْهُمْ نَسِيبًا      يَتَعَزَّى بِهِ وَلَا الْخِلُّ خِلًا  
لَيْتَ شِعْرِي هَلْ عَوْدَةٌ لِي فِي الْغَيْهِ      بَ إِلَى مَا أَطَالَ شَجْوِي أَمْ لَا ؟

- ١٠ قوله « حين عادت به الديار قبورًا » يشبهه من وجه قول أبي تمام :  
وما القفر بالبيد القواء بل التي      نبتت بي وفيها ساكنوها هي القفر  
وأخذه بعض أهل عصرى وزاد فقال :  
ثأو بحمص كأنما هي قبره      لو لم يقاس بها صروف زمانه  
وقوله « ثم لا شمع سوي أنجم » ينظر إلى قول محمد بن هانيء الأندلسي :  
١٥ وبات لنا ساق يقوم على الدجى      بشفعة صبيح لا تقط ولا تطفأ  
ويروى « بشفعة ليل » ، وإنما أخذه من قول أبي الحسن سليمان بن  
حسن النصيبي :

وإن يك ليكننا فيه نهاراً      فشفعة بدره ليست تقط  
وربما توارد معه لأنه كان معاصره ، إلا أن ابن هانيء أقدم موتاً .

حكى أبو علي في رسالة « قراضة الذهب » أنه مات سنة اثنتين وستين وثلاثمائة .

وقال ابن شرف من قصيدة وصف ما كان من صيانة الحرير في أوطانها ، ثم ما صارت إليه من الانكشاف في الحل والترحال ، ورؤ كؤب ظهور الخطوب والأهوال ، يقول فيها :

بعد خطوب خطبت مهجتي      وكان وشك البين إمرارها  
ذا كبد أفلاذها حولها      قسّمت الغربة أعشارها  
أطافل ما سمعت بالفلأ      قطّ فعائنت الفلا دارها  
ولا رأت أبصارها شاطئا      ثم جلت باللجج أبصارها  
وكانت الأستار آفاقها      فعادت الآفاق أستارها  
ولم تكن تعلو سريرا علا      إلا إذا وافق مقدارها  
ثم علت كل عثور الخطا      ترعى بها الأرض وأحجارها  
ولم تكن تلحظها مقلة      لو كحلت بالشمس أشعارها  
فأصبحت لا تتقي لحظة      إلا بأن تجمع أطمارها

١٥ قوله « وكانت الأستار آفاقها » من الكلام الفصيح ، والقلب المليح . ويشبهه منعه ، وإن لم يكن في معناه ، قول الأول :

فرد شعورهن السود بيضا      ورد وجوههن البيض سودا

وكقول الآخر :

نديمتي جارية ساقية      ونزهتي ساقية جارية



وله من أخرى :

كَأَنِّي وَأَفْرَاخِي إِذَا اللَّيْلُ جَمَعَنَا  
هَامُّ أَضْلَانٍ الْوُكُورَ فَضَمَّهَا  
إِذَا أَفْرَعَتِهِمْ نَبُوءَةٌ زَاخُوا لَهَا  
وَيَصْغُرُ جِسْمِي عَنْ جَمِيعِ احْتِضَانِهِمْ  
كَأَنَّهُمْ لَمْ يَسْكُنُوا ظِلَّ نِعْمَةٍ  
إِلَى أَنْ غَدَوْا قَيْنَ<sup>(١)</sup> الْفَيَافِي فَتَارَةً  
وَطُورًا عَلَى مَوْجِ الْبَحَارِ كَأَنَّنَا  
وَنَحْنُ نَفُوسٌ تِسْعَةٌ لَيْسَ بَيْنَنَا

نَظَمَ هَذَا مِنْ قَوْلِ الْفَيْلَسُوفِ وَقَدْ رَكِبَ سَفِينَةً فَقَالَ لِلْمَلَّاحِ : كَمْ غِلَظُ  
لُوحِ سَفِينَتِكَ ؟ قَالَ : إَصْبَعَانِ . قَالَ : فَأِنَّمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْمَوْتِ إَصْبَعَانِ !

وقوله « إِذَا أَفْرَعَتِهِمْ نَبُوءَةٌ » الْبَيْت ... بَنَاهُ عَلَى قَوْلِ امْرِئِ الْقَيْسِ ، إِلَّا  
أَنَّ الْوَجْدَ لَدَعَهُ لَدَعَةً أَنْطَقَتْهُ بِالْحَالِ ، وَقَوْلَتُهُ السَّحْرُ الْخِلَالِ ، فَعَلِمَتْهُ كَيْفَ  
يُفْتَتُ الْكَبَادَ ، وَيَفْتُ فِي الْأَعْضَادِ ، وَهُوَ قَوْلُهُ :

إِذَا أَخَذَتْهَا هَزَّةُ الرَّوْعِ أَمْسَكَتْ  
بِمَنْكِبِ مِقْدَامٍ عَلَى الْهَوْلِ أَرْوَعًا<sup>(٢)</sup>

وقال من أخرى :

يَا قَيْرَوَانُ وَدِدْتُ أَنَّ طَائِرُ  
آهًا وَآيَةً أَهَةٍ تَشْفِي جَوِي  
أَبَدَتْ مَفَاتِيحَ الْخُطُوبِ عَجَائِبًا  
فَأَرَاكَ رُؤْيَا بَاحِثٍ مُتَأَمِّلٍ  
قَلْبٍ بَنِيرَانِ الصَّبَابَةِ مُضْطَلِّ  
كَانَتْ كَوَامِنَ تَحْتَ غَيْبٍ مُقْفَلٍ

(١) رسم الكلمة في الأصل : فني .

(٢) العقد الثمين ص ١٤٠ .



زَعَمُوا ابْنَ آوَى فِيكَ يَعْوَى وَالصَّدَى  
يا بَيْدَ رُوْطَةَ<sup>(١)</sup> وَالشَّوَارِعُ حَوْلَهَا  
يَا أَرْبَعِي فِي الْقُطْبِ مِنْهَا كَيْفَ لِي  
يَا لَوْ شَهِدْتُ، إِذَا رَأَيْتُكَ فِي الْكَرَى،  
لَا كَثْرَةَ الْإِحْسَانِ تُنْسِي حَسْرَةَ  
وَإِذَا تَجَدَّدَ لِي أَخٌ وَمُنَادِمٌ  
«لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّ آخَرَ عَهْدِهِمْ  
بَذُرَاكَ يَصْرُخُ كَالْحَزِينِ الْمُشْكَالِ  
مَعْمُورَةٌ أَبَدًا تَغْصُنُ وَتَمْتَلِي  
بِمَعَادِ يَوْمٍ فِيكَ لِي وَمِنْ أَيْنَ لِي ؟ !  
كَيْفَ أُرْتَجَاعُ صَبَايَ بَعْدَ تَكْهُلِ  
هِيَهَاتَ تَذْهَبُ عَلَةً بِتَعَلُّ !  
جَدَّدْتُ ذِكْرَ إِخَاءِ خِلٍّ أَوَّلِ  
يَوْمِ الرِّحِيلِ فَعَلْتُ مَا لَمْ أَفْعَلِ »

وهذا البيت لجريز ؛ وإنما تضمَّنه ، وبعده قول جرير :

لو كنتُ أَحْذَرُ وَشَكَ بَيْنَ عَاجِلٍ  
لَقَنْعَتُ أَوْ لَسَأَلْتُ مَا لَمْ يُسْأَلِ  
وقوله « وَإِذَا تَجَدَّدَ لِي أَخٌ وَمُنَادِمٌ » من قول أبي تمام :

نَقَلَ فُؤَادَكَ حَيْثُ شِئْتَ مِنَ الْهُوَى  
وَقَالَ أَبُو الْحَسَنِ الرَّضِيُّ :  
مَا سَاعَدَتْنِي اللَّيَالِي بَعْدَ بَيْنِنَا  
إِلَّا ذَكَرْتُ لِيَا لَيْلِنَا بِذِي سَلَمٍ

وَقَالَ ابْنُ شَرَفٍ مِنْ قَصِيدَةٍ :  
كَأَنَّ الدِّيَارَ الْخَالِيَاتِ عَرَائِسُ  
وَتُنْكَرُ بُقَايَاهَا الْأَسِرَّةُ حَسْرًا  
إِذَا أَقْبَلَ اللَّيْلُ الْبَهِيمُ تَمَكَّنَتْ  
وَلَا سُرْجٌ إِلَّا النُّجُومُ وَرَبَّمَا

يَمُرُّ عَلَيْهَا الْمَوْرُ يَسْحَبُ لُحْفَهُ  
وَيَمْتَدُّ عَمْرُ الصَّوْتِ فِيهَا وَرَبَّمَا  
كُوَاسِدُ قَدْ أُزْرَتْ بِهِنَّ الضَّرَائِرُ  
عَوَاطِلَ لَا تُفْشِي لَهْنَ السَّرَائِرُ  
بِهَا وَحْشَةٌ مِنْهَا الْقُلُوبُ نَوَافِرُ  
تَغَطَّتْ فَسَدَتْ جَانِبَيْهَا الدِّيَابِرُ  
وَلَا كَانِسُ إِلَّا الرِّيَّاحُ الْغَدَائِرُ  
تَجُودُ مِرَارًا بِالْكَلامِ الْمَقَابِرُ

(١) كذا بالأصل ، وروطة من أعمال سرقسطة ، ولعلها « روحة » قرية من قرى الفيروان .



فلو نطقت ما كان أكثر نطقها  
سوى قولها أين الخليط المعاشير ؟  
ألا قمر إلا المقنع في الدجى  
فأين اللواتي ليلهن المعاجر ؟  
ألا منزل فيه أنيس مخالط  
ألا منزل فيه أنيس مجاور ؟  
ترى سيمتات القيروان تعاطمت  
فجئت عن الغفران والله غافر ؟  
تراها أصيبت بالكبار وحدها  
ألم تك قدما في البلاد الكبار ؟  
ضجراً أبو عبد الله — عفا الله عنه ! ، وفيها يقول :

ترحل عنها قاطنوها فلا ترى  
سوى سائر أو قاطن وهو سائر  
تكشف الأستار عنهم وربما  
أقيمت سطور دونهم وستائر  
إذا جاذبت أستارها تبتغي بها  
لأقدامها سيرا تبتد غداير  
تبيت على فرش الحصى وغطاؤها  
دوارس أشمال زوار حقاير  
فيا ليت شِعَرَ القيروان موطنى  
أعائده فيها اليل إلى القصائر ؟  
ويا رَوْحَتِي بالقيروان وبكرتى  
أراجعة رَوْحَاتِهَا والبواكر ؟  
كأن لم تكن أيامنا فيك طليقة  
وأوجه أيام الشرور سوافير  
كأن لم يكن كل ولا كان بعضه  
سيمضى به عصر ويمضى المعاصر

قوله « كأن الديار الخاليات » ينظر من وجه إلى قول أبي تمام :

وكذلك لم تفرط كآبة عاطل  
حتى يجاورها الزمان بحالى

وقال ابن شرف من أخرى :

سقى القصر فالميدان أخلاف مزنة  
وراحت على الدوحاء منها أفاريق  
على أنه مرعى<sup>(١)</sup> نبت عنه أسهمى  
فلا حد لي في الأفق منه ولا فوق  
أنادي به والبحر المحيط مجاوبى  
ودوني خليج منه أفيح مخروق



وَقَرْطَبَةٌ ضَمَّتْ إِلَيْهَا جَوَانِحِي      كَمَا ضَمَّ مِنْ عَفَاءِ عُرْوَةٍ تَعْنِيقُ  
نَزَلْنَا بِهَا <sup>(١)</sup> لَا نَبْتَغِي الشُّوقَ عِنْدَهَا      فَمَا كَانَ بُدًّا أَنْ أُقِيمَتْ لَنَا سَوْقُ  
وَأَحْيَا ابْنُ يَحْيَى مَيِّتَاتِ خَوَاطِرِي      وَفَسَحَ آمَالِي وَكَانَ بِهَا ضَيْقُ  
أَبَا حَسَنِ أَحْسَنَتْ بَدْءًا وَعَوْدَةً      وَلِلْغُصْنِ إِثْمَارُ إِذَا كَانَ تَوْرِيقُ  
فَلَمْ يَرِ بَوْسُ إِذْ وَلَيْتَ أُمُورَهَا      وَلَا كَسَدَتْ سَوْقُ إِذْ <sup>(٢)</sup> التَفَّتِ الشُّوقُ  
وَكَمْ لَقِيتُ حَرْبَ الْأَزَارِقِ مِنْهُمْ      وَكَمْ زُرِقْتُ فِي جَانِبَيْهَا الْمَزَارِقُ  
قَالَ ابْنُ بَسَّامٍ : وَكَثِيرًا مَا يَذْكُرُ ابْنُ شَرْفٍ فِي شِعْرِهِ أَحْيَاءَ الْأَعْرَابِ  
الَّتِي أَخْرَجَتْهُمْ مِنَ الْقَيْرَوَانِ كِبْنَى هِلَالٍ وَقِرَّةَ وَزُغْبَةَ وَهُمْ الَّذِينَ تَوَلَّوْا حَرْبَ بَلَدِهِ  
فِي التَّارِيخِ الْمَتَقَدِّمِ الذِّكْرِ . فَمِنْ ذَلِكَ قَصِيدَةٌ أَوَّلُهَا :

جُسُومٌ عَلَى حُكْمِ الْعُيُونِ صَحَاحُ      وَفِي طَيِّ أَحْنَاءِ الضُّلُوعِ جِرَاحُ  
يَقُولُ فِيهَا :

إِذَا كَانَ لِلْأَحْبَابِ رُسُلٌ فُرْسَلْنَا      بُرُوقٌ إِلَى أَحْبَابِنَا وَرِيَّاحُ  
وَمِنْ دُونِ تِلْكَ الرُّسُلِ أَخْضَرُ زَاخِرُ      أَجَاجُ وَمَهْجُورُ الْفِجَاجِ فَيَاحُ  
وَلِلسَّهْمِ دُونَ الْقَيْرَوَانِ تَسَهُمُ <sup>(٣)</sup>      وَمَا شَوْكُهُ إِلَّا ظُبِّي وَرِمَاحُ  
وَقِرَّةٌ قَدْ قَرَّتْ هُنَاكَ عُيُونُهَا      وَزُغْبَةٌ رِيشتُ زُغْبَهَا وَرِيَّاحُ  
كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ لِي أَمْسٍ فِي عَرَصَاتِهَا      مِنْ الْعَيْشِ جِدٌّ طَيِّبٌ وَمُزَاحُ  
يُخَيِّلُهَا زَوْرُ السَّكْرَى لِي فِي الدُّجَى      فَأَرْغَبُ فِي أَلَا يَلُوحَ صَبَاحُ  
كُسَيْتُ قِنَاعَ الشَّيْبِ قَبْلَ أَوَانِهِ      وَجِسْمِي عَلَيْهِ لِلشَّبَابِ وَشَاحُ  
وَيَا رَبِّ وَجْهِ فِيهِ لِلْعَيْنِ مَنَزَةٌ      أُمَانِعُ عَيْنِي مِنْهُ وَهُوَ مُبَاحُ  
وَأَهْجَرُهُ وَهُوَ اقْتِرَاحِي مِنَ الْوَرَى      وَقَدْ تَهَجَّرُ الْأُمُوهُ وَهِيَ قَرَّاحُ

(١) فِي الْأَصْلِ : نَزَلْنَا لَا نَبْتَغِي (٢) فِي الْأَصْلِ : إِلَّا (٣) كَذَا فِي الْأَصْلِ



وهذا مضراعُ بيتِ المعرّي :

\* والعَذْبُ يُهْجَرُ للإِفْرَاطِ فِي الْخَصْرِ \*

وقوله :

\* يُخَيِّلُهَا زَوْزُ الْكَرَى \*

ألم فيه ابنُ شرف بقولِ العباسِ بنِ الأحنف :

حتى أقولَ إذا استيقَظتُ من أسفٍ يا ليتني كنتُ دَهْرِي راقِدًا أبدًا  
وله من أخرى يمدحُ الأمينَ ابنَ السَّقاء :

|                                       |                                       |
|---------------------------------------|---------------------------------------|
| فيا أخوى من أسدٍ وسعدٍ                | أحى حى زُغْبَةً أم دفينُ              |
| فلا اشتملتُ مساكنها بِشَمْلٍ          | ولا هذا القَرَارُ به سُكونُ           |
| ولا سَرَتِ الرِّياحُ على رِياحٍ       | لَوَاقِحَ مُزْنَةٍ أنى تَكُونُ        |
| فقد دَارَتْ عَلَيْنَا مِنْ رَحَاها    | طَحُونُ كُلِّ ما لاقَتْ زَبُونُ       |
| فلا وَطَنٌ لَنَا إِلَّا الْمَطَايا    | وإلاَّ الماءَ طَوْرًا والسَّفِينُ     |
| لعلَّك أُنْثى البرقِ اليماني          | إذا كَشَفْتَ عَنْ خَبَرِ تُبَيْنُ     |
| أفى وكناتِها عِقْبَانُ قَوْمٍ         | كعُهدِي أم خَلَتْ مِنْها الوُكُونُ    |
| وبينَ قِبابِ صَبْرَةٍ والمُصَلَّى     | نَهْيٌ وَمَهْيٌ وَأَسَادٌ وَعَيْنُ    |
| وأَجبالُ تَمُورٍ بها المَذَاكى        | وأَقارُ تَمِيسُ بها الغُصُونُ         |
| وَقُرْطُبَةُ أُعِيدَتْ قَيروانًا      | لنا لما دَهَتْ تلكَ الفُتُونُ         |
| وكيفَ يَضِيعُ مِثْلِي فِي مَكَانٍ     | يَكُونُ بِهِ أَبُو الحَسَنِ الأَمِينُ |
| أَيَّامُنُ أَنْ تَكُونَ النُّونُ راءٍ | وقد وَجِبْتُ لَهُ راءُ وَنُونُ        |

انتهى ما أخرجه من أخبارِ ابنِ شَرَف ، ونَتَلُو ذلكَ بِطَرَفٍ من أخبارِ

ابن السقاء مُدَبِّرُ الدَّوْلَةِ الْجَهْوَريَّةِ بِقُرْطَبَةِ ، وَنُشِيرُ إِلَى مَقْتَلِهِ ، وَنُلِيعُ بِذِكْرِ  
أَوَّلِهِ ، وَكَيْفَ ارْتَقَى مِنَ الْحَضِيضِ ، إِلَى ذِرْوَةِ الْجَاهِ الْعَرِيضِ ، حَتَّى زَاخَمَ  
نُجُومَ الْأَفْلَاكِ ، وَمَلَأَ صُدُورَ الْأَمْلاكَ ، وَسَارَتْ عَنْهُ فِي السِّيَاسَةِ أَخْبَارُ ، نَحَتْ  
أَضْوَاءَ الْأَسْحَارِ ، وَعَطَّرَتْ أَنْفَاسَ الْأَزْهَارِ .

جملةٌ من أخبار ابن السقاء القرطبي ، مُدَبِّرِ الْمُلْكِ الْجَهْوَريِّ

قال ابن حَيَّان : كَانَ أَبُو الْحَسَنِ إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ يَحْيَى الْمَعْرُوفُ بِابْنِ  
السَّقاءِ قَدْ كَابَدَ مِنْ شَطَفِ الْمَعِيشَةِ فِي فِتَاءِ سِنِّهِ مَا لَا شَيْءَ فَوْقَهُ ، إِذْ كَانَ يُعَالِجُ  
السَّقَطَ بِسُويْقَةِ ابْنِ أَبِي سُفْيَانَ فِي قُرْطَبَةِ بِبِضَاعَةِ نَزْرَةٍ . وَأَعْلَى مَا انْتَقَلَ إِلَيْهِ  
عِنْدَ إِكْدَاءِ تِلْكَ الْحَرْفَةِ الْاسْتِخْرَاجُ فِي جِهَةِ الْأَحْبَاسِ ، وَإِثْرُهُ <sup>(١)</sup> عَنْ وَالِدِهِ  
مُحَمَّدِ السَّقاءِ . وَبِأَسْبَابِهَا خَدَمَ الْقُضَاةَ وَتَمَرَّنَ مَعَ الْفُقَهَاءِ ، وَهُوَ يَقْتَاتُ  
مَعِيشَتَهُ مِياوِمَةً ، وَيَأْوِي لَيْلَهُ إِلَى بَيْتٍ فِي دُورَةِ وَالِدِهِ مُحَمَّدٍ بِجُوفِ الْمَسْجِدِ  
الْجَامِعِ ، يُحَاضِرُ فِيهِ جَمَاعَةً إِخْوَةً لَا يَجِدُ بَيْنَهُمْ إِلَى مَدِّ سَاقِهِ سَبِيلًا . وَمَا هُوَ  
إِلَّا أَنْ حَمَلَ الْأَمَانَةَ عَلَى كَاهِلِهِ ، فَوَضَعَهَا أَسْفَلَ رِجْلِهِ . وَتَذَكَّرَ عَضَّ الْكِلَابِ  
لِعَصَاهُ ، فَتَحَوَّلَ جُرْذَاً لِلسَّرْقِ وَالْخِيَانَةِ ، وَابْتَنَى الْقُصُورَ الْمُنِيعَةَ ، وَاقْتَنَى الضِّيَاعَ  
الْمُغْلَةَ ، إِلَى أَمْلاكَ لَا تُحْصَى كَثِيرَةً .

قال ابن بَسَّام : وَقَدْ رَأَيْتُ ابْنَ حَيَّانَ مَدَحَ ابْنَ السَّقاءِ فِي غَيْرِ مَا مَوْضِعٍ .

من كتابه ، فقال فيه في فصل :

وَصَارَ مِنَ الْمَنَاجِحِ لِلدَّوْلَةِ الْجَهْوَريَّةِ أَنْ اسْتَعَانَ فِيهَا الْوَزِيرُ الرَّئِيسُ  
أَبُو الْوَلِيدِ جَهْوَزٌ عَلَى أَمْرِهِ بِالْأَمِينِ أَبِي الْحَسَنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدٍ ، مُتَوَلَّى النَّظَرِ

(١) لعلها بغير واو ، أو لعلها بإثره .



في المسجد الجامع على قديم الأيام ، خادمه الكافي المنقطع إليه ، ونصيحته<sup>(١)</sup> المتهالك في طاعته . فتفرس فيه فِراسة مثله ، فقلده القيام بأعباء دولته ، فأصاب نقافاً يخدم<sup>(٢)</sup> ، ونفذ فيما يريدُ عنه كالسنان اللّهم ، لجودة استقلاله ، ورجاحة وزنه .

- ثم ذكره بعد مقتله فقال : وهذه عصمة من عَصَفَاتِ الدهرِ الخوون ،  
 ٥ الذي هو لمن أصغى إليه أنصح الواعظين . قَصَفْتُ من هذا الرجلِ الظالم — كان — لنفسه ، الغاش لمُصْطَنِعِهِ ، سَرَحَةً نَوَّارَةً أطال الباطلُ مرَعَهَا من غِرَاسٍ أودِعَ خَضِرَاءَ دِمْنَةٍ . فَمَوَّهُ على أهلِ وقته بِلِيَانَةٍ كانت فيه سُوْقِيَّةً ، وَخَلَابَةً<sup>(٣)</sup> جِبِلِّيَّةً ، عَضَدَهَا جَدُّ صَاعِدُ رَقَّاه من الحَضِيضِ إلى الشُّهَى ، وَحَرَسَتْهُ إلى مُدَّةٍ اجْتَذَبَتْهُ عِنْدَ تَوْفِيهَا أَعْرَاقُهُ اللَّئِيمَةُ . فتولَّى ذَمِيمًا  
 ١٠ لِسُوءِ أَعْمَالِهِ ، فَلَا سَمَآءَ بَكَتْ عَلَيْهِ وَلَا أَرْضُهُ . وقد كُنْتُ كَتَبْتُ من وَصْفِ ظَاهِرِ مُحَاسِنِهِ أَوَّانَ اعْتِلَاقِهِ بِقَهْرْمَةِ أَمِيرِنَا مُحَمَّدِ بْنِ جَهْوَرٍ ، وَعَدَدْتُ من حِسَانِ خِصَالِهِ مَا لَمْ يَبْعُدْ عَنِ الصَّدْقِ عَنْهُ ، لِأَخْذِنَا بِظَاهِرِ مَا تَمَوَّهُ فِي الْعُيُونِ وَقَتَ بِنَائِهِ لِنَفْسِهِ ، وَتَنْفِيْقِهِ لِكِسَادِهِ ، مِنْ طَاةِ الْخُلُقِ ، وَحُسْنِ الْإِحْتِمَالِ ، وَلِإِنْ الْحِجَابِ ، وَخِفَّةِ الْمُوَاطَاةِ<sup>(٤)</sup> ، وَجَوْدَةِ الْوَسَاطَةِ ، مَعْرِضِينَ فِيهِ عَنِ ذِكْرِ مَا لَمْ يَكُنْ لَنَا النِّفْتُ عَنْهُ مِمَّا فِي بَاطْنِهِ مِنْ نَذَالَةِ الْخَلِيمِ ، وَنَطْفِ الصُّحْبَةِ ، وَتُهْمَةِ الْخَلْوَةِ . وَإِذَا بِهِ مُتَخَلِّقٌ لِيَسْمُوَ إِلَى مُرَادِ أَنَالِهِ الْمِقْدَارُ إِيَّاهُ ، فَتَنَّةٌ مِنَ اللَّهِ . فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ أَدْرَكَهُ عِرْقُ السُّوءِ ، وَاجْتَذَبَتْهُ إِلَى نَضَرِ ظُبَاعِهِ ، فَاسْتَحَالَ وَتَغَيَّرَ ، وَعَمَّا وَاسْتَكَبَرَ ، وَخَانَ وَغَدَرَ ، فَاسْتَخَفَّ الْمَظَالِمَ ، وَاسْتَهَانَ الْكِبَائِرَ ، وَاطَّرَحَ

(١) في الأصل : وتصبحه التهلك .

(٢) في الأصل : « يحدث » ، ولعل الصواب ما أثبتناه .

(٣) رسم الكلمة في الأصل : خلانة . (٤) في الأصل : الموطاة .



الفروض ، واحتقر الحقوق ، وأغرى<sup>(١)</sup> بذوى الهيئات ، وحمل المروآت ، فأذال  
صوتهم ، وأغرى غاشيته من سفلة الناس وأوغادهم بهم ، فأصرع<sup>(٢)</sup> خدودهم ،  
وحط أقدارهم ، وأشعر الأعزة الذلة ، والصق أنوفها بالرغام ، وأصمتها عن  
الكلام . فارتفع الأمر بالمعروف مجلة ، ووسع أهل السلامة الدخول تحت  
التقية . فصرنا ممن أخذ بذلك في ذكره ، فيما كتبنا له من ظاهر أخباره  
مدة ستر الله عليه ، إلى أن ارتفعت بزوال سلطانته ، وأمان عدوانه ، ففارقنا  
الحزم<sup>(٣)</sup> في ذكره ، ولزمنا العذر عنه بالنقض لما أسلفناه من تقريره .  
قال ابن حبان : ولما<sup>(٤)</sup> رآه ولد ابن جهور أخذاً بخطط الملك أجمعها ،  
ومراتب الرئاسة بكتبتها<sup>(٥)</sup> ، وتركهم أعطالاً ، وبسط يده إلى مال الخراج  
 واحتوى عليه ، يأخذه كيف شاء ، وينفقها فيما يريد ، واصطنع الرجال ، واتخذ  
الأصحاب والعلماء ، خفضت له الرقاب ، وسمت إليه الآمال ، فتوقل ذروة  
الإمارة حالاً حالاً ، حتى ثنى الجند والرعية لنفسه ، وصدمهم عن لقاء أميرهم  
ابن جهور . ولم يستحى من الله ولا من عباده في خون أمانته ، ولا تستر عن  
الإعلان بغول وديعته ، وقد تولى أمر السلطان وهو فقير فلم يستتر في الاكتساب ،  
بل جاهر في التحامل على الجيرة والإكراه للمستضعفين ممن يصاقبه من ذوى  
خطة أو شهمة . له في كل ذلك أمور لا تحصى كثرة . ثم خلط لأول ترقيه  
في الرئاسة بأن اتخذ لنفسه جند سوء ، مال به طبعه الرذل إلى الاستظهار بهم  
على أقدم الجند بقرطبة ممن مرّن على الاستقامة ، فتخير هو من أراذل الطبقات  
ومصاص شرار الناس ، وانتقاهم من أصناف الدعرة والدائرة والأساود

(١) في الأصل : واغترى (٢) في الأصل : فأصرع .

(٣) كذا ولعلها « الحذر » . (٤) لم يذكر جواب لما في الجمل الآتية .

(٥) رسم الكلمة في الأصل : بكتبتها .



والرقاصة ، نخل<sup>(١)</sup> من كل طبقة مرفوضة ما بعث على الناس منهم ذئاباً عادية ،  
وأعدّهم ليوم السكرية فلم يغنوا عنه شيئاً لما حاق به قضاؤه . وكان قد أقفر  
دار الخدمة بقرطبة ونقلها إلى داره ، فجعلت المواكب تزدحم على بابه ، ولم  
يوفقّه الله لاختيار حاجب لبيب يعلو<sup>(٢)</sup> جماعة حجّابه ، فيحمل له وجوه الناس  
ويرتب قعودهم بدليله فيطعمهم بخروجه أو يعتذر إليهم عنه بما يؤيسهم منه ،  
فيذهبون لسبيلهم مُعافين من سوء غلمانه . وما كانوا يلقونه إلا [ في ] فصيل  
فيه أقدام<sup>(٣)</sup> الرجال لسوء أدب حجّبه في حملهم على الناس بعنف الرد .  
ولربّما دقوا الأنوف ونبهوا الشوارب غير مُبْزِين لطبقة الناس ، فحقّدوا عليه  
إلى أشتات من المساويء نظّمها ، وأنواع من الخازي جمّعها . وألقى له على قلوب  
الناس رهبة مع أضغان<sup>(٤)</sup> شتّبوا بها أصبغة مساويه ، والأقدار تدفع عنه ، إلى  
أن حاقّت به فكبا لفيه . ولم يزل يرتع<sup>(٥)</sup> في مراتع الباطل ، ويابس على الناس  
أمرهم ، وصدّهم عن أميرهم ، وأخذ الله بسمّهم وبصرهم ، وتمثّل لهم الجسد  
الملقى على كرسي سليمان ، فخارت ألبابهم فيه ، وتاهت منه ، من وزير في قعود  
أمير ، وقاض في مسلّاح جندى ، وفتية على دين يحيى بالقول ويقتل بالفعل .  
فسبّحان من سواه من الأمم<sup>(٦)</sup> طينة فأمهله مدة . من رجل عهر الخلوة لزهده  
في النساء وكلّفه بالغلمان . واتخذ داراً آخر مدّته للخلوة بهم ، فكان لا يخدمه  
فيها ولا يحفّ به غير خاصة غلمانه ، ولا يأذن لأحد من طبقات الناس بالدخول  
إليه فيها . فأكثر الناس القول في هذه الدار وسمّوها « دار اللذة » لأنّه كان

(١) في الأصل : نخل . (٢) في الأصل : يغلو .

(٣) رسم العبارة في الأصل : إلا فصيل فيه أقدام .

(٤) في الأصل : اضطغان شتبوا ، والعبارة مبهمّة . (٥) في الأصل : يرجع .

(٦) رسم الكلمة في الأصل : ألم .



يَجِيئُهَا فِي أَكْثَرِ النَّهَارِ عِنْدَ فَرَغِهِ مِنْ أَحْكَامِهِ فَيَقْضِي بِهَا رَاحَتَهُ . فَإِذَا جَاءَ اللَّيْلُ عَادَ إِلَى دَارِ سُكْنَاهُ الَّتِي فِيهَا أَهْلُهُ . وَمِنْ تَمَامِ الْعَجَبِ فِي شَأْنِهِ أَنَّهُ لَمْ يَكْشِفْهُ وَلَا نَبَشَ صَدَاهُ إِلَّا تِلْكَ الطَّائِفَةُ مِنْ بَطَانَتِهِ الَّتِي اخْتَارَهُمْ لِنَفْسِهِ مِنْ أَرَاذِلِ الطَّبَقَاتِ ، وَذَلِكَ مَعَهُودٌ فِي أَمْثَالِهِمْ . فَالْصَّنِيعَةُ لَا تَزْكَو إِلَّا عِنْدَ ذِي حَسَبٍ أَوْ دِينٍ .

قَالَ ابْنُ حَيَّانَ : فَلَمَّا قَطَعَ أَمْوَالَ النَّاسِ جُمْلَةً عَنْ بَنِي جَهْوَرٍ ، وَأَخْلَى أَبْوَابَهُمْ مِنْ جَمِيعِ الطَّبَقَاتِ ، وَلَمْ يَدْعُ لَابْنَ جَهْوَرٍ مِنْ سُلْطَانِهِ غَيْرَ التَّوْقِيعِ وَحْدَهُ ، وَتَقَدَّمَ إِلَى جَمِيعِ أَصْحَابِهِ وَحُجَّابِهِ أَنْ يَدْعَى بِالسُّلْطَانِ . فَكَانَ إِذَا رَكِبَ إِلَى دَارِ أَمِيرِهِ ابْنِ جَهْوَرٍ سَأَلَ سَائِلًا : أَيْنَ يَكُونُ السُّلْطَانُ ؟ قَالَ حُجَّابُهُ : فِي دَارِ الْوَزِيرِ . فَيَجِئُونَ بِمَعْكُوسٍ مِنَ الْقَوْلِ يَمْجِّهُ السَّمْعُ ، دَانَ لَهُ النَّاسُ بِذَلِكَ عَنُودًا وَخَاطَبُوهُ بِالْتَّمُويلِ دَعَاءٍ وَمُسْكَاتِبَةٍ ، إِلَّا قَلِيلًا تَمَسَّكُوا بِالْمُرُوءَةِ فَاسْتَسَبَّوْا لَدَيْهِ مَقْتًا <sup>(١)</sup> . فَظَلَّ يَزْدَادُ مَعَ الْأَيَّامِ اسْتِكْبَارًا ، وَيُبْطِنُ تَدْبِيرًا ، وَيُسِيئُ تَفْطِيرًا <sup>(٢)</sup> . أَخْبَرْتُ أَنَّهُ قَالَ [ لَهُ ] يَوْمًا بَعْضُ بَطَانَتِهِ عِنْدَ مَا رَأَاهُ يَرْتَكِبُ مِنَ الْفَوَاحِشِ : خَفَضَ عَلَيْكَ ! فَقَالَ لَهُ : وَمَا عَلَيْنَا ؟ ! وَاللَّهِ مَا بَهَا كَلْبٌ يَنْبَحُ فَيُجْتَمَعُ إِلَيْهِ ! وَمَا عِلْمُ الْخَائِنِ الشَّقِيُّ أَنَّ هُنَاكَ شَيْئًا أَسَدَ جَهْوَرِيٍّ قَدْ لَبَدَ لِبَطْشٍ بِهِ وَهُوَ عَبْدُ الْمَلِكِ الْأَصْغَرُ مِنْ إِخْوَتِهِ ، لَمْ يَسْتَشِرْ فِي الْفَتْكِ بِهِ غَيْرَ نَفْسِهِ . فَلَمَّا كَانَ فِي يَوْمِ السَّبْتِ لِسَبْعِ بَقِيْنَ لِرَمَضَانَ سَنَةً خَمْسَ وَخَمْسِينَ أَعَدَّ لَهُ رَجَالَةً فِي فَصِيلِ أَبِيهِ ، وَأَقَامَ هُوَ يَنْتَظِرُهُ ، وَأَرْسَلَ عَنْهُ رَسُولًا كَانَ أَبُوهُ يُوجِّهُهُ عَنْهُ . فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى بَابِ ابْنِ جَهْوَرٍ وَمَعَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ الْفَاشِئِينَ مَعَهُ نَزَرُ يَسِيرٍ ، وَأَرَادَ النُّزُولَ عَلَى حَجَرٍ لَاصِقٍ بِالْبَابِ ، وَإِذَا بِعَبْدِ الْمَلِكِ قَدْ قَامَ عَلَيْهِ بِخَنْجَرٍ أَعَدَّهُ لَهُ فَضْرَبَهُ ثُمَّ خَرَجَ

(١) رَسْمُ السَّكْمَةِ فِي الْأَصْلِ : مَعْنَى . (٢) كَذَا فِي الْأَصْلِ وَلَعَلَّهَا تَفْكِيرًا .



عليه الرجالُ المعدُّونَ له وابتدروه كالصُّقُورَةِ بالسُّيُوفِ وحزُّوا رأسه . وَرَكِبَ مِنْ حِينِهِ عَبْدُ الْمَلِكِ وَجَعَلَ رَأْسَهُ عَلَى رُحْمِهِ وَطِيفَ بِهِ الْبَلَدُ كُلَّهُ حَتَّى انْتَهَى إِلَى دَارِهِ « دَارِ اللَّذَّةِ » وَرَمَى رَأْسَهُ لِلْعَامَّةِ ، فَعَاثَتْ فِيهِ وَكَسَرُوا أَنْيَابَهُ وَنَتَفَوْا لِحْيَتَهُ فَأَصْبَحَ شَأْنُهُ عَجَبًا . وَاحْتَوَى عَبْدُ الْمَلِكِ عَلَى تِلْكَ الدَّارِ وَحَازَهَا بِمَا فِيهَا ، وَعَلَى أَصَاغِرِ غُلَامَانِهِ . وَاجْتَازَ عَلَى السَّجَنِ وَأَطْلَقَ مَنْ فِيهِ . وَسَمِعَ أَبُوهُ مُحَمَّدُ بْنُ جَهْوَرٍ خَبَرَ الْوَاقِعَةِ نَفَرَ جَ دَهَيْشًا ، وَرَأَاهُ مُجَدَّلًا فَارْتَاعَ وَتَلَهَّفَ وَانْتَهَرَ ابْنَهُ وَهُوَ يُحَاوِلُ تَطْوِيفَ الرَّأْسِ وَلَمْ يَقِفْ عَلَى أَبِيهِ . وَأَمَرَ ابْنُ جَهْوَرٍ بِسِتْرِ جَسَدِهِ فِي دِهْلِيزِ الْإِصْطَبِلِ . وَتَقَدَّمَ بِإِصْلَاحِ أَبْوَابِ الْمَدِينَةِ ، وَرَكِبَ إِلَى الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ وَقَدْ دَخَلَ النَّاسُ فِي السَّلَاحِ وَجَاشُوا جَيْشًا عَظِيمًا ، وَأَبْدَوْا بِقَتْلِ ابْنِ السَّقَّاءِ سُورًا عَظِيمًا ، وَأَعْلَنُوا بِالشَّمَاتِ بِهِ وَإِقْدَاحِ<sup>(١)</sup> الْقَوْلِ فِيهِ .

١٠

وَقَعَدَ ابْنُ جَهْوَرٍ بِالْمَسْجِدِ الْجَامِعِ عَلَى كُرْسِيِّ الْمُصْحَفِ ، وَبَادَرَ الْمَجِيءَ إِلَيْهِ لِأَوَّلِ الْهَيْشَةِ<sup>(٢)</sup> الْوَزِيرُ الزَّيْنُ ، بِبَقِيَّةِ وَزَرَاءِ الْفِتْنَةِ ، أَبُو إِسْحَاقَ بْنُ حَمَامٍ عَدُوُّ ابْنِ السَّقَّاءِ كَأَنَّمَا أَنْشَطَ مِنْ عِقَالٍ . وَقَتَلَ ذَلِكَ الْيَوْمَ مِنْ حَاشِيَتِهِ نَحْوَ مِنْ عِشْرِينَ رَجُلًا . وَاعْتَصَمَ أَخُوهُ بِمِنَارِ الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ فَفَجَا . وَانْطَلَقَتْ أَيْدِي النَّاسِ عَلَى [أَتْبَاعِهِ]<sup>(٣)</sup> فَنَهَبَتْ دُورَهُمْ . ثُمَّ أَمَرَ ابْنُ جَهْوَرٍ بِسَوْقِ رَأْسِهِ وَضَمَّ إِلَى جَسَدِهِ ، وَوُورِيَ فِي أَخْدُوْدٍ خُدَّ لَهُ بِبَابِ مَسْجِدِ ابْنِ السَّقَّاءِ فِي أَطْحَارِهِ ، وَهَيْلَ عَلَيْهِ التُّرَابُ هَيْلًا . وَسُلِمَتْ كُسُوَةُ الْمَسْجِدِ وَثُرِيَّاهُ ، وَعُطِّلَتْ فِيهِ الصَّلَاةُ ، فَصَارَ ثَاوِيًا<sup>(٤)</sup> لِلثَّأْوَى .

١٥

(١) لعلها إقْدَاحٌ أو إقْدَاعٌ . (٢) في الأصل الهَيْشَةُ .

(٣) بياض في الأصل بقدر كلمة ولعلها في معنى ما أثبتناه .

(٤) كَذَا في الأصل ، ولعلها مَثْوَى لِلثَّأْوَى .



فصل في ذكر الأديب الأستاذ أبي الحسن علي بن عبد الغنى

الكفيف المعروف بالخصري واجتلاب جملة

من نظمه ونثره

وأبو الحسن هذا ممن لحقته أيضاً بعمري ، وأنشدني شعره غير واحد  
من أهل عصرى . وكان بحر براءة ، ورأس صناعة ، وزعيم جماعة . طراً على  
جزيرة الأندلس منتصف المائة الخامسة من الهجرة بعد خراب وطنه بالقيروان ،  
والأدب يومئذ بأفقنا نافق الشوق ، معمور الطريق . فتهدته ملوك طوائفها  
تهادى الرياض النسيم ، وتنافسوا فيه تنافس الديار في الأنس المقيم ، على أنه  
كان فيما بلغني ضيق العطن ، مشهور اللسن . يتلفت إلى الهجاء تلفت  
الظلمات إلى الماء . ولكنه طوى على غره ، واحتفل<sup>(١)</sup> بين زمانته  
وبعد قطره .

ولما خلع ملوك الطوائف بأفقنا حسب ما شرحت فيما تقدم من هذا  
الجموع وأوخت . وأخوت تلك النجوم ، وطمست من الشعر الرسوم ، اشتملت  
عليه مدينة طنجة ، وقد ضاق ذرعه ، وترجع طبعه . وله على ذلك سجع ،  
يمج أكره السمع ، لم يسمح نقدي أن أكتبه ، ولا راقني أن أرويه<sup>(٢)</sup> ،  
وما أراه يسلك<sup>(٣)</sup> إلا سبيل المعري فيما انتحاه ، وكان هو وإياه كما وصف  
العباس بن الأحنف :

هى الشمس مسكنها فى السماء فعزّ الفؤاد عزاء جميلا

(١) فى الأصل : واحتفل . (٢) فى الأصل : ولا رأيتنى أن أدريه .

(٣) فى الأصل : وما أراه إن يسلك .



فلنْ تَسْتَطِيعَ إِلَيْهَا الصُّعُودَ وَلَنْ تَسْتَطِيعَ إِلَيْكَ النُّزُولَ  
أَوْ كَمَا قَالَ ابْنُ الرُّومِيِّ :

دَعُوا الْأَسَدَ [تَرْبُضُ] فِي غَايِهَا <sup>(١)</sup> وَلَا تَدْخُلُوا بَيْنَ أُنْيَابِهَا  
وَهِيَاتَ فِي قُدْرَةِ الْعَمَى ، أَنْ يَجْمَعَ بَيْنَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ ، وَلَا بَتَقَارُبِ  
الصِّفَاتِ ، تَقْتَرِنُ مَنَازِلُ الْمُوصُوفَاتِ .

أَكَلْتُ أَبِي ذُوَيْبٍ مِنْ هَذَا بِلٍ وَكَلْتُ أَبِي دُوَادٍ مِنْ إِيَادٍ ؟ !

جُمْلَةٌ مَا أَخْرَجَتْهُ مِنْ نَثْرِ الْحُصْرَى الْمَكْفُوفِ

فَصَلِّ لَهُ مِنْ رَقْعَةٍ : السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا الْقَلْبُ الثَّانِي ، وَالْبَعِيدُ الدَّانِي .  
الرَّاقِي فِي سَمَاءِ الْمَعَالَى ، الْوَاقِي مِنْ دَاءِ اللَّيَالِي . أَوَّلُ مَنْ عَدَدْتُ ، وَأَفْضَلُ مَنْ  
أَعَدَدْتُ . وَمَنْ لَا زَالَ النَّسِيمُ فِي الْبُكْرِ وَالْعَشِيِّاتِ ، يُهْدِي إِلَيْهِ طَيِّبَ  
التَّحِيَّاتِ . وَمَنْ جُعِلَتْ وَقَاهُ ، وَلَا عَدِمْتُ لِقَاهُ ، فَإِذَا كَانَ الْكَرِيمُ سَالِمًا ،  
كَانَ الزَّمَانُ مُسَالِمًا .

وَلَهُ مِنْ أُخْرَى : وَصَلْ كِتَابُكَ أَبْهَى مِنَ الْحَلَى وَالْحُلَلِ ، وَأَشْهَى مِنَ  
الْقَبُولِ وَالْقُبُلِ . وَشَيْءٌ مَرْتُومٌ ، وَدُرٌّ مَنْظُومٌ ، وَأَنْفَاسٌ عِرَاقِيَّةٌ ، وَمِيَاهُ  
دِجْلِيَّةٌ لَا زُعَاقِيَّةٌ .

فَلَوْ أَنَّي اسْتَطَعْتُ مِنْ ارْتِيَاكِ لَطَرْتُ بِبَعْضِ أَجْنَحَةِ الرِّيَّاحِ  
وَكُنْتُ أَطِيرُ لَوْلَا قَصُّ رِيَشِي وَكَيْفَ يَطِيرُ مَقْصُوصُ الْجَنَاحِ  
كِتَابٌ كَأَخْلَاقِكَ لَوْلَا سَوَادُهُ ، الْهُدْبُ حُرُوفُهُ وَالْحَدَقُ مِدَادُهُ .  
فَاسْتَقْبَلْتُ مِنْهُ قِبْلَةَ الْحُسْنِ ، وَقَبَّلْتُهُ تَقْبِيلَ الرُّكْنِ ، وَقُلْتُ لِصَاحِبِي : اقْرَأْهُ

(١) رَسْمُ الشَّطْرِ فِي الْأَصْلِ : دَعَا الْأَسَدَ فِي غَايِهَا ، وَلَمْ نَعَثْ عَلَى الْبَيْتِ فِي دِيَوَانِهِ .

على . فلما نظروه عجبوا من خطه ، وتعجبت أنا من لفظه وضبطه . فتَنَزَّهوا  
بالناظر ، ونَزَّهوني بالسمع والخواطر . فسكنت الأظفر ، وكان حظي الأوفر ،  
إذ بصرت بما لم يبصروا به ، من فنون العلم وضروبه .

قوله : « فتَنَزَّهوا بالنواظر ، وتنزَّهت بالسمع والخواطر » معنى مُتَدَاوِلٌ  
منقول ، وكأنه محلول من قول الرضى حيث يقول :

فَاتَنَى أَنْ أَرَى الدِّيارَ بَعِينِي      فَلَعلِّي أَرَى الدِّيارَ بِسَمْعِي

وله فصل من أخرى : والعلم منهاج ، وسراج وهاج ، ما صدى من  
سقاء صوب صفائه ، ولا عرى من كساه ثوب عرائه <sup>(١)</sup> . ولا حاف عن الحق  
لسان من يرويه ، ولا خاف من الخلق جنان من يحويه . هو الجوهر  
استخرجته <sup>(٢)</sup> أفكار اللىالى من بحورها ، فالتقطته أبقار المعالى لنحورها .  
وجمع العلوم كمال ، والأدب منها جمال ، هو لسان النبي العربي ، صلى الله عليه .  
فقيه يلحن ، حمار يطحن ، وكاتب غير أديب ، أشبه الحيوان بذيئ ،  
وشاعر غير معرب ، أشبه من بان بمخرَّب . رب وزير يعجب الناس وهو  
صامت ، فإذا نطق فكل حاسد به شامت .

وله من رقيقة طويلة : خاطب بها أبا الحسين بن الطرارة ، وجرت بينهما

هنا ، قال في أولها :

يَمُوتُ مَنْ فِي الْبِلَادِ طُرًّا      مِنْ طَيِّبٍ كَانَ أَوْ خَبِيثٍ

فُسْتَرِيحٌ وَمُسْتَرَاخٌ      مِنْهُ كَذَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ

ما حياتي بين الحيات ، وثباتي في الجميع أو الثبات ، وقد حانت وفاة

(١) كذا في الأصل ولعلها (غنائه) أو ما يشبهها .

(٢) في الأصل : استخرجته أبقار .



الوفاء ، وخانت صفات الصفاء ، وأرداني الزمان بأردانه ، وأعياني بتقلب أعيانه ؟ الجاهل هو الحاذي ، والعالم مَبْخُوسُ الأَحَاطِي<sup>(١)</sup> ، والغاوي مَقْبُولُ الدَّعَاوِي . وما أبعدَ الخَيْرَ مِنَ الْعَيْرِ ، وَالْكَيْسَ مِنَ التَّيْسِ ، وَالْفَضْلَ مِنَ الْفَسْلِ ! إذا كَانَ الْجَاهُ لِلْجَاهِلِ ، وَالْبَاسُ عَلَى الْبَاسِلِ ، وَالْمُنَافِقُ هُوَ الْفَافِقُ ، وَصَوَّحَتِ الْمَرَاعَى ، وَقَلَّ الْمُسَاعِدُ وَالْمَرَاعَى ، فَيَا دَهْرُ مَا أَشْهَكَ ، وَيَا مَوْتَ مَا أَشْهَكَ ،  
• الْمَنِيَّةُ هِيَ الْأَمْنِيَّةُ . فَالْبَرُّ بَائِرٌ ، وَالْحُرُّ حَائِرٌ ، بَيْنَ أَخَوْنِ<sup>(٢)</sup> إِخْوَانٍ ، وَأَجُورٍ جِيرَانٍ ، إِنْ وَصَلَهُمْ صَرْمُوهُ ، أَوْ سَأَلَهُمْ حَرْمُوهُ . وَإِنْ أَجَابَ بِالصَّوَابِ ، قَالُوا أَخْطَأَ فِي الْجَوَابِ .

٩٨ | وَمَا أَضْحَكُنِي مِلءٌ فِي ، وَأَطَاشَنِي وَلَيْسَ الطَّيْشُ فِي ، هَذَا الْمُتَنَحَوِيُّ  
الْمُتَنَحَوِيُّ . سَقَطَ إِلَى دَانِيَةٍ ، وَطَمِعَ فِي الْأَجَادِلِ ، وَإِنْ كَانَ أَوْضَعُ مِنَ  
١٠ الْعِنَادِلِ ، فَعَادَ ذَمِّرًا ، وَإِنْ كَانَ زَمِيرًا ، وَبَعَثَ رَسُولَهُ لِي يَقُولَ : كَيْفَ تَكْتَفِ  
نَقْرِي ؟ فَقُلْتُ : إِنْ كَانَ الْجُنُونُ دَاءً فَالْكَى يُبْرِئِي . وَنَظَمْتُ قَصِيدَةً سَمَّيْتُهَا  
سَهْمَ الشَّهْمِ ، وَضَمَنْتُهَا مَسَائِلَ لَا تَخْفَى عَلَى أُولَى الْفَهْمِ . فَمَا بَلَغْتُهُ حَتَّى دَمَعْتُهُ ،  
وَأَلْقَاهَا كَأَنَّهَا حَيَّةٌ لَدَغْتُهُ .

١٥ | وَفِي فَصْلِ مِنْهَا : وَأَمَّا زَعْمُهُ أَنِّي لَمْ أَدْرِ اسْمَ سَيْبُوِيهِ فَمِنْ مُضْحِكَاتِ الدَّهْرِ ،  
أَمَّا كِفَاؤُهُ فِي الْآيَاتِ وَالْأَبْيَاتِ حَتَّى تَعَرَّضَ لِعِرْضِي غُرُورًا : « إِنْ هَذَا  
إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ » ، فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا . أَنَا الَّذِي  
سَبَقْتُ الشُّعْرَاءَ ، وَفَضَحْتُ فِي الْمَحَافِلِ الْوُزَرَاءَ . فَلَوْ لَا ذَا بَسُورِ حِمَى حَمِيَّتِهِ ،  
وَلَوْ عَادَ بَنُورُ عِلْمِي لَهْدِيَّتِهِ . أَيُّهَا الْمُمُوءُ بِجَهْلِهِ ، وَالْمَدَّعَى الْعِلْمَ وَلَيْسَ مِنْ أَهْلِهِ ،



سَكِرْتَ فَصَحْوِكَ لَا يُحَرِّمُكَ . اعْتَرِفْ بِذَنْبِكَ ، قَبْلَ صَرْعِكَ عَلَى جَنْبِكَ ،  
فِي دَحْضِ حِجَابُكَ ، وَتَطْمِسَ حَاجُكَ ، إِلَامَ تَلَجًا فِتَاوِي ، إِذَا نَفَدَتْ فِيكَ  
الْفِتَاوِي ؟! وَكَأَنِّي بَيْنَ ضَمِّكَ قَدْ ضَامَكَ ، وَبَيْنَ لَمَمِكَ قَدْ لَامَكَ ، وَبَيْنَ حَلَاكَ ،  
قَدْ خَلَاكَ ! الْحَقَائِقُ وَاضِحَةٌ ، وَالْخَارِقُ فَاضِحَةٌ . تَشَبَّهَ بِالْحَصِيٍّ أَمَا يُدْرِي الْفَحْلُ  
مِنَ الْخَصِيٍّ !! مَثَلُ الْعَالِمِ وَالْجَاهِلِ ، مَثَلُ الْفَاهِقِ وَالصَّاهِلِ .

وَلَيْسَ يَصِحُّ فِي الْأَفْهَامِ شَيْءٌ إِذَا احتَاجَ النَّهَارُ إِلَى دَلِيلٍ  
وَزَعَمَ هَذَا الْأَهْوَجُ الْأَعْوَجَ أَنَّهُ لَمْ يَعْرِفْ رَمْنِي ، وَلَا سَمِعَ بِاسْمِي ، كَأَنَّمَا  
وُلِدَ بِالْأَمْسِ ، أَوْ بُعِثَ مِنَ الرَّمْسِ ، أَوْ عَمِيَ عَنِ الشَّمْسِ ، لَوْ عَلِمَ قَدَّرَ نَفْسِهِ  
لَمْ يَجْهَلِ الْعَلَمَ ، وَلَوْ أَرَادَ السَّلَامَةَ لَأَتَى السَّلَامَ .

١٠ وَفِي فَصْلِ مِنْهَا : يَا مَهْمُوسَ ، أَنَا الطَّاءُ ، وَأَنْتَ الْهَوَاءُ ، فَلَسْتَ مِنْ طِبَاقِي ،  
كَمْ بَيْنَ هَمْسِكَ وَإِطْبَاقِي ! لَوْ زُرْتَ تُقْرَانُ<sup>(١)</sup> وَنَجْرَانُ ، لَأَلْفَيْتَ ذِكْرِي قَدْ  
عَلَا ، وَشِعْرِي قَدْ غَلَا . مَا أَعْيَانِي<sup>(٢)</sup> فِي غَيْبٍ ، إِلَّا ذُو عَيْبٍ وَخِيمٍ ، مَعَ لَوْمٍ  
مَعْلُومٍ . وَلَوْلَا بَدْوُكَ بِالنَّجْهِ ، لَمَا كَبَيْتُكَ عَلَى الْوَجْهِ . وَكُنْتَ فِيمَا تَظُنُّ نُورًا  
فَكَسَفْتُكَ ، وَمَسْتَوْرًا فَكَشَفْتُكَ . وَمَا اسْتَوْعِبْتُ خَطَاكَ وَلَا اسْتَقْصَيْتُهُ ، وَلَوْ رَمْتُ  
عَدَدَهُ مَا أَحْصَيْتُهُ . وَهَلْ شِعْرُكَ إِلَّا كَنَحْوِكَ ؟! وَمَا أَبْرَدَ الْهَوَاءُ مِنْ نَحْوِكَ ،  
أَلَسْتَ الْمُنْشِدُ فِي الْحَاجِبِ أَبِي حَكَمَ :

أَبَا حَكَمٍ قُتِّ الْمُلُوكُ جَلَالَةً فَكَلَّمَهُمْ فَأَسَّ الْحَافَةَ عَالِكُ

لَوْ زِدْتَ الْيَاءَ فِي فَاكِ ، لَسَكَانَ أَشْبَهَ بِأَنْفَاسِكَ ؟  
وَلَهُ مِنْ أُخْرَى إِلَى الْأَذِيبِ فَاغَمَّ بِمَالِقِهِ : أَبِي صَرْفُ الْقَضَاءِ ، وَشَبِيهُ  
لِسَانِكَ فِي الْمَضَاءِ ، وَنَظِيرُ صَدْرِكَ وَيَدَيْكَ ، فِي سَعَةِ الْمَعْرُوفِ وَالْعُلُومِ لَدَيْكَ ،



أَنْ أكونَ مِنْ زُورِكَ ، فَأَقْبِسَ مِنْ أنوارِكَ ، وَأَقْطِفَ مِنْ أنوارِكَ يا لُبَّابَ  
أولى الألباب ، يا سلسبيلَ أبناءِ السبيل .

فَارَقْتَنِي وَأَنَا وَالشوقُ الْفانِ فَاسْأَلْ رَسولَكَ عَنى كَيْفَ أَلْغَانِي  
قَبِلْتُ كُتُبَكَ مِنْ فَرطِ الهَوَى قَبَلًا أَقْلُهُنَّ إِذَا عَدَدْتَ أَلْغَانِي

وَلَمَّا شَقَمْتَنِي بِغُرَرِكَ الْأَثِيرِ ، وَرُقَمْتَنِي بِدُرَرِكَ النَّثِيرِ ، ذَمَمْتُ عَبْدَ الْحَمِيدِ ،  
وَمُحَمَّدَ بْنَ الْعَمِيدِ ، وَأَنْشَدْتُ :

لَقَدْ فَاتَ فِي نَثَرِهِ غَانِمٌ بِدَيْعِ الزَّمَانِ وَقَابُوسُهُ

وَرَوَى الظُّمَاءَ بِمَاءِ النِّعَمِ فَلَا عَيْشَ إِلَّا وَقَى بُوسُهُ

وَكُنْتُ — أَبْقَاكَ اللَّهُ مِنْهَلًا عَذْبًا لِأَوْدَائِكَ ، وَمُنْصَلًّا عَضْبًا عَلَى

أَعْدَائِكَ — صَنَعْتُ قَصِيدًا يُحْيِي الطَّرَبَ ، إِذْ كَانَ فِيهِ تِسْعَةٌ وَتُسْعُونَ بَيْتًا ،

وَكُنْتُ كَتَبْتُهُ ، فَلَمْ أَجِدْهُ إِذْ طَلَبْتُهُ ، وَفَكَرْتُ الْآنَ فِيهِ ، فَلَمْ أَحْفَظْ غَيْرَ

قَوَائِيهِ ، وَهَذِينَ الْبَيْتَيْنِ :

تَحِيَّتِي وَسَلَامِي عَلَى الْأَدِيبِ الْبَلِيعِ

الْمُرْتَدِّي بِالْمَعَالِي وَالْحَلِمِ قَبْلَ الْبُلُوغِ

وَأَنَا رَبُّ الْقَرِيضِ الْجَيِّدِ ، لِأَنِّي أَقُولُ فِي الْأَدِيبِ السَّيِّدِ .

مِنْ طِينِ طُوبَى خُلِقْتَ فَذَا فَأَنْتَ فِي ذَا الْوَرَى غَرِيبُ

بَدَّلْتُ النُّونَ فِيكَ بَاءً فَالنَّاسُ طِينُ وَأَنْتَ طِيبُ

وَلَهُ مِنْ أُخْرَى إِلَى أَبِي الْفَضْلِ بْنِ حَسَدَايَ الْيَهُودِيِّ<sup>(١)</sup> شَاكِيًا بِصَهْرِهِ

ابْنِ عَبَّاسٍ : سَيِّدِي الَّذِي حُتِمَتْ عَلَيْهِ الْمِنْعُ ، فَخُتِمَتْ بِهِ الْمَدْحُ . حَفِظَ اللَّهُ

عَلَاكَ حِفْظَ سَمَائِهِ ، وَأَعَاذَكَ مِنَ الْعَيْنِ بِأَسْمَائِهِ . بِحُسْنِ أَوْصَائِكَ ، أَحْكُمُ

(١) وقعت لفظة « اليهودي » في الأصل بعد (ابن عباس) بدلا من (ابن حسداي) .

بإنصافك . أترضى لصهرك المشرف ، بأخلاق البخيل المسرف ؟ قصدت  
بالرّهان للسلف ، فعدت بالدّهان والصلف . وسألت في الزّمان ، فأعطيت عطاء  
الزّمان ، وأنا شاعر الزّمان فأخط ، فما رفع أو حط ، ولا بد أن أنشده لأرشدّه :

أيّها المشرف حاشا لأولى الرأي الخطاء  
لا تقل ما بيدي ما لولا عندي عطاء  
بيت أموالك بحر ما على البحر غطاء  
أحمد غير علي حين يشتد الوصاء  
هل هافي الهمس والإطباق إلا ها وطاء  
وكذاك الخيل منهن سراع وبطاء

١٠ وصديقتك إن لم يأت فابسط عذره بهذه الأبيات :

عرفان عرفك شاقني فلو استطعت لساقي  
ما بال صهرك صدني وإلى سنك أناخي<sup>(١)</sup>  
وأنا الرّحيق سقيته فاسأله كيف أراقني  
ولقد حلوت وليتي أمررت لما ذاقني

قد كنت رحب الصدر حتى غاظني فأذاقني

هو عقني وبررتني هو عن لقائك عاقني

إني أخف على [الوزير] ولو ثقلت لطاقي

نفسى فداؤك يا أبا الفضل الذي قد راقني

أحبته وأحبني فاشتقته واشتاقي

من سال عنك أجبته ما فقتة بل فاقني



ما أخرجته من شعره في أوصاف شتى

النسيب وما يتشَبَّبُ به :

أعبدُ رِيَّانَ بماءِ النِّعِيمِ      أَلْبَسَنِي السُّقْمَ بِالْحِظِّ سَقِيمِ  
قد خَطَّ بِالمِسْكِ عَلَى خَدِّهِ      ما الحُسْنُ إِلَّا لِأَدِيمِي أَدِيمِ  
يا عاذِلًا يَحْسَبُنِي <sup>(١)</sup> مِثْلَهُ      لَا تَحْسَبِ السَّالِمَ مِثْلَ السَّلِيمِ

وقال :

وهبتُ قُوَايَ لِلْحَدَقِ الضَّعَافِ      وإنْ كَانَتْ بِسَفْكِ دَمِي تُكَافِي  
فَكَانَ الضَّعْفُ قُوَّتَهَا عَلَيْنَا      وهلْ ذَا الطَّبَعُ إِلَّا فِي السَّلَافِ !  
شَغَلْنَا عَنْ مُسَاعَدَةِ اللُّوَاحِي      بِشَاغِلَةِ الْحَجِيجِ عَنْ الطَّوَافِ  
خَضِبْتُ الشَّيْبَ أَخْذُعُهَا فَقَالَتْ      تَشَبَّهَتْ الْحَمَامَةُ بِالْغُدَافِ  
فَقُلْتُ صَدَقْتَ لِمَ أَنْكَرْتَ مِنِّي      وَأَنْتِ عَفِيفَةٌ نَبَتْ <sup>(٢)</sup> الْعَفَافِ ؟  
فَقَالَتْ بَيْنَنَا فِي الشَّيْبِ خُلْفٌ      وَبُفْتِنَا بِمَسْأَلَةِ الْخُلَافِ  
وَلَمَّا أَيْنَعْتُ رُمَانَتَهَا      وَنَادَى الْوَصْلُ حَيَّ عَلَى الْقَطَافِ  
تَأَذَّتْ فِيهِمَا بِفَمِي فَقَالَتْ      شَمَائِلُ عَاشِقٍ وَفَعَالٍ جَافِ

قوله : « تَشَبَّهَتْ الْحَمَامَةُ بِالْغُدَافِ » كقول القائل :

يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ الْمَسُودُ شَعْرَهُ      كَيْمَا يُعَدُّ بِهِ مِنَ الشُّبَّانِ  
أَقْصِرْ فَلَوْ سَوَّدَتْ كُلَّ حَمَامَةٍ      بَيْضَاءَ مَا عُذَّتْ مِنَ الْعِرْبَانِ  
وما أُمْلِحَ قَوْلَ أَبِي بَكْرٍ الْخَالِدِيِّ :

مَا كَانَ يَنْفَعُهُ لَدَيَّ شَبَابُهُ      فَعَلَامَ يُجْهِدُ نَفْسَهُ بِحِضَابِهِ !

وقال الحضري :

مَنْ لِي بِظُلْمِي جَنَاهُ مَعْسُولُ      دَمِي بِدَمْعِي عَلَيْهِ مَغْسُولُ  
أَقْرَأُ فِي خَدِّهِ كِتَابَ هَوَى      أَنْ دَمَ الْعَاشِقِينَ مَطْلُولُ  
حُسَامُ عَيْنَيْكَ مِنْ فُتُورِهَا      كَأَنَّهُ مُغَمَّـدٌ وَمَسْلُولُ  
اغْمَدْ وَسُـلِّ لَيْسَ لِي وَزَرُ      أَنَا عَلَى الْحَالَةِ بَيْنَ مَقْتُولُ

وقال :

رُدِّي حُشَاشَةَ عَاشِقٍ مَهْجُورِ      بَيْنَ الْمَلُومِ عَلَيْكَ وَالْمَعْدُورِ  
لِلوَلُوِّ الْمَنْظُومِ فِي فَمِكَ انْبَرَتْ      عَـبْرَاتُهُ كَالْوَلُوِّ الْمَنْشُورِ  
ذَكَرَ الْفِرَاقَ فَاتَ إِلَّا شَوْقَهُ      وَأَوَّلُو الْهَوَى مَوْتِي بَغِيرِ قُبُورِ  
وَدَّعْتُ مَنْ أَهْوَى بَلِ اسْتَوْدَعْتُهَا      قَلْبِي وَسِرًّا مَدَامِي وَزَفِيرِي  
فَبَكَتُ بِنَرَجِسَتَيْنِ خِفْتُ عَلَيْهِمَا      نَفْسِي فَلَمْ أَلِمْ بِغَيْرِ ضَمِيرِي  
قَالَتْ : أُرَحِّلُ وَالْأَحِبَّةُ هَهُنَا      قُلْتُ : الْقَضَاءُ كَمَا عَلِمْتَ ضَرُورِي  
قَالَتْ : مَتَى الرَّجْعِي فَقُلْتُ : إِذَا تَهَيَّ      (مَقْدُورُ رَبِّ ، مُقَدَّرِ الْمَقْدُورِ)<sup>(١)</sup>  
وَعَسَى مُفَرَّقَنَا سَيَجْمَعُ بَيْنَنَا  
وَلَنْ أَبَى مَنْ تَعْلَمِينَ فَرُبَّمَا      إِنْ الْعَسِيرَ عَلَيْهِ غَيْرُ عَسِيرِ  
لَا تَجْزَعِي مِنَ نَسْكِةِ الدُّنْيَا وَإِنْ      حَدَّثْتُ أُمُورَ لَانْتِقَاضِ أُمُورِ  
سَاءَتْ فَرُبَّ مَسَاءَةٍ لِسُرُورِ      سَاءَتْ فَرُبَّ مَسَاءَةٍ لِسُرُورِ

وله في غلام كان يُسَمَّى هَارُونَ :

يَا غَزَالًا فَتَنَ النَّاسَ      سَ بَعِينِيهِ فُتُونَا  
أَنْتَ هَارُوتُ وَلَكِنْ      صَحَّفُوا تَاءَكَ نُونَا

وقال مما ذهبَ به مذهبَ أَبِي الْفَتْحِ الْبُسْتِي صاحبِ الطَّرِيقَةِ الْأَنِيقَةِ فِي

تَجْنِيسِ الْقَوَافِي :



أصبحتُ مَفْتُونًا بِكُمْ مُدْنَفًا      وَإِنَّمَا بُرْنِي لِمَى فَاتَنِي  
يَا أَمْلَحَ النَّاسِ وَحَقَّ الْهَوَى      لَوْ كَانَ لِي الْحُكْمُ لَمَّا فَاتَنِي  
وقال : رَابَهُ عِلَّتِي <sup>(١)</sup> ضَنِّي فَاتَانِي      عَائِدًا فِي يَدِهِ [لِي] يَأْسِمِينُ  
فَتَفَاءَلْتُ أَنَّهُ قَدْ تَهَدَّى      لَهْزَالِي فَقَالَ لِي يَا سَمِينُ  
وقال : رَبِّ ظَنِّي هَوِيَّتُهُ      يَنْتَمِي لِلْهَوَا وَازِنَهُ  
قُلْتُ مَا أَثْقَلَ الْهَوَى      قَالَ مَا لِلْهَوَى زِنَهُ  
وقال : إِنْ كَتَمْتُ الْهَوَى فَقَدْ      صَارَ سِرِّي عَلَانِيَهُ  
لَسَقَامٌ أَذَابَنِي      وَشُحُوبٌ عَلَانِيَهُ  
وقال :

فَكَرَّتْ فِي خَلْقِ الْوَرَى فَاسْتَوَى      عِنْدِي عَبِيدٌ وَسَلَاطِينُ  
أَصْلُ الْفَرِيقَيْنِ — وَمِنْ أَجْلِ ذَا      قَلْبِي عَنْ <sup>(٢)</sup> الْهَمِّ سَلَا — طِينُ  
وَكَانَ سَأَلَ بَعْضَ الْمُلُوكِ أَنْ يَكْسُوهُ وَمَطْلَهُ ثُمَّ أَعْطَاهُ قَحًّا مُسَوِّسًا ، فَقَالَ فِيهِ :  
يُرِيدُ سِيَاسَةً مَنْ لَا يُسَمَّى      وَطَمِعَ فِيهِ يَأْتِي أَنْ يَسُوسَا  
سَأَلْتُ كُسَى فَمَنَّنِي بِقَمَحٍ      وَأَعْطَانِي مَكَانَ الْقَمَحِ سُوسَا

وقال أَوَّلَ جَوَازِهِ إِلَى الْأَنْدَلُسِ :

فِي كُلِّ أَرْضٍ مَوْطِنُ      يُعْرِفُ فِيهِ جَاهُنَا  
وَإِنَّمَا أَلْجَأَنَا      إِلَى هُنَا إِلَهْنَا  
وقال : يَأْمَنَ تَكْحَلُ طَرْفُهَا      بِالسَّحْرِ لَا بِالْإِمْدِ  
نَفْسِي كَمَا عَذَّبَتْهَا      وَقَتْلَتِهَا بِالْإِثْمِ دِي  
وَأُنْشَدَ يَوْمًا بَيْتَ الْمَعْرِيِّ :

يَا قُوتَ يَا قُوتَ رُوحِي      رُوحِي بِرَاحِ بَرَاكِ

(١) فِي الْأَصْلِ : عَلَى . (٢) فِي الْأَصْلِ : عَلَى .

وفيه ست كلمات مُتجانساتٍ على قِصرِ عَرُوضِهِ .  
وكُلِّفَ تَذْيِيلَهُ فقال :

أَوْفَاكِ أَوْفَاكِ رِقِّ رِقِّ بِطَاحِ بِطَاحِ<sup>(١)</sup>  
فَقِيلَ لَهُ لَوْ ذَيَّلْتَهُ بِبَيْتٍ فِيهِ يَاءُ النِّدَاءِ كَمَا فِي بَيْتِ أَبِي الْعَلَاءِ ، فَقَالَ :

يَا زَوْرُ يَا زَوْرُ فِيهَا فِيهَا نُوَاحِي نُوَاحِي

وَقَدْ قُلْتُ فِيمَا تَقَدَّمَ مِنْ تَلْخِيصِ التَّعْرِيفِ بِخَبَرِ الْحُضْرِيِّ إِنَّهُ اتَّبَعَ الْمَعْرِيَّ  
فِي سُلُوكِ هَذِهِ الْمَسَالِكِ ، فَضَلَّ عَنْهَا هُنَاكَ . عَلَى أَنَّهُ لَا يَتَّفِقُ لِأَحَدٍ لَضِيقِ هَذَا  
الْبَابِ ، أَكْثَرُ مِنَ الْوِزْنِ وَالْإِعْرَابِ .

وَلَهُ فِي الْمَدِيحِ :

قال :

١٠

ظَمِئْتُ وَمُنْهَلْتُ الْمَدَامِعَ مَنَهْلِي  
عَلَى سَلْسَلٍ مِنْ ذِي غُرُوبٍ<sup>(٢)</sup> وَإِنْ غَدَتْ  
فِيَا نَعْمُ وَأَفَاكِ النَّعِيمُ فَأَنْعَمِي  
خَلَفْتُ لِرَبَّاتِ الْخُدُودِ بِمَا جَنَى  
وَمَا صَامَ مِنْ خَصْرِ لَهْنٍ مُخَفَّفٍ  
وَمَا وَرَدَتْ مِنْ أَدْمَعِي بِمُورِدٍ  
وَمَا شَاقَنِي مِنْ شَقِّ جَيْبٍ وَمَدْمَعٍ  
لَأَنْتَنَ أَشْفَى لِلْسَّلِيمِ مِنَ الرُّقَى  
وَإِنْ يَكُ دَهْرِي ضَمَنِي ثُمَّ ضَامَنِي  
هُمَامٌ إِذَا [ مَا ] هَمٌّ بِالْأَمْرِ فَا مَتَطَيَّ

١٥

٢٠

(١) هذه الأبيات الثلاثة المحنسة غير واضحة المعنى ولم نعثر عليها في مظانها الأخرى

(٢ — ٢) رسمها في الأصل : وإن عوت معالي القوافي كالرأده .



وقال من أخرى :

على العدوّة القُصوى وإن عَفَتِ الدارُ  
وَحُقَّ بُكَاءُ العَيْنِ وَالْقَلْبُ مُسْعِدُ  
أَعَادَى عَلَى فَضْلِي وَاسْتَصْحَبُ الْعِدَى  
مَدِيحِي هَجَاءٍ وَابْتِسَامِي تَجْهَمُ  
وَلَمْ أَرَ مِثْلِي فَاضِلًا يَنْقُصُونَهُ  
عَزِيزُ عَلَيْنَا أَنْ نُقِيمَ بِذِلَّةٍ  
شَفَى اللَّهُ دَاءَ الْقَيَرَوَانِينَ بَعْدَنَا  
وَكَيْفَ غِنَاءُ الطَّيْرِ فِي غَيْرِ أَيْكِهََا  
وَإِنِّي لِأَوْلَى بِالْبُكَاءِ لِأَنَّهَا  
أَلَا يَابِرُوقًا لُحْنٌ مِنْ نَحْوِ صَبْرَةٍ  
عَسَى فَيْكٍ مِنْ مَاءِ الْحَبِيبَاتِ شَرْبَةٌ  
وَمِنْهَا يَعْتَذِرُ مِمَّا كَانَ قُرْفَ بِهِ :

أُصِيبَ قَصِيدٌ فِيهِ كُفْرٌ فَنِيْطَ بِي  
وَمِنْ كُلِّ كَفْرٍ قَدْ رُمِيتُ بِصَخْرَةٍ  
وَلَهُ مِنْ أُخْرَى فِي الْمُعْتَمِدِ :

أَعْنِ الْإِغْرِيبُضِ أُمَ الْبَرَدِ

يقول فيها :

يَا هَارُوتِي الطَّرْفِ تَرَى  
فَطَعَنْتَ الْأَسَدَ بِلَا أَسَلِ

ضَحِكَ الْمَتَعَجِّبُ مِنْ جَلْدِي !

[ كَمْ لَكَ ] نَفَثَاتُ فِي الْعُقَدِ  
عَبَثًا وَقَتَلْتَ بِلَا قَوْدِ

سَلَامٌ غَرِيبٍ لَا يُوُوبُ فَيَزْدَارُ  
لِمَنْ بَاتَ مِثْلِي لَا حَبِيبٌ وَلَا جَارُ  
وَلِي حَسَنَاتٌ عَنْدَهُمْ هِيَ أَوْزَارُ  
وَشَكُوَايَ كُفْرٌ وَاعْتِرَافِي إِنْكَارُ  
بَلَى قَلَمًا يَخْلُو مِنَ الْقَرْضِ دِينَارُ  
فَلَيْتَ حَشَايَا الْوُطَيْئَةِ أَكْوَارُ  
فَقَدْ مَرَضْتُ لِلْقَيَرَوَانِينَ أَبْصَارُ  
وَقَدْ بَعُدْتُ عَنْهَا فِرَاحٌ وَأَوْكَارُ ؟ !  
تَطِيرُ إِذَا اشْتَاقْتُ وَمَا أَنَا طَيَّارُ  
وَلَيْسَ لَهَا إِلَّا دُمُوعِي أَمْطَارُ  
وَلَوْ مِثْلَ مَا يُورَعِي مِنَ الْمَاءِ مِنْقَارُ

وَكَمْ شَاعِرٍ قِيَلَتْ عَلَى فِيهِ أَشْعَارُ  
وَفِي رَاحَتِي لَوْ أَمَكَّنَ الرَّأْيُ أَحْجَارُ

رَشَاءً يَصْطَادُ الْأُسْدَ وَكَمْ  
وَاهَا لَجْدِيدٍ مِنْكَ وَهَى  
رُضْتُ الْأَيَّامَ جَوَامِحَهَا  
وَبَلَوْتُ النَّاسَ فَلَسْتُ أَرَى  
الْقَوْمُ بِحَارٍ مَسْجُورًا  
لَمْ يَعْدِمُ وَارِدُهَا دُرَّرَ الْ  
أَبْنَى عِبَادٍ مَا حَسَنْتَ  
نَقَدَ الْكَرْمَاءِ الدَّهْرُ مَعِي  
وَقَضَى لَكُمْ بِالْفَضْلِ عَلَى  
دَانَتْ بَغْدَادُ لِقَرْطُبَةٍ  
سَمِعُوا بِرَشَادٍ فَقَى لَيْخَمٍ  
قَرَأُوا شِعْرَ الْأَخِي فَمَا  
يَا فَرْعَ الْمُنْذِرِ وَالنُّعْمَا  
طُفِفَتْ أَنْوَارُ أُمِّيَّةٍ فِي  
نَافَسَتْ بِقَصْرِهُمْ إِرْمًا  
مُرٌّ وَافْتَحَ بَاقِي أُنْدَلُسٍ  
عَبْدُ الرَّحْمَنِ وَلِي خَمْسِينَ  
لَوْ أَنَّ الْأَرْضَ بِلَا جَبَلٍ  
بَشَّارُ أَمْلَكَ مُمْتَدِّحًا  
يَكْبُو عُبُودٌ فِي خَبَبِي

رَامَتْهُ الْأُسْدُ فَلَمْ تَصِدِ  
وَشَبَابَ بَانَ فَلَمْ يَعُدِ  
وَكَفَفْتُ اللَّذَّةَ عَنِ اللَّذِّ  
كَبْنِي عِبَادٍ مِنْ أَحَدِ  
ت<sup>(١)</sup> مَحْفُوفَاتٍ بِالزَّبَدِ  
آدَابٍ وَلَا دُرَّرَ الصَّفَدِ  
إِلَّا بِكُمْ الدُّنْيَا فَقَدِ  
فَتَخَيَّرَكُمْ فِي الْمُنتَقَدِ  
مَنْ فِي أَدْنَى أَوْ فِي الْبُعْدِ  
وَخَلَّانِيهَا لِلْمُعْتَمِدِ  
فَنَفَقُوا هُرُونَ عَنِ الرَّشَدِ  
يَرْضَ الْمَعْتَرِ عَنْ الْوَلَدِ  
نِ بِلَغَتْ النَّجْمَ فَطُلُ وَزِدِ  
قَصْرَ الْخُلَفَاءِ فَقُلْتَ قَدِ  
فَكَانَ أُمِّيَّةً لَمْ تَشِدِ  
مَا فِي صَبَبٍ أَوْ فِي صَعْدِ  
وَأَنْتَ تَزِيدُ عَلَى الْعَدَدِ  
وَعَلَيْهَا حِلْمُكَ لَمْ تَمِدِ  
فَأَنْسَ بَغْرَائِيهِ الشُّرْدِ  
فَالْعَيْزُ وَرَاءَ الْمُنْجَرِدِ

٥

١٠١

١٠

١٥

٢٠



ولعلَّ بلادك لى وَطَنٌ فَأَحْطَ الرَّحْلَ عَنْ الْأَجْدِ  
 وَأَقَابِلَ مِنْكَ سَنَى قَمِيرٍ لَوْ قَابَلَهُ الْأَعْمَى لَهْدَى  
 وله من أخرى : وهى من أعلا حُجَجِهِ ، وأجلى سُرْجِهِ ، أنشدها أحمد  
 ابن سليمان بن هود المتلقَّب كان من الألقاب السلطانية بالمقتدر حين غلب  
 على بن مجاهد على دانية :

٥

كَذَا تَفْتَضُّ أَبْكَارَ الْبِلَادِ وَلَا مَهْرٌ سِوَى الْبَيْضِ الْجِدَادِ  
 هَدَيْتَ الْعَسْكَرَ الْجُرَّارَ لَيْلًا فَأَهْدَيْتَ الظُّبَاةَ إِلَى الْهَوَادِ  
 مَلَأْتَ بِهِ الْفُضَاءَ فُضَاءَ لَيْلٍ مَحْتٌ فِيهِ الظُّبَاةُ شَكْلَ السَّوَادِ  
 وَمَا أَقْبَلْتَ إِلَّا بَعْدَ مَا قَدْ سَقَيْتَ الثَّغَرَ مِنْ ثَغْرِ الْأَعَادِ  
 وَكَانَ مَرَامُ دَانِيَةِ عَزِيزًا فَهَانَ عَلَى الْمُسُومَةِ الْجِيَادِ  
 فَآثَرَتِ الْعَوَالِي فِي الْمَعَالِي وَآثَرَتِ الصَّلَادِمَ فِي الصَّلَادِ  
 كَأَنَّ سَيْوْفَكَ الْأَقْدَارُ تَجْرَى بِمَا شَاءَ الْإِلَهَ عَلَى الْعِبَادِ  
 وَمِثْلُكَ مَنْ جَنَى ثَمَرَ الْأَمَانِي وَآتَى حَقَّهُ يَوْمَ الْحَصَادِ  
 تَشَاغَلْتَ الْمُلُوكُ بِمَنْ دَهَاها وَشَغْلُكَ فِي جِهَاتِكَ بِالْجِهَادِ  
 بِنَاكَ اللَّهُ لِلْإِسْلَامِ حِصْنًا وَعَلِمَكَ التَّجَلُّدُ لِلْجِلَادِ  
 وَتَنْهَضُ وَالْثَقِيلُ عَلَيْكَ خِفٌ وَتَنْظَرُ وَالْخَفِيُّ إِلَيْكَ بَادِ  
 وَكَيْفَ يُنَافِسُونَكَ فِي الْمَعَالِي وَأَنْتَ سَبَقْتَهُمْ سَبْقَ الْجَوَادِ ؟  
 فَتَحْتَ مَعَاوِلًا لَوْ أَبْصَرُوهَا لَقَالُوا أَنْتَ لَقَمَانُ [بْنُ] عَادِ  
 وَفِي سَرَقِسطَةٍ لَكَ دَارُ مُلْكٍ زَرَيْتَ بِهَا عَلَى ذَاتِ الْعِمَادِ  
 وَرَأَيْتُكَ فِي الْإِدَارَةِ لَوْ رَأَى مُعَاوِيَةُ لَأَغْنَى عَنْ زِيَادِ  
 لَقْدَارَبْتَ<sup>(١)</sup> سَيْوْفَكَ يَوْمَ سُلِّتْ عَلَى قُسٍّ بْنِ سَاعِدَةَ الْإِيَادِ

١٠

١٥

٢٠



## ذكر الخبر عن دانية

وكيف تغلب عليها يومئذ المقتدر

قال ابن بسام : قد قدمت في أول القسم الثالث من هذا المجموع ذكر  
مجاهد العامري المنزلي كان ، وقته ، على دانية ، وشرح الأسباب التي  
أنشأت سحابه ، وريقت<sup>(١)</sup> على دانية وهاداه وهضابه .

وغلبت الروم في بعض أيام سلطانه على جزيرة سر دانية ، التي كانت  
من فتوحه قبل ، ففلت شباته ، ونهنت شداته . وأسرت ابنه عليا هذا ،  
فدشأ عليه متجهما ، وأعجم طمطا ، إلى أن افتكته أحد آل حماد أمراء  
بنى مناد ، فأسدى البيضاء فيه ، وخلع على عطفيه برديه . فلما خفق عليه ،  
وتمكن في مقام أبيه قدمه ، ألقى السلم ، وأغمد السيف وشام القلم . همته كانت  
في خراج بحبيبه ، لا في معقل يحببيه ، وهم المتجر يفيهم ، لا المفخر يحميه .  
أصب خلق الله بلبوس ومطعم ، وأصباه إلى دينار ودرهم . حتى ولأه البر حتى  
عقده ، ورماه البحر بأفلاذ كبده ؛ ورزق عدة بنات أحسن من الشمس ،  
وأفتن من الطواويس . فتبارى ملوك الطوائف بأفئنا في نكاحهن ، وتنافسوا  
في غدوئن إليهم ورواحهن . واغتم هو ذلك منهم ، وأذ كاهن عليهم عيونا ،  
وبناهن بينه وبينهم دروبا وحصونا ، معتقدا أن الصهر رحيم لا تعجفي ، وطريق  
إلى رعى الذم لا تخفي . فقل ملك منهم إلا وقد علق له به حبل ، واتصل  
بينه وبينه نسل . فسما إليه منهم ابن هود المذكور سنة سبع وستين يريه أن  
الناس مأكول وآكل ، وأن القياس أكثره باطل . من رجل لا يستظل



إِلَّا أَعْلَامَهُ ، وَلَا يَرْضَى إِلَّا أَحْكَامَهُ ، وَلَا يَسْتَشِيرُ إِلَّا حُسَامَهُ ، فَجَرَّ إِلَيْهِ  
الْهَضَابَ كَتَائِبَ ، وَمَلَأَ عَلَيْهِ الشُّعَابَ مُرْدَاً حَبَابَ<sup>(١)</sup> وَجُرْدَاً نَجَائِبَ .

أَخْبَرَنِي غَيْرُ وَاحِدٍ أَنَّهُ لَمْ يَنْبَقْ مَلَكٌ مِنْ مُلُوكِ أَفْقِنَا سَمِعَ بِمُخْرَجِ ابْنِ  
هُودٍ يَوْمَئِذٍ إِلَّا تَوَقَّعَهُ وَتَوَقَّاهُ ، وَظَنَّ أَنَّهُ لَا يُرِيدُ سِوَاهُ . وَإِنَّمَا كَانَ يُرِيدُهُ ،  
زَعَمُوا ، عَلَى قِلَاعٍ كَانَتْ تَتَّصِلُ بِبَلَدِهِ ، لِيَضُمَّهَا إِلَى أَمِيرِ طَرطُوشَةَ وَقَتَهُ ،  
مَنْ وَلَدَهُ . فَلَمْ يَرُعْ ابْنُ مُجَاهِدٍ إِلَّا تَجَرَّى الْجِيَادِ بِحَيْثُ يَرَى وَيَسْمَعُ ، وَلَا نَبَهَهُ  
إِلَّا تَجَرَّى الصَّعَادِ ، بِحَيْثُ لَا يُعْطَى وَلَا يَمْنَعُ . فَاسْتُطِيرَ فَرَقًا ، وَقَامَ وَقَعْدَ  
تَبَلْدًا وَنَزَقًا . وَحِينَ عِلِمَ الْمُرَادُ ، وَفَهُمَ الْجَلِيَّةُ أَوْ كَادَ ، أُعْطِيَ فَضْلَ الْقِيَادِ ،  
وَكُتِبَ إِلَى عُمَالِهِ بِإِخْلَاءِ تِلْكَ الْبِلَادِ .

- فَلَمَّا أَخَذَ ابْنُ هُودٍ فِي إِيَابِهِ ، وَخَلَا ابْنُ مُجَاهِدٍ بِطَوَائِفِهِ وَأَحْزَابِهِ ، عَنَّفُوهُ  
بِمَا فَعَلَ ، وَزَيَّنُوا لَهُ الْغَدَرَ بِهِ وَقَدَّرَ خَلَّ . وَأَتَى ابْنُ هُودٍ ، وَقَدْ سَارَ غَيْرَ بَعِيدَ ،  
بِكُتُبِ طَيْرِهَا ابْنُ مُجَاهِدٍ إِلَى عُمَالِ تِلْكَ الْمَعَاقِلِ ، يَأْمُرُهُمُ بِالتَّحْصِينِ وَالِاحْتِيَالِ ،  
وَيَحْضُهُمُ عَلَى الْجِدِّ فِي الْقِتَالِ . فَكَّرَ الْمُقْتَدِرُ ، وَلَمْ يَرُعْ أَهْلَ دَانِيَّةَ إِلَّا تَصْهَالَ  
الْخَيْلِ ، وَقَدْ انْصَبَّتْ عَلَيْهَا انْصِبَابُ السَّيْلِ بِاللَّيْلِ . وَضَرَبَ أَبْنَيْتَهُ بِحَيْثُ  
يُسْمَعُ الْحِوَارُ ، وَيُحَمَّدُ الْجَوَارُ ، فَاسْتَوَلَى الْجَزَعَ ، وَضَاقَ الْمَتَّسِعُ . وَأَخْرَجَ إِلَيْهِ  
لَحِينَهُ ابْنَهُ الَّذِي كَانَ قَدْ سَمَّاهُ مُعِزَّ الدَّوْلَةِ ، وَرَشَّحَهُ لَجَرٍّ أَذْيَالِهَا ، وَعَلَّمَهُ مُمَايَلَةَ  
ظِلَالِهَا . فَجَاءَ إِلَى ابْنِ هُودٍ مُدِلًّا بِقَدِيمِ صِهْرِهِ ، عَائِرًا فِي إِدْبَارِ أَمْرِهِ وَانْقِطَاعِ  
ذِكْرِهِ ، مِنْ رَجُلٍ فَلِيلِ الطَّمْعِ ، ثَقِيلِ السَّمْعِ ، ضَيِّقِ الذَّرْعِ ، قَدْ غُذِيَ بِالتَّرَفِ  
وَاللِّينِ ، « وَنَشَأَ فِي الْحَلِيَّةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينِ » . فَطَفِقَ ابْنُ هُودٍ يَقْرَعُ لَهُ  
عَصَا الْوَعِيدِ ، وَيَرْمِي بِهِ مُضَلَّاتِ الْبَيْدِ . وَهُوَ يَقُولُ : أَيُّ عَمٍّ ، تَبْلُغُ رِضَاكَ !



ومتى اختلفنا عليك أو خالفناك؟ فقال له ابن هود فيما قال : والله لا أرى العرصة  
حتى يسهل مرامها ، ويُنخلى في يدي زمامها ، يعني تلك المعاقيل . فقال له معز  
الدولة الجبان الجاهل ، وظنه يريد دانية : أي عم ! وأين تنقلنا ، وإلى من  
تكلنا ؟ ولم يفطن ابن هود لما قصد ، وكان إلى جنبه وزيره ابن أحمد ، فغمز  
يده وقال له : غرة فاهتبلها ، وعثرة فلا تقلها ، قد ألقى الرجل بيده ، وخلى  
بينك وبين بلده . فعمل ابن هود على ذلك ، وأخذ في إحكام ما هنالك ،  
فما متع النهار إلا وأشرقت آياتها ، واهتزت في يمين يديه قناتها . ورجع  
بابن مجاهد غنيمه باردة ، وأمنية على الأيام شاردة . تعالى من لا يروعه الزمان ،  
ولا يُغيّرُ سلطانُه الحدّثان !

### مقطوعات للحُصريّ في أوصاف شتّى

١٠

قال :

كَمْ مِنْ خَلِيلٍ كَانَ عِنْدِي شُهَدَاً      حَتَّى بَلَوْتُ الْمَرْءَ مِنْ أَخْلَاقِهِ  
كَالْمِلْحِ يُحْسَبُ سُكَّرًا فِي لَوْنِهِ      أَوْ حَجْمِهِ وَيَحْوِلُ <sup>(١)</sup> عِنْدَ مَذَاقِهِ

وقال :

نَصَبْتُ الْفَخَّ ثَمَّ قَعَدْتُ عَنْهُ      بَعِيدًا كَيْ أَرَى فِيهِ فَلَاحَا  
إِذَا قَرَدَى مُقِيمٌ عِنْدَ رَأْسِي      يَقُولُ لِمُقْبَلَاتِ الطَّيْرِ حَاحَا  
وَاجْتَاَزَ عَلَى قَوْمٍ فَسَمِعَهُمْ يَقْدَحُونَ فِيهِ      وَفِي ابْنِ خَلَصَةَ فَقَصَدَهُ وَأَنْشَدَهُ :

يَا أَدِيبَا مَلَكْتَنِي      فِي يَدَيْهِ الْمَكْرُمَاتُ  
لَيْتَ قَوْمًا دَأْبُهُمْ فِيَّ (م)      وَفِيكَ الْمَكْرُمَاتُ

وقال :

٢٠

خَضَبَتْ يَدَيْهَا لَوْنًا فَاحِجَهَا فَمَا      نَقَصَ الْبَيَاضُ مَلَا حَةً بَلْ زَادَا



ما بال شَيْبِي تُنْكَرِينِ<sup>(١)</sup> خِضَابَهُ وَأَرَاكِ صَابِغَةَ الْبَيَاضِ سَوَادَا  
قَالَتَ<sup>(٢)</sup> نَجِيعُكَ فِي يَدَيَّ وَإِنَّمَا بَدَّلْتَهُ أَسْفًا عَلَيْكَ حَدَادَا  
ومن أحسن ما قيل في التطاريف السود قول ابن المعتز :

وكفَّ كأنَّ الشمسَ مدَّتْ بَنَانَهَا إِلَى اللَّيْلِ تَجْلُوهُ فَقَبَّلَهَا اللَّيْلُ  
وله أيضًا في التطاريف الحمرة :

أَشَارَتْ بِأَطْرَافِ رِطَابٍ كَأَنَّهَا أَفْنَانُ دُرٍّ قُمَعَتْ بِعَقِيقِ

ما أخرجته من صرائيه مع ما يتشبَّثُ بها

قال يَرْتِي أَبَاهُ وَقَدْ وَدَّعَ قَبْرَهُ وَقْتَ جَوَازِهِ إِلَى الْأَنْدَلُسِ :

أَبِي نَيْرُ الْأَيَّامِ بَعْدَكَ أَظْلَمَا وَبُنْيَانُ مَجْدِي يَوْمَ مِتَّ تَهْدَمَا  
وَجِسْمِي الَّذِي أَبْلَاهُ فَقْدُكَ إِنْ أَكُنْ رَحَلْتُ بِهِ فَالْقَلْبُ عِنْدَكَ خِيَمَا  
سَقَى اللَّهُ عَيْنًا مَنْ تَعَمَّدَ وَقَفَّةً بِقَبْرِكَ فَاسْتَسْقَى لَهُ وَتَرَحَّمَا  
وَقَالَ سَلَامٌ وَالثَّوَابُ جَزَاءُ مَنْ أَلَمَّ عَلَى قَبْرِ الْغَرِيبِ فَسَلَّمَا  
وَأَخَذَ مِنْ تَرَابِهِ فَقَالَ :

رَحَلْتُ وَهَاهُنَا مَثْوَى الْحَبِيبِ فَمَنْ يَبْسُكِيكَ يَا قَبْرَ الْغَرِيبِ ؟  
سَاحِلُ مِنْ تَرَابِكَ فِي رِحَالِي لَكِنِّي أَغْنَى بِهِ عَنْ كُلِّ طِيبِ  
وَقَالَ مِنْ مَرْتَبَةٍ لَهُ فِي الْمُقْتَدِرِ بْنِ هُودٍ :

نَعْدُ حُصُونًا كُلَّ دِرْعٍ وَمِغْفَرٍ<sup>(٣)</sup> وَتَعْدُو الْمَنَايَا فِي عَرِينِ الْغَضَنْفَرِ  
وَإِحْدَى بَنَاتِ الدَّهْرِ تَنْسِفُ أَحَدَهُ وَتَهْدِمُ بِالتَّدْمِيرِ بُنْيَانَ تَدْمُرُ  
نَبَا نَابُ عَادٍ وَهُوَ كَاللَّيْثِ عَادِيًا وَمَاتَتْ مُنَى كِسْرَى الْمُلُوكِ وَقَيْصَرِ

(١) في الأصل : تنكرون . (٢) في الأصل : قال .

(٣) في الأصل : ذرع ومغفر .



وما درأت<sup>(١)</sup> عن تبّع تبّع له  
أصم وأصمى ثغرة الثغر حادث  
هو البحر في ذا الخطب أعطاك دُرّه<sup>(٢)</sup>  
أجدك بزّ الدهر شهب بزّاته<sup>(٣)</sup>  
أعزّ من اقتاد الخميس إلى الوغى  
تلثم حياء يا زمان من العـ  
مضيت فما للأرض بعدك لم تمد  
بعثت بها مشقوقة الجيب ثاكلاً  
وله من أخرى :

فاجأتنا والمنـون مُنْتَظَرَه  
أصم سمي حديث حادث  
مُتَوَجّج من جذام مات له  
ثلاثة لا خلاف أنّهم  
مانفع المشتري ولا زحلاً<sup>(٥)</sup>  
من جامع الطيّبات مُختَصَرَه<sup>(٤)</sup>  
فلّ الشيوف الذكور من ذكره  
ثلاثة فليعيش له عشره  
خير من الفرقدين والزهره  
ضوء بل الله مُنفذ قدره

ومنها ، وهو من طريف الاستطراد للاستجداء ، وطلب الحباء ، وكان الحصري  
مشحوداً المذبة ، في أبواب الكذبة :

بَيض كل ولا بياض معي  
فغبت عن مجلس العزاء على  
يا أهل هود إذا الورى حسبوا  
إلا بياض المشيب والبشره  
رغمي<sup>(٦)</sup> وإن كان متولي حضره  
من صدف البحر كنتم دُرّه

(١) رسم الكلمة في الأصل : دارت .  
(٢) في الأصل : أعطاك الدهر شهب بذاته . (٤) كذا بالأصل .  
(٣) في الأصل : أجدك بن الدهر شهب بذاته . (٥) في الأصل : زحل .  
(٦) في الأصل : زعمي .



يا كَرَمَاءَ الزَّمانِ لَسْتُ أَرَى حُجُولَهُ غَيْرَ مُمٌ وَلَا غُرْرَهُ  
ومن قَبِيحِ اسْتِجْدَاءِ الحَضَرِيِّ ما فَعَلَهُ بِالْمُعْتَمِدِ بْنِ عَبَّادٍ ، تصَدَّقَ لَهُ في طَرِيقِهِ  
بِالْعُدْوَةِ عَلَى حالِهِ مِنْ <sup>(١)</sup> اعْتِقَالِهِ ، وَلَمْ يَلْقَهُ بِأَكِيْمًا عَلَى خَلْعِهِ مِنْ مُلْكِهِ ، وَلَا  
تَأْدَبَ مَعَهُ فِي وَصْفِ ما انْتَثَرُ مِنْ سِلْكِهِ ، بَلْ بِأَشْعَارٍ قَدِيمَةٍ لَهُ ، صَدْرُهَا فِي  
الرَّبابِ وَفَرَّتَنِي ، وَعَجَزُهَا فِي طَلَبِ اللَّهِ <sup>(٢)</sup> . وعلى تلك الحال ، وما يُناجِي  
بِالْمُعْتَمِدِ مِنَ الْبَلْبَالِ ، قاسمَهُ فيما كانَ بِيَدِهِ تَمَّا كانَ بِهِ زُوْدٌ حَسْبَ ما وَصَفْتُ  
لَهُ في أَخْبَارِهِ مِنْ هَذَا المَجْمُوعِ .

وله مِنْ أُخْرَى في الْمُقْتَدِرِ بْنِ هُودٍ :

نُفِرْطُ في العُمُرِ <sup>(٣)</sup> الذَّاهِبِ وَتَغْتَرُّ بِالْأَمَلِ السَّكَابِ

يقول فيها :

تَنْزَهَ عَنْ تَبِعَاتِ الْمُلُوكِ فَخَفَّ عَلَى الْمَلِكِ السَّكَابِ  
فَقَدَّنَا الرِّبِيعَ أَبَا جَعْفَرٍ فَلَا دَرَّ خِلْفٍ عَلَى حَالِ  
لَبِسْتُ الْبَيَاضَ وَلَوْلَا الْخِلَافُ لَسَوَدْتُ نَوْبِي كَالزَّاهِبِ

ومنها :

نَقَدْتُ الْقَرِيضَ عَلَى رَبِّهِ وَفَضَلَ الْخِطَابِ عَلَى الْخِطَابِ  
بَدَيْعُكَ أَزْرَى بِعَبْدِ الْحَمِيدِ وَبَابِنَ الْعَمِيدِ وَبِالصَّاحِبِ  
فَفَضْلُكَ مَنْ لِي بِإِحْصَائِهِ وَفِي بَعْضِهِ عِلَّةُ الْحَاسِبِ

وله في مَوْتِ الْمُعْتَصِدِ وَوَلَايَةِ الْمُعْتَمِدِ :

مَاتَ عَبَّادٌ وَلَسَكَنُ بَقِيَ الْفَرْعُ الْكَرِيمُ

(١) في الأصل : على . (٢) في الأصل : النهي .

(٣) في الأصل : القمر .

فَكَانَ الْمَيِّتَ حَيًّا غَيْرَ أَنَّ الضَّادَ مِيمٌ  
وَمَاتَ لِلْخُضْرِيِّ ابْنٌ بَلَغَ مِنْ جَزَعِهِ عَلَيْهِ النَّهْيَةُ ، وَتَجَاوَزَ فِي ذَلِكَ الْغَايَةَ ،  
وَصَنَعَ فِيهِ مِرَاثِيَّ عَلَى حُرُوفِ الْمُعْجَمِ ، مِنْهَا :

عَرَضْتُ لَهُ تُفَاحَةً نَفَاحَةً      بَعْضُ الْإِمَاءِ فَرَدَّ بِالْإِيمَاءِ  
وَلَوْ اسْتَطَاعَ الْقَوْلَ قَالَ مُشَافِهًا      تُفَاحُ جَنَاتِ الْخُلُودِ شِفَائِي  
فَزُ مُطْمَئِنِّ الْقَلْبِ لَا مُسْتَوْفَزًا      طَلَّقْتَ دَارَ مَشَقَّةٍ وَشَقَاءِ  
عَبْدَ الْغَنِيِّ لَكَ الْمَسْرَّةُ غَائِبًا      وَلِيَ الْمَسْرَّةُ مَصْبُوحِي وَمَسَائِي  
لَمَّا غَدَوَا<sup>(١)</sup> بِكَ جَائِزِينَ كَانَمَا      يَمْشُونَ فِي ظُلْمٍ لِدَفْنِ ضِيَاءِ

وقال فيه :

لَسْتُ<sup>(٢)</sup> أَنْسَى مَقَامَهُ وَمَقَامِي      وَكَلَانَا مِثْلُ الْقَضِيبِ قَضِيبَا  
أَنْفُهُ يَنْثُرُ الْعَقِيقَ وَعَيْنِي      تَنْثُرُ الدَّمْعَ بِالْعَقِيقِ مَشُوبَا

وقال فيه :

ذَوِي<sup>(٣)</sup> رِيحَانِي الْأَرْجُ      وَضَاقَ بِخِلِّي الْفَرْجُ  
ذَبِيحٌ طُلَّ مِنْهُ دَمٌ      وَلَمْ يُقَطَّعْ لَهُ وَدَجٌ  
رَأَيْتُ دِمَاءَهُ وَدِمَا      عَيْنِي كَيْفَ تَمْتَرِجُ  
تَرَفَّقَ يَا سَسَّ قَامُ بِهِ      أَبْعَدَ الْمُسْتَقْوَى عَوَجُ؟  
صَدَعْتَ بَمَا أُمِرْتَ وَمَا      عَلَيْكَ مَعَ الْقَضَا حَرَجُ  
فَأَيْنَ غِرَارُ مِقُولِهِ      وَأَيْنَ حِجَابُهُ وَالْحُجْبُجُ؟  
شَأَى ابْنُ الْأَرْبَعِينَ وَمَا انْتَهَتْ عَشْرًا بِهِ الْحَبَجُجُ

(١) فِي الْأَصْلِ : غَدَوْنَا .      (٢) فِي الْأَصْلِ : أَمْسَيْتُ .

(٣) فِي الْأَصْلِ : دَوَا .



عُرُوقُ النَّاسِ كُلِّهِمْ      إِلَى عِرْقِ الثَّرَى تَشِجُ  
بَنُو الدُّنْيَا كَأَنَّهُمْ      لِقِـلَّةٍ هَمَّهُمْ هَمِجُ  
وَهْلٌ هِيَ غَيْرُ دَارِ أَدَى      إِذَا دَخَلُوا بِهَا خَرَجُوا  
تَأْمَلْ كَيْفَ تَأْكُلُهُمْ      وَهُمْ وَلَدٌ<sup>(١)</sup> لَهَا نَتَجُ

وقال له :

عَلَى تَغْيِيرِ نُوحٍ مَاتَ نُوحٌ      فَنَأْمَحُةٌ لِأَمْرِ مَا تَنُوحُ  
وَكَيْفَ الصَّبْرِ أَمْ كَيْفَ التَّعَزَّى      وَمِنْ عِرْنِينِهِ<sup>(٢)</sup> وَلَدَى ذَبِيحُ

وقال فيه :

أَنَا فَرْدٌ بِلَا خَلِيلٍ وَلَا ابْنٍ وَلَا أَخٍ  
أَنَا كَالْأَوْرَقِ اشْتَكَى      مُبْعَدَ وَكْرٍ وَأَفْرُخِ  
أَنَا كَالزَّرْعِ وَالْعِدَا      كَالْجَرَادِ الْمُسْرَخِ  
قُرَّةُ<sup>(٣)</sup> الْعَيْنِ دُونَهُ      بَرَزَخُ أَيُّ بَرَزَخِ  
صَاحِبَ الصُّورِ أَنْفًا      حَضَرَ الْمَوْتَ فَاَنْفَخِ  
عَلَنِي مِنْهُ اشْتَفَى      بِالنَّسِيمِ الْمَضْمَخِ  
كُلُّ عُمْرٍ مُؤَقَّتٌ      فِي كِتَابِ مُؤَرَّخِ

وقال :

تَنَاثَرَتْ مِنْ مَدَامِي دُرَرٌ      أَثَرَى بِهَا ، وَافْتَقَرْتُ ، مَنْ لَقَطَا  
إِنَّ دِيَارًا حَلَّتْهَا لَقَطَا      وَإِنَّ سِرْبًا بَكَى مَعِيَ لَقَطَا

وقال فيه :

بِنَفْسِي نَجْمٌ أَظْلَمَ الْأَفْقُ إِذْ هَوَى      وَكَادَ يُعْزِيَنِي بِهِ الْقَمَرُ—رَانَ

(١) في الأصل : ولدها . (٢) في الأصل : غريبتة .

(٣) في الأصل : عين .

أَحِينَ شَأَى مِنْ فَضْلِهِ كُلِّ سَابِقٍ      وَغَنَى شَامٍ بِاسْمِهِ وَيَمَانٍ  
وَهَزَّ قَنَاقَةَ الْقَصْدِ لِلطَّعْنِ فِي الْعِدَا      وَرَاشَ جَنَاحَ الْعِزِّ لِلطَّيْرَانِ  
رَمَتْهُ فَأَصْبَحَ مَتْنُهُ السَّهَامُ وَإِنَّهُ      لَفِي زَرْدٍ مِنْ دَعْوَتِي وَكِنَانِ  
وفيه يقول :

عَبْدُ الْغَنَى بُنْيَى      كَلَاهُ بِالْحِفْظِ رَبُّهُ  
يَقُولُ قَلْبِي كُلُّهُ      وَاشْرَبَهُ مِمَّا أُحِبُّهُ

وله من قصيدة يندبُ وطنه بالقيروان ، ويتذكرُ من كان هُناك  
من الإخوان .

مَوْتُ الْكِرَامِ حَيَاةٌ فِي مَوَاطِنِهِمْ      فَإِنْ [ هُمْ ] اغْتَرَبُوا مَاتُوا وَمَا مَاتُوا  
يَا أَهْلَ وَدْيَ لَا وَاللَّهِ مَا انْتَشَكْتُ      عِنْدِي عُهْدٌ وَلَا ضَاقَتْ مَوَدَّاتُ  
لَيْنٍ بَعْدَتْكُمْ وَحَالَ الْبَحْرُ دُونَكُمْ      لَبِثْنَا أَرْوَاحِنَا فِي النَّوْمِ زَوَرَاتُ  
مَا نِمْتُ إِلَّا لِسَى أَلْقَى خِيَالَكُمْ      وَأَيْنَ مِنْ نَازِحِ الْأَوْطَانِ نَوَمَاتُ ؟  
إِذَا اعْتَلَلْنَا ——— اتَعَلَّلْنَا بِذِكْرِكُمْ      لَوْ أَحْسَنْتَ بُرْءَ عِلَاتٍ تَعَلَّلَاتُ  
مَاذَا عَلَى الرِّيحِ لَوْ أَهْدَتْ تَحِيَّتَهَا      إِلَيْكُمْ مِثْلَ مَا تُهْدِي التَّحِيَّاتُ ؟  
أَصْبَحْتُ فِي غُرْبَتِي لَوْلَا مُكَاتَمَتِي      بَكَتَنِي الْأَرْضُ فِيهَا وَالسَّمَوَاتُ  
كَأَنِّي لَمْ أَذُقْ بِالْقَيْرَوَانِ جَنَى      وَلَمْ أَقْلُهَا لِأَحْبَابِي وَلَا هَاتُوا  
وَلَمْ تَشْقِنِي الْخُدُودُ الْحُمْرُ فِي يَقَقِ      وَلَا الْعُيُوفُ الْمَرَاضُ الْبَابِلِيَّاتُ  
أَبْعَدَ أَيَّامِنَا الْبَيْضَ الَّتِي سَلَفَتْ      تَرُوقُنِي غَدَوَاتُ أَوْ عَشِيَّاتُ ؟  
أَمْرٌ بِالْبَحْرِ مُرْتَاحًا إِلَى بَلَدٍ      تَمُوتُ نَفْسِي فِيهَا مِنْهُ حَاجَاتُ  
وَأَسْأَلُ الشُّفْنَ عَنْ أَخْبَارِهِ طَمَعًا      وَأَنْتَنِي وَبِقَلْبِي مِنْهُ لَوَعَاتُ



هل من رسالة حبٍ أستمعينُ بها  
ألا سقى الله أرضَ القيروان حياً  
فإنها لدة الجنات ترُبُّها  
إلا تكن في ربها روضة أنف  
أولا يكن نهرٌ عذبٌ يسيلُ بها  
أرضٌ أريضةٌ أقطارٌ مباركة  
لا يشمتن بها الأعداء إن رزئت  
ولم يزل قابضُ الدنيا وباسطُها  
هل مطمعٌ أن تُردَّ (٣) القيروان لنا  
ما إن سجا الليلُ إلا زادني شجناً  
ولا تنفست أنفاً (٤) في الرياض ضحى  
هذا ولم تشجُ قلبي للربابِ ربِّي  
وكم دُعيتُ لبستانٍ فجدد لي  
ولو تراني إذا غمت بلابله  
إني لأظلم والأنهرُ جارٍ  
وما أرى الموت إلا باسطاً يده

ومنها في المدح :

أبلغُ أحببنا الباكين من جهتي  
من الضراغم إلا أن غابهم  
فمن يكن فيه بين اثنين مختلفٌ

على سقامي فقد تشفى الرسائلُ  
كأنه عتراتي المستهلاتُ  
منسكيةٌ وحصاها جوهرياتُ  
فإنما (١) أوجه الأحاب روضاتُ  
فإن أنهارها أيدٍ (٢) كريماتُ  
لله فيها براهين وآياتُ  
إن الكسوفَ له في الشمسِ أوقاتُ  
فيما يشاء له محوٌ وإثباتُ  
وصبرةٌ والمعلمُ إلى فالحننياتُ ؟  
فأتبعْتُ زفراقي فيه أناتُ  
إلا بدتُ حسراني المستكناتُ  
ولا تقصته من لبني لباناتُ  
وجداً وإن كان في معناه سلواتُ  
أشكو البلابل لو تُغنى الشكياتُ  
حولى وأضحى ودون الشمسِ دوحاتُ  
من قبل أن يُمكن المأسور إفلاتُ

أني حمتني أسودٌ حميرياتُ  
بيضٌ حدادٌ وحرٌ سَمهرِياتُ  
فذا الذي اتفقت فيه البرياتُ

(١) في الأصل : فإنها .

(٣) في الأصل : ترى أرض القيروان .

(٢) في الأصل : أبدا .

(٤) كذا في الأصل : ولعلها : شوقا .



ومن شعره مما خاطب به الفقيه

القاضي أبا المطرف الشعبي بمالقة من جملة قصيدة :

سَرَيْتُ وَخَلَيْتُ الْهَوَى لَكَ صَاحِبِي      فَنَوْبَكَ مَتَى سُلَّ يَا أَسَدَ الشَّرَى  
تَفَكَّرْتُ فِي الدُّنْيَا وَفِي غُرُبَتِي بِهَا      لَقَدْ شَعَبَ الشَّعْبُ قَلْبًا صَدَعَتْهُ  
نَهْوُضٌ لِأَمْرِ أَمْرَتُهُ خَوَارِجٌ      جَلَى عَدْلُهُ إِظْلَامَ كُلِّ ظُلَامَةٍ  
كَفَفْتُ أَكْفَ الظُّلْمِ عَنْ كُلِّ مُسْلِمٍ      تَنَمَّ بَرِيًّا جَنَّةِ الْخُلْدِ رِيَّةٌ  
كَأَنَّكَ مِنْهَا مَالِكٌ وَهِيَ طَيْبَةٌ      وَإِنْ أَنْشِدْتَ فِي دَارِ حُكْمِكَ مِدْحَتِي  
لَتَمْتُ حَصَى مَغْنَاكَ لَنَا وَظِئْتُهُ      غَدَا عَيْسَنَا بِالْبَيْدِ شَدُو حُدَاتِنَا

١٠٥

١٠

١٥

وَقَدِمَ مِنَ الشَّرْقِ (٤) فَأَنْزَلَهُ فِي دَارِهِ وَأَكْرَمَهُ ، فَقَالَ فِيهِ مِنْ جُمْلَةِ قَصِيدَةٍ :

أَمْوَالِي شَرَفْتُ بِهِ أُمَّ صَدِيقٍ      تَمَلَّكْنِي وَمُنَى مِلْكُهُ (٥)  
يُؤَاصِلُنِي حِينَ يَجْفُو الشَّقِيقُ      فَحَسْبُ مَعَالِيهِ أَنَا رَقِيقُ

(١) رسم البيت في الأصل :

سريت وخليت السرى لصاحبي      فهذا الهوى يصبي وهذا الهوى يبضي  
ولعل الصواب ما أثبتناه .      (٢) في الأصل : مرض .      (٣) في الأصل : لئن .  
(٤) في الأصل : الشوق .      (٥) في الأصل : ملك .



سَقَانِي وَأَخْلَقَهُ جَنَّةُ  
حَلَّتْ وَأَحَلَّتْ<sup>(١)</sup> كَرِيْقِ الْحَبِيبِ  
وَزَادَ عَلَى الزَادِ مَا قَاتَنِي  
وَخَرَجَ تَمِيمٌ عَنْ مَالِقَةَ مَعَزُولًا فَقَالَ :  
أَهْوَاكُمُ جَدًّا مَارِحُهُ  
مَارَسْتُ مَنَى الْعِدَا رَجُلًا  
إِنْ زَجَرْتُ<sup>(٢)</sup> الطَّيْرَ فِي سَفَرِي  
عَجِبْتُ أَسْمَاءَ مِنْ جَلْدِي  
وَالْحَمَى لَمْ يَدْنُ نَازِحُهُ ؟  
أَسْمَعَ السَّمَاءَ صَانِحُهُ  
عَنْ يَمِينِي سَمَرًا سَانِحُهُ  
يَوْمَ أَصْمَى الْقَلْبَ جَارِحُهُ  
ومنها :

لَا يَضِيقُ مَنَ صَدْرُهُ حَرَجُ<sup>(٣)</sup>  
إِنَّمَا أَخْلَقَهُ زَهْرُ  
إِنَّمَا أَقْلَامُهُ أَسْـلُـلُ  
قَبْلَ الشَّعْبِيِّ حِينَ دَعَا  
بَتَمِيمٍ حِينَ حَانَ بِهِ الْحَيْنُ وَانْقَادَتْ جَوَائِحُهُ  
ضَعُفَتْ مِنْهُ الْقُوَى فَعَدَّتْ  
وَانْجَلَتْ عَنْ حُسْنِ مَالِقَةَ  
وَصَفَا الْبَحْرَانِ مِنْ كَدَرِ  
ذِكْرُهُ غَنَى الزَّمَانُ بِهِ  
شَيْخُنَا الشَّعْبِيُّ شَارِحُهُ  
عَطَّرَ الْآفَاقَ فَائِحُهُ  
هَابَهَا فِي الْجَوِّ رَائِحُهُ  
فَكَبَا بِاللَيْثِ سَابِحُهُ<sup>(٤)</sup>  
مِنْ قَوَارِيرِ قَوَارِحُهُ  
بَفَقِيهِنَّهَا قَبِيْلُ سَابِحُهُ  
فَارْتَوَى بِالمَاءِ مَائِحُهُ  
وَأَنَا فِيهِ أَطَارِحُهُ

(٢) في الأصل : إن زجى الطير .

(٤) في الأصل : سانحه .

(١) في الأصل : حلت وحلت .

(٣) في الأصل : في صدره حرجا

وله من أخرى يمدح القاضي أبا مروان بن حسون :

سَهْلُ الْأَبَاطِحِ مِنْ عُلَاكَ يَفَاعُ      وَالنَّجْمُ أَنْتَ وَكَفُّكَ الْمِرْبَاعُ  
بَلْ أَنْتَ شَمْسٌ لَا تَزَالُ وَلَمْ يَزَلْ      فِي سَائِرِ الْآفَاقِ [ مِنْكَ ] شُعَاعُ  
مَنْ يَخْتَلِفُ كُلُّ الْوَرَى فِي حُبِّهِ      فَأَبُو الْمَطَرِ فِي حُبِّهِ إِجْمَاعُ  
شَهِدَتْ عُقُولُ الْعَالَمِينَ بِفَضْلِهِ      فَسَوَاءَ الْأَعْدَاءِ وَالْأَشْيَاعُ  
مِصْبَاحُ مَالِقَةٍ أَرَادَ خُودَهُ      قَوْمٌ لِيَرْتَفِعُوا وَهُمْ أَوْضَاعُ  
فَالْعَامُ لَمْ يَكْمُلْ لِعَزَلَتِهِ بِهَا      حَتَّى عَمَلَتْ يَدُهُ وَطَالَ الْبَاعُ  
أَنْظُرْ إِلَيْهِ <sup>(١)</sup> [ الْيَوْمَ ] كَيْفَ أَصَابَهُ      صَرَفُ الزَّمَانِ وَلَيْسَ عَنْهُ دِفَاعُ  
لَوْلَا إِسَاءَتُهُ إِلَيْكَ وَظُلْمُهُ      لَعَدَا وَأَنْتَ لَهُ يَدٌ وَذِرَاعُ  
بَيْنَ ابْنِ حَسُونٍ وَشُعْبَى الْهَدَى      مِنْ ثَدْيِ خَالِصَةِ الْإِخَاءِ رَضَاعُ  
يَا <sup>(٢)</sup> أَجْلَهُمَا وَأَشْبَهُ ذَا بَذَا      حَسُنَتْ وَجُوهٌ مِنْهُمَا وَطِبَاعُ  
مَا أَحْسَنَ الدُّنْيَا بِحُسْنِهِمَا الَّذِي      تَلْتَسِذُهُ الْأَبْصَارُ وَالْأَسْمَاعُ  
خُلِقَا لِنُصْرِ الدِّينِ وَالْكَرَمِ الَّذِي      تَخْضَرُّ مِنْهُ بَسِيطَةٌ وَتِلَاعُ  
كَهَنَدَيْنِ مُجَرَّدَيْنِ بَرِيَّةٍ      تَنْبُو الظُّبَا وَكِلَاهُمَا قَطَاعُ

وله فيهما من أخرى أولها :

بَرِيَّةٌ [ رِيًّا ] رَوْضِيَّةٌ وَرِياضُ      بِهَا عُلَمَاءُ عِلْمٍ وَأَعْدَلُ قَاضٍ  
مَعَالِيَهُمَا فَوْقَ النُّجُومِ مُنِيفَةٌ      وَرَأْيُهُمَا فِي الْمَشْرِفِيَّةِ مَاضٍ  
سَمَتْ حَيَاتِي وَالْمَقَامَ بَطْنُجَةٍ      كَأَنَّ بِلَادَ اللَّهِ غَيْرُ عِرَاضٍ  
سَيُورِقُ عُودِي إِنْ سَكَنْتُ بَرِيَّةً      وَيَسُودُ مِنْ فَوْدِي <sup>(٣)</sup> كُلُّ بَيَاضٍ  
لَدَى قَرِينِهَا إِنْ فِي غُرَّتَيْهِمَا      هِدَايَةُ عُمَيَّانٍ وَبُرءٌ مِرَاضٍ

(١) لعل الضمير هنا يعود على تميم المذكور في الصفحة السابقة .

(٢) في الأصل : فَا . (٣) رسم الكلمة في الأصل : فَوَادِي .



أُريّةُ مرعائِ المريعِ وأُينقُ وأنتِ ابنةُ<sup>(١)</sup> في عِصمةِ ابنِ عياضِ  
وقال :

يا عجباً للشّيفِ استوى كليلها اليومَ وماضيها  
وقد رأيتُ العدلَ في بلدةٍ فقيها الشعبي قاضيها  
أحكامه بالحقِّ مرضيّةٌ واللهُ بعدَ الخلقِ راضيها  
لوشوورتِ فيه بنو هاشمٍ لقدّمتهُ عن تراضيها  
كم حُجةٍ أوضّح ، كم حاجةٍ قضى لنا قبلَ تقاضيها

ذِكْرُ الأديبِ أبي الحسنِ عبدِ الكريمِ بنِ فضالٍ القيروانيّ  
واشتهرت معرفته بأفقينا بالحُلوانيّ

وسياقةُ جُملةٍ من شعره

وله كلامٌ في النّسيبِ رائق ، ومتأخّرٌ سابق ، ومديحُه أيضًا عليه طلاوة ،  
وبالجُملةِ في ألفاظِ الحُلوانيّ حلاوة . ومن خطّه نقلتُ جُملةً ما ههنا له أخرجتُ .

النّسيبُ وما يُناسبُه

قال :

ولمّا تَنادَوْا للرّحيلِ وقُرّبتُ كرامُ المطايا والرّكابُ تسيرُ  
جَعَلْتُ على قلبي يدَيَّ مُبادِرًا فقالوا مُحِبُّ للعِناقِ يُشيرُ  
فقلتُ وَمَنْ لِي بالعِناقِ وإنّما تَدَارَكَتْ قلبي حينَ كادَ يَطِيرُ

(١) في الأصل : أنبه في عنة . ولعل الصواب ما أثبتناه .

وقال الحلواني :

قالوا التحى فاحمت بالشعر بهجته  
فقلت لولا الدجى لم يحسن القمر  
من كان مُنتظراً للصبر عنه به  
فإننى لغرامى كنت أنتظر  
خطت يد الحسن منه فوق وجنته  
هذى محاسن يا أهل الهوى آخر  
ومعنى هذا البيت يتطرق قول ابن شرف .

سبحان من أعطاك حسناً ثانياً  
وبثالث من حُسن فعلك عززا

وقال الحلواني :

لى حبيب إذا شكوت إليه  
فى الهوى سامنى عذاباً شديداً  
لست أدعو عليه بالشعر [غيتاً]  
خيفة أن يكون حسناً جديداً  
غير أنى أدعو بقلب قريح  
أن أراه مثلى محبباً عميدا  
كأنه عكس قول البحتري :

أعيدك أن تمنى بشكوى صباية  
وإن أ كسبتنا منك عطفاً<sup>(١)</sup> على الصب  
ويحزننى أن تعرفى الحب بالجوى  
وإن نفعتنا فيك معرفة الحب

وقال :

رُبَّ خياطٍ فتنت به  
فجنة أفنت قوى جلدى  
لاعب بالخيط يفتله  
أترأه ظننه جسدى  
ليت ألى كنهته فأرى  
بين ذاك الورد والبرد  
فعلت بالثوب إبرته  
فعل سهرم الشوق فى خلدى<sup>(٢)</sup>  
وجرى المقرض فى يده  
جرى عينيه على كبدى

(١) فى الأصل : كسبتنا منك عطف . والتصحيح عن ديوانه ص ٢٠٢ ج ١ طبعة بيروت سنة ١٩١١ .  
(٢) فى الأصل : جلد .



وذكرتُ بذكره الخياط قولَ أبي محمد عبد الله بن القابلة السبتي في  
غلامٍ وسيمٍ رآه يرفو في السوقِ ثوباً :

يارافياً قطعَ كلَّ ثوبٍ      ويا رشاً حُبُّهُ اعتقادي  
عسى بكفِّ الوصالِ ترفو      ما قطعَ [الهجر] من فؤادي

وهذا من اللفظ الطيار الخفيف الروح . ومن الكلام الفجَّ الثقيل ،

قولُ عبد الجليل :

يسوق الخياطة مُستمرّدٌ      تودُّ لمن ناكه ألفَ خيرٍ  
وأشهدُ أنَّ الفتى صانعٌ      لطوقِ عجانٍ على عنقِ أثرٍ

وما أحلى لفظَ الحلواني هذا في غلامٍ وسيمٍ أرادَ النهوضُ إلى الحجِّ :

يا طالبَ الحجِّ وهو ذو صغرٍ      عجلتَ فاستأنه إلى الكبرِ  
إن كنتَ تبغى مشوبةً فعسى      تحمِلُ لي قبلةً إلى الحجرِ  
وإن رميتَ الحمارَ فارم به      كلَّ فؤادٍ عليك لم يطيرِ  
فقال دغنى وزمزماً فعسى      أغسلُ من مُقلتي دمَ البشرِ

وعلى ذكرِ قوله « تحمِلُ لي قبلةً إلى الحجرِ » . قال الحسنُ لغلامٍ رآه

بالمكتب ، فأشارَ لتقبيلِ يده ، فقَبَله :

ظفرتُ بقبلةٍ منه      على عيني مُعلِّه  
أشرتُ بها إلى يده      فوصلها إلى فيه

وقال الحلواني :

تعرّضتُ من شَفَنِي هجره      ببذاءِ سلامٍ عليه سفاها  
وقلتُ عساهُ يرُدُّ السلامَ      فتبَلَّغُ نفسي منه مُناها  
فجاد عليّ بتقبيلِ —————      وقد كان أعرضَ عني وتاها

فكنتُ كموسى أتى للضياء ليقبسَ نارًا فنجى إليها

وقال :

يا صاحِ خُذْهَا نَصِيحَةً لِمَكَّةَ      بالوُدِّ إِنْ كُنْتَ فَاتِكَ الْفَتَكَةُ  
اسْفِكَ دَمَ الْمُرْدِ إِنْ وَجَدْتَهُمْ      فَلَيْسَ يَلْقَى الْعَذَابَ مَنْ سَفَكَهُ  
وَاتْرُكْ هَوَاهِمَ إِذَا هُمْ تَرَكَوْا      قَدْ يَتْرُكُ الْحُبُّ حُبَّ مَنْ تَرَكَهُ  
وَقُلْ لِمَنْ خَانَ فِي مُحَبَّتِهِ      لِي هِمَّةٌ عَنْ هَوَاكَ مُتَمَسِكَةً  
كَانَ بَفَرْطِ الْغَرَامِ يَمْلِكُنِي      فَأَصْبَحَ الدَّهْرُ عَازِلًا مِلِكَةً  
وَكَانَ سِتْرُهُ عَلَيْهِ مِنْ مُلَحٍ      لَوْلَا نَبَاتٌ بِخُدِّهِ هَتَكَهُ<sup>(١)</sup>  
وَاللَّهُ لَا صَادِقِي لَهُ شَرِكٌ      فَخُذْ بَدَا الشَّعْرُ قَطَعَ الشَّرَكَهُ  
أَفَلْتُ مِنْ بَعْدِ نَتْفِهِ ذَنْبِي      وَلَسْتُ طَيْرًا يَعُودُ لِلشَّرَكَهُ  
وَذِكْرُهُ نَتْفَ ذَنْبِهِ مِنَ الْلفظِ الرَّثِّ ، وَالْمُسْتَهْجَنِ الْغَثِّ .

وكان أبو محمد المهدوي المعروف بابن الطلاء أخذ الشعراء الطارئين على الأندلس كثيرًا ما يأتي بالاستعارة التي تضحك كقوله :

لحي جراياتي<sup>(٢)</sup> منتوفةً      ومرَّ دهرٌ وهى لم تنتف

وقد أُلعتُ بلُعتُ من هذا الباب ، في أخبار ابن شَمَاح من هذا الكتاب .

وقال الحلواني :

قد حَلَّ في سُوْقِكَ الْكَسَادُ      مُذْ لَاحَ فِي خَدِّكَ السَّوَادُ  
كَأَنَّمَا الشَّعْرُ فِيهِ زَرْعٌ      وَالنَّتْفُ مِنْهُ لَهُ حَصَادُ

وقال :

صَدَّ فَمَا يُصْغِي لَشَاكٍ إِلَيْهِ      وَرَاحَ وَالْأَلْبَابُ فِي رَاحَتَيْهِ



مُفَوَّقٌ<sup>(١)</sup> السهم إذا ما رمى رمى ولا قوس سوى حاجبيه  
يودّ سيف الهند لو أنه تعلم الفتكة من ناظريه  
ذو وفرة زاد بها هيبة وقد يهاب الليث في لبديته  
عندي له من خدعي رقية لو أنها مرت على مسمعيه  
لا يدعى السقم بالحظه فمهجتي أسقم من مقلتيه  
أنظر لحاليه فقد أقسم أن ليس ينجو أحد من يديه  
أنظر لحاليه<sup>(٢)</sup> فقد أقسم بسيف عيني على وجنتيه  
ريحانة تمنع من شمهها<sup>(٣)</sup> تنفض في مدرعيه<sup>(٤)</sup> وغيرها  
تاه بوجهه كاد من رقة يقطر ماء الحشن من صفحتيه  
رقيبه من فرط ظن به لشخصه ألزم من حافظيه<sup>(٥)</sup>

وقال :

يا حامل السكين في وسطه ليس بهذا تعرف العين  
هل يحمل السكين من لحظه في مهج العشاق سكين ؟

وقال :

رضاب تغرك يضمنني ويشفني وسحر عينيك يغويني ويغريني  
وفي تنميك معني لا يقوم به مافي الغصون من الإرهاف واللين  
وهذا كقول أبي الفرج الوأواء :  
من أين للبدر حشن صورته وقدّه للقضب من أين ؟<sup>(٦)</sup>  
وما أحسن قول بعض أهل عصرنا :

(١) في الأصل : مفرق . (٢) في الأصل : لحاليه .

(٣) في الأصل : وغيره . (٤) في الأصل : مدرعيه .

(٥) في الأصل : ألزم من خافضيه .

(٦) راجع ديوانه ( نشر كراتشوفسكي — ليدن سنة ١٩١٣ ) ص ١٨ .

ما قَدَرُ نَعْمَانِ إِذَا مَا مَشَى وما عَسَى تَبْلُغُهُ عَاجِلُ ؟

وفي هذه القصيدة يقولُ الحلواني :

إِذَا وَصَفْتُكَ بِاللَّحْظِ الْفَتُورِ فَمَنْ قَدَّ الْقُلُوبَ بِأَطْرَافِ السَّكَائِنِ ؟  
وإن نَعْتُكَ بِالْغَضَنِ الرَطِيبِ فما فِي الْغَضَنِ مَا فِيكَ مِنْ كُلِّ الْأَفَانِينِ  
جِسْمٌ مِنَ الْمَاءِ لَكِنْ قَلْبُهُ حَجَرٌ اسْتَغْفِرُ اللَّهَ لَمْ يُخْلَقْ مِنَ الطِّينِ  
وما سَمِعْنَا بَغْضَنٍ مُثْمِرٍ قَمَرًا تَجَمَّعَتْ فِيهِ أَشْجَاتُ الرِّيحَيْنِ  
الْوَرْدُ وَالْأَسُّ وَالنَّسْرَيْنِ مُجْتَمِعِ (١)

لَمْ يَرَضَ عَنِّي فُؤَادِي مِنْ ضَنَانَتِهِ حَتَّى مَسَحَتْ بِهِ فِي كَفِّ ضَنْيْنِ  
فِي حُبٍّ مَنْ لَوْ رَأَى مِثْلُ مَنْ عَطَشَ وَالنَّيْلُ فِي يَدِهِ مَا كَانَ يَسْقِينِي  
طَمِعْتُ فِيهِ وَغَرَّتْنِي لَوَاحِظُهُ إِنْ الْمَطَامِعَ أَسْبَابُ الشَّيَاطِينِ  
قُلْ لَابْنِ عَشْرٍ وَخُمْسَيْهَا مِنْ أَيْنَ جَرَتْ سِهَامُ عَيْنَيْكَ فِي قَلْبِ ابْنِ سَبْعَيْنِ ؟  
ما حُبَّتِي عِنْدَ مَنْ فِي الْحُبِّ يَعْذُلُنِي وَآيَتِي (٢) فِي نُبُوءَاتِ الْجَانِينِ  
إِنْ كُنْتَ فِي الْحُبِّ سُلْطَانًا عَلَى كِبْدِي فَخَفَ عُقُوبَةَ سُلْطَانِ السَّلاطينِ  
أَوْ كَانَ عِنْدَكَ لِلْمَسْكِينِ مَرْحَمَةٌ فَإِنَّ عَبْدَكَ مِسْكِينُ الْمَسَاكِينِ

وأراه عارضَ بهذه قصيدة ابنِ رَشِيقٍ ، فَضَّلَ عَنِ الطَّرِيقِ . هذا وقد قُلْتُ إِنَّ لَهُ فِي النَّسِيبِ ، أَوْفَرَ نَصِيبٍ . فَأَمَّا إِذَا وَصَفَ أَوْ مَدَحَ ، فَقَلِمَا رَأَيْتُهُ فِي ذَلِكَ نَجَحَ وَلَا أَفْلَحَ .

ما أخرجته من قصائده المطوَّلة في المديح وما يتشَبَّثُ بِهِ مِنَ الْأَوْصَافِ

قالَ يَمْدَحُ الشَّيْخَ صَاحِبَ الْخُمْسِ أبا عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ الْكِنَانِيَّ الشَّامِيَّ بِصَقْلِيَّةٍ مِنْ قَصِيدَةٍ يَقُولُ فِيهَا :



شَدُّوا الحُدُوجَ وَزَرُّوْهَا عَلَى قَمَرٍ  
دُرَّانٍ مِنْ فِيهِ شَفَا مُحَدَّثِهِ  
فَلَيْتَ شِعْرِي لِمَنْ أَُنْهِيَ ظُلَامَتَهُ  
قَدْ قُلْتُ لَوْ قَبَلَ الْوَعْظَ الْمُبِينَ لَهُ  
فَقَالَ مَنْ ضَرَّجَتْ خَدَّيْ نَظَرْتُهُ

ومنها :

لِلَّهِ مَنْزِلَةٌ بِالْقِيَرَوَانِ مَحَا  
شَقَّقْتُ جَنِبَ شَبَابِي بَعْدَ فُرْقَتِهَا  
إِنْ فَرَّقَ الدَّهْرُ عَنْهَا شَمْلَنَا فَلَنَا

وله فيه من أخرى :

لَيْتَ شِعْرِي وَلَيْتَ حَرْفُ تَمَنٍّ  
كَيْفَ يَا قِيَرَوَانُ حَالُكَ لَمَّا  
كُنْتُ أُمَّ الْبِلَادِ شَرْقًا وَغَرْبًا  
نَحْنُ أَبْنَاؤُهَا وَلَكِنْ غَنِينَا  
دِمْنٌ كَانَتْ الْبُرُوجُ وَكُنَّا

ومنها :

وَأَنَا قَدْ أَخَذْتُ إِنْ عَبَثَ الدَّهْرُ

وَقَالَ مِنْ أُخْرَى :

نَطَقْتُ بِسِرِّ ضَمِيرِهِ عِبْرَاتُهُ  
بَابِي وَأُمِّي بَدْرُ تِمٍّ تَحْتَهُ  
يَمْشِي فَيَعُثُّ فِي ذُيُولِ شَبَابِهِ

فِي الْحُسْنِ تَنْجَابٌ عَنْ أَنْوَارِهِ الظُّلْمُ  
لِلنَّثْرِ وَالنَّظْمِ مَسْمُوعٌ وَمُلْتَمَسٌ  
وغيرُ مُنْتَصِفٍ مَنْ خَصَّمَهُ الْحَكَمُ  
خَفِ الْمُهَيِّمَنَ فِينَا إِنَّا نَسَمُ  
فَإِنَّ سَيْفَ جَفُونِي مِنْهُ يَنْتَقِمُ

أَيَّامَهَا الْبَيْنُ لَا الْإِيَّامُ وَالْقِدَمُ  
حُزْنًا عَلَيْهَا وَلَا شَيْبٌ وَلَا هَرَمٌ  
بِصَاحِبِ الْخَمْسِ إِبْرَاهِيمَ مُعْتَصِمُ

رَبَّمَا عَلَّلَ الْفُؤَادَ السَّاقِيَا  
نَثَرَ الْبَيْنُ سِلَكَكَ الْمَنْظُومَا  
فَمَحَا الدَّهْرُ وَشَيْكَ الْمَرْقُومَا  
بَعْدَ إِنْ لَمْ نُنْطِقْ بِهَا أَنْ نُقِيَا  
أَقْمَرًا فِي قِبَابِهَا وَنَجُومَا

رُ ذِمَامًا مِنْ ابْنِ (١) إِبْرَاهِيمَا

وَبَدَتْ بِنَارِ فُؤَادِهِ زَفَرَاتُهُ  
غُصْنٌ كَثُرْنَ لَشِقْوَتِي ثَمَرَاتُهُ  
مَشَى النَّزِيفِ وَخَمْرُهُ رَشَفَاتُهُ

(١) فِي الْأَصْلِ : مِنْ عَفْدِ .



ومنها :

ولربِّ با كِيَّةٍ رَأَتْ فِي لِمَّتِي      بعض<sup>(١)</sup> المَشِيبِ تَأَلَّقَتْ ضَحِكَاتُهُ  
[قالت] : أَغْصُنْكَ قَدَعْلَاهُ كَمَا أَرَى      زَهْرُ الرِّيَاضِ وَمَا بَدَتْ وَرَقَاتُهُ  
فَأَجَبْتُهَا : قَارَعْتُ فِي جَنْبِ الْهَوَى      صَرَفَ الزَّمَانِ وَهَذِهِ نَكْبَاتُهُ  
ومن المديح :

شَيْخُ الْقَبِيلَةِ فِي الْجَزِيرَةِ وَالَّذِي      سَبَقَتْ ظُنُونُ الْحَاسِدِينَ أَنَاتُهُ  
مَا تَفْعَلُ الْإِيَّامُ غَيْرَ مُرَادِهِ      فَكَأَنَّمَا حَرَّكَاتُهَا أَدَوَاتُهُ  
هَذَا الثَّنَاءُ عَلَيْكَ يَعْْبَقُ طَيْبُهُ      يَا بَنَ الْكِرَامِ وَحَاسِدُوكَ رُؤَاتُهُ  
قوله في الشَّيْبِ « صَرَفَ الزَّمَانِ وَهَذِهِ نَكْبَاتُهُ » كقولِ ابْنِ الْمُعْتَزِّ<sup>(٢)</sup> :

قالتُ كَبِرْتَ وَشِبْتَ قَلْتُ لَهَا      هَذَا غُبَارُ وَقَائِعِ الدَّهْرِ  
وقالَ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي طَاهِرٍ :

قالتُ غُبَارُ — ارْ قَدَعْلَا      كَ فَقَلْتُ بَلْ غَيْرُ الْغُبَارِ  
هَذَا الَّذِي نَقَلَ الْمُلُوكُ      إِلَى الْقُبُورِ مِنَ الدِّيَارِ

وقال ابنُ لَنَكِّكَ ، فِي مِثْلِ هَذَا الْمَسَلَكِ :

وَتَعَجَّبْتُ لِلشَّيْبِ ، لَا تَتَعَجَّبَنِي      هَذَا غُبَارُ وَقَائِعِ الْإِيَّامِ

وقوله « حَاسِدُوكَ رُؤَاتُهُ » كقول البُحْتَرِيِّ :

لِيسَايِرِنَكَ رَكْبُ شِعْرِ سَائِرٍ      يَرُويهِ فَيْكَ لِحُسْنِهِ الْأَعْدَاءُ

وأخذه من قول حَبِيب :

فَإِن أَنَا لَمْ يَحْمَدْكَ عَنِّي صَاغِرًا      عَدُوُّكَ فَاعْلَمْ أَنَّنِي غَيْرُ حَامِدٍ



وقال الحلواني من أخرى :

وإذا أردت ترى فضيلة صاحب      فانظر بعين البحث من ندمائه  
فلمه مطوى على ——— لاته      طى الكتاب وصحبه عنوانه  
وكذا دليل الجود في ابن محمد      باد بصفح جبينه برهانه  
وترى الليالى فاعلات امره      حتى كأن صروفها أعوانه

ومعنى البيت الأول من هذه كقول الآخر : « واعتبر الصاحب بالصاحب »  
وقول الآخر :

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه      فكل قرين بالمقارن مقتد  
ومعنى البيت الأخير لفظ أبي الطيب :  
وأراك دهرك ما تحاول في العدا      [ حتى <sup>(١)</sup> ] كأن صروفه أنصار

وقال :

هل بعد [ حد ] الأربعين تصابى      ذهب الشباب ولات حين شباب  
هل ينفعنك بعد شيبك في الهوى      توفير مكتسب وحسن ثياب ؟  
هيئات ما فخر المهند في الوغى      بحلي غمد فوقه وقرب !

وهذا كقول المعري :

وإن <sup>(٢)</sup> كان في لبس الفتى شرف له      فما السيف إلا غده والهمائل

أنت الذى قسم الزمان لنفسه      قسمين بين رياسة ومناب  
أعطى لمرتبة العلاء نهاره      منها وجنح الليل للمحارب

(١) هذه الكلمة ساقطة في الأصل . انظر الديوان ج ١ ص ٣٠٦ .

(٢) في الأصل « إذا » والتصحيح عن سقط الزيد ج ١ ص ١١١ .



قَامَتْ عَلَى أَسِّ الْفَخَّارِ عِمَادُهَا وَتَزَيَّنَتْ بِتَأْدِبِ الْحُجَابِ  
سَهَلَتْ مَدَاخِلَهَا لِطَالِبِ حَاجَةٍ فَكَأَنَّمَا بُنِيَتْ بِلَا أَبْوَابٍ  
«ووجدت بخطه [وقد] مدح هذا الشيخ الكِنَانِي رجُلٌ من الأندلس

بشعر [أتهم ابن فضال] فيه وجرى في مجلسه بصقلية<sup>(١)</sup>، [فقال يهجو]:

يا شاعِرَ العَصْرِ قَدْ كَلَّفَتْنِي شَطَطًا فَاصْرِفْ عِنَانَكَ عَنَّا ، أَوْ تَأَنَّ خُطَا

حَمَلَتْنِي ذَنْبٌ غَيْرِي ظَالِمًا وَأَنَا قَدْ كُنْتُ أَقْسَطُ فِي إِنْصَافٍ مَن قَسَطَا

وَمَا حَسَدْتِكَ فِي شِعْرِ أُتَيْتَ بِهِ يَوْمًا يَحَاوِلُ لَمَسًا لِلشَّهَى سَقَطَا

يَا فَارِسَ الشَّعْرِ إِنْ كَلَّتْ فَوَارِسُهُ يَوْمًا<sup>(٢)</sup> وَسَابَقُهَا إِنْ أَعْلَمْتَ<sup>(٣)</sup> مَرَطَا

إِنَّ ابْنَ دَرَّاجِكُمْ لَوْ قَامَ مِنْ حَدَثٍ وَصِحْتُ يَوْمًا بِهِ مِنْ خَلْفِهِ ضَرَطَا

وَلَيْسَ يَحْسُدُ طَبْعِي أَبْجَنِيَسَكُمْ<sup>(٤)</sup> فَكَيْفَ أَنْتَ ، لَقَدْ جَشَمَتْنِي شَطَطَا

فِي الْخَلْقِ مِنْ كَاشَفٍ بِالْبَحْثِ عَنْكَ غَطَا

وَلَا تَظَنَّ أَنَّ الشَّعْرَ مَكْرُمَةٌ فَالْحُرُّ إِنْ رَامَ أَنْ يَعْلُو بِهِ هَبَطَا

قُلْتُ أَنَا — صَاحِبَ الْكِتَابِ — نَشَدْتُكَ بِاللَّهِ يَا أَبَا الْحُسَيْنِ<sup>(٥)</sup> إِلَّا

مَارَفَقَتَ بِأَسِيرِيكَ ! فَأَنَّهُمَا شَيْخَا الْعَشِيرَةِ ، وَلِسَانَا الْعَزِيرَةِ ؛ فَإِنْ كَانَ

وَلَا بُدَّ فَالْرَّمَادِيُّ ، فَإِنَّهُ كَانَ أَقْلَ طَيْشًا ، وَأَوْدَعَ عَيْشًا . وَأَمَّا ابْنُ دَرَّاجٍ فَمَنْخُوبُ

الْقَلْبِ ، مُشْتَرِكُ اللَّبِّ ، يَكْفِيكَ مِنْهُ هَوْلُ الْاِتِّهَامِ وَالْإِنْجَادِ ، وَبَيْعُ الشَّعْرِ فِي

سُوقِ الْكَسَادِ .

وَقَالَ مِنْ أُخْرَى :

طَرَقْتَهُمْ بِبَيْضِ الْهِنْدِ لَيْلًا فَعَادَ اللَّيْلُ عِنْدَهُمْ نَهَارًا

(١ — ١) العبارة مضطربة في الأصل وما أثبتناه أقرب الاحتمالات لسياق الكلام .

(٢ — ٢) في الأصل : ومنابعها إن أعلمت . ولعلها ما أثبتناه .

(٣) كنية الرمادي الأعجمية « أبو جنيس » .

(٤) رسم الكلمة في هذا الموضع : أبو الحسن .



أطرت فؤادها في الجوِّ دُعْرًا      لبرقي في يدك قد استطارا  
بَنَيْتَ الأرضَ فوقهم سماء      وقد أَجَرَيْتَ مِنْ عَلاقِي بحارا  
فليس تَرَكَ الحَظُّ الدَّارِي      وأنتَ حَشَوْتَ أَعْيُنَهَا غُبَارا

ومعنى هذا البيت والذي قبله كقول التهامي :

فَدَحَوْا فَوْقَ الأرضِ أرضاً من دَمٍ      ثم ابْتَنَوْا [دُونَ] السَّمَاءِ سَمَاءا

وقال من أخرى في الوزير أبي بكر بن عبد العزيز ببلاسية :

أَغْلِبُ فِيكَ الشَّكَّ أَنِّي حَالِمٌ      وَمَنْ لَمْ يَذُقْ طَعْمَ الكَرَى كَيْفَ يَحْلُمُ

ومن المدح :

وَقَتُّ بِهَا بَيْنَ السَّمَاوَيْنِ مُنْشِدًا      كَمَا يَتَغَفَّى الشَّارِبُ الْمَتْرُمُ  
بِمَدْحِ امْرِئٍ كُلِّ امْرِئٍ مِنْ غُفَاتِهِ      يُخَيِّرُ فِيمَا عِنْدَهُ وَيُحْكَمُ  
كَأَنَّ الَّذِي سَوَّاهُ قَالَ لَكَفِّهِ      عَلَيْكَ لِهَذَا الْخَلْقِ رِزْقٌ مُقَسَّمُ  
لَقَدْ عَلِمَ الْمَأْمُونُ<sup>(١)</sup> أَنَّكَ صَارِمٌ      بِمِمنَاهُ لَا يَنْبُو وَلَا يَتَشَلَّمُ  
يَقُولُونَ لِي إِنَّ الْمُلُوكَ كَثِيرَةٌ      وَرَأَيْكَ أَمْضَى فِي الْبِلَادِ وَأَحْزَمُ  
فَقُلْتُ<sup>(٢)</sup> لَهُمْ مَا كُلُّ بَيْضَاءٍ شَحْمَةٌ      وَلَا كُلُّ مَصْقُولٍ الصَّفِيحَةِ مُحْذَمُ

وله من أخرى يستعطفه لأمرٍ وقع ، وكلامٍ عليه رُفِعَ :

أَتَسْمَعُ فِي مَقَالِ الْوُشَاةِ      وَإِنْ جِئْتُ بِالْعُذْرِ لَا تَسْمَعُ !  
تَقْشَعُ غَيْمٌ بِكَفِّي مِنْكَ      وَصَوِّحَ فِي سَاحَتِي مُنْعِرُ  
فَلَوْلَا اعْتِلَاقِي بِحَبْلِ الرَّجَاءِ      لَمَا حَمَلَتْ قَلْبِي الْأَضْلَعُ  
فَإِنْ كَانَ قَدْ مَاتَ حَظِّي لَدَيْكَ      وَحَاشَاكَ بَلْ أَنْتَ لِي أَرْفَعُ



فَدَعْنِي أُبَيِّضْ بِشَيْبِي عَلَيْكَ فَلُبْسُ الْمَشِيبِ لَهُ أَفْجَعُ  
وقد كرَّرَ الحلوانيُّ هذا المعنى في شِعْرِ قد تقدَّم إنشاده .

وقال من أخرى :

نَجْمٌ تَوَلَّدَ مِنْ شَمْسٍ وَمِنْ قَمَرٍ وَأَيْنَ مِنْ أَبْوَيْهِ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ؟  
شَمْسُ الْعَفَافِ وَبَدْرُ الْمَجْدِ بَيْنَهُمَا تَوَلَّدَ النُّورُ إِلَّا أَنَّهُ بَشَرُ

وهذا كقول ابن عمارٍ يَهْنِيُّ المَعْتَمِدَ وقد وُلِدَ له مَوْلودان :

إِهْنَأُ بِنَجَلَيْكَ مِنْ أَنْثَى وَمِنْ ذَكَرٍ لَا تَعْدُمُ الضَّوءَ بَيْنَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ  
وهو من قول ابن الرُّومِي :

شَمْسٌ وَبَدْرٌ وَلَدَا كَوْ كَبَا أَقْسَمْتُ بِاللَّهِ لَقَدْ أَنْجَبَا

وقد تقدَّم إنشاده .

ومن قصيدة الحلواني :

لَا أَقْتَضِيكَ مَوَاعِيدًا بَدَأَتْ بِهَا كَمَا تَفْطَسُ مِنْ أَكْامِهَا الزَّهْرُ  
وَلَا أَلْوَمُكَ فِي تَأْخِيرٍ عَاجِلِهَا مِنْ بَعْدِ عِلْمِي بِمَا يَجْرِي بِهِ الْقَدَرُ  
أَمَّا تَرَى اللَّهَ وَهُوَ اللَّهُ مَوْعِدُهُ مُؤَخَّرٌ بِنَعِيمِ الْخُلْدِ مُنْتَظَرُ ؟

وقال :

وَمَا كُنْتُ أُدْرِى قَبْلَ لَوْلُو تَغْرِه بَأَنَّ اللَّالَى مِنْ نَبَاتِ الْمِبَاسِمِ

ومنها :

مَنَادِيَّةٌ أَنْسَابُهُ خَيْرِيَّةٌ مُتَوَجِّةٌ بِالْمَجْدِ قَبْلَ الْعَمَائِمِ  
فَمَا انْبَسَطَتْ إِلَّا لُجُودُ أَكْفُهُمْ وَلَا انْقَبَضَتْ إِلَّا لَضَبِطِ الْقَوَائِمِ  
يَحْرُونَ أَطْرَافَ الرِّمَاحِ إِلَى الْوَعَى كَمَا جَرَّتْ الْعِقْبَانُ سُودَ الْأَرَاقِمِ



ومعنى البيت منها كقول الآخر :

وما خلقت كفاك إلا لأزبع  
لتقليب<sup>(١)</sup> هندی وإعطاء نائل  
عقائل لم تخلق لهن يدان  
وتقبيل أفواه وقبض عنان

وقال الحلواني :

يا نفس ويحك في التغرب ذلة  
وإذا نزلت بدار قوم دارهم  
فتجرعى كاسي أذى وهوان  
فالشمس أشرف ما تكون بكبشها  
فلهن عليك تعزُّز الأوطان  
وسقوطها في كفة الميزان

وصدر هذا البيب الأخير كقول الآخر :

إذا غدا ملك باللّهُو مُستغلاً  
أما ترى الشمس في الميزان هابطة  
فاحكم على مُلكه بالويل والحرب  
لما غدا وهو بُرجُ اللّهُو والطرب ؟

وزار بعض إخوانه فحجبه نفاطبه برُقة يقول في فصل منها :

تصدّيت لقاء سيدي تصدّي الحب الكئيب ، للقاء رسول الحبيب ،  
وطفت ببابه الكريم ، طواف الحجاج بالبيت العظيم ، فخال عُشورُ الجَدِّ ،  
عن مُطالعة القمر السَّعد ، ومنع سوء البخت ، عن لقاء الكرم البخت .  
فخدست أن سيدي وقته ظفرت يدها بمن يهواه ، فغاب مغيب القمر ، تحت  
غمام الظفر ، وتعاطيا بكأس الوصال ، مُدامي الشرور والجريال ، وضيق بضيق  
العناق ، تجرّى الوشاح والأطواق . هنأه الله ببلوغ أمانيه ، وهنأنا فيه بما  
يرضيه . فحياتنا بسروره مُرتبطة ، ونفوسنا بما يشتهيهِ مُغتبطة .

اتهى المجلد الأول

من القسم الرابع





## فهرس

صفحة

|    |                                                       |
|----|-------------------------------------------------------|
| ٢  | أبو العلاء صاعد بن الحسن البغدادي                     |
| ٣  | قصول من نثره في أوصاف شتى                             |
| ٣  | كتب إلى الوزير أبي جعفر بن الذهب مستعظماً             |
| ٤  | له إلى مجاهد يصف ظهوره على خيران                      |
| ٦  | جملة أخبار جرت له مع المنصور بن أبي عامر              |
| ٦  | المنصور يختبر صاعداً أول دخوله                        |
| ٨  | إغراق كتابه (الفصوص)                                  |
| ٩  | ابن العريف يفترى على صاعد                             |
| ٩  | صاعد يرتجل شعراً يصف فيه سقيفة أعداء المنصور لاختباره |
| ١١ | ابن بسام يتحدث عن نفسه وكتابه                         |
| ١٢ | أبيات لصاعد في الوصف                                  |
| ١٣ | صاعد ومعارضة أبي نواس                                 |
| ١٤ | أبو عبد الله بن شرف وابن رشيق ومعارضة المتنبى         |
| ١٥ | صاعد يفتحل الشعر                                      |
| ١٦ | بعض أخلاق صاعد                                        |
| ١٦ | أبو مروان عبد الملك بن شهيد في مجلس شراب عند المنصور  |
| ١٨ | شعر لابن شهيد المذکور                                 |
| ١٩ | صاعد يغنى للمنصور                                     |

صفحة

|    |                                                                  |
|----|------------------------------------------------------------------|
| ٢٠ | صاعد يختلق ألفاظا في اللغة ويكذب                                 |
| ٢٢ | إهداؤه إيلاء المنصور                                             |
| ٢٣ | البربرية والاربعون في الشعر وأمثله لذلك عند المسارعة والأندلسيين |
| ٣٠ | إيجاز الخبر عن أسر غرسية                                         |
| ٣١ | أبو مروان بن الجزيري ومقتد                                       |
| ٣٢ | رسائل الجزيري على السنة بنات المنصور                             |
|    | الجزيري يحرض طرفة على اسقاط عيسى بن سعيد القطاع والاستبداد       |
| ٣٤ | بالدولة                                                          |
| ٣٧ | رجوع الى صاعد                                                    |
| ٣٧ | رسالة صاعد إلى علي بن وداعة                                      |
| ٤٠ | مقتل المغيرة بن الفاسر بأمر المصحفي                              |
| ٤١ | بين ابن أبي عامر والمصحفي                                        |
| ٣٩ | تلخيص التعريف بدولة ابن أبي عامر                                 |
| ٤٤ | جهاد ابن أبي عامر ومحاربه النصارى                                |
| ٤٦ | نكبة أبي جعفر المصحفي وشعره في السجن                             |
| ٥٢ | كبار الأحداث بالدولة العامرية                                    |
| ٥٢ | المنصور يستخرج الأموال من قصر الخليفة                            |
| ٥٤ | وفاة المنصور ووصيته                                              |
| ٥٨ | قبام عبد الملك بن المنصور بالدولة                                |
| ٥٩ | صفات عبد الملك وفضائله                                           |
| ٦١ | زاوى بن زيري يدخل الأندلس في عهد عبد الملك                       |
| ٦٢ | الخليفة هشام وانشغاله وأهل القصر بالخرافات                       |
| ٦٣ | عبد الملك يحارب النصارى                                          |



صفحة

|     |     |     |     |                                                     |
|-----|-----|-----|-----|-----------------------------------------------------|
| ٦٧  | ... | ... | ... | أبو الفضل محمد بن عبد الواحد البغدادي الدارمي       |
| ٦٧  | ... | ... | ... | حياة أبي الفضل قبل دخوله الأندلس                    |
| ٦٩  | ... | ... | ... | قصيدة الواساني في يوسف بن علي الفلاحى               |
| ٧٣  | ... | ... | ... | جملة من أشعار أبي الفضل في النسيب مع تعليقات المؤلف |
| ٨٠  | ... | ... | ... | شعره في سائر الأوصاف                                |
| ٨٩  | ... | ... | ... | مقطوعات له في الإخوانيات                            |
| ٩٣  | ... | ... | ... | سليمان بن محمد الصقلي                               |
| ٩٦  | ... | ... | ... | أبو الفتوح ثابت بن محمد الجرجاني                    |
| ٩٨  | ... | ... | ... | عبد العزيز بن محمد السوسى                           |
| ٩٩  | ... | ... | ... | وصف احتفال المأمون بن ذى النون بأعذار حفيده         |
| ١٠٩ | ... | ... | ... | محمد بن أحمد بن ذى النون وذكر أولاده أمرهم          |
| ١١٤ | ... | ... | ... | شفف المأمون بن ذى النون ببناء القصور                |
| ١١٦ | ... | ... | ... | مصير القادر بن ذى النون                             |
| ١١٨ | ... | ... | ... | مقتل الفقيه أبي بكر بن الحديدى                      |
| ١٢٢ | ... | ... | ... | فرار القادر بن ذى النون من طليطلة ودخول المتوكل     |
| ١٢٥ | ... | ... | ... | خروج المتوكل من طليطلة ورجوع ابن ذى النون إليها     |
| ١٢٧ | ... | ... | ... | سقوط طليطلة في يد النصارى                           |
| ١٣٣ | ... | ... | ... | أبو عبد الله محمد بن شرف                            |
| ١٣٤ | ... | ... | ... | جملة من نثره                                        |
| ١٣٨ | ... | ... | ... | كتابه أبكار الأفكار                                 |
| ١٤٠ | ... | ... | ... | كتابه أعلام الكلام                                  |

صفحة

|     |                                                   |
|-----|---------------------------------------------------|
| ١٤٣ | فصول من نثره في أوصاف شتى                         |
| ١٤٧ | فصول له في الذم                                   |
| ١٥٢ | رقعته إلى المظفر بن الأفتس ورده عليه              |
| ١٥٤ | مقامة لابن شرف في ذكر الشعراء                     |
| ١٦٥ | مقامة له أخرى                                     |
| ١٦٨ | شعر ابن شرف في النسيب                             |
| ١٧٠ | شعره في المديح                                    |
| ١٧٥ | مقطوعات له في أوصاف شتى                           |
| ١٧٧ | مراثيه في بلدة القيروان                           |
| ١٨٦ | محمد بن أحمد بن السقاء القرطبي                    |
| ١٨٧ | أولية ابن السقاء كما رواها ابن حيان               |
| ١٨٨ | استبداد ابن السقاء                                |
| ١٩٠ | مصرع ابن السقاء                                   |
| ١٩٢ | أبو الحسن علي بن عبد الغنى الكفيف المعروف بالحصرى |
| ١٩٣ | جملة من نثر الحصرى                                |
| ١٩٤ | رسالته إلى أبي الحسين بن الطراوة                  |
| ١٩٦ | رسالته إلى الأديب غانم بمالقة                     |
| ١٩٧ | له إلى ابن حسداى يشكو ابن عباس                    |
| ١٩٩ | شعره في النسيب                                    |
| ٢٠٢ | شعره في المديح                                    |
| ٢٠٥ | قصيدته في المقتدر بن هود                          |



- المقتدر بن هود وتغلبه على رانية ..... ٢٠٦
- مقطوعات للجهمري ..... ٢٠٨
- شعره في الرثاء ..... ٢٠٩
- مدائحه في الشعبي ..... ٢١٦
- أبو الحسن عبد الكريم بن فضال القيرواني المعروف بالحلواني ..... ٢١٩
- شعره في النسيب ..... ٢١٩
- شعره في المديح ..... ٢٢٤



# جدول الخطأ والصواب

| صفحة | السطر | الخطأ   | الصواب  | صفحة | السطر | الخطأ                       | الصواب                      |
|------|-------|---------|---------|------|-------|-----------------------------|-----------------------------|
| ٢٩   | ١٥    | أخضر    | أخضر    | ١٢٧  | ١١    | آء                          | أداء                        |
| ٣٧   | ٢     | ابن     | بن      | ١٢٧  | ١٥    | يقعد                        | يقعد                        |
| ٤٢   | ٣     | مد      | مد      | ١٣٠  | ٩     | خلوا                        | خلوا                        |
| ٤٣   | ٣     | جعفر    | وجعفر   | ١٣١  | ٨     | الأبقاء                     | الأبقاء                     |
| ٤٧   | ١٤    | صرفه    | صرفه    | ١٣٢  | ١     | وتسعين                      | وسبعين                      |
| ٥٣   | ١٤    | الملا   | الملا   | ١٣٦  | ١٨    | الطلب                       | الطلب                       |
| ٥٨   | ٦     | أميه    | أمية    | ١٤٠  | ٦     | صمصام                       | صمصام                       |
| ٦٠   | ١٤    | النزع   | الترع   | ١٤١  | ١١    | السبق                       | السبق                       |
| ٦١   | ٦     | النفى   | النفى   | ١٥٠  | ٩     | صفاء                        | صفاء                        |
| ٨١   | ١٣    | نقاد    | نقاد    | ١٥٠  | ١٤    | خدن                         | خدن                         |
| ٨٣   | ٤     | فعاوني  | فعاوني  | ١٥١  | ٥     | واوت                        | واوت                        |
| ١٠٥  | ٤     | واند    | موائد   | ١٥٢  | ٦     | الفتاء                      | الفتاء                      |
| ١٠٥  | ١٣    | خليفة   | خليفة   | ١٥٢  | ١٤    | نسيات                       | نسيات                       |
| ١٠٨  | ١     | فدخلوا  | فدخلوا  | ١٦٨  | ١١    | عسي                         | عيسى                        |
| ١١٠  | ٢١    | فرطهم   | فرطهم   | ١٧١  | ١٠    | وللسير                      | وللسيد                      |
| ١١١  | ٧     | الملقب  | الملقب  | ١٧٢  | ٩     | الخطاب                      | الخطاب                      |
| ١١٣  | ٢     | ملا     | ملا     | ١٧٤  | ٩     | غرفة                        | غرفة                        |
| ١٢٠  | ٦     | بفتكة   | بفتكة   | ١٩٤  | ١٥    | الطراوة                     | الطراوة                     |
| ١٢١  | ٣     | واشراب  | واشراب  | ١٩٥  | ١٧    | قوم                         | قوم                         |
| ١٢٣  | ١٠    | أضل     | أضل     | ١٩٩  | ٣     | أعبد ريان                   | أعبد ريان                   |
| ١٢٤  | ٥     | جملة    | جملة    | ٢٠٥  | ١٩    | سرقسطة                      | سرقسطة                      |
| ١٢٥  | ٣     | بطليموس | بطليموس | ٢٠٨  | ١     | أريم                        | أريم                        |
| ١٢٥  | ٩     | ظفره    | ظفره    | ٢١٠  | ١٧    | تقرأ (ولا بياض معي إلا بياض | تقرأ (ولا بياض معي إلا بياض |
| ١٢٦  | ١٧    | الصغار  | الصغار  | ٢٢٢  | ١٨    | الشعر                       | الشعر                       |
| ١٢٦  | ٥     | إعذار   | إعذار   | ٢٢٥  | ٢     | محدثه                       | محدثه                       |
|      | ٧     |         |         | ٢٢٥  | ١٤    | بعد إن                      | بعد أن                      |





DATE DUE

A circular library stamp is located in the top-left corner of the page. The stamp features a serrated outer edge. Inside the circle, the text "FEB 2003" is at the top, "29 NOV 2016" is in the center, and "JANET LIE" is at the bottom. The words "Circular" and "Dept. 4" are also visible, partially obscured by the date. There are small asterisks on either side of the name "JANET LIE".



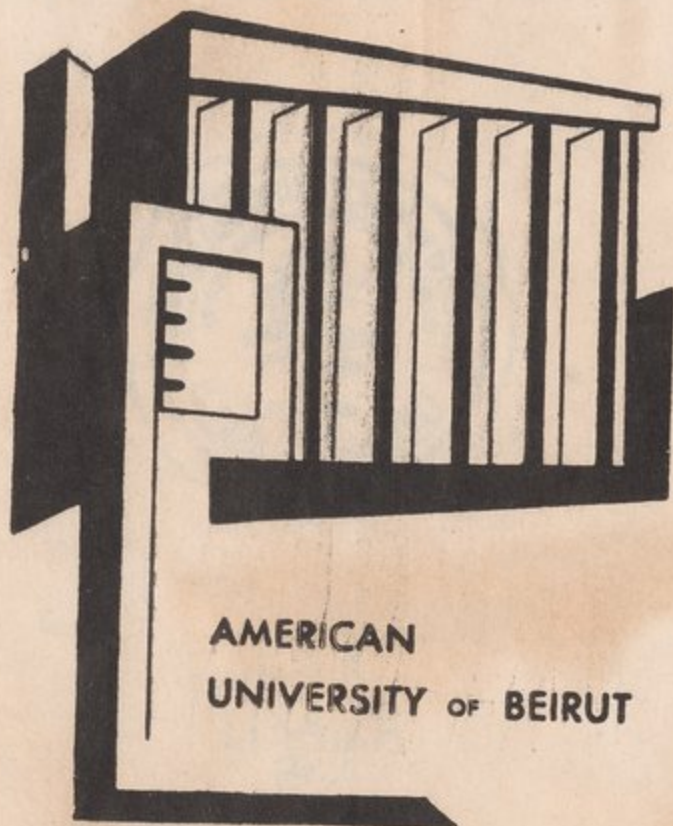
928.927:11322A:pt.4-v.1:c.1

ابن بسام، أبو الحسن علي  
الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01072270



AMERICAN  
UNIVERSITY OF BEIRUT



